

ترجمات

ألفريده
يلنيك

رواية
عازفة
البيانو

ترجمة: سمير جريس

الروائية الحاصلة على جائزة نوبل في الآداب لعام ٢٠٠٤



ميريت

عازفة البيانو

عزفة البيانو

للكاتبة النمساوية: إلفريده باونك

الحاصلة على جائزة نوبل عام ٢٠٠٤

ترجمة: سمير جريس

الطبعة الأولى، ٢٠٠٥

(C) دار ميريت

٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة

تليفون / فاكس: ٥٧٩٧٧١٠ (٢٠٢)

www.darmerit.com

merit56@hotmail.com

الغلاف: أحمد النباد

المدير العام: محمد هاشم

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٢٥٩٦

التسجيل الدولي: 977-351-211-8

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع مشروع ليتركس الألماني

www.litrix.de

للكاتبة النمساوية: إلفريده يلينك

ترجمة: سمير جريس

عازفة البيانو

رواية

دار ميريت

القاهرة ٢٠٠٥

ولدت إلفريده يلينك في العشرين من أكتوبر عام ١٩٤٦ في مقاطعة شتايرمارك النمساوية. نشأت في فيينا حيث درست المسرح وتاريخ الفن والموسيقى. من أشهر أعمالها الروائية "عازفة البيانو" (١٩٨٣)، و "لذة" (١٩٨٩) و"طمع" (٢٠٠٠)، ومن مسرحياتها: "تورا" (١٩٧٩) و"مسرح بوج" (١٩٨٥) و"مسرحية رياضية" (١٩٩٨).

وقد حصلت يلينك على عدد من الجوائز الأدبية، من أهمها جائزة جيورج بوشنر عام ١٩٩٨ (وهي أرفع الجوائز الأدبية في المنطقة الناطقة بالألمانية)، ثم توجت أعمالها بجائزة نوبل عام ٢٠٠٤.

تستند هذه الترجمة على الطبعة الألمانية الثامنة والعشرين
الصادرة عن دار "روفولت" في هامبورج عام ٢٠٠٤
Elfriede Jelinek: *Die Klavierspielerin.*
Rowohlt Taschenbuch Verlag, 28. Auflage
April 2004. Rowohlt Verlag GmbH

"عازفة البيانو":

خبرة ذاتية ونضج في التناول

ليست الكاتبة النمساوية إلفريده يلينك مجهولة في بلادها بالطبع، وإن كانت أقل شهرة من بيتر هاندكه، أو الراحل توماس برنهارد. أما خارج حدود البلاد الناطقة بالألمانية فشهرتها أقل بكثير من زميلها، وكذلك ترجمات مؤلفاتها، و"عازفة البيانو" هي أول ما ينقل من أعمالها إلى اللغة العربية. ولعل أدب المنطقة الألمانية لم يعرف كاتباً أثار الجدل وتضاربت بشأنه الآراء مثل إلفريده يلينك، ليس هناك كاتب ألماني اللغة انهال عليه النقاد في العقدين الأخيرين طعنا وتجريحا مثل يلينك. وليس هناك أديب كرم بهذا العدد الضخم من الجوائز مثلها أيضاً! أكثر من عشرين جائزة حصلت عليها يلينك، توجت قبل شهر بأهم جائزة أدبية في العالم. قبلها بأربعة أعوام نالت يلينك أرفع الأوسمة الأدبية في المنطقة الألمانية، وهي جائزة جيورج بوشنر، كما حصلت على العديد من الجوائز تكريماً لأعمالها المسرحية. ولا بد أن نذكر أيضاً أن أعمال يلينك المسرحية هي الأكثر تمثيلاً على خشبات

المسارح الألمانية في العقد الأخير. هي عند البعض "علاقة اللغة الألمانية"، والكاتبة التي حققت في أعمالها "إنسيابية موسيقية للأصوات والأصوات المضادة التي تكشف بعذوبة لغوية فريدة عبثية القوالب الاجتماعية الجاهزة وقوتها المسيطرة"، كما تقول لجنة نوبل في حيثيات منحها الجائزة، ومن ناحية أخرى فهي الكاتبة التي يواجه أديها اتهامات بالبرونوغرافية والسطحية والمحلية، هذا عدا اتهامها بكره الوطن وإهانته وتلطيخ سمعته، وهي الاتهامات التي وجهت قبلاً لمواطنها توماس برنهارد (١٩٣١-١٩٨٩). وبالفعل تلقت يلينك مع توماس برنهارد في توجيه النقد الحاد إلى النمسيين الذين لم يقوموا حسب رأيها بمحاسبة كافية للذات بعد حقبة النازية، وأراحوا ضمائرهم سريعاً بإلقاء الذنب كله على الألمان. لم تن يلينك تتكأ جرح الماضي النازي لدى شعبها، ولذلك لم يكن غريباً أن تلقى مسرحياتها التي تتعرض لتلك الموضوعات هجوماً عنيفاً في النمسا، وأن تمثل أولاً على خشبات المسارح الألمانية قبل أن تنتقل إلى فيينا، مثل كتبها التي تُطبع وتوزع في ألمانيا. كانت إلفريده يلينك هي أيضاً الأعلى صوتاً في محاربة صعود نجم التيار اليميني المتطرف في النمسا بزعامة يورج هايدر، ولهذا فرض مرتين الحظر على تقديم أعمالها على خشبات النمسا، احتجاجاً على انتخاب هايدر وحزبه الذي شن حملة شعواء على الكاتبة، استخدم فيها كل الأسلحة لتكميم فمها، حتى أن بعض أعضاء الحزب طالبوا

بحرق كتبها (ومن لا يتذكر هنا حريق الكتب المشهور في ألمانيا النازية عام ١٩٣٣؟) آنذاك سار أنصار الحزب في مظاهرات رافعين اللافتات المحرّضة ضد يلينك، وعليها كتب سؤال لا يحتاج في رأيهم إلى جواب: "هل تريدون يلينك وأمثالها ... أم الفن والثقافة؟"

على ضوء هذه الأحداث نفهم لماذا كان أول تصريح أدلت به إلفريده يلينك بعد فوزها بجائزة نوبل هو أن هذه الجائزة "ليست وساما على صدر النمسا"، ولهذا أيضاً كان غضبها كبيراً حينما حاول الرئيس النمسوي الاستفادة من الجائزة وضمها إلى رصيد إنجازات بلده، معلناً أن الجائزة تكريم للنمسا، وبذا لم يختلف سلوكه كثيراً عن سلوك مسئول العالم الثالث الذين يعملون بكل السبل على تدجين المثقف وضمه إلى حظيرة الدولة، حتى لو كان من المعارضين.

إلفريده يلينك هي إذن كاتبة قلقة ومقلقة، مشاغبة وغير مريحة، لم تترك أبدأ إلى ما أنجزته لتتعم بثماره، وهي أديبة غزيرة الانتاج، كتبت عدداً كبيراً من الأعمال الأدبية في الشعر والرواية والمسرح، بالإضافة إلى الكتابة للإذاعة والسينما والترجمة الأدبية، وهناك قطبان رئيسيان تدور في فلكهما معظم أعمال يلينك، وهما قمع المرأة جنسياً في مجتمع ذكوري، والماضي النازي لبلدها الذي يتناساه مواطنوها. وغلبة هذين الموضوعين على أعمالها جعلها تواجه اتهاماً بأنها تجتر موضوعاتها. على أنه يصعب حصر كاتبة مثل يلينك في شعار

واحد يجمع قسراً كل أعمالها في جملة بسيطة يرددها الناس لاحقاً على نحو ببغائي، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء قراءة أعمالها (الصعبة). والمشكلة أن كثيرين يتحدثون عن أعمال يلينك، بل ويقيمونها، دون أن يكونوا قرأوها بعناية حتى النهاية. هذا ما يتضح بشكل لافت للنظر في عملها الأشهر "لذة" الصادر عام ١٩٨٩. فور صدور هذه الرواية أضحت "لذة" هي الشغل الشاغل للصفحات الثقافية في المنطقة الألمانية، وما لبثت الرواية "المضادة للبورنو" أن احتلت رأس قائمة المبيعات في غضون أسابيع، وبلغ عدد النسخ التي بيعت منها حوالي ربع مليون نسخة. لكن رواية "لذة" - كما يؤكد الناقد الألماني هيلموت بوتيجر - هي "أكثر الكتب التي لم تُقرأ مبيعاً في التاريخ". لقد دارت معظم المعارك الصحفية آنذاك حول "بورنوغرافية" الرواية، حول جرأتها أو شذوذها، ولم يكد أحد يلتفت لها من الناحية الأدبية والفنية.

وإذا كانت "لذة" هي أشهر أعمال يلينك، فهناك شبه إجماع من النقاد الألمان على أن رواية "عازفة البيانو" هي أفضل أعمالها وأنضجها، وإن كانت الرواية لم تحظ بالشهرة على المستوى العالمي إلا بعد أن أخرجها للسينما عام ٢٠٠١ ميشائيل هانيكه في فيلم مثلت فيه "عازفة البيانو" الممثلة الفرنسية القديرة إيزابيل أوبير. لكن الفيلم - كمعظم الأفلام المأخوذة عن أعمال أدبية - يلتقط جانبا واحدا من الرواية ويهمل ما عداه، لقد سلط الفيلم الضوء على انحراف العازفة

جنسيا، وفشلها في إقامة علاقة حب سوية مع أحد تلاميذها، لكنه أهمل العلاقة المرّضية بين الابنة والأم المسيطرة الاستحواذية، وهي في رأي الموضوع الأساسي للرواية.

في "عازفة البيانو" تتجلى كافة سمات أدب يلينك: الأسلوب الساخر الموسيقي المفعم بالصور، المتلاعب بأكليسيهات اللغة والفاضح لخوائها، أما الموضوع فهو من موضوعاتها الملحاحة: التربية التقليدية القامعة للمرأة، وقمع المرأة - الفنانة التي تحيا للفن وحده - لجسدها وعواطفها، وابتذال الحب وتحويله إلى تجارة مربحة أو إلى قيمة استهلاكية. في الرواية أشياء عديدة تتلاقى مع سيرة يلينك الذاتية، لكن الرواية ليست بالطبع سيرة ذاتية. مثل إريكا كوهوت بطلة "عازفة البيانو" كانت إلفريده يلينك طفلة نموذجية، ربتها أمها المسيطرة على أن تكون الأفضل بين أقرانها، ومثل العازفة إريكا حُبست إلفريده منذ نعومة أظافرهما في المعاهد الموسيقية حتى تتقن عزف آلة البيانو؛ أيضاً والد إلفريده، مثل والد إريكا، انتهى به المصير في مصحة الأمراض العقلية (والجدير بالذكر أن الأب اليهودي كان يعمل كيميائيا في خدمة النظام النازي، وهو ما أنقذه، إضافة إلى زواجه من نمسوية "أرية"، من الاعتقال والتصفية. وربما كان عمله في خدمة هتلر هو ما أودى به فيما بعد إلى الجنون).

لكن يلينك - وإلى هنا نتوقف التشابهات مع بطلة "عازفة البيانو" - مرت في سن الثامنة عشرة بأزمة نفسية زلزلت

كيانها، ظلت أثناءها حوالي عام لا تغادر المنزل مطلقاً، كانت هذه الأزمة التي مرت بها تلميذة مدرسة الراهبات في فيينا هي الشرارة التي أشعلت جذوة الإبداع الأدبي داخلها، فكتبت الشعر قبل أن تتوجه إلى الرواية، ثم المسرح. الكتابة لدى يلينك كانت علاجاً نفسياً، وفيما بعد أصبحت وسيلتها لإعلان موقفها من العالم، أدب يلينك هو "أدب ملتزم"، منبثق من قناعاتها السياسية (كانت عضواً في الحزب الشيوعي النمساوي)، أدب يهدف إلى تغيير المجتمع والأوضاع السياسية. لكن ما تكتبه ليس ملتزماً بالمعنى الفج للكلمة، بل ناضج الرؤية والوسائل، ومسيطرأ على أدواته الفنية.

في "عازفة البيانو" نجحت إلفريده يلينك في تناول موضوع أزلي: علاقة الابنة بأُمها، ومحاولة الخلاص من سيطرة الأم، ومحاولة الأم الاستحواذ على الابنة، وهي هنا تتحدث عن خبرة شخصية طبعت حياتها: لقد ظلت يلينك تعيش مع أمها في فيينا حتى بعد زواج الكاتبة عام ١٩٧٤ من مهندس يقيم في ميونيخ، ظلت الكاتبة تنتقل بين فيينا وميونيخ طوال عقود، وفي السنوات الأخيرة منعت والدة يلينك زوج الابنة من دخول شقتها في فيينا، متهمه إياه بسرقة أشياء نفيسة (وكانت تعني ولا شك سرقة ابنتها!). وبعد وفاة الأم عام ٢٠٠٠ تنفست الكاتبة أخيراً الصعداء، كما تؤكد في معظم أحاديثها الصحفية.

تحطم إلفريده يلينك في هذه الرواية "أساطير" عديدة، معتمدة أسلوباً ساخراً يصل إلى التهكم في كثير من الأحيان..

من لا يلتفت إلى المخربة في هذه الرواية لن يفهمها، ولن يجدها سوى سلسلة من المبالغات، عبر المبالغة تحطم يلينك أسطورة الأم الحنون الرعوم، وأسطورة الفنان المبدع الملهم، وأساطير كثيرة تدور في فلك العلاقة بين الجنسين؛ فالمرأة لدى يلينك تخوض صراعا وحشيا مع الرجال، تخرج منه خاسرة دائما لأنها تلعب دورا سلبيا مازوشيا، ولأنها رُببت على الخضوع والخنوع والطاعة. ورغم أن الرواية صدرت مطلع الثمانينات فإن موضوعها لم يفقد راهنيته بعد، لا في بلاد الغرب "المتحرر"، ولا في بلاد الشرق "البطريركي"، ولعله يحظى بأهمية خاصة في المنطقة العربية.

وأخيرا أود الإشارة إلى خصوصية لغة يلينك واستعصائها على الترجمة في كثير من الأحيان، لا سيما رواياتها، حتى أن الكاتبة عبرت عن دهشتها لترجمة أعمالها إلى اللغات الأخرى، فاللغة بطل رئيسي في أعمال يلينك. هذا ما نلمسه في بعض المقاطع من "عازفة البيانو" التي تستخدم يلينك فيها التلاعب اللغوي القائم على المفارقة اللفظية، وتستشهد بعبارات مشهورة أو أمثال شعبية لتسخر من مضمونها، كما تحيل يلينك في بعض الأحيان إلى التاريخ النمسوي أو إلى أشياء محلية لن يفهمها القارئ الأوربي، ناهيك عن العربي. ولقد حاولت في هذه الترجمة الإبقاء على خصوصيات أسلوب يلينك قدر الإمكان، دون إرهاق القارئ بالشروحات والتفسيرات في الهامش، إلا في مواضع قليلة وجدت أنها تستلزم ذلك. تبقى

الإشارة أيضاً إلى بعض الكلمات الفيناوية أو النمسوية المستخدمة في العمل، لذلك فضلت في أماكن محدودة الاستعانة بكلمات من العامية المصرية، لتوضيح الفارق بين المستوى الفصيح والعامي في اللغة. أما بعض الكلمات التي قد تصدم ذوق القراء المعتادين على الأدب "المهذب الراقى" فهي من سمات أسلوب يلينك، ومن الأمانة الترجمية البحث عن مقابل لها أو بديل.

سمير جريس

بوخوم - يناير ٢٠٠٥

تندفع عازفة البيانو إريكا كوهوت كالعاصفة الدوارة إلى الشقة التي تتقاسمها مع أمها. تحب الأم أن تطلق على إريكا "الزوبعة الصغيرة"، لأن الابنة تتحرك أحيانا بسرعة متناهية، محاولة الهروب من أمها. إريكا تقترب من نهاية الثلاثين. بسهولة يمكن اعتبار الأم، نظراً إلى عمرها، جدة إريكا. بعد سنوات عديدة قاسية من زواج الوالد رأت إريكا نور العالم. على الفور سلم الأب الدفة إلى ابنته وانصرف. ظهرت الابنة على مسرح الحياة، وغادره الأب. الضرورة علمت إريكا أن تتحرك بسرعة. كحفنة من ورق الشجر الخريفي تمرق من باب الشقة، محاولة الوصول إلى غرفتها دون أن يراها أحد. ولكن الأم تقف هناك بقامتها الشامخة وتضبط إريكا. تضبطها وتحقق معها، ثم تصدر الحكم بالإعدام. محكمة تفتيش وفرقة إعدام في شخص واحد، تعترف به الدولة والعائلة بالإجماع كام. تتقصى الأم أسباب عودة إريكا الآن إلى المنزل متأخرة إلى هذا الحد. التلميذ الأخير انصرف إلى بيته منذ ثلاث ساعات بعد أن أشبعته إريكا تهكماً. أتعتقدين أنني لن أعرف أين كنت، يا إريكا؟ الطفلة ملزمة بتقديم إجابة لأمها دون أن

تسألها. لكن الأم لا تصدق طفلتها، لأنها تكذب. ستنتظر وتعد: واحد، اثنان، ثلاثة.

عند "اثنان" تبادر الابنة بتقديم إجابة تحيد عن الحقيقة. عندئذ تنتزع الشنطة المكتظة بالنوتات الموسيقية، فتحملق في وجه الأم الإجابة المرة على كل الأسئلة. أربعة مجلدات من سوناتات بيتهوفن تتقاسم بامتعاض الحيز الضيق داخل الشنطة مع فستان جديد، من الواضح أنها اشترته لتوها. على الفور تشرع الأم في الهجوم على الفستان. في المحل، قبل قليل، بدا الفستان الذي اخترقته الدبابيس جذابا، ملونا، طيعا، أما الآن فإنه يرقد مثل خرقة رخوة تخترقها نظرات الأم. نقود الفستان كانت مخصصة لصندوق التوفير! لقد استهلكت قبل الأوان. كان بإمكان المرء أن يستعرض هذا الفستان أمام عينيه في كل حين في هيئة مبلغ مقيد في دفتر توفير "صندوق البناء" التابع لمجموعة صناديق التوفير النمساوية، إذا تجشم المرء مشقة الطريق إلى صندوق الغسيل، حيث يطل دفتر التوفير من خلف كومة من المناشف الكتانية. أما اليوم فقد قام الدفتر برحلة، وتمت عملية سحب، والنتيجة يراها المرء أمام عينيه: على إريكا أن ترتدي هذا الفستان في كل مرة، يريد فيها المرء أن يعرف مصير النقود الجميلة. الأم تصرخ: بددت بسفاهة فلوسا كنا سنحتاج إليها فيما بعد! كان بإمكاننا فيما بعد أن نشترى شقة جديدة، ولكن لأنك لا تستطيعين الانتظار، فكل ما تمتلكينه الآن هو خرقة ستخرج قريبا من عالم الموضة. الأم تريد كل

شيء فيما بعد. لا تريد شيئاً على الفور، إلا الابنة، فهي تريدها دائماً، وتريد دائماً أن تعرف أين تتصل بها عند الضرورة، إذا حامت أخطار ذبحة قلبية حول "ماما". تريد الأم أن تقتصد في الوقت، حتى تستطيع الاستمتاع فيما بعد. ولكن إريكا تشتري فستاناً! فستاناً يبلى أسرع مما تختفي لحسة مايونيز على سندوتش سمك: هذا الفستان سيكون العام المقبل، بل الشهر المقبل، خارج الموضة، الموضة لا تصنع نقوداً أبداً.

إريكا وأمها تدخران لامتلاك شقة كبيرة مشتركة. الشقة التي تستأجرانها وتقبعان داخلها الآن قديمة وامتداعية، لا يستطيع المرء سوى التخلص منها. قبل الانتقال إلى الشقة الجديدة ستختاران معاً الخزانات التي سيتم تركيبها، بل وحتى موقع الجدران الفاصلة، إذ إن النظام الذي ستصمم وفقه الشقة نظام حديث تماماً. كل شيء سيتم تنفيذه بدقة وفق رغباتهما الشخصية. من يدفع، يُملي شروطه. الأم، التي تتقاضى معاشاً ضئيلاً، تحدد ما تدفعه إريكا. في هذه الشقة الجديدة كل الجدة، والمبنية بوسائل المستقبل، ستحصل كل واحدة على مملكتها الخاصة بها، إريكا هنا، الأم هناك، وكل مملكة منفصلة عن الأخرى. هناك غرفة معيشة مشتركة، وفيها تتلاقيان؛ إذا أردتا. وحسب قوانين الطبيعة فإن الأم وابنتها تريدان ذلك دوماً، لأنهما كل واحد لا يتجزأ. حتى في حظيرة الخنازير الأيلة للسقوط هذه، تمتلك إريكا مملكتها الخاصة، حيث تسرح وتمرح، وتقتضى أمورها. مملكة مؤقتة فحسب، فلأم الحق في

الدخول عليها في أي لحظة. ليس لباب حجرة إريكا قفل، وليس لدى الأطفال أسرار.

المكان الذي تعيش فيه إريكا يتكون من غرفة صغيرة تستطيع أن تفعل داخل جدرانها ما يحلو لها، لن يعوقها أحد، لأن هذه الغرفة ملكها وحدها، أما مملكة الأم فهي تشمل كل ما عدا ذلك في الشقة، لأن ربة البيت، التي تهتم بأمر كل شيء، تعمل في كل مكان بالشقة، بينما تستمتع إريكا بثمار العمل المنزلي الذي تنجزه أمها. لم يكن على إريكا أن تتعب نفسها أبدا في الأعمال المنزلية، لأن تلك الأعمال ووسائل التنظيف تتلف يدي عازفة البيانو. ما يقلق الأم أحيانا - في إحدى الاستراحات القليلة التي تسمح بها كي تلتقط أنفاسها - هي الملكية المتعددة الأشكال، فالمرء لا يستطيع أن يعرف أين بالضبط مكان كل شيء. إلى أين ذهبت هذه الحيازة المتحركة مرة أخرى؟ في أي الغرف تندفع وحدها أو مع آخر؟ إريكا الزنبقية، ذلك الشيء اللزج، إنها تتمايل في هذه اللحظة في مكان ما، وتمارس هراءها، ومع ذلك، تجد الابنة في كل يوم طريقها إلى المكان الذي تنتمي إليه، وتصل في الموعد المحدد بالثانية: إلى البيت. يركب القلق الأم في كثير من الأحيان، لأن كل مالك يتعلم أول ما يتعلم - وهو يتعلم ذلك بعد تجارب مؤلمة - أن الثقة شيء جميل، لكن الاحتياط واجب. مشكلة الأم الرئيسية تتركز في رغبتها في الاحتفاظ بملكيتها، قدر الإمكان، في مكان ثابت لا تستطيع الهروب منه. جهاز التليفزيون يؤدي

هذا الغرض، ذلك الجهاز الذي يُصنَعُ صوراً جميلةً وموسيقى جميلةً، ثم يغلفها ويوصلها إلى المنازل. بسببه تتواجد إريكا في البيت بصورة شبه دائمة، وإذا غادرتَه مرةً، فالأم تعرف بالضبط أين تحوم. أحياناً تذهب إريكا في المساء إلى الكونسير، لكن ذلك قل إلى حد الندرة. إما أنها تجلس أمام البيانو، وهي تضرب بعنف على أصابعه كي تستخرج موهبتها المطمورة الميته، أو تحوم في المكان كروح شريرة أثناء إحدى البروفات مع تلاميذها، هناك يمكن الاتصال بها في حالات الطوارئ. أو قد تجلس تتسلى وتستمتع بوقتها، تعزف الموسيقى وتحلق معها في السماء، أو تعزف موسيقى الحجرة مع الزملاء الذين يشاركونها الاهتمامات نفسها. هناك يمكن الاتصال بها أيضاً. تكافح إريكا كي تفك الرباط الوثيق الذي يربطها بأمها، ولذلك لا تتي ترحوها ألا تتصل بها، لكن الأم لا تستجيب، لأنها هي وحدها التي تحدد القواعد، الأم تحدد أيضاً طريقة استفسارها عن ابنتها، والنتيجة هي أن عدد الناس الذي يريدون رؤية ابنتها أو الحديث معها في تناقص مستمر. مهنة إريكا هي عشقها: الموسيقى، هذه السلطة السماوية. تملأ الموسيقى كل وقت إريكا. لا مكان لوقت آخر لديها، ولا شيء يثير البهجة مثل حفل موسيقي راق، يعزف فيه أمهر الموسيقيين.

عندما تجلس إريكا مرةً في الشهر في أحد المقاهي، فإن الأم تعرف في أي مقهى، وتستطيع الاتصال بها هناك، وهي

تستغل هذا الحق بكل حرية، وبذلك نسجت لنفسها شبكة من العادات والتأكدات والضمانات.

يتحجر الزمن حول إريكا ببطء كالجبس، لكنه ينهار على الفور إذا ضربت الأم بقبضة يدها فوقه. في مثل هذه الحالات تجلس إريكا هدفاً لسخرية الآخرين، والبقايا المتحجرة من ياقة الزمن تحيط بعنقها الرقيق، وتجد نفسها مجبرة على الاعتراف: لا بد أن أعود الآن إلى البيت. إلى البيت. عندما يقابل شخص إريكا في الخارج، يجدها غالباً في طريقها إلى البيت.

تعلن الأم أن إريكا تعجبها هكذا كما هي. لن تصبح بالتأكد شيئاً أفضل. كان بإمكانها - وهو ما توفره إمكانياتها بسهولة لو كانت وثقت بي وحدي، بأمرها - أن تصبح عازفة بيانو ماهرة تتعدى شهرتها حدود بلدها. غير أن إريكا كانت في بعض الأحيان - رغماً عن إرادة الأم - عرضةً للتأثيرات الخارجية، لحب مُتخيل يكنه رجل، ومعه يتشتت ذهنها عن الدراسة؛ أو عرضةً لمظاهر خارجية مثل أدوات التجميل والملابس التي تجعل الرؤوس القبيحة تلتفت إليها؛ وهكذا انتهى مستقبلها المهني قبل أن يبدأ فعلاً، ولكن المرء يمتلك بالتأكد شيئاً أكيداً: وظيفة مدرس بيانو في كونسرفتوار مدينة فيينا، حتى في سنوات التعلم والتدرب لم تجد نفسها مجبرة على الذهاب إلى إحدى تلك المدارس الموسيقية الصغيرة النائبة، حيث يلفظ كثيرون أنفاسهم الشابة، بظهور منحنية وقامة مغبرة - سرب يتبع السيد المدير، سرعان ما يعبر ويمحي أثره.

فقط هذا الزهو بالذات، الزهو الملعون، زهو إريكا جعل حياة الأم جحيماً، وزرع الشوك تحت جفونها، هذا الزهو هو الشيء الوحيد الذي على إريكا أن تتعلم التخلي عنه شيئاً فشيئاً. اليوم أفضل من الغد، لأن الزهو يمسي عبئاً ثقيلاً مع اقتراب الشيخوخة الواقعة الآن على عتبة الباب، والشيخوخة في حد ذاتها عبء كاف. إريكا! هل كان عباقرة تاريخ الموسيقى مصابين بأفة الزهو؟ كلا، لم يكونوا. الشيء الوحيد الذي على إريكا أن تتخلي عنه هو الزهو. وإذا اقتضت الضرورة فسوف تقوم الأم بإزالة كل النتوءات والبروزات في شخصية إريكا حتى تصبح ملساء لا يعلق بها شيء زائد.

وهكذا تحاول ماما اليوم أن تنتزع من أصابع ابنتها المتشنجة الفستان الجديد، لكن هذه الأصابع متدربة خير تدريب. اتركيه، تصرخ الأم، أعطيني إياه! لا بد من معاقبتك على طمعك وشهوة المظاهر عندك. حتى الآن أوقعت الحياة بك عقوبة التجاهل، والآن ها هي أمك تعاقبك بالتجاهل أيضاً، رغم أنك تتبهرجين وتضعين الألوان على وجهك مثل مهرج. أعطيني الفستان!

تندفع إريكا فجأة تجاه خزانة ملابسها. تلبّستها شكوك مظلمة، تأكدت صحتها من قبل عدة مرات. هناك شيء اختفى اليوم، وتحديدًا التايير الخريفي الرمادي الغامق. ماذا حدث؟ في اللحظة التي تلاحظ فيها إريكا غياب شيء ما، فإنها تعرف أيضاً من غيبه. إنه الشخص الوحيد المحتمل، يا بنت الذين ..

يا بنت الذين .. تزار إريكا في وجه السلطة الأعلى منها وهي تتميز غضبا، ثم تنشب أظافرها في شعر الأم المصبوغ باللون الأشقر الداكن الذي غزاه الشيب عند الجذور. الكوافير أيضا أسعاره غالية، ومن الأفضل ألا يذهب المرء إليه. مرة في الشهر تقوم إريكا بصبغ شعر أمها. إريكا تنتف الآن الشعر الذي جمّلته يداها، أخذت تشده والغضب يملكها. الأم تصرخ وتبكي. وعندما توقفت إريكا عن الشد، وجدت خصلات الشعر تملأ يديها، فتطلعت إليها صامتة مندهشة. لقد كسرت الكيمياء مقاومة هذا الشعر، والطبيعة أيضا لم تصنع منه يوما تحفة فنية. للوهلة الأولى لم تعرف إريكا ماذا تفعل بهذا الشعر. وأخيرا تذهب إلى المطبخ، وتلقي في صفيحة الزبالة بالخصلات الشقراء الداكنة التي مرت بمحاولات صباغة عديدة فاشلة.

بشعر أقل تقف الأم منتحبة في غرفة المعيشة التي كثيرا ما تقدم فيها إريكا حفلاتها الموسيقية الخاصة، حيث تكون أفضل الجميع، لأن أحدا لم يسبق له أن عزف على البيانو في هذه الغرفة على الإطلاق. ما زالت الأم تمسك بيدها المرتعشة الفستان الجديد. إذا كانت تريد أن تبيعه، فلا بد أن تسرع، لأن زهور الخشخاش هذه، التي تشبه في حجمها رؤوس الكرنب، لن تلبسها المرأة سوى عام واحد، وبعد ذلك لن ترتديها أبدا. تشعر الأم بألم في رأسها حيثما فقدت خصلات الشعر.

ترجع الابنة وهي تبكي من الانفعال، تسب الأم وتصمها بالحقارة والدناءة، وفي الوقت نفسه تأمل أن تتصلح معها سريعاً. بقبلة حنونة. تتمنى الأم قطع يد إريكا، لأنها ضربت ماما، ومنتفت شعرها. يتعالى نحيب إريكا تدريجياً، لأنها تشعر الآن بالندم والأسف من أجل الأم التي تضحي بنفسها وشعرها. تشعر إريكا إثر كل ما تفعله ضد الأم بالأسف، لأنها تحب أمها التي تعرفها منذ نعومة أظافرها.

في النهاية تلتف إريكا - كما هو متوقع - من حدة نبرتها، بينما راحت تتوح وتبكي بمرارة. بسرور، بكل سرور، تستجيب الأم وتلين، فلا يمكن أن تغضب على ابنتها غضباً حقيقياً. سأصنع قهوة لنشربها معاً، وفي أثناء تناول القهوة يتزايد شعور إريكا بالتعاطف مع الأم، وتزدرد آخر بقايا غضبها مع قطعة الجاتوه. تفحص الثقوب بين شعر الأم، لكنها لا تدري ماذا تقول، تماماً كما لم تدر ما تفعله بخصلات الشعر. مرة أخرى تشرع في سفح دموع قليلة، كنوع من العناية المتأخرة، لأن الأم طاعنة في السن، ولأن حياتها ستنتهي وشيكاً، ولأن شبابها، وشباب إريكا أيضاً، قد ولى من غير رجعة، وعموماً لأن هناك دوماً شيئاً يمضي، ونادراً ما يعقبه شيء.

تشرح الأم لابنتها الآن، لماذا ينبغي على البنت الجميلة ألا تتبهرج. توافق الابنة على ما تقول. هذه الثياب الكثيرة الكثيرة التي تعلقها إريكا في الخزانة، لأي غرض؟ إنها لا ترتديها أبداً.

هذه الثياب معلقة بلا فائدة، فقط من أجل زينة الخزانة. لا تستطيع الأم أن تمنع دوماً عملية الشراء، ولكن ارتداء الثياب يدخل في حيز سلطتها. الأم تقرر المظهر الذي تخرج به إريكا من البيت. "لن تخرجي هكذا من البيت" تقرر الأم، لأنها تخشى أن تخطو إريكا بهذه الثياب منازل غريبة تلتقي فيها برجال غرباء. إريكا نفسها توصلت إلى قرار بعدم ارتداء ملابسها. من واجب الأم مساعدة الأبناء على اتخاذ قرار، حتى لا يتخذوا قرارات خاطئة. عندئذ لا يجد المرء نفسه مجبراً على لعق جراحه وتضميدها، بعد أن أوقف النزيف في بداياته. تفضل الأم أن تجرح إريكا بنفسها، ثم تسهر على شفائها.

يتشعب بهما الحديث، ويصل إلى نقطة ترش فيها الأم رذاذاً حمضياً على أولئك الذين يجتازون إريكا من اليمين أو اليسار أو يوشكون أن يفعلوا. ليس هذا ضرورياً، وعلى المرء ألا يسمح لهم بأن يفعلوا ما يريدون! إنك تسمحين لهم! مع أن بإمكانك أن تقومي بدور الكابحة، لكنك لخمة يا إريكا! إذا تصرفت المعلمة على نحو حاسم وصارم، فلن تبرز شابة أصغر منها، من فصلها على الأقل، وتصيب نجاحاً كعازفة بيانو، وتشتهر شهرة خارجة عن المخطط له، وغير مرغوب فيها. أنت نفسك لم تتمكني من ذلك، لماذا إذن يُسمح لآخرين أن يصلوا بدلاً منك، بل وأن يخرجوا من حظيرة البيانو التي تشرفين عليها؟

تتناول إريكا الفستان المسكين وهي ما زالت تنتحب، ثم تضعه على ذراعيها، وتعلقه مغمومة صامتة في الخزانة بجانب الملابس الأخرى: بدل، جيبات، معاطف، تاييرات. لا ترتدي أبدا أيا منها. على الملابس أن تنتظرها هنا فحسب، إلى أن تعود في المساء إلى البيت، عندئذ تخرجها، وتضعها أمام جسدها، وتتأملها: إنها ملكها! صحيح أن باستطاعة الأم أن تنتزعها منها، وتبيعها، لكنها لا تستطيع أن ترتديها بنفسها، فبدانة الأم تحول للأسف دون أن تدخل في هذه الملابس الرشيقة. الثياب ليست على مقياس الأم. إنها تملكها كلها. تملكها. ملك إريكا. لم يخمن الفستان بعد أن وظيفته في الحياة قد انتهت، دون أن يستخدم، سيُبعد إلى الخزانة، ولن يخرج منها أبدا. لا تريد إريكا سوى ملكيته والفرجة عليه. إنها لا تريد حتى ارتدائه على سبيل البروفة، يكفي أن تمسك أمامها بهذه القصيدة من قماش وألوان، وأن تحركها في خفة، وكأن نسمة ربيعية تسري فيها. في البوتيك، قبل قليل، ارتدت إريكا الفستان الذي لن ترتديه بعد الآن. لم تعد تستطيع حتى تذكر تلك الجاذبية العابرة التي انبعثت من الفستان في المحل. كل ما تملكه الآن هو جثة جديدة من الثياب، إلا أنها تمتلكها على كل حال.

في الليل، عندما ينام كل شيء ولا يبقى ساهرا سوى إريكا، بينما السيدة ماما، هذا الطرف الأليف من الثنائي المشدود إلى بعضه البعض بالرابطة الجسدية الوثيقة، تحلم -

في هدوء سماوي - بطرق تعذيب جديدة، تفتح إريكا أحيانا، ونادرا جدا، باب الصندوق وتمسح على شهود أمنياتها السرية. ليست على قدر كبير من السرية، هذه الأمنيات، إنها تصرخ عاليا بالثمن الذي دفع مقابل اقتنائها، ثم لماذا هذا كله؟ الألوان تصرخ كصوت ثان وثالث في كورال الأصوات. أين يمكن أن ترتدي مثل هذه الأشياء من غير أن تقوم الشرطة بإبعادها عن المكان؟ في المعتاد لا ترتدي إريكا سوى جيبة وبلوفر، أو بلوزة في الصيف. أحيانا تفرع الأم من نومها وتعرف بفطرتها: إنها تتفرج مرة أخرى على ثيابها، هذه الضفدعة المختالة بنفسها. الأم متأكدة من ذلك، فأبواب الخزانة لن تصدر صريرا هكذا لمتعتها الذاتية.

ما يغيظ هو أن عمليات شراء الثياب تطيل المهلة إلى غير نهاية، حتى ينتقلا إلى الشقة الجديدة، وإريكا ستكون دوماً في خطر أن يلتف حول عنقها رباط حب؛ وفجأة تجد في عشا قنبلة ذكورية موقوتة. غداً، على الإفطار، ستتلقى إريكا بالتأكيد تحذيراً صارماً بسبب رعونتها وطيشها. كان يمكن أن تموت الأم بالأمس من جراء الجروح في رأسها، من الصدمة. ستحصل إريكا على مهلة للدفع، وسيتوجب عليها أن تعطي المزيد من الدروس الخصوصية.

لحسن الحظ فإن المجموعة البائسة ينقصها فستان زفاف. لا تتمنى الأم أن تغدو "أم العروسة"، تريد أن تبقى أما عادية، إنها تتواضع وتكتفي بهذا الصفة.

لكن اليوم هو اليوم. والآن لا بد أخيراً من النوم! هكذا تطلب الأم وهي راقدة على فراش الزوجية، إلا أن إريكا ما زالت تحوم حول المرأة. الأوامر تصيبها كالرماح في ظهرها، بسرعة تتحسس مرة أخرى فستاناً أنيقاً لفترة ما بعد الظهر، بزهور على حافته. لم تتنفس هذه الزهور يوماً هواء طلقاً، كما أنها لا تعرف الماء. اشترت إريكا الفستان، كما تؤكد، من أرقى محلات الموضة في وسط المدينة. جودة ستعيش للأبد، أما المقاس المناسب فهو يتوقف على جسد إريكا. لا تفرطي في الحلوى والمخبوزات! من أول نظرة للفستان تولدت لدى إريكا رؤية: سألبسه سنوات عديدة، دون أن يحيد قيد أنملة عن مكانه في مركز الموضة. سيحافظ الفستان سنوات طويلة على مكانته في الموضة! تتقل هذه الحجة عبثاً إلى آذان الأم. لن يصبح الفستان أبداً موضة قديمة. على الأم أن تفحص قلبها بصرامة لتجيب على السؤال التالي: ألم ترتدي يا ماما في شبابك فستاناً بهذا الشكل؟ الأم تنفي ذلك مبدئياً. ومع ذلك تصل إريكا إلى أن شراء الفستان كان عملية مربحة، لأن الفستان لن يتقادم أبداً، وسترتدي إريكا الفستان بعد عشرين عاماً كما ترتديه اليوم.

الموضة تتغير سريعاً. والفستان يظل في مكانه دون أن يرتديه أحد، ولكن في أفضل حال. غير أن أحداً لا يجيء ويطلب رؤيته. أفضل أيامه مرت دون فائدة، ولن تعود ثانية، وإذا عادت، فلن يحدث ذلك قبل عشرين عاماً.

بعض التلاميذ يقاومون بكل قوتهم سطوة معلمة البيانو إريكا، لكن أهلهم يجبرونهم على ممارسة الفن، ولذلك تستطيع الأنسة البروفيسورة كوهوت أن تستخدم معهم ما شاعت من وسائل تعذيب. بيد أن أغلب من يدق على أصابع البيانو لديها هم من التلاميذ المطيعين المهتمين بالفن الذي يبغون تعلمه، ليس هذا فحسب، إنهم يهتمون بهذا الفن أيضا إذا قام آخرون بإنتاجه، سواء في النادي الموسيقي أو في صالة الكونسير، إنهم يقارنون، يزنون، يقيسون، يحصون. أجانب كثر يأتون إلى إريكا، وفي كل عام يزداد عددهم. فبيننا، مدينة الموسيقى! الموسيقى التي أثبتت نفسها فقط هي التي تعيش في هذه المدينة وتتوارثها الأجيال. أضرار هذه المدينة تتفتق بسبب كرش الثقافة الأبيض السمين الذي يزداد انتفاخا كل عام، كأي جثة لا ينشلها المرء من المياه.

هذه الخزانة تستوعب الفستان الجديد. فستان آخر! لا تحب الأم أن ترى إريكا تخرج من المنزل. هذا الفستان لافت جدا للأنظار، ولا يناسب الابنة. الأم تقول إن على الإنسان أن يعرف أين تقع الحدود. لا تفهم إريكا ما تعنيه الأم بذلك. حتى هنا، ولا خطوة أخرى، هذا ما تعنيه الأم.

تشرح الأم لإريكا أنها - إريكا - ليست واحدة ضمن كثيرات، بل هي نسيج وحدها، وما تعتقده الأم، تصدقه الابنة. إريكا تقول الآن إنها "قردية"، وتعلن أنها لا تخضع لسلطة شيء أو أحد. بصعوبة شديدة تتضوي إريكا تحت لواء شخص آخر.

مثل إريكا لا وجود له إلا مرة واحدة، وهو لا يتكرر. إذا كان هناك شيء فريد متميز، فإن المرء يطلق عليه "إريكا". ما يثير استمزازها هو التساوي في كل شكل من أشكاله، أيضاً فيما يخص الإصلاح التعليمي الذي لا يأخذ في الحسبان الصفات المتميزة. لا تسمح إريكا بأن تجمع مع آخرين، حتى لو كانوا يشاركونها الاهتمامات والتوجهات نفسها، إنها تبرز على الفور. إنها ببساطة هي. إنها كما هي، وهذا شيء لا تستطيع تغييره. تتضمم الأم التأثيرات الغربية حيثما لا تستطيع أن ترى ابنتها. تريد حماية إريكا على الخصوص من رجل يعيد تشكيلها، إذ إن إريكا كائن فريد، لكنه مفعم بالتناقضات، تناقضات إريكا تجبرها أيضاً على أن تقاوم بكل جهدها أن تبطلها الجماعة. تتميز شخصية إريكا بالانفرادية المتطرفة، إنها تقف أمام جمهرة تلاميذها بمفردها تماماً، وحدها ضد الجميع، ووحدها تدير دفة قارب الفن. التلخيص لا يمكن أن يفي بحقها أبداً. عندما يسألها أحد تلاميذها عن هدفها، فإنها تذكر "الإنسانية"، وهي بهذا المعنى تلخص للتلاميذ فحوى وصية بيتهوفن المعروفة باسم "وصية هيليجنشتات"، مقحمة نفسها على المنبر بجانب عبقرى فن النغمات.

من الاعتبارات الفنية العامة، والاعتبارات الإنسانية الفردية، تستخلص إريكا جوهر الحقيقة: لا يمكن أن تخضع أبدا لإرادة رجل، بعد أن خضعت كل هذه السنوات الطويلة للأم. تعارض الأم الزواج المتأخر لإريكا، لأن ابنتي لا تستطيع أن

تقبل بنظام ما، ولا يمكن أبداً أن تخضع لأحد. هكذا هي. على إريكا ألا تختار شريكاً لحياتها لأنها صلبة عنيدة. كما أنها لم تعد شجرة شابة. إذا لم يعد في استطاعة المرء أن يكون لينا، فإن الزواج ينتهي نهاية سيئة، الأفضل لك أن تظلي أنت، تقول الأم لإريكا، لقد صنعت الأم من إريكا في نهاية الأمر ما هي عليه الآن. ألم تتزوجي بعد، يا أنسة إريكا؟ تسأل بانعة الحبيب، ويسأل الجزار. "أنت تعرف، لا يعجبني أبداً أحد"، تجيب إريكا. إنها عموماً تتحدر من عائلة أفرادها أعمدة تلغراف منتصبة بمفردها في الطبيعة. هم أفراد قلائل، لا يتكاثرون إلا بصعوبة وتقتير، كما يتعاملون في الحياة مع كل شيء بصعوبة وتقتير. إريكا لم تهبط على العالم إلا بعد عشرين سنة من الزواج الذي أفقد والدها عقله، فتم إيداعه مصحة حتى لا يمثل خطراً على العالم.

بصمت نبيل تشتري إريكا ثمن كيلو زبدة، مازالت أمها لديها، لذلك ليست هي بحاجة إلى تصيد رجل. لا يكاد قريباً جديد في هذه العائلة يشب ويكبر، حتى يُستبعد ويُرفض. تنقطع الاتصالات به، بمجرد أن يُثبت - وكما هو متوقع - أنه غير كفء وغير صالح للاستخدام. بشاكوش صغير تتفحص الأم أعضاء العائلة، وتستبعد الواحد إثر الآخر. ترتب وتصنف وتستبعد. تفحص، وتتخلص، بهذه الطريقة لا تنمأ طفلييات تريد على الدوام الحصول على شيء يريد المرء الاحتفاظ به. سنبقى وحدنا، أليس كذلك يا إريكا، لا نحتاج إلى أحد.

الزمن يمضي ويضمحل، ونحن نضمحل فيه. تحت ناقوس زجاجي تعيشان محبوستين معا، إريكا وفوقها طبقات الحماية الرقيقة، وأمها. الناقوس لن يرتفع إلا إذا أمسك شخص من الخارج بقمة الناقوس وسحبه لأعلى. إريكا حشرة في حجر كهربان، لا زمان لها ولا عمر. ليس لإريكا تاريخ، ولا حكايات. لقد فقدت هذه الحشرة القدرة على الدبيب والزحف منذ أمد طويل. إريكا تحيا في شرنقة الخلود، هذا الخلود تتقاسمه ببهجة مع من تحبهم من فناني النغمات، لكنها لن تستطيع أن تتنافس معهم في الشعبية على الإطلاق. تنتزع إريكا مكانا صغيرا بالقرب من عظماء الموسيقى، إنه مكان لم تنتزعه إلا بعد كفاح مرير واجتهاد عظيم، لأن فيينا كلها تريد أن تقيم هنا ولو كوخا صغيرا. تحدد إريكا موقعها، ثم تشرع في الحفر لإرساء الأساس. بالدراسة والعزف الخلاق استحققت إريكا هذا المكان أيما استحقاق! كما أن المحاكاة الإبداعية هي أيضا شكل من أشكال الإبداع. العازف الخلاق يضيف دائما توابله الخاصة أثناء العزف، ويضيف عليه من روحه، ومن دماء قلبه. العازف له أيضا هدفه المتواضع: العزف الجيد، ولكن لا بد أن يخضع لمشيئة مبدع العمل الموسيقي، تقول إريكا. طواعية تعترف بأن ذلك يمثل مشكلة بالنسبة لها، لأنها لا ولن تستطيع أن تخضع لأحد.

لكن هدفا مشتركا يجمع بين إريكا وكل العازفين: أن تكون أفضل من الآخرين!

في الترام تتوء إريكا بحمل الآلات الموسيقية التي تتأرجح أمام جسدها وخلفه، ويزيدها ثقلا الشنطة المكتظة بالنوتات الموسيقية. فراشة علقوا على جناحها ما لا طاقة لها به. تشعر الحشرة أن هناك قوى نائمة في أعماقها لا تكتفي بالموسيقى. الحشرة تكور قبضتها تجاه يد حقيبة الكمان أو الفيولا أو الفلوت. تحب الحشرة أن تحول قواها إلى الاتجاه السلبي، مع أن الاختيار متاح أمامها. الأم تعرض عليها الاختيارات، طائفة كبيرة من الحلمات المتدلية من ضرع البقرة - الموسيقى. تضرب بالآلات الوترية وآلات النفخ والمجلدات الثقيلة للنوتات الموسيقية في ظهور الناس وفي جبهاتهم الأمامية. في طبقات الشحم التي تبطن أسلحتهم كأنها بارود من المطاط. أحيانا - حسب مزاجها - تتناول بيد الآلة الكامنة في حقيبتها، ثم تعمل قبضة اليد الأخرى بكل خبث في المعاطف الشتوية للآخرين، وفي أرديتهم وستراتهم النمساوية التقليدية. إنها تدنس حرمة الزي الوطني النمساوي بأزراره المصنوعة من قرون الغزال التي تحدجها بنظرة منافقة، ثم تستخدم نفسها كسلاح مثل المقاتلين الانتحاريين، وتوجه ضرباتها بالرقبة النحيفة للآلة الموسيقية، مرة بالكمان، وأخرى بالفيولا الأثقل، في مجموعة الناس المتكومين العائدين لتوهم ملطخين من العمل. عندما

يزدحم الترام عن آخره، حوالي الساعة السادسة، تستطيع إصابة عدد كبير من الناس في أثناء أرجحة الآلة. ليس هناك مجال للأرجحة. هي الاستثناء من القاعدة التي تثير اشمئزازها أينما نظرت. الأم تشرح لها، أحيانا بيديها، أنها استثناء من القاعدة، لأنها الطفل الوحيد الذي أنجبته، وعلى الطفل أن يبقى في الطريق المرسوم له. في الترام ترى كل يوم ما لا تود أبدا أن تصبح. إنها تقوم بحرث الطوفان الرمادي لأولئك الراكبين، بتذكرة أو من غير تذكرة، الذين سعدوا لتوهم إلى الترام أو الذين يستعدون للنزول، الذين لم يحصلوا على شيء من المكان الذي أتوا منه، ولا يتوقعون الحصول على شيء في المكان الذي يقصدونه. لا يتسمون بالأناقة. بعضهم ينزل من الترام قبل أن يجد مكانا يستريح فيه.

إذا أجبرها المرء بدافع من الغضب الشعبي إلى النزول في إحدى المحطات التي تبعد كثيرا عن البيت، فإنها تطيع وتغادر بالفعل العربة، تتجنب تفريغ الغضب المتراكم في قبضتها المكورة، ولكن فقط كي تنتظر الترام التالي الذي يأتي حتماً، كما تعقب الصلاة كلمة "أمين". هذه سلاسل لا تنقطع أبداً، عندئذ تشرع في الهجوم التالي وقد استعادت قواها. تترنح بجهد جهيد والآلات تغطيها، وتشق طريقها بين العائدين من العمل، ثم تتفجر وسطهم مثل شظايا قنبلة. أحيانا تتظاهر بأنها تريد النزول، وتقول: من فضلك، أريد النزول هنا، عندئذ تحصد موافقة الجميع. عليها أن تغادر فوراً وسيلة المواصلات العامة

النظيفة هذه! لأنها لم تخصص لأناس مثلها! الراكبون الدافعون
ثمن التذكرة لا يسمحون لها بذلك على الإطلاق.

إنهم يحدقون في التلميذة ويقولون لأنفسهم: لقد رفعت
الموسيقى مبكراً من معنوياتها، إلا أنها في الحقيقة لم ترفع
سوى قبضتها. أحياناً يتم توجيه التهمة دون وجه حق إلى شاب
رمادي الهيئة يحمل أشياء منفرة داخل مخللة مهترئة كالتى
يستخدمها البحارة، لأن الناس يعتقدون أن أمثاله قادرون على
فعل ذلك، لا هي. عليه أن ينزل في الحال، ويذهب إلى من هم
على شاكلته، قبل أن يوجه له أحد المرتدين الزي القومي لطمة
قوية على خده.

الحق دائماً لدى ابن الشعب الغاضب الذي دفع ثمن التذكرة
بالكامل، لديه الحق لأنه دفع ثلاثة شلنات، ويستطيع أن يثبت
شراءه التذكرة إذا جاء مفتش. بفخر يبرز التذكرة المخططة
شاعراً بأن الترام له وحده. إنه يدخر بذلك أسابيع حارقة معذبة
يخشى فيها أن يضبطه مفتش في الترام.

سيدة تشعر بالألم مثلك تصرخ عالياً: ساقى! لقد أصيب
هذا الجزء المهم لاستمرارها في الحياة، الذي يستند جزء من
وزنها عليه. وسط هذا الزحام الخطير المهدد لحياة الإنسان، لا
يمكن تحديد من هو المذنب. ستار من النيران يغطي الجمع
المحتشد، ستار من الاتهامات واللعنات والإهانات والتأكيدات
والشكاوى. الشكاوى تتدب حظ الشاكي، وتتساب من فم يسيل
منه الزبد، أما الاتهامات فإنها تتصب على رؤوس الآخرين،

إنهم يقفون متزاحمين كما في علبة سردين، إلا أنهم لا يعومون في الزيت، سيحدث ذلك بعد انتهائهم من العمل.
غاضبة تصطدم بعظام صلبة لرجل. بلطف تتساءل ذات يوم إحدى زميلاتها في المدرسة، بنت صغيرة تقف على كعبين عاليين رائعين تشتعل شرارتهما الأبدية، وترتدي معطفاً جليداً مبطناً بالفرو من أحدث طراز: ماذا تجرّين؟ ما اسم ذلك؟ أعني هذا الصندوق هنا، وليس رأسك، هناك في الأعلى. هذه تسمى فيولا، تجيب إريكا بأدب. وما معنى ذلك، "فيولا"؟ لم أسمع هذه الكلمة الغريبة أبداً من قبل، يقول فم ملطخ بالأحمر في استهزاء. فتاة تسير حاملة شيئاً يسمى "فيولا" لا يصلح لشيء معروف، كل فرد عليه أن يتجنبها لأن هذه "الفولا" تحتاج إلى حيز كبير من حولها. إنها تسير بها علانية في الشارع، ولا أحد يلقي القبض عليها متلبسة.

هؤلاء الذين يتعلقون بصعوبة بمقايض الترام، وأولئك القلائل سعداء الحظ الذين يحتلون المقاعد، رؤوس هؤلاء وأولئك تمتد من جذوع متهاكّة وتتطلع إلى أعلى بلا جدوى، باحثةً مستطلعةً فيما حولها عن المذنب الذي دهس أقدامهم بشيء صلب. لقد داس أحدهم على أطراف أصابع قدمي، يندفع سيل من الكلمات البذيئة من أحد الأفواه. من هو الجاني؟ المحكمة الفيناولية الأولى للترام، المشهورة في العالم كله، تتعقد للنطق بحكم الإدانة، أو لإصدار تحذير بعدم تكرار الفعلة، في كل فيلم حربي هناك واحد على الأقل يعلن بمحض إرادته

استعداده لتنفيذ أمر ما، حتى لو كان سيشارك في مهمة تأخذه إلى الرفيق الأعلى. ولكن هذا الكلب الجبان يختبئ خلف ظهر المواطنين الصبورين. دفعة كاملة من الحرفيين الذين يشبهون الجرذان وضعوا على أكتافهم شنطة العدة، وراحوا يتدافعون ويتزاحمون ليخرجوا من العربة. لقد أوشكوا على الوصول إلى سن التقاعد، هؤلاء الناس يسرون بنشاط مسافة محطة كاملة على أقدامهم! عندما يخل كبش وسط كل الحملان بالنظام في العربة، فإن المرء يحتاج إلى الهواء الطلق، وهو ما يجده في الخارج. منفاخ السخط الذي به تعامل الزوجة في المنزل، يحتاج إلى أكسجين نقي، وإلا ربما لن يعمل. شيء لا يمكن تحديد لونه أو شكله يبدأ في الاهتزاز، ينزلق، بينما يصرخ شيء آخر كأن إيراً وخزته. رذاذ كثيف من السم الفيناوي يتناثر فوق الرعاع، ويصرخ أحدهم في طلب الجلاد، لأنهم أفسدوا عليه وقت الاسترخاء بعد العمل، إلى هذا الحد يشعرون بالغضب، لأنهم ما زالوا في انتظار الهدوء المسائي الذي كان من المفروض أن يبدأ منذ عشرين دقيقة، أو أن الهدوء قد انقطع فجأة، انقطع مثل الغلاف الملون المطبوع الذي يغلف حياة الضحية - مع إرشادات الاستخدام - وبالتالي لم يعد ممكناً إعادتها إلى الرف. لا يمكن أن تمسك الضحية الآن ببساطة بغلاف جديد سليم دون أن تلفت الأنظار، وإلا ستعتبر البائعة ذلك سرقة. اتبعني بدون لفت للأنظار! ستصرخ فيها البائعة، لكن الباب الذي يؤدي لمكتب مدير الفرع، أو يبدو أنه

يؤدي إليه، هو باب وهمي، وفيما عدا هذا السوبر ماركت الجديد تماما ليست هناك تخفيضات هذا الأسبوع، ليس هناك شيء، أي شيء على الإطلاق، ليس إلا الظلام، والزبون الذي لم يكن قط بخيلا، يهوي في غور بلا قاع. شخص يصيح باللغة الرسمية المعتادة: عليك على الفور مغادرة العربة! من سطح جمجمته تترعرع لحية وعل، فالرجل متكرر في هيئة صياد.

لكنها تتحني في الوقت الملائم، كي تستخدم حيلة جديدة خبيثة. قبل ذلك عليها أن تضع النفايات الضخمة التي تمسك بها، أي آلاتها الموسيقية. الآلات تحيط بها الآن مثل سور. تتحني وكأنها تريد ربط حذائها، لكنها في الحقيقة تدبر فخا لجارها في الترام. عرضا تقرص هذه المرأة، أو تلك التي تشبهها تماما، في سمانة ساقها قرصة قوية. بكل تأكيد ستصاب هذه الأرملة بكدمات زرقاء. ستتدفع هذه المشوهة واقفة - شعاع شفاف مضيء براق، ينبثق من نافورة في الليل، يُسمح له أخيرا بالوقوف في بؤرة الاهتمام - ثم تذكر باختصار ودقة مكانة عائلتها، وتهدد باستخدام اتصالاتها (لا سيما عن طريق أقارب زوجها المتوفى) لمعاقبة معذبتها، ثم تطلب استدعاء البوليس! لكن الشرطة لا تأتي، إذ ليس من الممكن أن تهتم بكل شيء.

توجه العازفة نظرة بريئة إلى شخص. تتصرف إريكا وكأنها مستسلمة للقوى التي تبدو غامضة، المنبعثة من الرومانتيكية الموسيقية، الرهيفة المشاعر والمنتامية، ليس لديها

وقت للتفكير في أي شيء آخر، إثر ذلك يتحدث الشعب بصوت
كانه واحد: لم تكن البنت التي تحمل هذا المدفع الرشاش هي
السبب. وكما يحدث كثيراً، فإن الشعب يخطئ هذه المرة أيضاً.
أحياناً يستغرق شخص في التفكير، والنتيجة هي أنه يشير
إلى الجانية الحقيقية: أنت الفاعلة! يوجهون إليها الأسئلة تحت
الضوء الساطع الهابط من شمس التفهم: ما قولها في ذلك؟
لكنها لا تتكلم. الحشو الذي ركبه مدربوها في سقف الحلق
يمنعها من أن تقوم - عن غير وعي - باتهام نفسها. لا تدافع
عن نفسها. فريق من الناس يهاجم الفريق الآخر: كيف تتهمون
خرساء صماء؟ صوت العقل يدعي أن الذي يعزف على الكمان
لا يمكن أن يكون أخرس وأصم. ربما هي فقط خرساء، وتحمل
الكمان لشخص آخر. لا يتفق الناس في الرأي، ولذلك يتخلون
عن عزمهم. لقد بدأوا يحلمون بالحانة التي سيقضون فيها نهاية
الأسبوع. شبح الحانة لا يفارق رؤوسهم، ويدمر عدة كيلو
جرامات من الأفكار. الخمر ستتكفل بالباقي. بلد مدمني الخمر.
مدينة الموسيقى. هذه الفتاة تتطلع إلى عوالم رحبة من
الأحاسيس، أما من يوجه إليها التهمة فيتطلع في أحسن الأحوال
إلى قاع كأس البيرة، ولذا يلوذ بالصمت خائفاً من نظرتها.
التزاحم يحط من كرامتها، لأن الرعاع فقط هم الذين
يتزاحمون، عازفة الكمان أو الفيولا لا تتزاحم. من أجل خاطر
هذه المتع الصغيرة لا يهتما إن وصلت متأخرة إلى البيت،
حيث تنتظرها الأم وفي يدها الساعة، ثم توبخها، تتحمل مثل

هذه المشاق، رغم أنها قضت العصر كله تعزف وتفكر، تلعب على الكمان وتَسخر من الأسوأ منها، إنها تريد أن تدخل الرعب والفرع في قلوب الناس. برامج الحفلات الفيلهارمونية تفيض بمثل هذه المشاعر والأحاسيس.

إن المتردد على الحفلات الفيلهارمونية ينطلق من الكلمات التمهيدية في البرنامج، ليشرح لجاره كيف أن أعماقه تتزلزل من الألم والأسى واللوعة المنبعثة من هذه الموسيقى. لقد قرأ لتوه ذلك، أو ما يشبه ذلك. آلام بيتهوفن، آلام موتسارت، آلام شومان، آلام بروكنر، آلام فاجنر، هذه الآلام هي الآن ملكه وحده، وهو في الوقت ذاته مالك مصنع بوشل للأحذية، أو مالك شركة كوتسلر للتجارة في مواد البناء بالجملة. بيتهوفن يحرك ذراع الخشية والخوف في نفوسهم، وهم يجعلون العاملين لديهم يقفزون في خشية. السيدة الدكتورة فلانة عقدت صداقة وثيقة مع الألم منذ فترة طويلة، منذ عشر سنوات وهي تحاول سبر أغوار القداس الجنائزي لموتسارت وكشف آخر أسرارهِ. حتى الآن لم تتقدم خطوة واحدة في هذا الاتجاه، لأن هذا العمل لا يُسبر غوره، لا يمكننا فهمه! السيدة الدكتورة تقول إنه أكثر الأعمال عبقرية في تاريخ الموسيقى، هذا شيء مؤكد بالنسبة لها ولقلائل آخرين. السيدة الدكتورة هي إحدى المصطفيات اللاتي يعرفن أن هناك أشياء لا يمكن سبر غورها مهما حاول المرء. ما الذي يمكن تفسيره بعد ذلك؟ لا يمكن أن نفسر كيفية نشأة مثل هذه الأشياء. الشيء نفسه ينطبق على

بعض القصائد التي يحسن بالمرء ألا يقوم بشرحها. القداس الجنائزي كان تكليفاً لموتسارت، دفع ثمنه رجل غامض مجهول يرتدي معطفاً أسود كالذي يرتديه الحوزية. السيدة الدكتورة والآخرين الذين رأوا ذلك الفيلم عن موتسارت يعرفون: لقد كان الموت نفسه! بهذه الفكرة صنعت لنفسها نقباً في القشرة التي تحيط بأحد أعظم العظماء، واستطاعت أن تحشر نفسها وتنفذ إليه. في حالات نادرة ينمو المرء ملتصقاً بأحد العظماء.

جماهير بائسة من البشر تحيط بها دون انقطاع. على الدوام ينفذ شخص ما إلى منطقة حواسها. إن الغوغاء لا يغتصبون الفن فحسب، وبدون أي وجه حق، لا، إنهم يتسللون إلى داخل الفنان أيضاً، إنهم يقيمون داخل الفنان، ثم يحفرون على الفور عدة نوافذ ليطلوا منها على العالم الخارجي، وليطل منها العالم عليهم. بأصابعه العرقانة يكتب هذا الـ كلوتس كوتسler شيئاً على الآلة الكاتبة ينتمي إليها وحدها. إنهم يدندنون معها دون دعوة أو سؤال، إنهم يتحسسون بإبهام مُنْدى موضوعاً ما، ويبحثون عن المواضيع المكتملة له، لكنهم لا يجدونها، ولذا يكتفون - وهم يهزون رؤوسهم - بالعثور على الموضوع الرئيسي، ثم - وهم يهزون ذيلهم فرحاً لتعرفهم عليه - يكررونه المرة تلو الأخرى. إن جاذبية الفن تكمن بالنسبة للأغلبية في التعرف مرة أخرى على شيء يعتقدون أنهم يعرفونه.

فيض من المشاعر يغمر السيد صاحب المجزرة. لا يستطيع مقاومة ذلك، مع أنه معتاد على حرفة دموية. يتصلب دهشة. إنه لا يزرع، ولا يحصد، ولا يسمع جيدا، ولكن الناس يستطيعون التفرج عليه في كونسير عام، وبجانبه الأجزاء الأنثوية من عائلته التي ذهبت معه.

تصطدم إريكا بالكعب الأيمن لامرأة مسنة. تستطيع أن تتسبب كل عبارة ماثورة إلى المكان المناسب لها. هي وحدها تستطيع أن ترحزح كل كلمة تسمعها إلى المكان الصحيح المناسب. تستمع إلى مائة تلك الحملان الجاهلة وتغطيها باحتقارها الذي تعاقب به الحملان. جسدها ليس إلا ثلاجة كبيرة تحفظ الفن في حالة جيدة.

حاسة النظافة لديها مرهفة للغاية. إن الأبدان القذرة تحاصرها بغابة صمغية. ليست القذارة البدينة وحدها، الوساخة في أكثر أشكالها غلظة، تلك التي تتبعث من الأباط والعانات، عفونة البول الخفيفة التي تفوح من العجوز، النيكوتين الذي ينساب من شبكة العروق والمسام في جسم الكهل، أكداس أرخص أنواع الطعام التي لا يمكن إحصاؤها والتي يتصاعد بخارها من المعدة؛ ليست فقط النتانة الشمعية التي تطل من فروة الرأس المتكلسة، من قشرة الجرح، ولا العفونة الواهنة - ولكن النفاذة بالنسبة للمتمرس - التي تفوح من جزيئات الخراء تحت أظافر الأصابع، مخلفات احتراق المواد الغذائية التي لا لون لها، تلك الملذات الرمادية الأديمية، إذا كان للمرء أن يطلق

عليها ملذات، التي يتناولها أولئك، كل ذلك يعذب حواس الشم لديها، مسام التذوق لديها - كلا، أسوأ شيء يعذبها هو كيف يتغلغلون في الآخر، كيف يسكنون داخله، كيف يستحوذون عليه بلا خجل، بل إن هناك من يتغلغل في أفكار الآخر، إلى أعماق أعماقه.

من أجل ذلك سيُعاقَبون. ستعاقِبهم. ومع ذلك لا يمكنها أبدا أن تتخلص منهم. إنها تتمزق بسببهم، تنفضهم عنها كما يفعل الكلب مع فريسته. ومع ذلك ينبشون في قلبها، وينكأون أعماقها دون أن يطلب منهم أحد ذلك، إنهم يتفحصون قرارة نفسها، ويتجراؤون على الادعاء أن فيبر أو شونبرج لا يعجبهم.

الأم، دون سابق إنذار، تقوم بفك المسامير القلاووظ في غطاء رأسها، ثم تدخل يدها بكل ثقة، وتنبش، وتفتش، وتتكأ، إنها تخلط كل شيء في فوضي، ولا تعيد أي شيء إلى مكانه المعهود. بعد فحص قصير تخرج عدة أشياء، تتأملها تحت العدسة المكبرة، ثم ترميها. هناك أشياء أخرى ترتبها الأم، وتُنظفها بالفرشاة والإسفنجة والخرقة، ثم يُجفف كل شيء، وتركب المسامير، مرة أخرى، كما تفعل بسكين المفرمة.

هذه العجوز سعدت إلى الترام دون أن تمر على المحصل. تعتقد أن بإمكانها أن تبقى صعودها إلى عربة الترام سراً. لقد هبطت في الحقيقة من كل شيء في الحياة، وهي تحبس ذلك أيضاً. لم يعد الأمر يستحق أن تدفع ثمن التذكرة.

التذكرة إلى الأبدية تحتفظ بها منذ أمد طويل في شنطة يدها.
لابد أن تكون تلك التذكرة صالحة حتى في الترام.

الآن تسألها سيدة عن عنوان ما، لكنها لا تجيب. لا تجيب
رغم أنها تعرف الطريق جيداً. لا تستسلم السيدة وتظل تبحث
في العربة كلها، طاردة الناس من مقاعدهم علماً تجد تحت
مقاعدهم الشارع الذي تبحث عنه. إنها متجولة عبوس على
دروب الغابة، اعتادت بمساعدة عصا رقيقة أن تتخز جحور
النمل لتخرجها منها. إنها تتحدى الحشرات، وتخرجها عن
طورها، مما يجعلها تشرع في رش سائلها الحمضي. إنها
واحدة من الذين يقربون كل حجر كي يتأكدوا من عدم وجود
حية تحته. إنها تفحص كل بقعة جرداء في الغابة، حتى لو
كانت صغيرة للغاية، علماً تجد هناك عيش الغراب أو توتا
بريا. هي واحدة من أولئك. لا بد أن يعتصروا كل ما في العمل
الفني، ويشرحوا كل شيء بصوت عال. في المنتزه ينظفون
الدكك بمناديلهم الورقية قبل أن يجلسوا. في المطاعم يمسحون
الشوك والسكاكين بمنديل السفارة حتى تلمع. بمشط رفيع
الأسنان يمرون على البدلة التي يرتديها أحد أقاربهم المقربين
لإبعاد الشعر والبقع الدهنية والرسائل.

هذه السيدة تتفعل الآن وتصيح، إذ لا أحد يريد أن يرشدها
إلى الطريق. إنها تدعي أن لا أحد يريد أن يجيبها على سؤالها.
هذه السيدة تتوب عن الأغلبية الجاهلة التي تملك شيئاً واحداً

بوفرة عظيمة: الروح القتالية. الاستعداد للشجار مع كل شخص، إذا تطلب الأمر.

إريكا تنزل من الترام تحديداً عند الشارع الذي كانت السيدة تسأل عنه، مَلْقِيَةً نظرةً فاحصةً متهكِّمةً تجاه السائلة.

تدرك الجاموسة ما حدث، وتكاد تأكل نفسها غيظاً. بعد قليل ستستعيد هذا الفصل من حياتها عند صديقة، مع طبق من اللحم البقري والفاصوليا، وبذلك تطيل الحياة بفترة الحكي القصيرة هذه، لكن الزمن ينقضي أثناء الحكي ولا يمكن إيقافه، وبذلك يسلب الزمن من السيدة حيزاً مخصصاً لخبراتها الجديدة.

إريكا تلتفت مرات عدة إلى السيدة التائهة بلا أمل في العثور على الطريق، قبل أن تبدأ سيرها على طريقها المألوف الذي يقودها إلى البيت المألوف. أثناء ذلك تحدجُ السيدة بنظرة شامتة، وتنسى إريكا أنها بعد دقائق ستحترق وتتحول إلى كومة رماد تحت لهيب نار الأم، لأنها عادت إلى المنزل متأخرة. عندئذ لن يعزيها ينبوع الفن كله، رغم أنهم يقولون عن الفن أشياء كثيرة، ويدعون قدرته بصورة خاصة على تقديم العزاء. في بعض الأحيان لا تبدأ المعاناة إلا بالفن.

إريكا، الزهرة البرية. من هذه الزهرة حصلت المرأة على اسمها. عند التفكير في هذا الاسم تراءى أمام عيني الأم قبل الولادة شيء خجول ورقيق. ولكن، عندما تأملت قطعة الطمي المنزلة من رحمها، شرعت على الفور - دون أن تتورع عن فعل شيء - في تشكيلها كالنحات، كي تكتسب النقاء والنعومة اللازمة. هنا تستبعد قطعة، وهناك أيضاً. كل طفل يميل بالفطرة إلى القذارة والبراز، إذا لم يمنعه المرء عن ذلك. مبكراً قررت الأم أن تكون مهنة إريكا لها علاقة بأي شكل من الأشكال بالفن، حتى تستطيع استحلاب المال بحسبها المرهف الذي حصلت عليه بعد مشقة بالغة، بينما يقف العاديون من الناس حولها معجبين بالفنانة ومصنفين لها. أخيراً انتهت الأم من تشكيل إريكا الرقيقة، والآن عليها أن تدفع عربة الموسيقى إلى الأمام، وتشرع في التفنن، مثل هذه الفتاة لم تخلق كي تقوم بمهنة فظة، أو بعمل يدوي صعب، أو بأعمال منزلية. لقد خلقت حتى تتقن أسرار الموسيقى والغناء والرقصات الكلاسيكية. عازفة بيانو ذائعة الصيت في العالم كله، هذا هو حلم الأم، ولكي تشق الطفلة طريقها حتى وسط المؤتمرات والمكائد، فإن الأم تدق في كل زاوية علامات ترشدها إلى الطريق الصحيح. تضرب بالشاكوش العلامات في الأرض،

وتضرب إريكا أيضاً إذا لم تكن ترغب في التمرين. تحذر الأم إريكا من أسراب الحاسدين الذين يحاولون دوما الشوشرة على الناجحين، وتوضح لها أن معظمهم من الجنس الخشن. لا تسمحى لأحد بتشتيت انتباهك! لم يُسمح لإريكا بالركون إلى الراحة عند أي درجة تبلغها. ممنوع عليها أن تستند على القمة الجليدية لالتقاط الأنفاس. عليها أن تواصل على الفور، إلى الدرجة التالية. حيوانات الغابة تقترب منها اقتراباً مهدداً حياتها، الحيوانات تبغي ضم إريكا إلى سربها المتوحش. المتنافسون يودون لو اجتذبوا إريكا إلى صخرة نائثة، متذرعين بحجة أن يطلعوها على المنظر الرائع، ولكن ما أسهل السقوط! تصف الأم الهاوية وصفاً مجسماً، حتى تحترس الطفلة وتتأى بنفسها عنها. هناك، على الذروة، الشهرة العالمية التي لا تصل إليها الأغلبية، هناك تهب رياح باردة، ويشعر الفنان بالوحدة، بل ويقولها علناً. طالما تحيا الأم، وطالما تنسج بيدها مستقبل إريكا، فليس أمام الطفلة سوى شيء واحد: بلوغ قمة العالم كله. تدفع الأم ابنتها من أسفل، فهي تقف راسخة بكلتا قدميها مادة جذورها في الأرض. عما قريب لن تقف إريكا على الأرض الموروثة من الأم، بل على ظهر شخص آخر تكون قد اجتذبتة إليها بالحيلة والمكر، ياعلمها من أرضية هشة! تشب إريكا وتقف على كتفي الأم بأطراف أصابع قدميها، وتتشبث بأصابع يديها المدربة، ولكن سرعان ما يتضح أن القمة ليست سوى نتوء في الصخر، قمة وهمية، إريكا تمد يديها وتحاول أن

تشد نفسها لأعلى، لأعلى. الآن ترى ما وراء الحافة، ولكن
عينها لا ترى إلا صخرة جديدة، أشد وعورة من سابقتها.
مصنع ثلج الشهرة له فرع هنا أيضاً، إنه يخزن منتجاته في
قوالب، وبذا يدخر المرء تكاليف التخزين. إريكا تلحس أحد
القوالب، وتقيم كونسيرا مدرسيا، وبه تفوز في "مسابقة شوبان".
تعتقد أنه لا ينقصها سوى مليمترات، وعندئذ تتربع على القمة!
الأم توبخ إريكا وتعنفها بسبب تواضعها الجم. أنت دائما
الأخيرة! التعفف النبيل لن يجلب لك شيئاً. لا بد أن يكون المرء
على الأقل بين الثلاثة الأوائل. كل من يأتي بعدهم يجد مكانه
في صفيحة الزبالة، هكذا تتحدث الأم التي لا تريد إلا مصلحة
طفلها، ولذلك لا تسمح لها بالنزول إلى الشارع حتى لا تشارك
الآخرين في اللعب، وتهمل التدريب على العزف.
لا تحب إريكا أن تلتفت الأنظار. بنبل تتعفف، وتنتظر أن
يصل الآخرون إلى شيء بدلا عنها، هكذا تشتكي الأم
المجروحة، تشكو الأم بمرارة أن عليها أن ترعى وحدها كل
شئون ابنتها، ثم تهل وتزج بنفسها إلى ساحة النزال. تجلس
إريكا بنبل مَهْمَلَة، دون أن تكافأ حتى بحفنة من القروش
تشتري بها جوارب أو كيلوتات. أمام الأصدقاء والأقارب -
وهم ليسوا كثيرين على كل حال، فالأم قد انفصلت تماما مبكرا
عن الآخرين، وعزلت الطفل أيضاً عن تأثيرهم - تتفاخر الأم
بحماسة بأنها أنجبت طفلة عبقرية. تلاحظ ذلك بوضوح يزداد
يوما بعد يوم، هكذا يقول منقار الأم. إريكا عبقرية في العزف

على البيانو، لكنها ما زالت في انتظار من يكتشف موهبتها، لو وجدت من يكتشفها، لكان نجم إريكا قد سطع منذ سنوات، وصعد فوق الجبال. مقارنةً بها، كان ميلاد الطفل يسوع شيئاً تافهاً لا يستحق الذكر.

الجيران من ناحيتهم يقدمون المساندة اللازمة. إنهم يحبون أن يصغوا إلى عزف الابنة عندما تتدرب. مثل الراديو، لكنها مجاناً بدون رسوم. لا يحتاج المرء سوى إلى فتح النوافذ، وربما الأبواب، وعندئذ تتساب النغمات إلى الداخل، وتنتشر مثل الغاز السام، وتصل إلى آخر ركن وزاوية، لكن هناك من يعلن انزعاجه، ويلاحق إريكا في كل خطوة، طالبا منها الكف عن الإزعاج. الأم تحكي لإريكا عن الجيران المتحمسين لعزفها الرائع. حماسة الأم تجرف إريكا مثل غدير يجرف في طريقه بصقة. فيما بعد ستستغرب إريكا عندما يشتكي أحد الجيران. لم تذكر الأم في يوم كلمة واحدة عن الشكاوى!

بمرور السنين تتفوق إريكا على الأم في ازدياد الآخرين. رأي الرعاع غير الدارسين ليس مهماً يا ماما، أحكامهم فجة، أيضاً مشاعرهم لم تتضج بعد، المختصون فقط هم الذين يُعَدُّ بهم في مهنتي. الأم ترد: إياك أن تنتهكي على مديح البسطاء الذين يسمعون الموسيقى بقلوبهم، ويسعدون بها أكثر من أولئك المتشبعين، المدللين، المتخمين! الأم نفسها لا تفقه في الموسيقى شيئاً، لكنها تجبر ابنتها على المضي في هذا المجال. منافسة ثأرية شريفة تنشأ بين الأم والطفلة، لأن الطفلة سرعان ما

تدرك أن قامتها أعلى من الأم في مجال الموسيقى. الأم تعبد ابنتها عبادة، ولا تطلب مقابل ذلك سوى رسوم ضئيلة: حياتها. الأم تريد أن تستغل حياة ابنتها كما يحلو لها.

ليس مسموحاً لإريكا أن تختلط بالبسطاء من الناس، ولكن عليها دوماً أن تبتهج لمديحهم. المختصون للأسف لا يمتدحون إريكا. القدر الأحق الذي لا يفهم في الموسيقى اصطفى زميلتها أرجريش، وزملاءها جولدا وبرندل وبولينني، وآخرين غيرهم. لكن القدر مصر على أن يشيح بوجهه عن كوهوت. القدر يريد أن يظل على الحياد، وألا ينخدع ببرقة لطيفة. إريكا ليست جميلة، وإذا أرادت أن تكون جميلة، فسوف تمنعها الأم على الفور. عبثاً تمد إريكا ذراعيها تجاه القدر، لكنه لا يريد أن يصنع منها عازفة بيانو. ستقع إريكا ورقة صفراء في مهب الريح. لا تفهم إريكا لماذا يحدث لها ذلك، فهي منذ أمد بعيد وصلت في العزف إلى مرتبة العظماء.

ثم تحقق إريكا ذات مرة فشلاً ذريعاً في كونسير ختامي مهم في أكاديمية الموسيقى، تفشل أمام الأقارب الكثيرين الذين جاءوا مع منافسيها، وأمام أمها التي جاءت وحدها، أمها التي صرفت آخر ما لديها من مال على مكياج إريكا في هذا الكونسير. بعد الحفل تصفع الأم إريكا، حتى الشعب غير الدارس لاحظ فشل إريكا، إن لم يكن لاحظ ذلك من عزف يديها، فمن ملامح وجهها، كما أن إريكا لم تختار مقطوعة تتاسب الجمهور العريض الوافد إلى الصالة، بل معزوفة من

"المسيا"، وهو اختيار حذرت الأم بحزم من عواقبه. لن تستطيع الابنة بهذا الاختيار أن تغزو قلوب الجمهور الذي كانت الأم والابنة تقابله دوماً باحتقار؛ الأولى لأنها كانت طيلة حياتها جزءاً صغيراً غير ظاهر من ذلك الجمهور، والثانية لأنها لم تكن تريد أن تغدو في يوم من الأيام جزءاً صغيراً غير ظاهر من الجمهور.

تحت سيل من السباب أخذت إريكا تترنح وهي تهبط من خشبة المسرح، وتحت سيل من اللعنات استقبلتها المرسل إليها، الأم. حتى معلمتها، التي كانت في السابق عازفة بيانو مشهورة، أنبت إريكا بعنف على ضعف تركيزها. فرصة كبيرة لم تستغل، ولن تعود أبداً. وقريباً سيجيء اليوم الذي لن يحسدها فيه أحد على مصيرها، ولن يتمنى أحد أن يكون في مكانها.

ماذا يتبقى أمامها سوى تغيير مادة التخصص؟ خطوة قاسية للعازف الممتاز الذي يجد نفسه فجأة وسط جماعات المبتدئين، والمتقدمين بلا روح. إن الكونسرفتوار والمدارس الموسيقية، وأيضاً المدارس الخاصة، تفتح صدرها بصبر لكل من هب ودب، لكل من كان مكانه الطبيعي مقلب الزبالة، أو في أفضل الأحوال ملعب كرة القدم. ما زال شبان كثيرون يندفعون إلى طريق الفن، وكما كان الحال في الأزمنة الغابرة، أغلبهم يدفعون دفعاً من والديهم، لأن الوالدين لا يفقهون في الفن شيئاً، ولا يعرفون سوى وجود شيء اسمه الفن، ومن أجل ذلك يشعرون بالسعادة الكبيرة! لكن الفن يلفظ كثيرين، فالحدود

لا بد منها. على مر سنوات عملها في التدريس الموسيقي كانت إريكا تهوى أن ترسم الحدود بين الموهوبين وغير الموهبين، الفرز يعوضها عن أشياء كثيرة؛ ألم تستبعد هي يوماً مثل كبش بين الحملان؟ إن تلاميذ إريكا وتلميذاتها خليط فظيع من كل الأنواع الممكنة. لم يخبرهم أحد من قبل بحدود قدراتهم، ولا حتى على سبيل التلميح. نادراً ما تكون بينهم وردة حمراء. من بعضهم تنتزع إريكا في السنة الدراسية الأولى بنجاح تام سوناتا قصيرة مبسطة للموسيقار كلمنتى، بينما يظل آخرون يحاولون بمشقة بالغة عزف الجمل الموسيقية الأولى في مقطوعات تشيرني، ثم يفصلون بعد امتحان الفترة الأولى، لأنهم لا يميزون بين السلم الموسيقي وسلم البيت، بينما يعتقد الوالدان اعتقاداً راسخاً أن أبناءهم سيأكلون الشهد قريباً.

المتقدمون في الدارسة، الماهرون في العزف والمجتهدون هم بهجة إريكا، وإن كانت بهجة تعكرها الشوائب. من هؤلاء تنتزع سوناتات شوبرت وشومان وبيتهوفن، تلك الذرى الموسيقية في حياة تلميذ البيانو. آلة العمل، بيانو ماركة بوزندورفر، تقوم بفرز مختلف أنواع الأقمشة، وبجانبها بيانو المعلمة، بوزندورفر أيضاً، الذي لا تعزف عليه سوى إريكا، إلا في حالة التدريب على مقطوعة لآلتي بيانو.

بعد ثلاث سنوات يجب على تلميذ البيانو أن ينتقل إلى المرحلة الأعلى، ولهذا الغرض عليه أن ينجح في امتحان النقل، معظم الشغل في هذا الامتحان يُلقى على كاهل إريكا التي تجد

نفسها مجبرة على الضغط على دواسة البنزين بقوة، كي تزداد سرعة محرك التلاميذ البطيء. في بعض الأحيان لا يستجيب التلميذ الاستجابة التي تتوقعها المعلمة، لأنه يفضل أن يفعل شيئاً آخر تماماً، شيئاً ليس له علاقة بالموسيقى، إلا لو اعتبرنا الكلمات التي يسر بها في أذن الفتيات نغماً موسيقياً. لا تحب إريكا أن ترى أشياء كهذه، وتمنع حدوثها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. كثيراً ما تعظ إريكا تلاميذها قبل الامتحان، وتقول لهم إن ارتكاب الخطأ في العزف أقل ضرراً من عزف المقطوعة كلها عزفاً بعيداً عن روح العمل؛ لكنها تعظ آذاناً صماء سدها الخوف. بالنسبة لكثيرين من تلاميذها فإن الموسيقى هي سلم الارتقاء من حضيض طبقة العمال إلى ذرى الإبداع الفني الطاهر. فيما بعد سيعملون أيضاً مدرسين ومدرسات للبيانو. يخشون أن تنزلق أصابعهم الوجلة العرقانة إلى المكان الخاطئ على البيانو أثناء الامتحان، تستطيع إريكا أن تتحدث عن تفسير العمل الموسيقي كما يحلو لها، ولكن ذلك لن يغير شيئاً، إذ إن هموم كل تلاميذها تنحصر في العزف الصحيح حتى نهاية المقطوعة فحسب.

ببهجة تتجه أفكار إريكا إلى السيد فالتر كلمر، الشاب الأشقر الوسيم، في الفترة الأخيرة هو أول من يأتي في الصباح الباكر، وآخر من ينصرف في المساء. لا بد من أن تعترف إريكا أنه شبل مجتهد. طالب هندسة، يدرس التيار الكهربائي ومميزاته الخيرية. في الآونة الأخيرة ينتظر انصراف التلاميذ

كلهم، ابتداء من الذين يمرنون أصابعهم بوجل لأول مرة، وحتى الخبطة النهائية في فانتازيا شوبان رقم ٤٩ من مقام فا صغير. يبدو أن لديه وقتاً كثيراً فائضاً عن حاجته، وهو شيء غير محتمل بالنسبة إلى طالب في المرحلة النهائية من دراسته. ذات يوم سألته إريكا، أليس من الأفضل أن يتدرب على أعمال شونبرج، بدلاً من أن يجلس هكذا عاطلاً؟ أليس لديه شيء يستذكره؟ لا محاضرات، ولا تمارين، لا شيء؟ تسمع كلاماً عن إجازة دراسية، لم تكن في حسابها، رغم عملها في التدريس. فترات الإجازة في معاهد البيانو تختلف عن الإجازات في الجامعة؛ وإذا أخذنا الأمور على نحو صارم: ليس هناك إجازة من الفن، إنه يطارد الفنان في كل مكان، وهو شيء لا يمكن إلا أن يتفق مع طموحه.

تتعجب إريكا: لماذا تواظب على المجيء مبكراً هكذا، يا سيد كلمر؟ إن من يدرس أعمال شونبرج اللانغمية، من المستحيل أن يُعجَب بالأغاني التقليدية، لماذا تنصت إلى ذلك إذن؟ كلمر المجتهد يكذب ويقول إن المرء بإمكانه أن يستفيد من كل شيء وفي كل مكان، حتى لو كانت الاستفادة هينة. المرء يتعلم من كل شيء، يقول هذا الغشاش الذي لا يعرف كيف يقضي وقته على نحو أفضل. إنه يدعي القدرة على التعلم من أصغر إخوته وأقلهم شأنًا، طالما أن المرء يتحلى بالفضول، ولكن على المرء أن يتخطى ذلك بسرعة حتى يواصل التقدم،

وعلى التلميذ ألا يظل محصوراً في القليل والهين، وإلا تدخل معلموه.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الشاب يحب الإصغاء إلى معلمته عندما تعزف شيئاً، حتى لو كانت أغاني ساذجة، مكتوبة وفق السلم الموسيقي التقليدي. تقول إريكا، لا تجامل معلمة البيانو العجوز، يا سيد كلمر، الذي يجيب قائلاً: لا تقولي "عجوز"، كما أن "المجاملة" ليست الكلمة الصحيحة، لأن ما أقوله هو قناعتي الكاملة والصادقة والأصيلة! في بعض الأحيان يلتمس هذا الشاب الوسيم، شديد الطموح، أن يُسمح له بعزف مقطوعة أخرى ليست في المنهج. يتطلع إلى معلمته بترقب، وينتظر أن تومئ بالموافقة. يتربص بإشارة من إصبع المعلمة، فوق سهوة جوادها العالية، تقلل من حماسة الشاب، وتقول له بسخرية لاذعة إنه لم يصل بعد إلى إتقان أعمال شونبرج كما يتخيل. كم يود التلميذ أن يسلم عنان نفسه إلى مثل هذه المعلمة، حتى لو نظرت إليه باستهانة، وهي تقبض بحسم على لجامه.

يبدو لي أن هذا الشاب اللطيف واقع في حبك، تفح الأم بمزاج سيئ عندما أتت إلى الكونسرفتوار، كي تقوم السيدتان بتمشية في وسط المدينة، تتأبط فيها الواحدة ذراع الأخرى، وينشابكان تشابكا معقداً. الطقس يتلاءم مع التمشية، تقول السيدتان. في واجهات المحلات أشياء كثيرة تستحق الفرجة، وهي أشياء غير مسموح لإريكا أن تتفرج عليها تحت أي

ظرف من الظروف، ولهذا جاءت الأم لاصطحابها. أحذية أنيقة، شنط، قبعات، حلي. تشتت الأم انتباه إريكا، وتقودها إلى طرق بعيدة عن المحلات، ثم تختلق أن يأخذا هذا الطريق البعيد لأن الجو جميل. الزهور يانعة في كل مكان في الحدائق، خصوصا الورود والزنابق؛ هي أيضا لم تشتت ثيابها. تتحدث الأم مع إريكا عن الجمال الطبيعي الذي لا يحتاج إلى زينة اصطناعية. الزهور جميلة بطبيعتها، يا إريكا، وأنت أيضا، فلماذا إذن الزخرفة والبهرجة؟

ها هو الحي الثامن المتواضع الأليف يلوح في الأفق^(١)، في الحظيرة لم يجف الدريس بعد. تتنفس الأم الصعداء، وتسحب الابنة مارة بالبوتيكات، وصولا إلى شارع "يوزف شتيتير". تشعر الأم بالسعادة لأن التمشية لم تكلف هذه المرة أيضا غير نعل حذائها. نعل بال، خير من حذاء جديد غال، وخير من أن يضحك بائع على السيدتين كوهوت.

قياسا على أعمار سكان هذا الحي، فإنه قد بدأ يشيخ. المرء يرى بصورة خاصة نساء عجائز. لحسن الحظ استطاعت هذه السيدة العجوز، والدة كوهوت، أن تقتنص لها تابعة شابة، تستطيع الأم أن تفخر بها؛ تابعة ستعتني بها إلى أن يفرق الموت بينهما. لن يفصل بين الاثنتين إلا الموت. على ملصق حقيبة إريكا مكتوب "الموت" كميناء وصول. يحدث أحيانا أن يشهد هذا الحي سلسلة من جرائم القتل، ويلقى عدد من

(١) مدينة فيينا مقسمة إداريا إلى ٢٣ حيا سكنيا. (المترجم)

"النسوان" العجائز حنّفن في جحر الثعلب الذي يقطنونه،
والمكدم حتى آخره بالأوراق القديمة. لا يعلم إلا الله أين
وضعت دفاتر التوفير. القائل الجبان يعلم أيضاً، لأنه نظر تحت
الحشية. الحلي، القليل، اختفى أيضاً. والابن الوحيد، مندوب
شركة لأدوات المائدة، لا يرث شيئاً. الحي الثامن في مدينة
فيينا حي محبب لدى القنّلة. ليس من العسير أبداً الاهتداء إلى
مسكن هذه السيدة العجوز. في واقع الأمر تسكن في كل بيت
على الأقل أم عجوز مثل هذه، تستهزئ ببقية الساكنين وتفتح
باب البيت دون أدنى ممانعة لمحصل شركة الغاز الذي يكذب
ويقدم نفسه على أنه موظف حكومي. كثيراً ما وجه إليهن
التحذير، ولكنهن ما زلن يفتحن قلوبهن وأبوابهن، لأنهن يشعرن
بالوحدة. هكذا تتحدث السيدة كوهوت مع الأنسة كوهوت، كي
تردعها عن ترك أمها وحيدة في يوم من الأيام.

فيما عدا أولئك لا يسكن الحي سوى موظفين حكوميين
صغار، ومستخدمين وديعين يعملون في شركات خاصة.
الأطفال قلائل. أشجار الكستناء تزهر، وفي مدينة الملاهي
"البراتر" تورق الأشجار من جديد. في الغابة الفيناوية اخضرت
الكروم. ولكن على آل كوهوت صرف النظر عن كل أحلامهما
بالتجول في الغابة والتفرج على أشجارها، فهما لا تملكان
سيارة. غير أنهما كثيراً ما تركبان الترام إلى محطة اختارتها
بعناية في نهاية الخط، حيث تنزلان مع كل الركاب الآخرين،
وتبدآن التجول. تحمل الأم وابنتها مخللة المأكولات، وكأنهما

تمثلان في فيلم من أفلام الرعب، أو كأنهما من الرجال المتكبرين على شكل نساء. هذا معناه أن الابنة تحمل مخللة، وفيها تحفظ أيضاً زاد الأم القليل، وتخفيه عن أعين الفضوليين. تلبسان صنادل متينة. ولا تتسيان - كما ينصح دليل التجول - السترات الواقية من المطر. الاحتياط خير من الإحباط. السيدتان تتقدمان بهمة ونشاط. لا تدندنان بأغنية، لأنهما - وهما خبيرتان بعض الشيء بالموسيقى - لا تريدان الإساءة إلى الموسيقى بغنائهما، كما في عصر الكاتب أيشندورف، تدندن الأم، لأن المهم هو الروح، هو الموقف من الطبيعة! ليست الطبيعة هي المهمة. السيدتان تمتلكان مثل هذه الروح. حيثما توجد الطبيعة، ينشرح قلبهما. إذا صادفهما غدير رقرق، تشربان من مائه على الفور، عسى ألا تكون غزالة تبولت فيه. أما إذا صادفهما جذع شجرة ضخمة أو فروع كثيفة منخفضة، فبإمكان إحداها عندئذ أن تتبول، على أن تحرس الأخرى المكان حتى لا يأتي عابر وينظر بوقاحة.

بهذا النشاط تعيد السيدتان كوهوت شحن بطاريتهما، استعداداً لأسبوع عمل جديد، تعمل الأم أثناءه قليلاً، في حين يمص التلاميذ دم الابنة. هل سمحتي لهم بأن يخرجوك عن طورك؟ تسأل الأم في كل مساء إريكا، العازفة والعبقرية المجهولة. لا، ماشي الحال، تجيب الابنة التي ما زالت تشعر بالأمل، الذي تقطف الأم أوراقه على مهل. تشكو الأم من نقص الطموح لدى الطفلة. الطفلة تسمع هذه النغمة النشاز منذ أكثر

من ثلاثين عاما. الابنة، التي تتظاهر بالأمل، تعرف أن كل ما تنتظره، لن يزيد على لقب "البروفيسور" - وهي تستخدمه من الآن - الذي سيمنحه لها رئيس الدولة. في احتفال بسيط، تقديراً لخدماتها الطويلة. وفي يوم ما، لم يعد يبعد كثيراً، سيأتي التقاعد. بلدية فيينا تتميز بالسخاء، ولكن التقاعد يصيب الموظفين الفنانين كالبرق. إنه يصيب من يصيب. بلدية فيينا تنهي على نحو متوحش عملية إيصال الفن من جيل إلى جيل. تقول السيدتان إنهما تنتظران بفارغ الصبر تقاعد إريكا! أعدتا خطأ كثيرة لهذا اليوم. حتى ذلك الحين ستكون الشقة التملك قد أثنت وفرشت عن آخرها، ودفعت كل أقساطها. وستقتنيان قطعة أرض أخرى في النمسا السفلى، حيث يمكنهما البناء. بيت صغير، للسيدتين كوهوت وحدهما. من يخطط، يكسب. والقرش الأبيض، ينفع في اليوم الأسود. ستبلغ الأم عندئذ المائة، وستكون بالتأكيد لا تزال تتمتع بالصحة والعافية. تتأجج ألوان الغابة الفيناوية في المنحدر تحت أشعة الشمس الساطعة. هنا وهناك تجرؤ زهور الربيع على الظهور، لكنها سرعان ما تقطف وتختفي في الكيس الذي تحمله الأم وابنتها. عن حق يحدث لها ذلك. لا بد من معاينة حب الاستطلاع، هذا هو مبدأ الابنة كوهوت، وعنه تدافع. هذه الزهور الصغيرة تتوأم تماماً مع الزهرية الكروية الشكل، ذات اللون الأخضر الفاتح، أليس كذلك يا إريكا؟

تَعِيشُ المُرَاهِقَةَ فِي محمية طبيعية يُحْرَمُ فِيهَا الصيد طوال العام. تَحْمَى من التأثيرات الغريبة، وتَبْعَدُ عن الإغراءات. لا تَمْتَعُ بالحماية في أوقات العمل، بل في أوقات المتعة فقط. عند قَدَمِهَا تَقِفُ الأم ومعهما الجدة، كَتِيبَةُ نَسَائِيَةِ تُشْهَرُ السلاح لحماية المُرَاهِقَةَ من الصيد الذكور الذي يتربص بها، وفي حالة الضرورة تُسْتَخْدَمُ القوة لتحذير الصياد. بأعضائهن التناسلية الضامرة اليابسة تتطرح كلا المرأتين المسننتين أرضاً أمام أي رجل حتى لا يعتدي على عنزتهما الصغيرة. لا يجب أن يمس الحيوان الصغير سوء من جراء أشياء كالحب أو اللذة. الشفران المتصلبان لدى العجوزين يصلصلان أثناء انغلاقهما مثل كماشة جعران محتضر، لكنهما لا يقبضان على فريسة. لذا تَتَشَبَّهَانِ بلحم الابنة والحفيدة البض، وتقطعانه على مهل إرباً إرباً، بينما تدافعان بدروعهما عن الدماء الشابة كيلا يأتي حيوان آخر ويسممها. للأم والجدة بصاصات منتشرات في محيط واسع، يتجسسن على سلوك الأنثى الشابة خارج البيت، ثم في البيت، أمام أولياء الأمر من النساء ومع فنجان قهوة، يستفضن في الكلام. يحكين كل شيء، ومع الكلام يأكلن الجاتوه البيتي. عندئذ تقول المستطلعات ما رآته عند الخزان القديم: الطفلة الغالية مع طالب من مدينة جراتس! لن يُسْمَحَ للطفلة بعد اليوم بالخروج من الغلاف المنزلي إلى أن تتوب وتعلن ندمها، وتقلع عن هذا الرجل.

البيت الريفي يطل على وادي، تسكن فيه الجاسوسات اللاتي تعودن أن ينظرن في المنظار المكبر. وعندما يصل أهل العاصمة إلى هذه المنطقة أخيراً، لأن الصيف قد حل، تتوقف البصاصات عن الاهتمام بشئونهن الخاصة، ويهملن تدبير أمور البيت.

بين المروج يسري خريز ماء الغدير. دون تمهيد تقطع شجيرات البندق طريق الغدير، وتتهي مساره بالنسبة للرائي، أما فيما وراء الشجيرات فإن الغدير ينساب دون أن يراه أحد وسط مروج الفلاحين الجيران. إلى يسار المنزل يصعد تل معشوشب إلى الأعالي، وينتهي إلى غابة لا يملك المرء إلا جزءاً منها، والبقية ملك للدولة. حول المنزل تضيق الغابات الصنوبرية مجال الرؤية، ولكن المرء يرى بدقة ما يفعله الجار، وهذا يرى أيضاً ما يفعله المرء. البقر يسير في طريقه إلى الكلاً. وفي الخلف، إلى اليسار، كومة من الحطب المعد للتفحيم، ثم إلى اليمين مشتل فراولة. في الأفق سحب، وطيور، وصقور ونسور.

الصقر ماما، والنسر تينة تمنعان الطفلة، المعهود أمرها إليهما، من مغادرة الوكر. تستأصلان من بدنها الحياة. تقطعان شرائح سميكة، والجارات تقمن بجهد مشكور في عملية تقطيع شرفية. كل شريحة تتبض فيها الحياة، تستبعد على الفور باعتبارها تالفة عفنة. التمشية والتفرج على المحلات، تعوق الدراسة وتضر بالعازفات. في الوادي، عند الخزان، يقف

الشبان ويتحدثون. تشعر بنفسها منجذبة إلى هناك. إنهم يقهقون ويتبادلون المزاح. هناك يمكن أن تبهر أولاد الفلاحين. لقد تدربت على إبهار الآخرين. تعلمت أنها الشمس التي يدور حولها كل شيء، ليس عليها سوى الوقوف ساكنة، وستسرع الأقمار في الحج إليها، وتقديم فروض الولاء والطاعة. إنها تعلم: هي الأفضل، لأنهم يقولون لها ذلك دوماً. ومن الأفضل ألا يختبر المرء صحة ما يُقال.

رغماً عنها تدفع الكمان الآن إلى الذقن، وتمسك بها بذراع ممتعضة كارهة. ثغر الشمس يفتّر في الخارج عن ابتسامة عريضة تغري بالسباحة. الشمس تغري المرء بخلع ثيابه أمام الآخرين، وهو ما تحظره العجوزتان في المنزل حظراً تاماً. تشعر بالألم يسري في الأصابع اليسرى التي تضغط على الأوتار المصنوعة من الصلب في عنق الكمان. روح موتسارت المعذبة تهرب من جوف الآلة متأوهة محشرجة الأنف. روح موتسارت تصرخ من الجحيم، لأن العازفة لا تشعر بشيء مما تعزفه، لكنها مجبرة على استخراج النغمات دون توقف. تهرب النغمات من الآلة وهي تزمجر وتدمدم. ليس على العازفة أن تخشى النقد، المهم أن تعلو نغمات، أي نغمات، فهذا هو الدليل على أن الطفلة سعدت السلم الموسيقي، ووصلت إلى أجواء عليا، وأن الجسد بقي في الأسفل غلافاً ميتاً. القشرة التي تخلعها الابنة عن جسدها تفحص بعناية بحثاً عن آثار ذكرية، ثم تنفض نفصاً قويا. بعد العزف يمكنها أن

ترتديها نظيفة طاهرة، جافة ومُنشأة. جامدة، لم ينتهك أحد ملمسها.

الأم ترمي ابنتها بملاحظة لاذعة. إنها، إذا تركت لحالها، ستظهر حماسا بالغاً لشباب أكثر مما تفعل في عزف البيانو. لا بد من ضبط أوتار هذا البيانو كل عام، لأنها تفقد انضباطها الرائع في هذا الطقس الفظيع السائد في جبال الألب. الذي يضبط البيانو يأتي بالقطار من فيينا، ويصعد الجبل لاهثاً ليضبط آلات وضعها أصحابها في بيت على ارتفاع ألف متر فوق سطح البحر. يتنبأ الرجل أن هذا البيانو لم يتبق له على قيد الحياة أكثر من عام أو عامين، عندئذ سيكون الصدا والعفونة والفطريات في النادي الموسيقي قد التهمتته بتؤدة. تبذل الأم جهودها للحفاظ على أوتار الآلة في حالة جيدة، كما أنها لا تتوقف عن ضبط فقرات الطفلة، ليس اهتماماً بمزاج الطفلة، بل بتأثير الأم على هذه الآلة الحية العنيدة التي تستجيب بسرعة للمؤثرات الخارجية.

تصر الأم على فتح النوافذ على مصراعيها أثناء ما تسميه بـ"الحفلة"، أي أثناء تلك المكافآت الحلوة التي تحصل عليها الابنة لقاء المواظبة على التمرين، وذلك حتى تشنف هذه النغمات الحلوة مسامع الجيران أيضاً. الأم والجدة تقفان، مسلحتين بالمنظار المكبر، على القمة، لتريا ما إذا كانت الفلاحة الجارة وأقاربها يجلسون هادئين منضبطين على الدكة أمام كوخهم، وينصتون باهتمام. تريد الجارة أن تبيع لهما

الحليب والزبادي والزبد والبيض والخضروات، ولذلك ينبغي عليها الإنصات أمام البيت. الجدة تمتدح الجارة العجوز لأن لديها من فراغ البال ما يسمح لها بأن تضع يديها في حجرها، وتصغي إلى النغم المناسب. طيلة حياتها وهي تنتظر هذه اللحظة. الآن، بعد أن طعنت في السن، وصلت إلي مرادها. لقد أتحتنا الطفلة مرة أخرى. المصطافون أيضاً، يبدو أنهم يجلسون ويصيخون السمع إلى برامز. منشحة الصدر تقول الأم إنهم يحصلون على موسيقى أصيلة طازجة، تُورد إليهم مع الحليب الدافئ المضمونة طزاجته. اليوم ستقدم للفلاحة وضيوفها مقطوعات شوبان التي زرعت حديثاً في الطفلة. تنبه الأم الطفلة إلى وجوب العزف العالي، فالجارة سمعها ثقيل، وعم قريب ستمسي صماء. يستمع الجيران إذن إلى نغمة جديدة لم يكونوا يعرفونها من قبل. سيسمح لهم فيما بعد بالاستماع إليها مرارا وتكرارا حتى يحفظوها عن ظهر قلب. سنفتح الباب أيضاً حتى يسمعوا بشكل أفضل. السيل القذر من الموسيقى الكلاسيكية ينهمر من كافة فتحات المنزل، ويكتسح المنحدرات وصولاً إلى الوادي. سيشعر الجيران وكأنهم يقفون بجانب البيانو. ليس عليهم إلا أن يفتحوا الفم، وسينساب شوبان المحلوب لتوه في جوفهم. فيما بعد برامز، موسيقار المُحِبِّين، لا سيما من النساء.

تستجمع لبرهة كل قواها، وتشد أوتار البيانو، ثم تندفع فجأة إلى الأمام في اتجاه أصابع البيانو التي تقترب منها في

سرعة مريضة، مثل اقتراب الأرض من طائرة تسقط. النعمة التي لا تتصيدا منذ أول ضربة، تتركها وتنتقل إلى غيرها. بهذا تنتقم من معذبيها الجاهلين موسيقياً انتقاماً لا يلحظ. المرور على نغمات مرور الكرام يثير لديها متعة تشبعها قليلاً. لن يلحظ أي شخص غير دارس أنها تركت نغمة، أما النغمة التي تعزف على نحو خاطئ فإنها تجعل المصطافين ينتفضون من كراسي الاسترخاء. ماذا ينحدر علينا من فوق؟ في كل عام يدفعون دم قلبهم للفلاحة مقابل الهدوء الريفي، والآن تصك آذانهم ألعاب موسيقية منفرة آتية من التلال!

كالحية السامة تصيخ الجدة وابنتها السمع إلى الضحية التي امتصتا كل دمانها تقريباً. تجلسان بأزيائهما التقليدية، وفوقها المريلة المشجرة. تحافظان على ملابسهما أكثر من حفاظهما على مشاعر أسيرتهما. تتشمسان الآن تحت أشعة التفاخر بالطفلة التي بقيت على تواضعها رغم أنها حققت صيتاً ذاع في العالم كله. مؤقتاً سوف تعزل الطفلة والحفيدة عن العالم، وفي المستقبل لن تصبح ملكاً للأم والجدة وحدهما، بل للعالم بأسره. توصيان العالم بالصبر، لاحقاً سيعهد إليه بأمر الطفلة.

انظري، عدد كبير من الجمهور يستمع إليك اليوم ثانية! انظري، على الأقل سبعة أشخاص يجلسون على كراسيهم الخيزرانية الملونة. إنه اختبار لإثبات قدارتك. ولكن مع انتهاء مقطوعة برامز - أي رد فعل يصافح آذانهما؟ تتفجر نوبة من القهقهات المجلجة من حلق أولئك المصطافين في الأسفل، ياله

من صدى فظ للعزف السابق! على أي شيء يضحكون هكذا بلا سبب؟ ألا يحترمون الآخرين؟ الأم وابنتها تخطوان متسلحتين بوعاء الحليب، وتهبطان إلى الوادي لشن حملة ثأرية باسم برامز، بسبب الضحك. عند هذه المناسبة يشتكي المصطافون من الضوضاء التي أخلت بهدوء الطبيعة. ترد الأم بحدة سكين أن في سوناتات شوبرت قدرا من سلام الغابة يفوق ما يسود في الغابة نفسها، لكنهم لا يفقهون. بأنفة وتعال تصعد الأم مرة أخرى الجبل الموحش، ومعها الزبدة الفلاحية وقلدة كبدها. بكبرياء تسير الابنة حاملة وعاء الحليب. لن تظهرها علي الملأ إلا مع مقدم المساء التالي. المصطافون سيتحدثون طويلا عن هوايتهم: شرب العرق الفلاحي.

تسعر بأن أبواب الجميع موصدة في وجهها، لأن أبواب الجميع موصدة بالفعل في وجهها. البعض يواصل السير، أو يقفز عليها. تبدو في طريق الجميع عائقا صغيرا. المتجول يسير، لكنها تبقى، مثل ورقة ملقاة على قارعة الطريق، أقصى ما تفعله هو التمايل قليلا عند هبوب الريح. لا تبتعد الورقة كثيرا، إنها تتعفن في مكانها وتتحلل. التحلل يستغرق سنوات، سنوات من الملل.

دفعاً للملل حضر ابن خالها لزيارتهم، فملأ البيت بحيويته الفياضة. ليس هذا فحسب، إنه يحضر معه حياة أخرى، حياة غريبة يجتذبها إليه، مثلما يجتذب النور الفراشة. يدرس ابن الخال الطب. إنه يُخرج الشباب القروي من جحوره، مستخدماً

وسائل مثل التفاخر بنشاطاته وبمعلوماته الرياضية. يحكي النكات الطبية إذا كان راغبا في ذلك. يطلقون عليه "الجدع"، لأنه شاب شهم خفيف الدم. إنه يبرز مثل صخرة وسط الشباب القروي الصاخب الذي يحيط به والذي يبغى تقليده في كل شيء. على حين غرة تعود الحياة إلى البيت، لأن الرجل يأتي دوما بالحياة إلى البيت. بابتسامة متسامحة، وبفخر عظيم تتطلع نساء البيت إلى الشاب الذي يجري وراء رغباته وشهوته. إنهن فقط يحذرنه من الأفاعي الأنثوية اللاتي يمنين أنفسهن بالزواج اللاحق. هذا الشاب يعشق الجري وراء رغباته على مرأى من الجميع، إنه في حاجة إلى جمهور، ويحصل عليه أيضاً. حتى أمها الصارمة تبتسم. فالرجل سيجد نفسه فيما بعد يلاطم بحر الحياة العدوانية، أما الابنة فعليها أن تطمح في مغالبة أمواج الموسيقى.

يحب الجدع أن يلبس مايوها مختصراً للغاية، ويفضل - فيما يخص الفتيات - البكيني المختصر بشدة الذي دخل حديثاً موضة العصر. مع أصدقائه يحدد بالسنتيمترات المساحة التي تعرضها عليه الفتاة، ويسخر من تلك التي لا تفعل ذلك. يلعب الجدع كرة الريشة مع بنات القرية. يبذل قصارى جهده كي يدرّب الفتيات على هذه الرياضة التي تتطلب في المقام الأول تركيزاً عالياً. بسرور يمسك بمعصم البنت ليربها كيف تستخدم المضرب، بينما تذوب البنت خجلاً في البكيني المختصر. لقد ادخرت البائعة ثمن البكيني من راتبها. ترغب الفتاة في الزواج

من طبيب، وتظهر ما لديها حتى يعرف الطبيب ما سيحصل عليه. ليس بحاجة إلى أن يشتري السمك في الماء. عضو الجذع محشور حشرا في كيس ضئيل الحجم، مربوط طرفاه برباطين من الجانب، يمران بخصره ويكونان فيونكة، يسارا ويمينا. لكن الفيونكة ليست مربوطة جيدا، لأن الجذع لا يأخذ هذه الأمور على محمل الجد. في بعض الأحيان ينفك الرباط، فيجد نفسه مضطرا إلى ربط الفيونكة من جديد. إنه ميني مايو.

أحب الأشياء إلى قلب هذا الشاب هو استعراضه لأحدث فنون القتال، هنا على الجبل حيث يعرف أنه سيحصل إعجاب جمهوره. إنه يتقن أيضاً بعض حركات الجودو المعقدة. كثيراً ما يعرض حركة فنية جديدة. هذه الحركة لا يمكن أن يقاومها الشخص العادي الذي لا يعرف شيئاً في هذه الرياضة، لذا فإنه يسقط سريعاً على الأرض. ضحكات عالية تتدافع من الأفواه، والساقط على الأرض يضحك بأريحية معهم حتى لا يصبح هدفاً للسخرية. تتعلق الفتيات حول الجذع مثل الثمار الناضجة الواقعة من الشجرة. لا يحتاج سوى إلى التقاطها والتهامها، هذا الرياضي الشاب. تتعالى ضحكات البنات اللاتي يراقبن بعضهن مراقبة دقيقة بزوايا العين، ويحاولن لفت أنظار الشاب. يهبطن التلال وهن يكركن، يقفزن في الحصى أو في الحسك، ويضحكن. الشاب يقف في ربوة عالية شاعراً بالانتصار. يستقبل الفتاة التي تعترض طريقه، ويمسك بمعصمها، ثم

يضغط ويضغط. يستخدم طريقة سرية تولد تأثيرا كالرافعة، لا يعرف المرء كيف يفعل ذلك، ولكن "فتاة التجارب" تجد نفسها مجبرة بفعل قوته المتفوقة وحيلته الحقيرة على الركوع أمام قدمي الجدع. يسحبها نصف سحبة، فتسقط نصف سقطة. من يستطيع مقاومة الطالب الشاب؟ إذا كان رائق المزاج، فإنه يسمح للفتاة التي تحبو أمامه على الأرض بأن تقبل قدميه، وإلا فلن يتركها. تقبل الفتاة القدمين، وتأمل الضحية المطيعة في الحصول على قبلات أخرى، أحلى وأشهى، لأنها ستكون سرية، تمنح وتؤخذ.

ضوء الشمس يلعب مع الرؤوس التي ترتفع من المياه المتألثة في حوض الاستحمام الصغير. هي تتمرن على البيانو، وتتجاهل الضحكات المغنجة التي تتصاعد على دفعات. ناشدتها أمها، وشددت عليها النصح بالألا تهتم بما يحدث. تقف الأم على درجات الفراندا وتضحك، تضحك ممسكة بطبق به مخبوزات. تقول الأم أن الإنسان لا يعيش شبابه إلا مرة واحدة، ولكن، لا أحد يفهم ما تقول بسبب الضجيج.

بأذن واحدة لا تتوقف إريكا لحظة عن متابعة الضوضاء في الخارج التي يصنعها ابن خالها مع البنات. تنصت إليه وهو يقضم الزمن بأسنانه السليمة، ثم وهو يلتهمه بشهية. أما هي فكل ثانية تعبر، تزيد وعيها بالزمن، وتسبب لها مزيدا من الألم. في رتابة الساعة تضرب أصابعها على البيانو. القضبان

الحديدية تسد نوافذ الحجرة التي تتدرب فيها. ظلال القضبان كالصليب الذي يُشهر أمام الهرج والمرج في الخارج، وكأنه يحول دون دخول مصاص دماء.

الشاب يقفز الآن إلى حوض الاستحمام ليها بتبريد جسده الفائز. امتلأ الحوض لتوه بالمياه المنعشة، مياه جوفية في برودة الثلج، الشجاع وحده - طوباه، لأن له هذا العالم - يجرؤ على السباحة فيها. بافتخار ومرح يطفو الجذع على سطح المياه وكأنه حوت. إنها تلاحظ ذلك، دون أن تراه. مع صيحات "برافو" تقذف الصديقات الجدد للطبيب اللاحق بأنفسهن، وينضمن إليه، إلى أن يمتلئ الحوض. ياله من زحام، وياله من رذاذ! إنهم يقلدون الجذع في كل شيء، تقول الأم ضاحكة. تغض الطرف عما يحدث. أيضاً نيتة العجوز، التي تتقاسمها إريكا مع ابن الخال، تسرع في المجيء لتتفرج على شيطنة الطلبة. نيتة الهرمة تتال نصيبتها من الرذاذ أيضاً لأن الجذع لا يحترم أحداً أو شيئاً، ولا حتى السن. ومع ذلك تضحكان لما يفعل الحفيد الذكر المفعم بالحياة. تنتقد الأم الجذع لأنه لم يبرد فم المعدة ببطء قبل النزول إلى الماء، لكنها تضحك في نهاية الأمر - رغماً عنها - أشد من الآخرين، ترتج ارتجاجاً، وتكاد من شدة الضحك أن ترتجف عندما قام الجذع بتقليد كلب البحر تقليداً يفوق الحقيقة. ترتجف الأم وتتغضض، وكأن شخصاً يحرك كريات زجاجية في داخلها. يبالغ الجذع ويقذف كرة قديمة في الهواء، ثم يلتقطها بأنفه، ولكن حتى البهلوانية تحتاج إلى

تمرين. ينفجرون جميعاً في الضحك، يهزهم الضحك حتى يكادوا يقعون، وتسيل دموعهم. يعلو صوت أحدهم بالغناء على طريقة أهل الجبال، ويطلق آخر صيحة تهليل. بعد قليل سيتناولون طعام الغداء. من الأفضل للصحة تبريد الجسم قبل الأكل، وليس بعده.

البيانو يلفظ آخر أنغامه التي تتبدد في الجو، أربطة يديها تسترخي، المنبه - الذي ضبطته الأم بنفسها لتحديد وقت البروفة - يرن. تقفز إريكا في منتصف النغمة وتعدو بمشاعر شبابية ملتبسة، حتى تحضر البقية الباقية من الغناء والرقص. ابنة العمة تستقبل في الخارج الاستقبال اللائق بها. مرة أخرى كان لا بد عليك أن تقضي كل هذا الوقت في التمرين؟ على الأم أن تتركها في حالها، فنحن في إجازة. لا تسمح الأم بأي تأثير سيئ على طفلتها. الجدع، الذي لا يدخن ولا يشرب، يقضم بأسنانه قطعة خبز وعليها سجق. رغم أن الطعام سيكون جاهزاً بعد قليل، لا تستطيع ربات البيت أن يمنعن ضيفهم العزيز من تناول قطعة خبز، ثم يتناول الجدع زجاجة شربات توت - قطن ثماره بأيديهن - ويسكب منه بسخاء في كوب كبير يسع نصف لتر، ثم يملأه من ماء النبع، ويفرغه في جوفه. لقد استمد الآن طاقة جديدة. مستمتعا بمسح براحة يده على بطنه ذي العضلات القوية. يمسخ أيضاً على عضلات أخرى. تستطيع الأم والجدة التناقش لساعات عن شهية الجدع المباركة. وتتنافسان في تبادل المعلومات التفصيلية المبتكرة حول التغذية،

وتتساجران طوال اليوم حول أطعمة الجذع المفضلة. هل يفضل البفتيك من لحم الخنزير أم من اللحم البقري؟ الأم تسأل ابن الخال عن تقدمه في الدراسة، وابن الخال يجيب بأنه يود أن ينسى الدراسة لبرهة من الزمن. يريد أولاً أن يعيش شبابه ويستمتع به، فسيجيء اليوم الذي يقول فيه إن فترة شبابه قد ولت وانقضت.

ينظر الجذع في عينيها، وينصحها بأن تضحك قليلاً. لماذا هي جادة هكذا؟ ينصحها بممارسة الرياضة، لأنها تتيح فرصة للضحك، وتترك عموماً أثراً إيجابياً على الإنسان. الفرحة الرياضية تدفع ابن الخال إلى القهقهة، إلى درجة أن أشلاء السجق والخبز تطير من حلقه المفتوح عن اتساعه. يتأوه بهجةً. ثم يتمطى مستعرضاً جسده المفتول. يدور حول نفسه مثل النحلة، ثم يلقي بنفسه على المرج، وكأنه ميت. لكنه سرعان ما يقفز ثانية، لا داعي للخوف. إذ إن الوقت قد حان الآن لتطبيق ضغطة يده المشهورة على ابنة العمّة الصغيرة التي يريد المرء إدخال السرور إلى قلبها. ابنة العمّة تسعد بالفكرة، والعمّة تغضب.

كالسهم تبدأ رحلتها إلى أسفل، وداعاً. سفرة بلا عودة. يهبط محورها الطولي، وينزل المصعد إلى الأعماق، بسرعة رهيبية تمر عليها الأشجار، الدرايزين الصغير بالورد البري عليه، وأعين الواقفين، ثم يختفي كل ذلك من مجال رؤيتها. تجذب فجأة إلى أعلى. يتكور هيكلها العظمي، فوق رأسها

تحس بشعر صدره، الحد الفاصل يتزحزح، في مجال البصر الآن رباط المايوه الذي يحمل الطرد وداخله خصيتاه. بإيحاء وشمم يظهر إثر ذلك جبل إيفرست الأحمر الصغير، وفي لقطة مكبرة ترى أسفله الشعر الطويل الأشقر على الفخذ. وفجأة يتوقف المصعد. الطابق الأرضي. في الخلف، في مكان ما من ظهرها، تسمع طقطقة فظة من عظامها، صرير المفاصل التي ضُغِطت فجأة. وها هي الآن ترقع هناك، هيه! لقد نجح الجدع مرة أخرى في أخذ فتاة على حين غرة. إنها ترقع أمام ابن خالها في الإجازة الصيفية، وأطفال الإجازة يتراصون أمام عينيها. مثل طبقة خفيفة من الطلاء تلمع الدموع على وجهها، تزيلها، وتضع قناعاً ضاحكاً يكاد يتفتق. هذا الشقي تمكن منها، والآن يقف سعيداً للغاية بنصره. ثم تزرع زرعاً على أرضية المرعى الجبلي. تصيح الأم مرتاعة، كيف يعامل شباب القرية طفلتها على هذا النحو، هذه الابنة الموهوبة التي يُعجب بها الجميع.

الطرد الأحمر الصغير المحشو بالجنس يتأرجح أمام أعينها. الطرد ملك شاب لا تستطيع فتاة أن تقاوم إغواءه. عليه تستند وجنتاهما لبرهة قصيرة. هي نفسها لا تعرف كيف تجرأت على ذلك. إنها تريد أن تشعر به مرة واحدة، تريد أن تمس بشفتيها مرة واحدة هذه الكرة اللامعة المعلقة على شجرة عيد الميلاد. لحظة واحدة تكون فيها هي المُستقبلة لهذا الطرد. تمسح بشفتيها فوقه - أم أنها فعلت ذلك بنقنها؟ رغماً عن

إرادتها الحرة فعلت ذلك. لا يعرف الجدع أنه داس بأقدامه على فوهة بركان ابنة عمته. تنتظر وتنتظر. الطرد موضوع أمامها مثل عينة تحت الميكروسكوب. فلتنريث هذه اللحظة قليلا، فما أجملها.

لم يلحظ أحد شيئا، كلهم تحلقوا حول الأطعمة. الجدع يطلق سراحها على الفور، ويرجع خطوة إلى الوراء. نظرا إلى الظروف لن يطلب اليوم تقبيل القدم وهو ما يُنهي في أغلب الأحوال هذا التمرين. يتحرك بمرونة ويرخي عضلاته، مرتبكا يقفز قليلا، من الأرض إلى الهواء، ثم يسرع في الابتعاد عن المكان بقفزات واسعة. تبتلعه المروج. تدعو السيدات الآن إلى الطعام.

طار الجدع واختفى، قفز من العش. لم يقل حرفاً. عما قريب سيختفي تماماً، وسيبته عدد من زملائه الذكور. فليبدأ صيد الحيوانات البرية. غيابيا تصدر الأم حكما مخففا على الجدع المتهم بالشيطنة والاندفاع. أجهدت الأم نفسها في الطبخ، والآن تركوها وحدها.

لا يعود الجدع إلا بعد مرور وقت طويل. الهدوء المسائي يسود المكان كله، البلبل وحده عند الغدير. يلعبون جميعا الورق على الفرندا. بنصف وعي ترفرف الفراشات حول مصباح الكيروسين. أما هي فليس هناك دائرة مضيئة تجذبها. إنها تجلس بمفردها في غرفتها، معزولة عن الجماهير التي نسيت أمرها. خفيفة الوزن هي، خفيفة للغاية، لذا فهي لا تضغط على

أحد. من لفة صغيرة تُخرج بعناية شفرة حلقة. تحملها دوماً معها أينما ذهبت. تضحك الشفرة في وجهها كما يضحك العريس للعروس. بحذر تتفحص النصل. مسنون وقاطع. ثم تضغط بالنصل عدة مرات على ظهر يدها، ليس عميقاً حتى لا تجرح الأربطة. لا تشعر بالألم إطلاقاً. المعدن يشق طريقه وكأنه ينغرز في قطعة زبدة. لبرهة تتفرج فتحة في النسيج مثل فتحة الحصاة، وعندئذ يندفع الدم من خلف الحاجز الذي كان يلجمه بمشقة. تجرح نفسها في أربعة مواضع إجمالاً. ثم تكتفي بذلك، وإلا ستموت نزفاً. تمسح شفرة الحلقة مرة أخرى، ثم تلفها في الورق. طوال الوقت ينساب من الجروح ويسيل دم أحمر فاتح، ويلطخ كل ما في طريقه. ينساب دافئاً، مولداً شعوراً نسبياً بالراحة. سائل لا يعرف التخثر. لا يتوقف عن السيلان. يلون كل شيء بالأحمر. أربع فتحات ينبثق منها الدم بلا توقف. على الأرضية وأيضاً على ملاءة الفراش تتحد الجداول الأربعة مكونة نهراً كاسحاً. "اتبع دموعي، وقريباً سيستقبلك الجدول". بركة صغيرة تتكون. ما زال الدم يسيل. يسيل ويسيل ويسيل ويسيل.

المعلمة إريكا، حسنة الهندام كالمعتاد، تغادر بلا ندم مكان عملها، منهيّة نشاطها الموسيقي لهذا اليوم. نفخات من النفير والبوق، ونغمات متفرقة من آلات كمان، تدافعت من النافذة وصاحبت انصرافها الذي لم يلفت انتباه أحد. نغمات على سبيل المرافقة. لا تكاد درجات السلم تشعر بخطوات إريكا. ليست الأم اليوم في انتظارها بالخارج. بعزم وتصميم تشرع إريكا على الفور في السير على طريق قطعته مرات عدة قبل اليوم. لا تقود الطريق في خط مستقيم إلى البيت. ربما يستند ذئب ضخم إلى عمود برق ريفي، ذئب شرير ينظف أسنانه من بقايا لحم آخر ضحاياه. تبغي إريكا أن تبدأ فصلاً جديداً في حياتها المملة الرتيبة، وبنظراتها تريد أن تدعو الذئب. ستلمحه من بعيد، وعلى الفور ستسمع خشخشة تمزق القماش، وتهتك الغشاء. سيحدث ذلك في آخر المساء. من الضباب الذي يغلف نصف الحقائق الموسيقية، سيبزغ الواقع المحسوس. بطموح تخطو إريكا أولى خطواتها.

شوارع كالهوات العميقة تفتح أفواها ثم تغلقها، لأن إريكا لم تحسم أمرها بعد بالسير فيها. عندما يغمز رجل لها بالصدفة فإن إريكا تحدق بثبات أمامها. ليس هذا هو الذئب، وفرجها لا يطير بجناحيه، بل يتصلب كالفولاذ. مثل حمامة ضخمة تحرك

إريكا رأسها بحدة وعصبية، فيواصل الرجل سيره على الفور، ويقنع من الغنيمة بالإياب. يفزع الرجل لدى رؤية القبر الذي حفرته قدماه، ويطرد على الفور من رأسه فكرة أن يستخدم هذه المرأة، أو أن يحميها. ملامح وجه إريكا تكتسب حدة متعجرفة، الأنف، الفم، كل عضو يغدو سهما يمرق في المنطقة ويشير إلى الاتجاه والهدف: المضي قدما. شردمة من المراهقين تتفوه بملاحظات تستهجن سلوك السيدة إريكا. لا يعرفون أن أمامهم الأستاذة البروفيسورة. لا يقدمون الاحترام اللائق. جونلة إريكا المخططة ذات الكسرات تغطي الركبة تماما، ولا مليمتر فوقها، ولا تحتها. وبلوزة حريرية تغطي، إذا نظرنا إلى مقاسها، جذع إريكا تماما. شنطة النوتات الموسيقية مثبتة كالمعتاد تحت الذراع، والسوستة مشدودة بصرامة. لقد أغلقت إريكا كل شيء يمكن إغلاقه.

فلنأخذ الترام جزءاً من المسافة، الترام الذي ينقل الركاب إلى الضواحي خارج فيينا. الاشتراك الشهري لا يصلح في هذا الترام، على إريكا أن تشتري تذكرة أخرى. وإلا فلن تستطيع أبدا أن تستقل الترام إلى هنا. هذه أحياء لا يزورها المرء، ما دام أنه ليس مجبرا على ذلك. تلاميذها أيضاً لا يسكنون مثل هذه المناطق إلا نادرا. الموسيقى هنا لا تدوم أكثر من مدة تشغيل أسطوانة في صندوق الموسيقى بالمقاهي.

مطاعم شعبية صغيرة في الأركان تبصق ضوءها على الرصيف. في الجزر المضاءة مجموعات تتشاجر لأن أحد

الأشخاص ادعى ادعاءات غير صحيحة. نظر إريكا يصطدم بأشياء عديدة لا تعرفها. هنا وهناك تترك محركات الموتوسيكلات شغالة، أو ترسل فجأة وعلى غير توقع فرقعاتها المَطْقطة في الأجواء. ثم يبتعدون في سرعة الريح وكان أحدا في انتظارهم. في القاعة الملحقة بالكنيسة يقيمون حفلة منوعات، ويريدون إبعاد سائقي الموتوسيكلات هؤلاء لأنهم يخلون بالسلام والهدوء. في أغلب الأحوال - وتحقيقا للاستفادة القصوى - يجلس شخصان على الدراجة الخائرة القوى. ليس في قدرة كل شخص امتلاك موتوسيكل. أما السيارات الصغيرة هنا في الضواحي فإنها تحشر حشراً حتى السنتيمتر الأخير. كثيراً ما تجلس الجدة الهرمة فخورة وسط أقاربها الذين يصحبونها في نزهة بين قبور المدافن.

تنزل إريكا من الترام. من هذه المحطة تواصل السير مشياً على الأقدام. لا تلتفت يمناً أو يسرة. العاملون في سوبر ماركت يغلِقون أبوابه بالترباس، وأمامه تتبادل ماكينات الثرثرة النسائية آخر ما لديها من أحاديث هادئة النبض. صوت عالي الطبقة يغطي على آخر من طبقة الباريتون: لقد أصاب العفن كميات كبيرة من العنب، لا سيما العناقيد الموجودة في قاع الأقفاس البلاستيكية. ولهذا لم يشتري منه أحد شيئاً اليوم، ما يتطرق إليه المرء أمام الآخرين بصوت عالٍ مصلصل لا يعدو كونه كومة فضلات من الشكاوى والغضب. عاملة على الخزينة تصارع آلتها خلف الأبواب الزجاجية المغلقة، تحاول،

وتحاول، ولا تستطيع أن تعرف أين الخطأ. طفل على "الحجالة"^(٢)، وآخر يسير جواره باكيا صارخا لأنه يريد، حسب الاتفاق، أن يركب الآن. الطفل الآخر يتجاهل رجاء زميله الأقل شأنا. في أحياء أخرى لم يعد المرء يرى مثل هذه الحجالات، تفكر إريكا. لقد تلقت هي أيضاً يوماً ما حجالة، وسعدت بها جداً. ولكن لم يُسمح لها باللعب بها والسير في الشارع، لأن الشارع يقتل الأطفال.

أم توجه لكمة كالإعصار إلى رأس طفلة عمرها أربع سنوات تقريبا، فتعيدها إلى القفا، ثم تلف الرأس وتدور في حيرة، مثل الرجل-اللعبة الذي يقف على كرة، ثم يفقد توازنه، ويحاول بأقصى جهده أن يستعيده. تستقيم في النهاية رأس الطفلة مرة أخرى، ثم تبدأ في إطلاق أصوات مرتعشة، فتتال على الفور لكمة من المرأة النافذة الصبر، تُخرجها ثانية من وضعها العمودي. الأيام الأكثر سواداً التي تنتظر الطفلة مكتوبة على جبينها بحبر سري. هي، المرأة، تحمل أكياساً ثقيلة، وإن خيروها، ستود أن تختفي هذه الطفلة في إحدى مواسير المجاري. حتى تتمكن من تعذيب الصغيرة، تجد نفسها مجبرة في كل مرة على وضع الأكياس الثقيلة على الأرض، وهو ما يزيد مراحل العمل. ولكن يبدو أن الأمر يستحق الجهد الإضافي الصغير الذي تبذله. تتعلم الطفلة لغة العنف، ولكنها لا

(٢) قطعة خشبية مستطيلة مثبت بها عجلتان صغيرتان، يقف عليها الطفل بقدم، و بالقدم الأخرى يدفع الأرض فتسير الحجالة. (المترجم)

تحب التعلم، ولا تفهم في المدرسة شيئاً. تتقن بضع كلمات لا يمكن الاستغناء عنها، وإن كان المرء لا يفهمها بوضوح تام بسبب سرسعتها.

بعد وقت قليل تتخلف المرأة والطفلة الصاخبة وراء إريكا. لو توقفتا على الدوام! فلن تستطيعا أبداً مجاراة الزمن السريع الزوال. القافلة إريكا تواصل تقدمها. هذه منطقة سكنية بحتة، ولكنها ليست بالجيدة. الآباء المتأخرون يتسللون إلى أبواب المنازل الجانبية، وهناك يهبطون على عائلتهم كالقضاء المستعجل. أبواب السيارات الأخيرة تصطفق، بكبرياء وثقة، فالسيارات الصغيرة هنا هي المعشوقات العلنية للعائلات، وتستطيع لذلك أن تفعل ما تشاء. بلطف تظل تومض وهي واقفة على حافة الرصيف، بينما يسرع أصحابها لتناول العشاء. من ليس له بيت الآن، يتمنى بالطبع واحداً، لكنه لن يستطيع أبداً أن يبني شيئاً مثله، ولا حتى بمساعدة "صندوق البناء" للتوفير بقروضه السخية. من يسكن هنا، هنا تحديداً، يحب في الغالب أن يقضي وقته خارج البيت، وليس فيه.

الآن يتزايد عدد الرجال الذين يتقاطعون مع طريق إريكا. اختفت النساء، وكان كلمة سحرية سرية قد أدخلتهن إلى جحورهن التي يُطلق عليها هنا "شقق". في مثل هذا الوقت لا يسرن وحدهن في الشارع، فقط برفقة العائلة يخرجن لتناول كأس من البيرة أو لزيارة الأقارب، فقط إذا كان شخص بالغ معهن. في كل مكان يصادف المرء ما عملته ونسجته أيديهن،

عمل لا يلفت الانتباه، ولكن ما أمس الحاجة إليه. أبخرة المطبخ. في بعض الأحيان يصدر صليل خافت من حلق الطبخ، أو الشوك التي تحك سطحاً معدنياً. وراء هذه النافذة الزرقاء تتحرك بسرعة الحلقة الأولى من سلسلة العائلات المسائية، ثم وراء تلك النافذة، وبعد ذلك وراء نوافذ عديدة. قطع من الكريستال المتأكل يترصع بها الليل الزاحف. تتحول واجهات المنازل إلى كواليس مسرح ضخم، وخلفها لا يستطيع المرء أن يخمن ما يحدث، كل شيء متشابه، وعلى أشكالها تقع المتشابهات. الأصوات الصادرة عن أجهزة التليفزيون وحدها هي الحقيقية، إنها الحدث الفعلي الوحيد، وحولها يشاهد الناس جميعاً في الوقت نفسه الشيء ذاته، إلا في حالات نادرة يشاهد فيها شخص بمفرده حلقة "من العالم المسيحي" في القناة الثانية. هؤلاء الفرديون يتلقون التعاليم المدعمة بالإحصائيات عن انعقاد مؤتمر كاثوليكي. من يريد أن يكون اليوم مختلفاً عن الآخرين، فعليه أن يدفع الثمن.

هنا: حروف ألمانية تُلوى في أفواه تركية وتخرج كالنباح. الصوت الثاني يلحق بالأول على الفور - أصوات حلقيّة، صربية كرواتية، من طبقة التينور المعارضة للطبقة السابقة. أسراب من الرجال يندفعون كالأسهم، فرق قتال صغيرة، تأتي فرادى بعد أن طاردها العدو، والآن تتجمع في هجوم على

هدف مشترك: أحد البواكي تحت جسر الترام^(٣). سدوا الباكية وبنوا فيها محل "بيب شو"^(٤) في التجويف الذي كان قوسا، والذي يمرق فوقه الترام مسابقا للريح. كل مساحة، مهما كانت صغيرة، تم استغلالها ببراعة، ليس هناك زاوية فلتت من الاستغلال. عمارة الأقواس مألوفة للأتراك حتما - ولو بالتقريب - من المساجد. وربما يذكرهم المكان كله بالحرملك. باكية مجوفة تماما لهن وخدمهن، تزدهم بالنساء العاريات. واحدة بعد الأخرى، سيجيء دور كل منهن. جبل فينوس^(٥) المصغر. في حجم المنمنمات. الفارس يقترب ويدق على سفح الجبل بعصاه^(٦). من الطوب الأحمر، قوس الترام هذا، وبداخله

(٣) أحد خطوط الترام في فيينا، ويُسمى "ترام المدينة" Stadtbahn ، يسير فوق جسر قديم يربط بين عدد من أحياء المدينة، والجسر مبني على شكل بواكٍ (أقواس). وفي العقود الأخيرة تمت الاستفادة من بعض هذه البواكي كمحلات تجارية. (المترجم)

(٤) كلمة "بيب" كلمة انجليزية تعني استراق النظر. والمقصود بـ "بيب شو" هو العرض الذي تقدمه امرأة عارية بهدف الإثارة الجنسية للمتفرج الذي يجلس في كابينة بها شباك صغير، ينفتح لبعض الوقت مقابل إسقاط قطعة نقدية معدنية. فإذا رغب الزبون في متابعة الفرجة عليه أن يواصل إسقاط القطع المعدنية. (المترجم)

(٥) تعبير "جبل فينوس" يحمل بالألمانية معنيين؛ فهو يعني الجبل الذي كانت تسكنه الإلهة فينوس، ربة الحب والجمال المعروفة عند الرومان، كما يعني أيضا عورة المرأة. (المترجم)

(٦) الفارس هنا إشارة إلى الفارس تانهويزر، بطل أسطورة ألمانية من القرون الوسطى، وفيها تغري فينوس الفارس إلى جبلها السحري. وقد استند ريشارد فاغنر على هذه الأسطورة في أوبرا "تانهويزر وحرب المغنيين على جبل فارت". (المترجم)

وقع بعضهم في عشق امرأة جميلة. إنه مصمم وفق الرغبات تماما، هذا المحل الصغير الذي تتمطى فيه النساء العاريات وتتلوى. يتناوبن في ما بينهن. يتبادلن أماكنهن في سلسلة معروفة من محلات "البيب شو" وفق مبدأ اللارغبة المعروف، حتى يتفرج الزبون الدائم والمنتظم على لحم يتغير بصورة دورية وبايقاع محدد، وإلا فلن يجيء مرة أخرى. صاحب الاشتراك. إنه في نهاية الأمر يحمل نقوده الغالية إلى هنا، ويلقي بها، قطعة إثر قطعة، داخل فتحة منفرجة لا ترتوي. ففي اللحظة التي يصبح فيها الأمر مثيرا، ودائما عندئذ تماما، لا بد عليه أن يلقي بقطعة من فئة العشرة شلنات. يد تلقي، والأخرى تستحلب الفحولة وتقدف بها بلا طائل ناحية الشباك. يأكل الرجل في البيت أكل ثلاثة، ثم يدع عصير ذلك يصطفق هنا على الأرضية بلا تكرات.

كل عشر دقائق يمر الترام الفينائي الكهربائي كالرعد فوق الجسر، فيزعزع أساس الباكية كلها، لكن البنات يواصلن التلوي بتصميم لا يتزعزع. يعرفن المكان جيدا. والمرء يتعود على الدوي المكتوم الذي يتفجر بين الحين والآخر. يسقطون النقود في فتحة العملة، فينفتح الشباك مصدرا تكة، ويظهر لحم وردي. معجزة التكنولوجيا. غير مسموح للمرء بمهاجمة هذا اللحم، وحتى لو أراد فإنه لن يستطيع بسبب الجدار العازل. النافذة التي تطل على طريق الدراجات بالخارج مغطاة بالكامل بورق أسود، وعليه لصقوا زخارف جميلة باللون الأصفر.

مرآة صغيرة مثبتة في الورق الأسود، فيها يستطيع المرء أن يتفرج على نفسه. لا يعرف المرء لأي غرض، ربما كي يستطيع المرء بعدها أن يمشط شعره. ملحق بالكبائن "سكس شوب" صغير. هناك بإمكان المرء شراء ما ولد لديه الرغبة. لا يستطيع المرء هناك اقتناء نساء، ولكن على سبيل التعويض ثياب نايلون دقيقة الحجم، مزودة بفتحات كثيرة، وحسب الطلب تكون الفتحات في الأمام أو في الخلف. الرجل يلبسها امرأته في البيت، وعندئذ يستطيع أن يلج دون أن تضطر المرأة إلى خلع البنطلون تماما. هناك بلوزات مناسبة، لها في الأعلى فتحتان دائريتان، ومنهما تُخرج المرأة نهديها. البقية تبقى مغطاة بقماش شفاف تماما. والقطعة كلها محاطة بدانتيل رقيقة. للمشتري الاختيار بين الأحمر القاني والأسود. امرأة شقراء يناسبها أكثر اللون السود، امرأة سمراء يناسبها الأحمر. هناك أيضاً كتب ومجلات، أفلام قصيرة وشرائط فيديو يختلف سُمك طبقات الغبار التي تعلوها. هذا الصنف من البضاعة كاسد تماما، فالزبون ليس لديه في البيت الجهاز اللازم. الراج أكثر هو الأصناف المطاطية الصحية المضلعة من الخارج بأشكال مختلفة، وكذلك العرائس التي يمكن نفخها. في البداية يتفرجون في الداخل على المرأة الحقيقية، وبعد ذلك يشتررون التقليد في الخارج. لأن المشتري للأسف لا يستطيع أن يصطحب السيدة الجميلة العارية معه، ويتعامل معها في غرفته المصونة إلى أن تنفجر. أولئك النساء لم يعشن أي خبرة تهزن من الأعماق،

وإلا فلن يعرضن أنفسهن هكذا للفرجة. وإلا سيذهبن عن طيب خاطر، بدلا من أن يتظاهرن بأنهن يفعلن. هذه المهنة لا تصلح للمرأة. في استطاعة الرجل أن يأخذ أي واحدة معه، فكلهن في الحقيقة سواء. الاختلافات بينهن ليست جوهريّة، هي في لون الشعر على أقصى تقدير، بينما الرجال شخصيات فردية، لها أذواق تختلف فيما تحب أو تفضل. الخنزيرة الشهوانية وراء الشباك، أي على الجانب الآخر من الحاجز، تشعر - على سبيل التعويض - برغبة حارقة في أن ينقطع أثناء الاستمناء زب هذا الثور الهائج خلف القرص الزجاجي. وبهذا يحصل كل على شيء من الآخر، وينتشر الاسترخاء في الأجواء. لا خدمة بدون مقابل. إنهم يدفعون، ويحصلون في المقابل على شيء.

كافة القطع المعدنية من فئة العشرة شلنات تستخرج الآن من شنطة يد إريكا الصغيرة، التي تحملها إضافة إلى شنطة النوتات الموسيقية. لا تضل امرأة طريقها إلى هنا إلا في أندر الأحوال، ولكن إريكا تريد دوما الحصول على شيء فريد. هكذا هي. إذا كان كثيرون على هذا النحو أو ذاك، فإنها مبدئيا العكس من ذلك. إذا قالوا هم يمينا، قالت هي يسارا، وتكون فخورة تماما بما تقول. لن تلتفت إريكا الأنظار إلا هكذا. الآن تريد دخول المحل. بخجل تتحاشى - هذه الظاهرة الآتية من عالم آخر - المستعمرات اليوغسلافية والتركية، والجزر اللغوية المنعزلة. فجأة يفقدون جسارتهم، وهم الذين يودون هناك عرض أي امرأة لو استطاعوا. يصيحون وراء ظهر إريكا

بأشياء لا تفهمها لحسن حظها. مرفوعة الهامة تسير. لا أحد. يمد يده ناحية إريكا، ولا حتى سكران في أشد حالات السكر. كما أن رجلا مسنا يراقب الأمور. هل هو صاحب المحل، أم المؤجر؟ رجال أهل الحي لا يظهرون إلا فرادى، ويسيرون منكمشين بجانب السور. ثقتهم بذاتهم لا تقويها أي مجموعة، بالإضافة إلى ذلك فإنهم يجدون أنفسهم هنا مجبرين على الاحتكاك بأشخاص يتجنبونهم في المعتاد إذا صادفهم في الطريق. يحدث اتصال جسدي غير مرغوب فيه، والاتصال المرغوب لا يحدث. غريزة الرجل للأسف قوية. لكنها لم تعد تكفي لـ "عمل واحد" حقيقي، بالكاد تكفي لـ "واحد أخير". أهالي المنطقة يمشون مترددين بحذاء سور البواكي. في القوس أمام "الشو الكبير" محل لبيع أدوات التزحلق على الجليد، وقبله بقوس محل لبيع الدراجات. كلها نائمة الآن، الظلام في الداخل حالك. أما هنا فإن ضوء المصابيح اللطيف ينتشر خارجها، ويجذب هذه الفراشات الليلية الجريئة التي تريد أن ترى شيئاً مقابل النقود التي تدفعها.

كل مفصول عن الآخر فصلاً صارماً. الكبائن الخشبية مفصلة على قدهم تماماً. الكبائن ضيقة وصغيرة، وسكانها المؤقتون أناس صغار. بالإضافة إلى ذلك - كلما صغر الحجم، كلما زاد عدد الكبائن. وهكذا يستطيع عدد كبير نسبياً، في وقت قصير نسبياً، أن يشعروا براحة ملحوظة. الهموم يأخذونها معهم عند المغادرة، ولكن الحيوانات المنوية الثمينة تبقى.

عاملات التنظيف يبذلن جهدا فائقا في الإجهاز على هذه الحيوانات. مع أن كل حيوان - لو سألناه - يرى في نفسه القدرة الخارقة على التكاثر. الكبائن كلها مشغولة معظم الوقت. المحل منجم ذهب، صندوق مليء بالكنوز. بصبر يقف العمال الأجانب في مجموعات، الواحدة تلو الأخرى. يقتلون الوقت بالنكات عن النساء. صغر الصندوق يتناسب تناسبا مباشرا مع صغر شققهم الخاصة التي لا يشغلون في بعض الأحيان إلا ركنا بها، أي أنهم متعودون على ضيق المكان، ويستطيعون هنا أن ينفصلوا عن الآخرين بجدار عازل. غير مسموح بدخول أكثر من شخص واحد في الكابينة في الوقت نفسه. هناك ينفرد الإنسان بذاته. المرأة الجميلة تبرز من الكوة بمجرد إسقاط العملة. نادرا ما يدخل أحد إلى الشقتين الانفراديتين اللتين تقدمان خدمة فردية للرجل ذي الرغبات الخاصة. فنادرا ما يجيء إلى هنا رجل يستطيع الإفصاح عن رغبات خاصة.

إريكا، السيدة المدرسة بشحمها ولحمها، تدخل المحل. يد تمتد، مترددة، ناحيتها، ثم تتراجع. لا تذهب إلى الجزء المخصص للعاملين في المحل، بل إلى قسم الزبائن الدافعين، إنه القسم الأهم. هذه المرأة تريد التفرج على شيء تستطيع رؤيته بثمن أرخص بكثير في مرآة البيت. يندهش الرجال اندهاشا عالي الصوت، لأنهم يوفرون من طعامهم حتى يجيئوا هنا لتصيد النساء سرا. على أهبة الاستعداد، هؤلاء الصيادون.

يراقبون الفريسة من ثقب الفرجة، ونقود العمل تُستهلك بسرعة. لا يمكن أن يفوت الرجال شيء أثناء الفرجة.

إريكا هي الأخرى لا تريد سوى المشاهدة. هنا، في هذه الكابينة، تتحول إلى لا شيء. لا شيء يتناسب مع إريكا أو يستطيع التغلغل داخلها. ولكنها تغلغت داخل هذه الصومعة وتناسبت معها تماما. إريكا جهاز مضغوط في شكل بشري. يبدو أن الطبيعة لم تترك فيها فتحات. تشعر إريكا بلمس الخشب المصمت في المكان الذي صنع فيه النجار الثقب لدى المرأة الحقيقية. الخشب إسفنجي، هش، ويشعر بالوحدة في الغابة الاستوائية. العفونة تواصل توغلها داخله، بيد أن السيدة إريكا تتبختر في مشيتها منفوشة الريش. إنها تتعفن في الداخل، لكنها تصد الأتراك بنظرتها. يريد الأتراك بعثها إلى الحياة، لكنهم يرتدون خاسرين عند حدود سيادتها. تخطو إريكا إلى الأمام، سيدة كاملة، وتدخل مغارة فينوس. لا يعاملها الأتراك بتهذب، ولكن أيضاً من غير وقاحة. يدعون إريكا تمر حاملة الشنطة المكتظة بالنوتات الموسيقية، بل يسمحون لها بأن تأخذ مكان شخص ينتظر قبلها، دون أن يوجه إليها أحد كلمة عتاب. إنها ترتدي قفازاً أيضاً. بشجاعة يقول لها الرجل الواقف على الباب "سيدتي المحترمة". تفضلي، إلى الأمام، يدعوها للدخول إلى صالون الضيوف، حيث ترسل المصاييح الصغيرة أشعتها الساطعة المريحة فوق الأتداء والفروج. مثلثات مغطاة بالشعر تبرز في توهج، لأنها هي أول ما تقع عليه عينا الرجل، هذا

من القوانين هنا. ينظر الرجل إلى اللاشيء، ينظر إلى النقص الخالص. في البداية ينظر إلى هذا اللاشيء، وبعد ذلك تأتي البقية من جسم ماما.

تحصل إريكا على كابينه "دي لوكس". لا يتوجب عليها الانتظار، السيدة إريكا. ولذلك ينتظر الآخرون فترة أطول. الفلوس مستعدة، كاليد اليسرى أثناء عزف الكمان. في أثناء النهار تحسب في بعض الأحيان كم مرة ستفرج مقابل الشلنات المدخرة. توفر هذه النقود من ثمن جاتوه العصر. الآن يمر شعاع من الضوء الأزرق على قطعة من لحم. حتى الألوان يستخدمونها استخداما مقصودا يصل إلى الهدف! من الأرض ترفع إريكا منديلا ورقيا ملتصق الأجزاء بفعل الحيوانات المنوية، وتضعه أمام أنفها.. تستشق بعمق، وتتنظر، وتستهلك بعض الوقت.

ثمة نواد يُسمح فيها للزبون بالتصوير أيضاً. هناك ينتقي كل واحد الموديل الخاص به، حسب نوقه ومزاجه، لكن إريكا لا تريد القيام بفعل، لا تريد إلا المشاهدة، تريد ببساطة أن تجلس هادئة، وتشاهد. تتفرج. إريكا تشاهد من غير أن تلمس. لا تشعر إريكا بشيء، وليس لديها فرصة لمداعبة جسدها. تنام الأم في سرير بجانبها، ولا تدع يدي إريكا تغيبان عن عينيها. على هاتين اليدين أن تتدربا، لا أن تتسلا تحت الغطاء مثل النمل، ثم تحوما حول برطمان المربي، وحتى عندما تجرح

إريكا نفسها، أو تتخز جلدھا، فإنھا لا تكاد تحس بشيء. حواس
الوجه فقط هي التي تزدهر لدى إريكا ازدهارا ملفتا.
من الكابينة تفوح رائحة المطهرات البغيضة. عاملات
التنظيف هن أيضاً نساء، وإن كان مظهرهن الخارجي لا يوحي
بذلك. إنهن يملمن أشلاء الحيوانات التي طرحها هؤلاء
الصيادون أرضاً، ثم يلقين بها بلا اكتراث في دلو قذر. ولا
يمر وقت حتى يُلقى مرة أخرى منديل مكرمش في صلابة
الخرسانة. فيما يتعلق بإريكا فإنھا ترى أن بإمكانهم أن يتوقفوا
قليلاً، ليريحوا عظامهم الهائجة. دائماً ينحنون. إريكا تجلس
بهدوء وتنتظر في الفتحة. إنها لا تخلع حتى قفازها؛ في غياب
هذه الزنزانة الننتة ليست بحاجة إلى أن تمسح بيدها على أي
منطقة في جسدها. ربما تحتفظ بالقفاز حتى لا يرى المرء
كلبشات اليدين. فليُرفع الستار لإريكا. المرء يراها وهي تشد
الخيوط خلف خشبة المسرح. لقد أقاموا كل هذا العرض لها
وحدها! لن يستخدموا هنا امرأة مشوهة. مطلوب وسامة وحسن
قوام. كل واحدة لا بد أن تتركهم يجربون أدق تجارب الحب
على جسدها قبل التوظيف، ليس هناك صاحب محل يشتري
القطعة في الفستان. ما لم تتجزه إريكا على مسرح الكونسير،
تجزه سيدات أخريات بدلاً عنها. التقييم حسب مقاس المنحنيات
الأنثوية. ما تكاد تطرف بعينيها، حتى تكون عدة شلنات
ضاعت هباء.

امرأة سوداء تبدع في وضع يُمكن المرء من أن يرسل نظره داخلها. تتحرك حركة دائرية على قرص شبيه بقرص الفخاري، ولكن من يحرك العجلة؟ في البداية تضم فخذها، فلا يرى المرء شيئاً، لكن شهد رضاب التطلع يتفجر في الأفواه، عندئذ تتفرج ساقاها ببطء، وتتهادى أمام عدة شبابيك. في بعض الأحيان، ورغم الحرص على العدل، ينال شباك نصيباً أكثر من الآخر، لأن هذا القرص لا يتوقف عن الحركة. تسمع التكات العصبية الصادرة عن فتحات الفرجة. من يخاطر، يربح، ومن يخاطر مرة أخرى، يربح ربما مرة أخرى.

بجد واجتهاد تحك الجماهير من حولها وتلك. من ناحية أخرى يتم طوال الوقت تقليب العجين بعناية، وخلطه بعصا ضخمة غير مرئية. عشر مضخات صغيرة تعمل بأقصى قوة. بعضهم يبدأ الحلب سراً في الخارج، لكي لا يدفع نقوداً كثيرة حتى لحظة القذف، تؤنسه في ذلك السيدة التي عليها الدور.

في الصوامع المجاورة تفرغ أذرعة المضخات بضاعتها الثمينة وهي ترتجف وتهتز. قريباً ستمتلئ من جديد، وعلى المرء عندئذ أن يُشبع أشواقه. إذا كان المرء يعاني صعوبات في التفريغ، فعليه في بعض الأحيان أن ينفق من أربعين إلى خمسين شلناً، لا سيما إذا استغرق المرء في الفرجة ونسي العمل على المضخة، لذلك تدخل نساء جديدات إلى هنا، ويشتنن الانتباه. المغفل هو الذي يبخل فقط، ولا يفعل شيئاً.

إريكا تتفرج، لذة الفرجة متجسدة الآن أمام عينيها. اللذة المتجسدة تمر بيديها بين الفخذين، مظهرة استمتاعها، وذلك بأن تصنع بفمها دائرة صغيرة. تغلق عينها متلذذة، مُتِيحَةً فرصة الفرجة لأكبر عدد ممكن، ثم تفتحها ثانية وقد وجهتها لأعلى. ترفع ساعديها وتدلّك حلمتي الثديين حتى تنتصبا، ثم تجلس في وضع مريح، فاتحة ساقها عن أقصى اتساع، والآن يمكن للمرء في وضع الضفدعة هذا أن ينظر إلى الداخل. تتلاعب بشعر العانة وتداعبه. بطرف لسانها تلحس شفيتها بطريقة استعراضية، بينما يصوب هذا القناص أو ذاك دودته المطاطية تجاه الهدف، إنها تريك بكامل الوجه كم كان سيكون رائعا لو أنها استطاعت أن تكون الآن معك. ولكن هذا للأسف غير ممكن، فالطلب أكثر بكثير من العرض. وبهذه الطريقة يحصل كل واحد على نصيبه من التورته الشهية، وليس فرد واحد فقط.

تمعن إريكا في المشاهدة، لا لتتعلم، فما زال داخلها جامدا لا ينفعل، ومع ذلك لا بد أن تتفرج. لمتعتها الذاتية. عندما ترغب في المغادرة، يضغط دوما شيء من أعلى بقوة على رأسها المصفف جيدا، لتجد نفسها تقترب من الزجاج مرة أخرى، لتواصل النظر. في شكل دائري يتحرك القرص الذي تجلس فوقه المرأة الجميلة. لا تستطيع إريكا المقاومة. لا بد عليها أن تنتظر. لا بد من النظر، إنها محرمة على نفسها. ليس لديها ما يُمس.

من يمينها ويسارها تتصاعد التآوهات والصرخات المعبرة عن البهجة. عن نفسي، لا أستطيع أن أفهم ذلك، تقول إريكا كوهوت، كنت أنتظر أكثر من ذلك. بقعة مخاطية تخطئ هدفها وتلطم الجدار الخشبي الفاصل. من السهل تنظيف الجدران، فسطحها أملس. في مكان ما في الجانب الأيمن حفر أحد السادة الزائرين على الجدار الفاصل بحنان الجملة التالية بألمانية سليمة: "سانت ماريا، العاهرة السكرانة". قليلاً ما يحفر أحدهم على الجدار شيئاً، فالرجل يجب أن يركز انتباهه على شيء آخر. ليسوا معتادين في الغالب على الكتابة. ليس لديهم إلا يد واحدة غير مشغولة، وفي أغلب الأحيان تكون هذه اليد مشغولة أيضاً، كما أن عليهم مواصلة إسقاط العملة.

"ليدي" سوقية، شعرها مصبوغ باللون الأحمر، تدفع الآن ظهرها المائل للسمنة إلى مركز الصورة. لا بد أن عمالا رخيصين في المساج يدلكون منذ سنوات جسدها حتى إدماء أصابعهم لإزالة طبقات الدهن، ولكن الرجال يحصلون لديها على أشياء أكثر مقابل فلوسهم. الكبائن اليمنى تفرجوا على المرأة من الأمام، الآن لا بد أن تستمتع الكبائن اليسرى بمنظرها الأمامي أيضاً. البعض يفضلون فحص امرأة من الأمام، والبعض من الخلف. ذات الشعر الأحمر تحرك عضلات تستخدمها في المعتاد للسير أو الجلوس. اليوم تكسب نقوداً بواسطتها. تلك نفسها بيدها اليمنى المغروس فيها مخالب حمراء دموية، أما في اليسار فقد راحت تخذش ثدييها. تشد

الحلمة بأظافرها المصطنعة وكأنها تشد رباطاً مطاطياً، ثم تتركها تعود إلى مكانها. تنتصب الحلمة أمام الجسم وكأنها جسم غريب. في هذه اللحظة تعرف الحمراء بالتمرين: أن المرشح حصل على ٩٩ نقطة! من لا يستطيع الآن، لن يستطيع أبداً. الشخص الذي يجلس بمفرده الآن، سيبقى هكذا طويلاً، رغماً عنه.

اصطدمت إريكا الآن بأحد الحدود. حتى هنا، ولا خطوة أخرى. الأمر زاد عن حده، تقول لنفسها كما في مرات كثيرة سابقة. تنهض. لقد حددت حدودها منذ فترة طويلة، وأمنتها بعقود لا يمكن فسخها. في المقابل، فبإمكانها، من موقعها في برج المراقبة العالي، أن ترى كل شيء، وأن تمد البصر حتى أقاصي البلاد. بشرط وجود منظار. لا تريد إريكا هذه المرة أيضاً أن تتعرف على ما سيأتي بعد ذلك. تتوجه إلى البيت.

نظراتها تكفي لإزاحة السادة الزائرين، الواقفين في الخارج في الطابور، من طريقها. بلهفة وشهوة يحتل رجل مكانها على الفور. ينشق طريق تخطو إريكا عليه منصرفاً عن المكان. تمشي وتمشي، بميكانيكية تامة، تماماً كما كانت قبل قليل تنتظر وتنتظر. ما تفعله إريكا، تفعله بشكل تام. لا أنصاف أشياء، كانت الأم تطلب منها دائماً. لا أشياء ضبابية غامضة. ليس هناك فنان يطيق شيئاً لم ينته، لأن الفنان يموت قبل الأوان. إريكا في طريقها. لم يتهتك شيء، ولم يتلون شيء. لم يبهت شيء. لم تصل إلى شيء. ليس هناك شيء موجود الآن، لم

يكن موجودا في السابق؛ وليس هناك شيء لم يكن موجودا،
ووصل الآن.

في البيت تُطلق الأم شعاعاً من الاتهام الرقيق، يهبط على
الحضانة الدافئة التي يسكنانها معا. الأم تأمل ألا تكون إريكا قد
أصيبت بالبرد خلال رحلتها التي كذبت على الأم بشأن هدفها.
على الفور ترتدي إريكا روبا دافئا. إريكا والأم تأكلان بطة
محشية بأبو فروة وأشياء أخرى. وليمة. تتفتق البطة عن ثمار
أبو فروة من أماكن عدة، لقد بالغت الأم - كعادتها - وأكثرت
من أطايب الطعام. رشاشتا الملح والفلفل مصنوعتان جزئيا من
الفضة، أما الشوك والسكاكين فكلها من الفضة. وجنتا الطفلة
اليوم متوردتان بحق، وهو شيء يسعد الأم. ولكنها تأمل ألا
تكون الحمى هي السبب. تجس الأم بشفتيها جبهة إريكا. مع
طبق الحلو سنكمل فحصها بالترمومتر. لحسن الحظ، ليست
الحمى السبب. إريكا في تمام الصحة، هذه السمكة التي تعوم
في السائل الرحمي للأم، الذي يغذيها جيدا.

أنهار من أضواء النيون تتدفق إلى البرودة الثلجية السائدة
في محلات الأيس كريم وفي المراقص. أزيز يصدر عن عناقيد
من المصابيح المثبتة في أعمدة الإنارة المنحنية فوق ملاعب
الميني جولف. تيار براق من البرودة. أشكال من عمرها تقعد
مستمتعة بالسكينة الجميلة التي تولدها العادة، أمام موائد
بيضاوية الشكل عليها كنوس زجاجية، وداخلها تتأرجح ملاعق
طويلة، وكأنها سيقان زهور باردة. بنية، صفراء، وردية.
شوكولاتة، فانيليا، توت. الكرات الملونة التي يتصاعد منها
البخار تتحول بفعل إضاءة السقف إلى كتلة من اللون الرمادي.
ملاعق لامعة لتوزيع الأيس تنتظر دورها في أنية مليئة بالماء،
وعلى السطح تطفو شعيرات من الأيس. بفرحة غير متكلفة،
فرحة ليس عليها أن تبرز دوما بطاقة هويتها، تتكوم الظلال
الشابة أمام أبراجها الثلجية، التي غرزت فيها شمسيات ورقية
ملونة. بين الفتى والفتاة تختبئ حصوات من الكرز، وقوالب
من الأناناس، وشظايا من الشوكولاتة. لا يتوقفان عن الغرف
بملاعقهما، والقضم من برودة مغاراتهما الثلجية. بارد على
بارد. أو يتركان الأيس كريم يسيح بلا اكتراث، لأن لأحدهما
ما يقوله للآخر، ما هو أهم من المتعة الباردة.

الفرجة وحدها تجعل ملامح وجهها تتقلب، فتعبر عن الاستهجان. عندما تتأمل شجرة، فهي تعتبر شعورها فريدا؛ إنها ترى كونا رائعا في كوز الصنوبر المتدلي من الشجرة. بشاكوش صغير تطرق باب الحقيقة. طبية مجتهدة تفحص أسنان اللغة. هامات شجر الشربين تتلقى أمام أعينها مشكلة نرى جليدية وحيدة. قوس قزح يصبغ الأفق بألوانه. آلات عديدة ضخمة، لا تستطيع تحديد كنهها، تمر من بعيد، هديرها الهادئ لا يكاد يُسمع. إنهم عمالقة النغم، وعمالقة الشعر، متدثرين بأغطية تتركبة عملاقة. عدة مئات الآلاف من المعلومات ترتجف داخل عقلها المدرب على استقبالها، عمود دخان مجنون وسكران يتصاعد في ثوان إلى السماء، ثم يرتد ثانية ببطء إلى الأرض في عملية تقيؤ رمادية. ذرات دقيقة من الغبار الرمادي تغطي الأجهزة بسرعة، كل الأنابيب الشعرية والقوارير، كل أنابيب الاختبار ولوالب التبريد. غرفتها تصبح محض مغارة حجرية. رمادية. ليست باردة، ليست دافئة. متوسطة. على النافذة تسمع خشخشة ستارة وردية من النايلون، لا تحركها نسمة هواء واحدة. في الداخل طقم نظيف تماما. غرفة غير مسكونة. غير مملوكة لأحد.

مع العزف تبدأ أصابع البيانو تغني. الذنب العملاق، الذي تخلفه أنقاض الثقافة، يحشر نفسه بحفيف خافت من كافة الجوانب، ويزحف إلى الأمام، ويلتئم طوق الحصار مليمترا بعد الآخر. علب محفوظات قدرة، أطباق ملطخة ببقايا الطعام،

شوك وسكاكين وملاعق متسخة، بقايا من خبز وثمار فاكهة متعفنة، أسطوانات مكسورة، ورق ممزق مكرمش. في مساكن أخرى يطش في البانيو ماء الاستحمام الساخن الذي ينزل في شكل أشعة يتصاعد منها البخار. فتاة تجرب دون تفكير تسريحة جديدة. فتاة أخرى تختار بلوزة مناسبة لجيبة مناسبة. هناك تتشأ أحذية جديدة مدببة المقدمة، تلبس للمرة الأولى. تليفون يرين. شخص يرفع السماعة. شخص يضحك. شخص يقول شيئاً.

هوة واسعة لا تتغلق من القمامة تفصل بينها وبين الآخرين. واحدة تكوي شعرها ليصبح مجعداً. الأخرى تضبط لون طلاء الأظافر مع لون أحمر الشفاه. ورق مفضض يخطف الأبصار في الشمس. شعاع يهبط على سن شوكة، أو على نصل سكين. الشوكة شوكة. والسكين سكين. نسمة رقيقة تزعج قشور البصل وترفعها بخفة وهدوء عن الأرض، ويرتفع ورق رقيق شفاف، ملتصق ببعضه بفعل حلاوة شربات التوت. عفن الطبقات السفلية يتحول إلى غبار يغذي حواف الجبنة وقشور البطيخ التي بدأ الفطر يغزوها، وكذلك شظايا الزجاج وقطع القطن السوداء التي يقف لها بالمرصاد المصير نفسه.

تشد الأم حبال ابنتها بقوة. وعلى الفور تندفع يدان إلى الأمام، وتكرران عزف برامز، في هذه المرة أفضل. برامز يغدو بارداً للغاية عندما يتبع خطى الكلاسيكيين، أما عندما

يغلبه التّحمس أو الحزن، فإن موسيقاه تمس شغاف القلوب.
ولكن ما أبعد قلب الأم عن أن تمسه موسيقى برامز.

ملعقة معدنية تُترك ببساطة وسط آيس كريم الفراولة الذي
أخذ يسيح، لأن فتاة تشعر برغبة حارقة في البوح بشيء، فتاة
أخرى تضحك على ما قيل. الفتاة الأخرى تعدل من وضع
التوكة البلاستيكية الضخمة المتلائة كالصدفة في تسريحة
شعرها المرفوع. كلتا الفتاتين تعرفان تماما كيف يجب أن
تتحرك الأنثى! الطريقة الأنثوية تنبثق من أعضائهن مثل غدير
صغير رقرق. تُفتح علبة بودرة، وأمام المراة يُعاد طلاء شيء
باللون البنفسجي البارد، ويتم التأكيد على شيء آخر بالأسود.

دلفين متعب هي، قد استعد بلا رغبة لإنجاز آخر قفزة
فنية. خائر القوى يركز بصره على الكرة الملونة المثيرة
للضحك، التي يرفعها الحيوان بحركة روتينية قديمة على
خطمه. يأخذ نفسا عميقا، ثم يحرك الكرة حركة دائرية. في فيلم
لويس بونويل "الكلب الأندلسي" يرى المشاهد ألتي بيانو
كبيرين، ثم هذين الحمارين، رأسين متقلبين بالدماء، أو شك العفن
أن يأتي عليهما، معلقين على أصابع البيانو. ميتين. متعفنين.
خارج كل شيء. في غرفة خالية من الهواء تماما.

الرموش الاصطناعية تُلصق فوق الرموش الطبيعية. دموع
تسيل. على الجفنين يُرسم قوس بلون قوي. القلم البني ذاته
يرسم نقطة سوداء على شامة قريبة جدا من الذقن. مقبض
المشط يدخل عدة مرات في الخصلات المرفوعة عند مفرق

الرأس لِنَفْسِهِ قَلِيلًا. ثُمَّ تُثَبَّتُ بِنَسَةِ الشَّعْرِ مَرَّةً أُخْرَى. الْجَوَارِبُ تُثَبَّتُ لِأَعْلَى، الثِّيَابُ يُعَدَّلُ وَضَعُهَا. شَنْطَةُ يَدٍ صَغِيرَةٌ لَامِعَةٌ تُؤَرِّجُ عَالِيًا، ثُمَّ تَحْمَلُ. الْجَبِيَّةُ الدَّاخِلِيَّةُ تَطْقُقُ تَحْتَ الْجَبِيَّةِ التَّافِتَاءِ. دَفَعْنَا الْحَسَابَ، وَالْآنَ تَخْرُجَانِ مِنَ الْمَحَلِّ.

إِنَّ الْعَالَمَ الَّذِي يَنْفَتِحُ أَمَامَ أَعْيُنِهَا يَجْهَلُهُ الْآخَرُونَ كُلُّ الْجَهْلِ. عَالَمٌ مَصْغَرٌ مَبْنِيٌّ بِأَحْجَارِ اللُّوْجُو، مَصْنُوعٌ بِأَحْجَارِ بِلَاسْتِيكِيَّةٍ حَمْرَاءَ وَزِرْقَاءَ وَبِيضَاءَ. مِنَ الثَّالِثِ اللَّيْلِ الَّتِي يَجْمَعُهَا الْمَرْءُ مَكُونًا بِهَا عَالَمًا، يَدْوِيًا، أَيْضًا بِحَجْمٍ صَغِيرٍ، عَالَمًا مَفْعَمًا بِالمُوسِيقَى. تَدُقُّ بِضَعْفٍ عَلَى عِدَّةِ أَصَابِعِ اللَّيْبَانُو بِيَدَيْهَا الْيَسْرَى ذَاتِ الْمَخَالِبِ الْمَتَيْسَةِ. عَدَمُ مَهَارَتِهَا تُشْبِهُ شِلَالًا لَا شِفَاءَ مِنْهُ. تَرِيدُ أَنْ تَسْمُوَ وَتَطِيرَ إِلَى أَشْيَاءٍ غَرَائِبِيَّةٍ، أَشْيَاءٍ تَخْذُرُ الْحَوَاسِ، وَتَفْجُرُ حُدُودَ الْعَقْلِ. لَكِنِهَا لَا تَتِمَكَّنُ حَتَّى مِنْ بِنَاءِ مَحْطَةٍ الْبِنَزِينِ اللُّوْجُو، رَغْمَ وُجُودِ نَمُودَجٍ دَقِيقٍ لَهَا. لَيْسَتْ إِلَّا جِهَازًا غَلِيظًا. يَحْمَلُ عِبَاءَ الْعَقْلِ الْبَطِيءِ وَالثَّقِيلِ. أَصْفَادٌ ثَقِيلَةٌ مَيْتَةٌ. كَوَاجِحٌ تَمْنَعُ الْحَرَكَةَ! لَمْ تَحْمَلْ أَبَدًا سِلَاحًا مُوجَّهًا ضِدَّ الذَّاتِ. كَمَاثِمَةٌ مِنْ صَفِيحٍ.

أُورْكَسْتَرَا مِنْ حَوَالِي مِائَةِ عَازِفِ فُلُوتٍ يَبْدَأُ فِي الْعَوِيلِ. أَنْوَاعٌ وَأَحْجَامٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنَ الْفُلُوتِ. لَحْمُ أَطْفَالٍ يَنْفَخُ دَاخِلَ الْآلَاتِ. النِّغْمَاتُ تَصْدُرُ الْآنَ بِنَفْسِ الْأَطْفَالِ. لَا يَتِمُّ الْاسْتِعَانَةُ بِآلَاتِ عَزْفٍ أُخْرَى مِثْلَ الْبِيَانُو. عِلْبُ الْفُلُوتِ الْبِلَاسْتِيكِيَّةِ صَنَعْتِهَا الْأَمْهَاتُ. دَاخِلُ كُلِّ عِلْبَةٍ هُنَاكَ أَيْضًا فَرْشَاءٌ صَغِيرَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ لِتَنْظِيفِ الْآلَةِ. أَجْسَامُ الْفُلُوتِ تَكْسُوهَا الْآنَ طَبَقَةٌ مِنْ

بخار التنفس الدافئ. تتولد النغمات المختلفة بالاستعانة بأنفاس
الأطفال الصغار. ولا يتبع ذلك مساندة من آلة البيانو!

كل العازفين الذين يشاركون في إقامة كونسير موسيقى
الحجرة هم من المتطوعين. الكونسير الخاص يقام في شقة
نبلاء مطلة على قناة الدانوب، الحي الثاني، حيث تمتلك عائلة
بولندية مهاجرة من الجيل الرابع التي بيانو كبيرين، بالإضافة
إلى مكتبة موسيقية غنية. كما أن العائلة تمتلك - في المكان
الذي يحتفظ فيه الآخرون بسياراتهم، أي قريباً جداً من القلب -
مجموعة من الآلات القديمة. ليست لديهم سيارة، لكنهم يمتلكون
عدة آلات من الكمان والفيولا، آلات جميلة كان يعزف عليها
موتسارت، أما على الحائط فقد علقوا فيولا ممتازة نادرة،
يحرسها بصورة دائمة أحد أعضاء العائلة، عندما يبدأ عزف
موسيقى الحجرة في شقتهم، ولا يُسمح بإنزال الفيولا سوى
لأغراض دراسية. أو في حالات الحريق.

هؤلاء الناس يعشقون الموسيقى، ويريدون أن يحملوا
الآخرين على الاقتراب من هذا العشق، بصبر وحب، وإذا لزم
الأمر: بالقوة. يريدون إدخال الأطفال نصف المراهقين إلى
عالم الموسيقى، إذ إن الإنسان لن يشعر بالبهجة العظيمة إذا
شنف أذنيه وحده بهذا الجمال. كمدمني الخمر أو المخدرات لا
بد عليهم أن يتقاسموا عشقهم مع أكبر عدد ممكن. بطرق
ماهرة يسوقون الأطفال إليهم. الحفيد البدين المعروف في كل

أرجاء الحي، الذي يلتصق شعره المبلول على رأسه والذي يصرخ عند أقل مناسبة؛ تماما مثل طفل المفاتيح الذي يقاوم أشد المقاومة، ليستسلم في النهاية. أثناء الحفلات لا تقدم أي أطعمة خفيفة. والصمت المقدس لا يمكن ازدارده أيضا. لا فتات خبز، ولا بقع دهنية على الأثاث المبطن. لا بقع حمراء من النبيذ على غطاء البيانو الأول أو غطاء البيانو الثاني. اللبان ممنوع منعاً باتاً! ينخلون الأطفال نخلًا دقيقاً حتى لا يحضروا قاذورات من الخارج. بعض الأطفال يبقى كالحصى في الغربال. أولئك لن يصلوا طول حياتهم إلى مرحلة إتقان العزف على الآلة التي اختاروها.

لا تنفق هذه العائلة انفاقاً زائداً أو غير ضروري؛ التأثير الجميل ينبثق من الموسيقى وحدها، وعبر الموسيقى فحسب، وعلى الموسيقى أن تمهد طريقها إلى القلوب. إنهم لا يكادون ينفقون شيئاً حتى على أنفسهم.

أمرت إريكا تلاميذها بالحضور إلى هنا "بربطة المعلم". إشارة بالإصبع الصغير كانت كافية. أحضر الصغار معهم أما فخورة، وأبا فخورا، أو كليهما معا، وهم يملأون الآن الغرف كعائلات مثالية، إنهم يعرفون: إذا غابوا عن الحضور إلى هنا سيحصلون في مادة البيانو على درجة سيئة. الموت وحده سيكون عنرا مقبولا للإقلاع عن الفن. الأسباب الأخرى لا يقبلها عاشق الفن المحترف على الإطلاق. إريكا كوهوت تتألق.

مقطوعة الافتتاح هي الكونشرتو الثاني لآلتي البيانو ليوهان سبستيان باخ. البيانو الثاني يعزف عليه شيخ طاعن في السن، كان في حياته السابقة قد عزف مرة في قاعة برامز، وكان هو العازف الوحيد للبيانو، كان ذلك في الأيام الخوالي، لكن المسنين ما زالوا يتذكرون ذلك. لا يبدو على الإطلاق أن حاصد الأرواح يحفز هذا الرجل - الذي يدعى الدكتور هابركورن - إلى إبداعات موسيقية كبيرة، كما فعل مع موتسارت أو بيتهوفن، وأيضاً مع شوبرت. وهذا الرجل لم يعد لديه بالفعل وقت كثير. قبل أن يبدأ معاً، يحيي العجوز رفيقته على البيانو الثاني - السيدة البروفيسورة إريكا كوهوت - بقبلة مهذبة على ظهر اليد وكما تفرض عادات أهل البلد، رغم فارق السن.

أصدقاء الموسيقى، ضيوفنا الأعزاء. الضيوف يهرعون إلى المائدة، ويتلمظون ويزدردون الطعام الباروكي. يتحلق التلاميذ منذ البداية حول المائدة، وقد بيتوا النية على شيء شرير، ولكن شجاعة التنفيذ تنقصهم. لن يقفوا من سور حظيرة الدواجن الموسيقية هذه، مع أن خشب السور منخفض ورقيق للغاية. ترتدي إريكا جونلة بسيطة من القطيفة السوداء، طويلة تصل إلى الأرض، وفوقها بلوزة من الحرير. إلى هذا التلميذ أو ذاك توجه نظرة حساب قاسية يمكنها أن تفلق الصخر، ومع النظرة تهز رأسها هزاً خفيفاً. إنها الحركة والنظرة نفسها التي رمتها بها أمها بعد الكونسير الفاشل.

بثرتهما أزج كلا التلميذين الكلام التمهيدي الذي تقوه به المضيف. لن يُوجه إليهما تحذير مرة أخرى. في الصف الأمامي، بجانب قرينة المضيف، تتربع والدة إريكا في فوئية وضعوه خصيصاً لها. في يدها، وهي تتفرد في ذلك، علبة بونبون، راحت تستمتع بما ضمته، وبالاهتمام الفريد الذي تحوزه ابنتها. بعنف تتم تهدئة الإضاءة، وذلك بإسناد وسادة على مصباح البيانو. تهتز الوسادة اهتزازاً بفعل ضربات الموسيقى التي تنهال عليها بالسياط، وتضفي أبعاداً شبحية حمراء على العازف. تتساب موسيقى باخ^(٧) بجديّة. يرتدي التلاميذ ملابس الأعياد، أو ما يعتبره الآباء ذلك. يحشر الآباء فلذات أكبادهم في ممر المنزل البولندي حتى يستمتعوا بالهدوء أمام الأطفال، وحتى يتعلم الأطفال أن يكونوا هادئين. ممر منزل البولنديين مزين بمرآة ضخمة من طراز "يوجند ستيل"^(٨)، على إطارها فتاة عارية تمسك بأزهار اللوتس. لا يمر الصبيان أمام المرآة دون توقف. فيما بعد، في الشقة الموسيقية بالأعلى، يجلس قصار القامة في الأمام، والطوال في الخلف لأنهم يستطيعون مد بصرهم ورؤية كل شيء. وإذا كان

(٧) في الجملة تلاعب لفظي؛ فكلمة "باخ" تعني هنا الموسيقى المشهور يوهان سبستيان باخ (١٦٨٥-١٧٥٠)، كما تعني أيضاً في اللغة الألمانية "الغدير". وبذلك من الممكن أن تعني الجملة: الغدير ينساب، أو: موسيقى باخ تتساب. (المترجم)

(٨) Jugendstil تعني "طراز الشباب"، وهو طراز فني ومعماري ظهر في ميونيخ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وشاع بعد ذلك في فيينا. (المترجم)

لا بد من إجبار زميل أصغر سنأ على الهدوء، فإن الأكبر سنأ يقدمون مساعدتهم للمضيفين.

فالتّر كلمر لم يدع أمسيةً هنا تفوته، وذلك منذ أن بدأ بسنواته الغضة السابعة عشرة يعزف على بيانو بشكل جدي، وليس من أجل المتعة فقط، إنه يحصل هنا على الإلهام المحسوس الذي يحتاج إليه في عزفه.

تنساب موسيقى باخ الآن في حركة سريعة، بينما راح كلمر يتفحص بجوع متنام الجزء الأسفل الخلفي من بدن معلمة البيانو الذي قطعه المقعد إلى نصفين. لا يستطيع أن يركز على أكثر من ذلك من جسدها لإصدار حكمه. من الجزء الأمامي لمعلمته لا يستطيع أن يرى الكثير، وذلك بسبب أم سميئة أخذت مكانها أمام عازفة البيانو. مكانه اليوم مشغول. أثناء الدرس تجلس دائما بجانبه، خلف البيانو الثاني. بجوار الأم، التي تشبه سفينة حربية صغيرة، يقرفص مشروع ابن، يشبه قارب نجاه ضئيل، يرتدي بنطلونا أسود وقميصا أبيض، مع ببيون أحمر منقط بالأبيض. الطفل يتكوم في المقعد مثل مسافر في طائرة يشعر بالغثيان، ولا يتمنى شيئاً غير أن تهبط الطائرة أخيراً بسلام. تهيم إريكا وتحلق بوسائل فنية في ممرات هوائية عليا، وتوشك أن تعبر مجال الأثير. ينظر فالتر كلمر إليها بخوف، لأنها ابتعدت عنه. ولكنه ليس وحده الذي يمد يده تلقائياً ويبحث عنها، الأم أيضاً تبحث بيدها عن الخيط الذي يتدلى من الطائرة الورقية المسماة إريكا. لا تدعي الخيط

يفلت من يدك! ها هي الأم تقطع الخيط بأطراف أسنانها
الأمامية. الريح تصفر، كما تفعل دائما في هذا الارتفاع.
في الحركة الأخيرة من مقطوعة باخ يحصل السيد كلمر
على وردة صغيرة على وجنته اليسرى وأخرى على اليمنى.
في يده يحمل وردة حمراء وحيدة حتى يقدمها لها بعد أن تنتهي
من العزف. بإعجاب جارف لا يبغى نفعا ذاتيا يراقب تقنية
عزف إريكا، وكيف يتميل ظهرها مع إيقاع الموسيقى. يتأمل
كيف تهز رأسها بخفة، الفروق الدقيقة التي يبرزها عزفها.
ينظر إلى عضلات ساعديها، صدام اللحم مع الحركة الذي يثير
مشاعره. اللحم يطيع الحركة الداخلية للموسيقى، كلمر يتوسل
إلى معلمته أن تطيعه هكذا. راح يفرك في مقعده. إحدى يديه
ترتعث لا إرادياً، لامسة سلاح جنسه المروع. بجهد جهيد
يتحكم التلميذ كلمر في نفسه، ثم ينهمك في تقدير حجم إريكا
الكلي. يقارن النصف العلوي بالسفلي الذي ربما يكون سميماً
بعض الشيء، وهو ما يوافق ذوقه في الحقيقة. يوازن بين
العلوي والسفلي. العلوي: هو أيضاً أنحف قليلاً من اللازم.
السفلي: هنا يحصل جسدها على درجة إضافية. ولكن الصورة
العامة لإريكا تعجبه كثيراً. إنه شخصياً يرى أن الأنسة كوهوت
امرأة شهية تماماً. لو أضافت شيئاً إلى الأعلى، مما هو أكثر
من اللازم في الأسفل، لأصبح النصفان متناسبين. ربما. العكس
أيضاً صحيح بالطبع، ولكن ذلك يتوافق بدرجة أقل مع رغباته.
إذا اقتطع بعض الشيء من أسفل، لتتاسب جسدها تناسباً جميلاً.

ولكنها ستكون عندئذ أنحف من اللازم! عدم الكمال هذا هو الذي يجعل السيدة إريكا مشتتة في عيني التلميذ البالغ، لأنه يجعلها دائية القطاف. بوعي عدم الكمال الجسدي يستطيع المرء أن يسلسل أي امرأة إليه. كما أن هذه المرأة سيظهر عليها السن بوضوح أكبر، وهو ما زال شابا. للتلميذ كلمر هدف جانبي، بجانب الموسيقى، يفكر الآن في الوصول إليه. إنه مهووس بالموسيقى. ومهووس سرا بمعلمته الموسيقية. وهو يتبنى رأيا شخصيا للغاية، مفاده أن الأنسة كوهوت هي بالضبط المرأة التي يتمناها شاب مثله، لتدخله بنغماتها إلى الحياة. الشاب يبدأ صغيرا، ويرتقي طريقه بسرعة. كل واحد يبدأ في يوم ما، ثم يغادر بسرعة مرحلة المبتدئين، تماما مثل مبتدئ القيادة الذي يشتري في البداية سيارة صغيرة مستعملة، وبعد ذلك، عندما يتقن القيادة، يشتري موديفا أكبر وأكثر حداثة. الأنسة إريكا موسيقى خالصة، وهي في الحقيقة ليست كبيرة في السن إلى هذا الحد. هكذا راح التلميذ يُعلي من شأن الموديل الذي يود تجربته. بل إن كلمر سيبدأ بدرجة أعلى من المعتاد، لن يجرب "فولكس فاجن"، بل "أوبل كاديت". أخذ العاشق سرا، فالتر كلمر، يقرض بقايا أظافر أصابعه. اكتسب رأسه إجمالا لونا أحمر، فالورد قد تكاثر على وجهه، أما شعره نصف الطويل فكان لونه أشقر غامقا. إنه يسير وراء الموضحة باعتدال. نكاؤه يتميز بالاعتدال أيضا. لا شيء بارز فيه، ولا شيء يفوق الحد. في الفترة الأخيرة أرسل شعره قليلا، حتى لا يبدو متوافقا تماما

مع موضة اليوم، ولكن حتى لا يبدو متوافقا تماما مع موضة
الأمس أيضا. لا يطلق لحيته، رغم أنه يشعر في أحيان كثيرة
بهذا الإغراء. لكنه استطاع مقاومته حتى اليوم. يريد أن يمنح
معلمته يوما قبلة طويلة، وأن يتحسس جسدها. يريد أن يواجهها
بحواسه الحيوانية. يريد أن يلمس بدننا لمسات قوية مرات
عدة، ولكن: كأنه لا يقصد ذلك. يريد أن يتصرف وكأن شخصا
جلفا يدفعه تجاهها. عندئذ سوف يضغط عليها بقوة، ثم يعتذر.
فيما بعد يريد أن يعتصرها عصرا مع سبق الإصرار، وربما -
إذا سمحت بذلك - أن يحتك بجسدها احتكاكا قويا. سيفعل ما
تقول وترغب، وسيستفيد من ذلك في تجاربه الغرامية اللاحقة
الأكثر جدية. التعلم هو ما يهدف إليه من وراء التعامل مع
امرأة أكبر منه بسنوات عديدة. امرأة لم يعد من الضروري
التعامل معها بعناية وحذر، كما يفعل المرء مع الفتيات
الصغيرات اللاتي لا يعجبهن العجب.. هل لذلك علاقة
بالحضارة؟ على الشاب أن يعرف في البداية حدوده، عندئذ
يستطيع أن يتخطاها بنجاح. سيقبل معلمته قريبا، حتى تكاد
تختنق. سيمص حيثما يُسمح له بالمص. وسيعض، حيثما
تتركه. ولكن فيما بعد، سوف يتصرف عن وعي، وحتى أقصى
حدود الخصوصية. سيبدأ براحتها، ثم يصعد بفمه النشط.
سيتعلم عشق جسدها، أو على الأقل قبوله، هذا الجسد الذي
تنفي وجوده حتى الآن. سيعلمها برفق كل شيء تحتاجه
للعشق، ولكن في أعقاب ذلك سوف يتوجه - فيما يتعلق بلغز

المرأة - إلى أهداف أكثر استحقاقا، وواجبات أكثر صعوبة. هذا اللغز الأبدي. يوماً ما سيصبح هو معلمها. إنه أيضاً لا يحب هذه الجونلات الأبدية البنية الداكنة ذات الكسرات، والبلوزات التي ترتديها دوماً، وفوق ذلك بثقة شبه منعدمة. عليها أن ترتدي ملابس شابة وملونة. ملونة!! سيشرح لها ماذا يقصد بكلمة "ملونة". سيريها ماذا يعني أن يكون المرء شاباً بحق ومتعدد الألوان، بل وأن يكون ذلك مدعاة لسعادته. وعندما تعرف إلى أي حد ما زالت شابة في الحقيقة، سيهجرها من أجل امرأة أصغر. أشعر أنك تحتقرين جسدك، وأنت فقط تهتمين بالفن، يا بروفيسورة. يتكلم كلمر. لا تسمحين إلا باحتياجاتك الضرورية، ولكن الأكل والنوم لا يكفيان! يا آنسة كوهوت، أنت تعتقدين أن مظهرك هو عدوك، وأن الموسيقى هي صديقك الوحيد. نعم، انظري في المرأة، أنت ترين نفسك فيها، ولن تجدي صديقاً أفضل من نفسك أبداً. تجملين قليلاً، يا آنسة كوهوت. إذا سمحت لي بأن أدعوك هكذا.

السيد كلمر يتحرق شوقاً إلى أن يكون صديق إريكا. هذه الجيفة التي لا شكل لها، معلمة البيانو التي يدرك المرء مهنتها بمجرد النظر إليها. قد تستطيع أن تتطور. ليست عجوزاً إلى هذه الدرجة، هذه الزكبية الرخوة. وبمقارنتها بأمها فهي نسبياً شابة. إنها مخلوق مضحك، مشوه ومريض، متعلق بالمثل؛ لقد جعلوا هذا المخلوق أبلاً، متحمساً تحمس العُبط، لا يحيا إلا بعقله، هذا المخلوق سوف يُعيده هذا الشاب إلى الحياة الدنيا.

ستستمع بمباهج العشق، انتظري فقط! يهوى السيد كلمر في الصيف - بل وحتى في الربيع - الإبحار بالمراكب المطاطية في النبوع والمياه الجبلية، مستعرضاً مهارته في الالتفاف حول الأهداف. إنه يسيطر على أحد العناصر الأربعة، ويوماً ما سوف يسيطر على إريكا كوهوت، معلمته. سوف يريها ذات يوم جميل، كيف يبدو القارب وكيف يعمل. عليها بعد ذلك أن تفهم كيف يطفو المرء فوق الماء داخله. حتى تلك المرحلة سوف يسميها باسمها: إريكا! هذا الطائر إريكا سيشرع بجناحيه ينموان. سيتكفل الرجل بذلك، فالبعض يحب ذاك، والسيد كلمر يحب ذلك.

هدأت موسيقى باخ، ووصلت إلى نهايتها. السيد العازف الكبير، والسيدة العازفة الكبيرة، ينهضان الآن، ويُحنيان الرأس، جياذ صبورة أمام أكياس شعر الحياة المتجدد يومياً. يقولان إنهما يُحنيان الرأس بالأحرى أمام عبقرية باخ، وليس أمام الجموع المُصَفِّقة برزانة ووقار، الجموع التي لا تفهم شيئاً، والتي هي أغبى من أن تسأل سؤالا. وحدها والدة إريكا راحت تصفق حتى كادت أصابعها أن تدمى. أخذت تصيح: برافو! برافو! بابتسامة ساندتها المضيئة في ذلك. راحت الجماهير تتفحص إريكا، الجماهير التي جمعوها من أكوام الفضلات، المخططة بألوان بشعة. العازفان يرمشان بسبب الضوء. أبعدهم الوسادة من أمام المصباح الذي يستطيع الآن أن يضيء ويتوهج بلا عائق. هذا هو إذن جمهور إريكا. لو لم يكن المرء

يعرف، لما صدق إلا بصعوبة أن هؤلاء بشر. تتفوق إريكا على كل فرد منهم، لكنهم يتدافعون ناحيتها، يلمسونها، يتحدثون حديثاً أهوج بلا منطق. لقد قامت بتربية هذا الجمهور الشبابي في فرن التفريخ الخاص بها. لقد ساقتهم إلى هنا بوسائل غير شريفة، بدءاً من الابتزاز ومروراً بالإكراه الشديد، وانتهاءً بالتهديد الخطير. لعل السيد كمر، المتدرب المجتهد، هو الوحيد الذي كان سيأتي دون إرغام. أما الباقون فسيفضلون تمثيلية تليفزيونية، أو مباراة تنس، أو كتاباً، أو غير ذلك من الحماقات. لا بد أن يأتوا جميعاً إلى هنا. يبدو أنهم ما زالوا يسعدون بمستواهم المتوسط! لكنهم يتجرأون على موتسارت وعلى شوبرت. يتمددون، ويشكلون جزراً بدينة، تعوم في عصير النغمات. يتغذون بصورة مؤقتة على هذا العصير، لكنهم لا يفهمون ما يشربون! إن غريزة القطيع تقدر الإنسان المتوسط تقديراً خاصاً. إنها تمتدحه باعتباره قيمة. المتوسطون يعتقدون أنهم أقوياء، لأنهم يكونون الأغلبية. في الطبقة الوسطى ليس هناك فزع أو خوف. يقتربون ويتلاصقون بحثاً عن وهم اسمه الدفاء. لا ينفرد المرء في الطبقة الوسطى بشيء، ناهيك عن أن ينفرد بنفسه. وبالرضاهم بذلك! لا شيء في حياتهم يرتقي إلى مصاف الاتهام، ولا أحد يستطيع أن يوجه إليهم اتهاماً بسبب شيء في حياتهم. اتهامات إريكا أيضاً، مثلاً أن عزف لحن لم يكن موفقاً، ستصطدم بهذه الريح الناعمة الصبور وترتد إليها. إذ إنها، إريكا، تقف وحدها على الجانب

الأخر. وبدلاً من أن تكون فخورة بذلك، فإنها تنتقم. مثلاً، بأن تجبرهم على الانصات للموسيقى داخل هذه الحظيرة مرة كل ثلاثة أشهر، وتظل تمسك بأبوابها مفتوحة حتى تستطيع الحملان الدخول. برضا عن الذات يصل إلى حد الملل تتسابق الحملان على الدخول، وهي تصيح: مآآآء. تتدافع الحيوانات، وتدهس بعضها البعض، إذا أوقفها شخص قليل العقل، لأنه نسي معطفه معلقاً في أقصى الداخل، ولا يستطيع الآن أن يجده. إنهم يريدون في البداية أن يدخلوا جميعاً، ثم لا يلبثون أن يريدوا الخروج مرة أخرى بأقصى سرعة ممكنة. ودائماً كلهم معاً. يعتقدون أنهم كلما أسرعوا بالانتقال إلى المرعى الآخر، مرعى الموسيقى، استطاعوا أن يغادروه ثانية وبسرعة أكبر. ما زال على البرنامج برامز بالكامل، بعد استراحة قصيرة، تبدوها الآن، سيداتي سادتي. التلميذات والتلاميذ الأعزاء. إن حالة الاستثناء التي تعيشها إريكا هي اليوم ليست ذنباً، بل ميزة. لأنهم كلهم يحملون فيها الآن، وإن كانوا يكرهونها في دخيلتهم.

السيد كلمر - الذي يشق طريقه إليها - ينظر إليها بوجه مشرق بعيون زرقاء احتفالية. بكلتا يديه يمسك اليد العازفة ويعرب عن إعجابه وولائه، ويقول إنه لا يجد الكلمات المعبرة، يا بروفيسورة. تحشر والدة إريكا نفسها كالإبرة بين الاثنين، وتمنع صراحة الضغط على اليد. ممنوع استقبال علامات الصداقة والود هذه، لأنها قد تثني أربطة اليد، وهو ما سيؤثر

على العزف، فلتتجبر اليد - من فضلكم - في وضعها الطبيعي! على أية حال، فإننا لا نأخذ جمهور الدرجة الثالثة هذا على محمل الجد تماماً، أليس كذلك، يا سيد كلمر؟ حتى يتأثر هذا الجمهور بالموسيقى يجب على العازف أن يمارس طغيانه عليه، أن يضربه ويستعبده. بالهروات يجب على العازف أن يضرب هذا الجمهور! إنه يريد علقة ساخنة، وكومة من العواطف الملتهبة، ينتظر الجمهور من الموسيقار أن يعيشها بالنيابة، ثم يكتبها له بعناية. الجمهور يريد الأشياء الصارخة، وإلا اضطر هو للصراخ العالي المستمر. مللاً. أما النغمات الرمادية، والفروق المرهفة، والدرجات الوسطى الرقيقة، فإن الجمهور عاجز عن إدراكها، رغم أن وضع التناقضات الصارخة متجاوزة، أو الأضداد النافرة الفجة، هو الأسهل بكثير في الموسيقى، بل وعموماً في مجال الفن. ولكن هذا ابتذال، ليس أكثر! هذه الحملان لا تعرف ذلك، وهي عموماً لا تعرف شيئاً. بألفة تمسك إريكا ذراع كلمر الذي يرتجف على الفور. ليس معقولاً أنه يشعر بالبرد وسط هذا القطيع من المراهقين الأصحاء المتوردين. هؤلاء البرابرة المتخمون الذين يعيشون في بلد لا يعرف فيه المجال الثقافي إلا البربرية. ألق نظرة على الصحف: إنها أكثر بربرية من التقارير الواردة فيها، إن الرجل الذي يقطع لحم زوجته وأولاده بعناية، ثم يحفظ القطع في أكياس بالثلجة للاستهلاك اللاحق، ليس أكثر بربرية من الصحيفة التي تكتب ذلك. هنا في هذا البلد عارض أنطون كوه

يوماً "قرد زرادشت". اليوم تعارض صحيفة "كورير" صحيفة "كروننتسايتونج"^(٩). كلمر، تخيل بدقة ما يعنيه هذا! والآن، يا سيد كلمر، لا بد من أن أحبي السيدة البروفيسورة فيورال، إذا لم يكن لديك مانع. لنا حديث آخر فيما بعد.

على الفور تضع الأم على أكتاف إريكا جاكيت تريكو أزرق فاتحاً، من صوف الموهير، مشغولاً باليد، وذلك حتى لا يجف السائل الذي يُسهل عمل المفاصل في هذه المنطقة، فتزداد مقاومة الاحتكاك. الجاكيت يشبه قطعة القماش التي توضع فوق إبريق الشاي كي يظل ساخناً. في بعض الأحيان توضع الأشياء المفيدة - مثل المناديل الورقية - داخل علب جميلة، وعلى عرشها تتربع كرات ملونة، هذه العلب تزين عندئذ الشباك الخلفي للسيارة. في المنتصف تماماً. زينة إريكا هي رأسها الذي يبرز عالياً مزهواً. تتبخر على كعبها العالي فوق الباركيه الثلجي - المغطى بمشايات رخيصة لصيانته في الأماكن المعرضة أكثر من غيرها للتلف - متجهةً إلى الزميلة الأكبر سناً حتى تحصل على تهنئة من فم متخصص. برقة

(٩) في هذه الجملة إحالة وتلاعب لفظي. أنطون كوه كان صحفياً نمساوياً (١٨٩٠-١٩٤١) من يهود مدينة براج، وقد اهتم في كتاباته بالبحث في العلاقة بين اليهود والألمان، وحول هذا الموضوع نشر عام ١٩٢١ كتاباً بعنوان "اليهود والألمان" أثار جدلاً كبيراً وقتذاك. وفي إحدى مقالات الكتاب هاجم كوه الكاتب اليهودي اللامع كارل كراوس ناعماً إياه بأنه "قرد زرادشت" لأنه كان يحاكي أسلوب نيتشه في كتاباته. تبقى الإشارة إلى أن كلمة "كوه" تعني بالألمانية بقرة. أما صحيفتا "كروننتسايتونج" و "كورير" فهما أوسع الصحف النمساوية انتشاراً. (المترجم)

تدفعها الأم من الخلف. تضع الأم يدا على ظهرها، على عظام كتفها الأيمن، على الجاكيت الموهير.

ما زال فالتر كلمر لا يدخن ولا يشرب، ومع ذلك يتمتع بطاقة مدهشة. يلتصق بها كأنه مزود بشفطات، حارثا طريقه خلف معلمته وسط القطيع الثرثار. يبقى عالقا بها. إذا احتاجت إليه، فهو في متناول يدها. إذا احتاجت إلى حماية ذكرية. ليس عليها سوى أن تستدير، عندئذ ستصطدم به. بل إنه يبحث عن هذا الصدام بين الأجساد. أوشكت الاستراحة على الانتهاء. إنه يستنشق حضور إريكا بمنخارين منتفخين وكأنه يتمشى في مرج جبلي نادرا ما يصل المرء إليه، ولذلك فإنه يستنشق الهواء هناك بأقصى عمق، حتى يعود المرء إلى المدينة بأكبر قدر من الأكسجين. يُبعد شعرة انفصلت من بطانة ذراع الجاكيت الأزرق الفاتح، وينال على ذلك كلمة شكر، يا عندليبي العزيز. تحدس الأم شيئا ضبابيا، ولذلك لا تستطيع أن تتقبل تهذبه وشهامته. إن ما يحدث يتناقض تناقضا صارخا مع كل ما هو معتاد وضروري للعلاقة بين الجنسين في الوقت الحالي. السيد كلمر في عيني الأم شاب في مقتبل العمر، لكن أسلحته عتيقة ومُجربة.

ثرثرة صغيرة أخرى قبل أن تبدأ المرحلة الأخيرة. يريد كلمر أن يعرف لماذا أوشكت مثل هذه الحفلات الموسيقية المنزلية على الانقراض، كما أنه يعرب عن أسفه لذلك. كبار الموسيقيين ماتوا، وفي إثرهم احتضرت موسيقاهم، لأن كل

الناس لا يريدون الآن سوى سماع الأغاني الخفيفة والبوب والروك. عائلات مثل هذه لم يعد لها وجود في يومنا هذا. في السابق كانت موجودة بكثرة. أجيال من علماء الحنجرة شبعوا من رباعيات بيتهوفن المتأخرة، لحد التخمة. في النهار كانوا يعالجون الأعناق التي تسلخت من الحكمة، وفي المساء تأتي المكافأة، وكانوا هم يحتكون ببيتهوفن. أما اليوم فإن أقصى ما يفعله الأكاديميون هو الدبذبة على الإيقاع لدى سماعهم "أبواق الفيل" لبروكنر، ويمتدحون هذا الآتي من النمسا العليا، الذي كان من الأفضل له أن يصبح حرفياً. احتقار بروكنر حماقة من حماقات الشباب، ارتكبها عديدون، يا سيد كلمر، المرء يفهمه متأخراً جداً، صدقني. ابتعد عن مثل هذه الأحكام المتمشية مع الموضة السائدة، إلى أن تفهمه على نحو أفضل، أيها الزميل كلمر. المتحدث إليه يشعر بالسعادة من أجل كلمة "الزميل" من فم الأستاذة، وعلى الفور يتحدث معها بالمصطلحات عن اضمحلال قدرات شومان وعن أعمال شوبرت المتأخرة. ثم راح يتحدث عن الظلال النغمية الرقيقة في أعمالهم، إلا أن وقع كلامه كان عاماً ومستهلكاً يخلو من أي ظلال.

أعقت ذلك مقطوعة "دويت" لـ كوهوت/كلمر، ومقارنة مع أجواء الحفل الموسيقي فقد جاء لون المقطوعة أصفر فاقعا. *Molto vivace* حيوي للغاية. هذه المقطوعة الثنائية تدربا عليها جيداً. ليس لدى أي منهما تعاطف مع جمهور هذا الحفل. كمستهلكين فقط يُسمح لهما هنا بالاشتراك، لا كفنانين، إذ إن

مؤهلاتهما أعلى بمراحل! لكنهما محض مستمعين، لذا يتوهمان أشياء وأشياء بخصوص معارفهما الموسيقية. لقد كادت إريكا تشارك في هذا الحفل، ولكن الرياح أتت بما لا تشتهي السفن. الآن يتهدى كلاهما برقة عبر طبقات الغبار التي تملأ الظلال النغمية، والعوالم البينية، والمجالات الوسطى، فهذه هي الأشياء التي تعرفها الطبقة المتوسطة خير معرفة. إذن يفتتحان هذا الفاصل الموسيقي بأفول شوبرت المتواضع، أو كما كتب أدورنو: "الأفول في فانتازيا شومان من مقام دو كبير". تتناسب الموسيقى إلى الاتساع الرحب، إلى داخل اللاشيء، ولكن دون أن يتناسى العازف تجسيد الاضمحلال الواعي! الاضمحلال دون ملاحظته، بل دون أن يقصد المرء ذاته! كلاهما يصمت لبرهة، كي يستطيعا الاستمتاع بما يبوحان به في المكان غير المناسب. كل واحد منهما يعتقد أنه يفهم المقطوعة أفضل من الآخر، الأول اعتماداً على شبابه، والثانية استناداً إلى نضجها. بالتناوب يدخلان في مزايده على من منهما يشعر بالغضب تجاه الجهلة وعديمي الفهم، مثل الذين تجمع منهم كثيرون هنا. ألقى نظرة واحدة فقط حولك، يا بروفيسورة! انظر حولك بدقة، يا سيد كلمر! رباط الاحتقار ألف بين قلبي المدربة والمتدرب. أفول شوبرت، النور الذي أضاء حياة شومان، هذا هو النقيض التام لما تعتقده الجماهير السليمة، عندما تطلق على تقليد ما لفظة "سليم"، لكي تتشمس تحت أشعته. الصحة والسلامة، "تفو" يا شيطان. إن الصحة هي تجلي ما هو كائن. واضعو البرامج

التقليدية في الحفلات الفيلهارمونية، برغبتهم الأصيلة في مسامرة السائد، يجعلون شيئاً اسمه الصحة - على المرء أن يتمعن في ذلك - هو المقياس الأساسي للموسيقى المهمة. الصحة هي دوماً في صحبة المنتصرين؛ الضعيف، يسقط. إنه يفشل وسط هؤلاء من زائري الساونا والمتبولين على الأسوار. بيتهوفن، الذي يعتبرونه أستاذاً يتمتع بالصحة، كان للأسف أصم. أو برامز الذي كان سليماً قلباً وقالباً. كمر يجرؤ على القول (ويصيب في الصميم) إن بروكنر يتراءى له دوماً صحيحاً. تصحح له رأيه بجدية. تظهر إريكا بتواضع جروحها وإصاباتهما، التي لحقت بها من جراء الاحتكاك مع الوسط الموسيقي في فيينا والريف النمساوي. إلى أن استسلمت. المرهفة الحس يجب أن تحترق، هذه الفراشة الرقيقة. ولهذا فإن الاثنين، تقول إريكا كوهوت، الاثنين المريضين في أقصى حالات المرض، شوبرت وشومان، اللذين يشترك اسمهما في الأحرف الأولى، هما الأقرب إلى قلبي المعذب. ليس ذلك الشومان الذي هربت منه كل الأفكار، وإنما شومان قبل ذلك بمسافة ضئيلة! شعرة قبل ذلك! إنه يحدث بالفعل هروب روحه منه، ويعاني بسبب ذلك كل المعاناة، ويودع حياته الواعية ليهرب إلى كورال الملائكة والشياطين، ولكنه يتماسك لآخر مرة، وهو لم يعد يعي ذاته وعيا كاملاً. ثم إنصات مليء بالأشواق، الحزن على فقدان أثنى ما يمتلكه: نفسه. المرحلة

التي ما زال يعرف فيها المرء ما يخسره في ذاته، قبل أن يفقد المرء نفسه كلياً.

بنغمات هادئة تبوح إريكا بأن أباهما - بعد أن وصل إلى العتة الكامل - توفي في مصحة "شتاينهوف". لذلك - ومبدئياً - لا بد من مراعاة حالة إريكا، فما أصعب ما مرت به. بعد كل الهجوم المتهمك على "الصحة"، لم تعد تريد أن تتحدث عن ذلك، لكنها تلمح إلى عدة أشياء. شاهرة إزميلها تريد إريكا أن تعذب كلمر لتستخرج منه بعض العواطف، دون مراعاة لأي شيء آخر. من أجل معاناتها تستحق هذه المرأة كل جرام مودة ذكرية يمكن أن تحصل عليها. اهتمام الشاب يستيقظ على الفور من جديد، وبانتباه كامل.

نهاية الاستراحة. من فضلكم عودوا إلى أماكنكم. تستمعون الآن إلى أغاني برامز، تؤديها سوبرانو شابة، وبعد ذلك الختام، فلن يأتي من هو أفضل من الثنائي كوهوت-هابركورن. يعلو الآن تصفيق أقوى من قبل الاستراحة. الحاضرون يشعرون بالارتياح لأن الحفل انتهى. صيحات "برافو" أكثر، وهذه المرة ليست من أم إريكا فقط، بل من أفضل تلاميذ إريكا أيضاً. الأم وأفضل تلميذ يتبادلان النظرات من زاوية العين، كلاهما يصرخ عالياً وبحماسة، ويحصدان مقابل ذلك أطنانا من الشك والريبة. أحدهما يريد شيئاً، والأخرى تمنع في إعطائه له. الإضاءة الآن مبهرة، الثريا تضاء أيضاً، لا يدخرون شيئاً في هذه اللحظة الجميلة. الدموع تترقرق في عيني رب البيت.

إريكا عرفت مقطوعة إضافية لشوبان، ورب البيت يفكر ليلاً في بولندا^(١٠) مسقط رأسه. المغنية وإريكا، مرافقتها الجذابة، يحصلان على باقتي زهور عملاقتين. ثم تظهر أمان وأب يقدمون أيضاً باقات زهر، إلى السيدة البروفيسورة، التي ترعى أطفالهم. المغنية الموهوبة لا تحصل إلا على باقة يتيمة. بلطف تساعد أم إريكا في تحنيط الباقات بورق السيلوفان استعداداً لنقلها. علينا أن نحمل هذه الزهور الرائعة حتى المحطة فقط، ثم نقلنا الترام بكل راحة حتى باب الشقة تقريباً. يبدأ المرء في التوفير في أجره التاكسي، لينتهي بالحصول على شقة. أصدقاء مخلصون ومساعدون يقدمون خدماتهم، ويعرضون عليهما إيصالهما بسياراتهم، لكن الأم تصف ذلك كله بأنه لا داعي له. شكراً جزيلاً. لا نقبل الجميل، ولا نقدم جميلاً لأحد.

يهرع فالتر كلمر ويقدم العون لأستاذته في البيانو وهي ترتدي المعطف الشتوي ذا الياقة الفرو، الذي يعرفه من الدرس جيداً. إنه مزود بحزام في الخصر، وله هذه الياقة الوثيرة من فرو الثعلب. ويساعد الأم في ارتداء معطفها الفارسي الأسود. يريد أن يواصل الحديث الذي انقطع. على الفور يقول شيئاً عن الفن والأدب، تحسباً لأن تكون الأنسة كوهوت قد نزلت كل ما لديها من موسيقى، بعد هذا النصر الذي استطاعت تحقيقه والاحتفال به. يلتصق بإريكا التصاقاً شديداً، ويغرز أول سهامه

(١٠) إشارة إلى بيت شعر مشهور لهاينريش هاينه، وهو ليلا أفكر في ألمانيا". وبولندا هي أيضاً مسقط رأس شوبان. (المترجم)

فيها. يساعدها كي تدخل زراعتها في المعطف، بل تبلغ به
الجرأة أن يمسك بشعرها نصف الطويل ويسحبه من وراء
الياقة الفرو، ويهدمه فوق المعطف. ثم يعرض على السيدتين
أن يرافقهما حتى محطة الترام.

تحدث الأم شيئاً لا تستطيع في الوقت الراهن البوح به
بصوت عال. أما إريكا فإنها تسعد سعادة متضاربة بسبب فيض
الاهتمام الذي غمرها به. تأمل ألا يصبح الفيض فيضاناً يجرفها
معه! لقد حصلت على علبة بونبون ضخمة، يحملها الآن السيد
فالتر كمر الذي انتزعها من يدها. تلقي على عاتقه أيضاً بياقة
من الليلك برتقالية اللون، أو ما يشبه ذلك. تحت أعباء كثيرة
مختلفة، وليست الموسيقى بأقل تلك الأعباء، مضى الثلاثة ببطء
بظهر منحني إلى محطة الترام، بعد أن ودعنا مضيفينا بحرارة.
فليتقدم الشباب في السير، ماما لا تستطيع أن تسير خطوة
الشباب السريعة. في الخلف تحل الأم المكان الأفضل كي
تراهما وتتصت إلى ما يقولانه. إريكا تتردد، في هذه المرحلة
المبكرة، لأن الأم عليها الآن أن تخطو - وحدها تماماً -
خطواتها القصيرة خلفهما. في المعتاد، تستمتع السيدتان
كوهوت بالسير زراعاً في زراع والتحدث عن إنجازات إريكا،
والإثناء عليها ومدحها بلا خجل. اليوم يأخذ شاب ابن الأمس،
رمت به الريح في طريقهما، مكان الأم العتيدة التي تسير
وراءهما منكسرة، مهملة، كي تتولى مهمة الحراسة الخلفية.
تشد الأم حبالها الآن، وتجذب إريكا إلى الخلف. يستغرب المرء

أن تسير الأم وحدها في الخلف. ويزيد الأمر سوءاً أنها هي التي طلبت ذلك. لو لم يفرض السيد كلمر خدماته هكذا، لكانت إريكا تسير الآن مستريحة بجوار التي أنجبتها. كانتا ستجتريان ما عايشتهما معاً، وربما أكلتا شيئاً من علبة البونبون. تمهيداً للدفع المنزلي الجميل والمريح الذي ينتظرهما بعد قليل في غرفة المعيشة. ما زالت الغرفة محتفظة بدفئتها. وربما تلحقان شيئاً من فيلم السهرة في التليفزيون. سيكون ذلك مسك الختام لمثل هذا اليوم العطر بالموسيقى. هذا التلميذ يقترب منها أكثر فأكثر. ألا يستطيع أن يحافظ على مسافة بينه وبينها؟ إنه أمر محرج أن تشعر المرأة بجسد شاب دافئ يسير جانبها، ويتصاعد منه البخار. هذا الشاب يبدو غضا وغبيراً على نحو فظيع، لا بد أن إريكا سيصيبها الفزع منه. هل يريد أن يتقل كاهلها بصحته الجيدة؟ الخلوة البيئية تبدو مهددة، فهي لا تسمح لأحد أن يشاركهما فيها. فمن غير الأم يستطيع أن يضمن الهدوء والنظام والأمان داخل جدران البيت الأربعة؟ إريكا منجذبة بكل جوارحها إلى الفوتيه الوثير أمام التليفزيون، والباب مغلق بالمفتاح. هي لها مقعدها الثابت، والأم لها مقعدها، وإن كانت الأم ترفع قدميها المتورمتين في الغالب على مقعد فارسي منخفض مبطن. النعيم البيتي يوشك على الاندثار لأن هذا الـ كلمر لا يريد أن يخلي السبيل. أيريد أن يقتحم المنزل؟ لو خيروا إريكا، لودت أن تزحف عائدة إلى رحم أمها، وأن تتأرجح بنعومة في مياهه الدافئة. في الخارج دافئة

ورطوبة، كما في الداخل. عندما يقترب منها كلمر أكثر من اللازم، تتيبس الابنة في سيرها أمام الأم.

ما زال كلمر يتحدث ويتحدث. إريكا صامتة. تمر أمام عينيها خبراتها النادرة مع الجنس المخالف، لكن ذكرياتها لا تثير شعورا بالارتياح. كما أن الحاضر آنذاك لم يكن يثير شعورا أفضل. ذات مرة حدث ذلك مع مندوب مبيعات، راح يعزف لها أنغامه في مقهى، إلى أن استسلمت له كي تخرسه. اكتملت مجموعة الأثاث البائس من مقاعد منخفضة جلدية بيضاء بوجود شاب قانوني، وأستاذ شاب في مدرسة ثانوية. ولكن سنوات عديدة دخلت البلاد، وخرجت منها منذ ذلك الحين. فجأة وجدت كلا الأكاديميين بانتظارها بعد إحدى الحفلات الموسيقية، ممسكين بذارعي معطف إريكا مثل ماسورتي مسدس آلي. وبذلك أخذها على غرة، إذ إنهما كانا يمتلكان السلاح الأكثر خطورة. في كل مرة لم تكن إريكا تتمنى سوى العودة بأسرع ما يمكن إلى أمها. لم تكن الأم تدري شيئا بهذا الشأن. بهذه الطريقة تم المرور بشقتين أو ثلاث من شقق العزاب المزودة بمطبخ صغير وبانيو لا يستطيع المرء أن يستلقي فيه، بل أن يجلس فقط. مراعي عجفاء، لم تجد فيها ذوافة الفنون ما يُسمن أو حتى يُشبع.

في البداية كانت تستمتع استمتعا خاصا عندما تنتفخ نفسها قائلة إنها عازفة بيانو، حتى وإن كانت الآن خارج العمل، فلم يسبق أن جلست عازفة بيانو على كنبه أحد هؤلاء السادة. على

الفور يسلك الرجل سلوك الفرسان، وتستمتع المرأة بهذه المعاملة. ولكن ليس هناك امرأة تبقى أثناء فعل الحب رائعة لمدة طويلة. سريعاً جداً يسمح السادة الشبان لأنفسهم بأشياء لطيفة. وخارج المنزل أيضاً. لم يعد أحد يمسك بباب السيارة المفتوح حتى تجلس المرأة، وإذا ارتكبت حماقة، فإنهم ينهالون عليها بالسخرية والتهكم. بعد ذلك يكذبون على المرأة، يخدعونها، يعذبونها، ثم تقل اتصالاتهم التليفونية. قصداً لا يخبرون المرأة بقصدهم، تاركين إياها في ضباب الحيرة. رسالة تبقى دون رد، ثم رسالتان. تنتظر المرأة وتنتظر، ولكن دون جدوى. لا تسأل عن سبب انتظارها، لأنها تخشى الإجابة أكثر من الانتظار. وفي تلك الأثناء ينصرف الرجل بعزم وتصميم إلى نساء أخريات ويشملهن برعايته الكاملة.

السادة الشبان دحرجوا حجر الرغبة في أعماق إريكا، لكنهم سرعان ما توقفوا. أغلقوا الحنفية عليها. أغلقوا الماء وتركوا لها شيئاً من الغاز. بالعاطفة واللذة حاولت إريكا أن تقيدهم إليها. بقوة كانت تضرب بقبضاتها على النقل المتأرجح، الميت، المستلقي فوقها، من الحماسة لم تستطع أن تكتم الصرخات. بأظافرهما كانت تتعمد أن تخرّبش ظهر الخصم. لم تكن تشعر بشيء. لكنها كانت تمثل أن الرغبة تحرقها، كي يتوقف الرجل أخيراً عما يفعله. جامدة المشاعر هي مثل خرقة قديمة على السطوح يتساقط فوقها المطر.

لم يلبث كل سيد أن هجر إريكا، والآن لم تعد تريد سيداً يرقد فوقها. لا تتبعث من الرجل سوى جاذبية ضعيفة، كما أنه لا يبذل إلا جهداً ضئيلاً. الرجال لا يتعبون أنفسهم في سبيل الحصول على امرأة غير عادية مثل إريكا. مع أنهم لن يتعرفوا في حياتهم على امرأة مثلها أبداً. لأن هذه المرأة فريدة من نوعها. سوف يندمون على ذلك للأبد. ومع ذلك لا يتعبون أنفسهم. يرون إريكا، ويستديرون، ويواصلون السير. لا يبذلون الجهد اللازم للالتفات إلى القدرات الفنية الفريدة بالفعل لهذه المرأة، والتدقيق فيها، ويفضلون الاهتمام بمعارفهم الذاتية السطحية وما تتيحه من فرص. تبدو هذه المرأة أصلد وأقسى من أن تخرقها سكينتهم الثلثة الصغيرة، ولكن ذلك لا يسلبهم دقيقة واحدة من النوم. تنكمش إريكا وتمسي مومياء، وهم ينصرفون إلى أشغالهم المملة، وكان هذه الزهرة النادرة لا تحتاج إلى أن تروى.

راح السيد كلمر يتأرجح دون أن يعلم شيئاً عن هذه الأحداث، كباقة زهور حية بجانب السيدة كوهوت الابنة، وفي إثرهما السيدة كوهوت الأم. إنه شاب للغاية. لا يمكن أن يحدث كم هو شاب. ينعم على معلمته بنظرة جانبية مفعمة بالتقديس والتواطؤ. يتقاسم معها سر الفن. حتماً تفكر هذه المرأة بجواره، مثله تماماً، كيف يمكن إبطال مفعول الأم في هذه اللحظة. كيف يمكنه أن يدعو إريكا لشرب كأس نبيذ حتى يختتم اليوم بطريقة احتفالية. لا يفكر كلمر في أكثر من ذلك. المعلمة بالنسبة له

مثال النقاء. توصيل الأم، والخروج مع إريكا! هكذا ينطق اسمها مجرداً. لكن هذه تدعي إساءة الفهم، لذا تسرع من خطواتها، حتى نصل بسرعة، وحتى لا يصل الشاب إلى أفكار غريبة. عليه أن ينصرف أخيراً! ثمة طرق كثيرة، يستطيع السير على أي منها، ويرينا عرض أكتافه. بمجرد ابتعاده أخيراً، سوف تنتف ريشه مع الأم، ريشة ريشة، ستقول لها إن هذا التلميذ يعبدها سرا. هل ستتفرج اليوم على فيلم فريد أستير؟ أنا سأفعل! لن أدعه يفوتني. الآن يعرف السيد كلمر ما ينتظره: لا شيء.

في الطريق المظلم إلى محطة الترام العلوية يُقدم كلمر على محاولة متهورة لإثبات شجاعته، وبسرعة يتصيد يد البروفيسورة. أعطني يدك، يا إريكا. بإمكان هذه اليد أن تعزف عزفا رائعا على البيانو. الآن تنزلق يدها إليه ببرود، ثم تبتعد على الفور. نسمة هواء ارتفعت، ثم عم الهدوء ثانية. تتصرف وكأنها لم تلاحظ الاقتراب. أول محاولة فاشلة. تجرأت اليد لأن الأم مشت لمسافة بجانبهما. تسير الأم الآن في الشارع بمحاذتهما حتى تحرس الجبهة الأمامية للثنائي الشاب. ليس هناك خطر من قدوم سيارة في مثل هذا الوقت، والرصيف في هذه المنطقة ضيق. ترى الابنة خطراً، ولذلك تسرع بأن تجعل الأم المندفعة تمشي ثانية على الرصيف. يد كلمر تقع ضحية هذه التحركات.

بعد اليد، يتحرك فم كلمر باجتهاد. ينفتح الفم وينغلق، بلا تجاعيد رقيقة تحوط به. بدون أي تعب. يريد أن يتبادل الرأي مع إريكا حول مضمون كتاب ألفه نورمان مايلر. كلمر معجب به فناناً وإنساناً. رأيه في الكتاب هذا وذاك، هل تخالفه إريكا الرأي تماماً؟ إريكا لم تقرأ الكتاب، وبهذا يحتضر تبادل الرأي. بهذا الطريقة لن يتقدما خطوة. تود إريكا لو استعادت شبابها الذي مضى، أما كلمر فإنه يمضي في طريقه طالباً يدها. الوجه النضر للرجل الشاب يشرق بنعومة تحت مصابيح الشوارع وضوء واجهات المحلات، وبجانبه تسير عازفة البيانو منكمشة، ورقة محترقة في فرن الرغبة. لا تجرؤ على النظر في اتجاه الرجل. في حالة الضرورة ستجرؤ الأم بالتأكيد على إجراء عملية فصل بين هذا الثنائي. إريكا مقتضبة في كلامها وغير مهتمة، الأمر الذي يزداد كلما اقتربوا من محطة الترام. تعوق الأم إجراء هذه الصفقة الشبابية تحت عينيها، لذا راحت تتحدث عن الإصابة بالبرد، ثم استفاضت في الكلام عن الأعراض. تعطيها الابنة الحق. على المرء أن يتحاشى العدوى، بدلا من أن يندم في الغد، حيث لا ينفع الندم. السيد كلمر يفرد جناحيه في آخر محاولة يائسة، ويعلن أن لديه علاجاً ناجعاً ضد البرد: تقوية جهاز المناعة قبل الإصابة. ينصح بالذهاب إلى الساونا. ينصح بقطع عدة أشواط محترمة في حمام السباحة. إنه ينصح عموماً بالرياضة، وخصوصاً بأكثر أنواعها إثارة: الإبحار بالمراكب المطاطية في النبوع

والمياه الجبلية. الآن في الشتاء يمنع الجليد المرء من ممارسة هذه الرياضة، على المرء أن يبحث بصورة مؤقتة عن بديل رياضي آخر. ولكن قريباً، مع مطلع الربيع، سيكون الطقس أروع ما يكون لهذه الرياضة، لأن الأنهار تمتلئ بمياه الجليد المنصهر التي تجرف في طريقها كل شيء. ينصح كل مر إثر ذلك بالذهاب إلى الساونا. إنه ينصح بممارسة كافة أنواع الرياضة العامة. إريكا لا تنصت إلى ما يقوله، لكن نظراتها تنزلق ناحيته، لتبتعد على الفور في ارتباك. من سجن جسدها المتقدم في العمر ترسل نظرات تبدو غير مقصودة. لن تحاول نشر هذه القضبان الحديدية، لن تدعها الأم تلمس قضبانها. كل مر، الذي يخالف إريكا دائماً الرأي، هذا المقاتل ذو الدم الحامي، يتلمس بجساره خطوة أخرى إلى الأمام، حيوان صغير يحوم حول الأسوار، هل يشتهي البقرة، أم أن كل ما يشتهي مرعى آخر جديد؟ لا أحد يعرف. إنه ينصح بالرياضة لأنها تمنح المرء شعوراً بالبهجة، ولأنها عموماً تعلم المرء أن ينمي شعوراً بالجسد وللجسد. لن تصدقي، يا بروفيسورة، مدى البهجة البدنية التي يمكن أن يشعر بها المرء أحياناً! أسأليه عما تودين، وسيقول لك. إنه لا يلفت النظر في البداية، هذا الجسد، ولكن بعد ذلك: هوووه! يتأثر، ويربى عضلات. يتمطى في الهواء الطلق. لكنه يعرف حدوده أيضاً. وهنا أيضاً ينصح، وكالمعتاد، برياضته المفضلة، الإبحار بالمراكب المطاطية في النبوع والمياه الجبلية. تتصاعد ذكرى واهية إلى رأس إريكا،

لقد رأيت شيئاً مثل هذا في التليفزيون: مراكب مطاطية. حدث ذلك في أحد البرامج الرياضية المطولة في نهاية الأسبوع، قبل أن يبدأ فيلم المساء. تتذكر هؤلاء الرياضيين، بصدريات يرتقالية اللون، وخوذات متكورة على الرأس. باستخدام عصا يحاولون التجديف في قوارب ضئيلة أو ما يشبه ذلك، وكأنهم ثمرة كمثرى تطفو وسط زجاجة عرق، لا تصعد إلى القمة، ولا تهبط إلى القاع. كانوا في معظم الأحيان ينقلبون في أثناء تلك الحركات التي كانوا يقومون بها. إريكا تبسم. لبرهة تفكر في أحد هؤلاء السادة، لقد أطلقت صرخة عالية عندما رآته ينقلب، ولكنها نسيته أمره على الفور. لا تبقى إلا أمنية واهية، أن تتسى "هذا" على الفور أيضاً. هكذا. ها نحن وصلنا!

الكلمات في فم السيد كلمر تشعر بالبرد. بصعوبة يقول شيئاً عن الترحلق على الجليد، فالآن هو الموسم. ليس من الضروري أن يسافر المرء بعيداً جداً عن المدينة، بالقرب من فيينا سيجد المرء منحني من أجمل المنحنيات، بما يتناسب مع كافة الرغبات. أليس هذا رائعاً؟ تعالي معي مرة يا بروفيسورة، فالشباب ينجذب إلى الشباب. سنقابل هناك أصدقاء من سني، سيعتتون بأمرك خير عناية يا بروفيسورة. لسنا رياضيين إلى هذا الحد، تنهي الأم الحديث، وهي التي لم تشاهد في حياتها رياضة من مسافة أقرب من شاشة التليفزيون. نحن نفضل في الشتاء أن ننزوي في المنزل، ونتفرج على مسلسل بوليسي مثير. ونحن عموماً نفضل الانزواء، أتعرف، عموماً. نحن

نعرف ما مضى، ولا نريد أن نتعرف على الآتي. قد يكسر المرء ساقه في أثناء ذلك.

يقول السيد كلمر إن باستطاعته أن يستعير سيارة أبيه في كل وقت تقريبا، إذا أخبر والده بذلك قبلها بمدة كافية. في الظلام تحفر يده فيما حولها، لكنها تعود خاوية الوفاض تماما. في أعماق إريكا ينشأ نفور، يتنامي مع الوقت ويزداد حدة: لو ينصرف! يستطيع أن يأخذ يده معه أيضا. وينصرف! يا له من تحد فظيع تواجهها الحياة به، وهي، إريكا، اعتادت أن تواجه فقط تحديات العزف المتقن. أخيرا تلوح في الأفق المحطة المغطاة بالزجاج الاصطناعي. الإضاءة المهدئة، والدكة الصغيرة. لا ترى في الأفق سفاحا أو قاطع طريق، أما بالنسبة إلى كلمر فستتغلبان عليه معا. أشعة عمود الإنارة. إنها ترى أيضا شخصين منتظرين، كلاهما امرأة قد لفت وجهها من البرد، لا مرافق معهما، لا حماية. في مثل هذه الساعة المتأخرة ينتظر المرء طويلا حتى يأتي الترام، وللأسف فما زال كلمر لم يفارقهما. إذا كان السفاح الآن غير موجود، فربما يأتي فيما بعد، وعندئذ سيحتاجان إلى كلمر. تشعر إريكا بالفزع، متى سينتهي هذا التقارب، ومتى ستعبر عنها هذه الكأس المرة؟ ها هو الترام يأتي! قريبا ستحدث مع أمها عن بعد حول ذلك، عندما يبتعد السيد كلمر. لا بد أولا أن يبتعد، عندئذ تتحدثان عنه بالتفصيل، لن تشعر بأكثر من دغدغة ريشة على جزء من البشرة. يأتي الترام، وينطلق بالسيدتين كوهوت اللتين تشعران

بالغبطة. السيد كلمر يلوح، لكن السيدتين منهنكيتين تماما في
إخراج المحفظة والتذكرة المشترأة سلفا.

في ارتباكها الفظيع تتعثر الطفلة التي يتحدثون عن موهبتها على نطاق واسع. تتحرك وكأنها داخل شِوال يصل حتى عنقها، وعليها داخل الشِوال أن تعبر عوائق، أو حبالاً ممدودة على ارتفاع منخفض. تجدف بالذراعين والقدمين. تجاهل الآخرين لها وضع في طريقها أسلاك العثرة هذه، تقول شاكياً بصوت عال. الذنب ليس ذنبها أبداً. المعلمون الذين لاحظوا ذلك، كانوا يعطف يواسون الطفلة المرهقة موسيقياً بما لا طاقة لها به. من ناحية لقد ضحت بكل وقت فراغها من أجل الموسيقى، ومن ناحية أخرى كانت هدفاً لسخرية الجميع. ومع ذلك تسلل إلى معلمها امتعاض خفيف، نفور رقيق معلق في الجو عندما يعلنون أنها الوحيدة التي تعاني بعد المدرسة، ليس فقط من قلة عقلها. تواضع بائس لا معنى له يتقل على روحها، تشتكي منه لأمها في المنزل. تسرع الأم إلى المدرسة، وتشتكي بصوت عال من التلاميذ الآخرين، الذين يرغبون بكل الوسائل في إفساد فلذة كبدها. عقب ذلك يتزايد غضب الآخرين تجاهها، ويضمرون لها الانتقام بحق. إنها دورة لا نهائية من الشكاوى، وما يدفع إلى الشكوى. بكل سرور يضعون في طريقها صناديق معدنية مليئة بزجاجات الحليب المدرسية الفارغة، وهو ما يتطلب انتباهاً خاصاً، لم تحصل عليه الزجاجات. كل

اهتمامها موجه سراً إلى زملائها الذكور. تسترق النظر إليهم من زاوية العين وتتجسس عليهم، بينما تجدف برأسها المرتفع في اتجاه آخر تماماً، ولا تلاحظ هذا الذي يغدو رجلاً، أو ذاك الذي يريد أن يُدرب رجولته.

العوائق مزروعة كالكمان في صالات المدرسة المتعفنة. قبل الظهر تفوح رائحة العرق من التلميذ العادي الذي يسعى جاهداً - بينما يبذل والداه معه جهداً كبيراً محموماً - إلى الوصول على الأقل إلى - مستوى متوسط في المدرسة. بعد الظهر تقوم موهبة غير عادية بأعمال غير عادية، تقلب المكان رأساً على عقب: التلميذ المتخصص في الموسيقى الذي يحل كالقضاء المستعجل على المدرسة التي حُوت إلى قاعة موسيقى. كالجراد تتساقط آلات مزعجة فوق حجرات الفكر الهادئة. طوال اليوم تكون المدرسة مهددة بأن يكتسحها فيضان القيم الباقية، من العلم والموسيقى. يوجد أمثال طلبة الموسيقى هؤلاء من كل عمر وطول، حتى بين طلبة الثانوية العامة وطلبة الجامعة! كل منهم يهدف إلى أن يُنطق آلة موسيقية، على الأقل.

إنها تصر بكل قواها دوماً على الوصول إلى فقعات هوائية لحياة داخلية لا يدري الآخرون شيئاً عن مجرد وجودها. جميلة هي في جوهرها، كشيء ميتافيزيقي، وهذا الجوهر انتفخ وتكور في رأسها من تلقاء نفسه. الآخرون لا يرون هذا الجمال. بقوة التفكير ترى نفسها جميلة، وفي أعماق الروح

تمنح نفسها وجهاً من وجوه المجلات المصورة، تلبسه فوق وجهها. سوف تمنعها أمها من ذلك. تستطيع تغيير هذه الوجوه كما يحلو لها، مرة أشقر، مرة أسمر، هكذا يعشق الرجال النساء في معظم الأحيان. وهي تتوافق مع السائد، هي أيضاً تريد أن تحب. إنها كل شيء، ولكن ليست جميلة. موهوبة، سلوكها جميل، ولكنها ليست جميلة. إنها بالأحرى لا تلفت النظر، وهو ما تؤكد الأم باستمرار، حتى لا تعتبر نفسها جميلة. بخسة ليست بعدها خسة تهددها الأم قائلة: لن تستطيعي أن تقيدي رجلاً إلا بقدراتك وبعلمك! تهدد الطفلة بالقتل ضرباً إذا رآها أحد مع رجل. تجلس الأم في مركز المراقبة، تتحكم، تبحث، تحسب، تقوم باللازم، تعاقب.

بأربطة التزاماتها اليومية ملفوفة هي مثل مومياء مصرية، إلا أن أحداً لا يتحرق شوقاً لرؤيتها. طوال ثلاث سنوات وهي تعلن بمثابة عن أمنيتها في الحصول على حذاء عالي الكعب لأول مرة في حياتها. أبداً لا تتخلى بالنسيان عما تريده. هي بحاجة إلى المثابرة كي تحقق أمنيتها. وهي تستطيع المثابرة. ستحصل على الحذاء، الذي ستلبسه عند عزف سوناتات باخ المنفردة. هكذا اشترطت الأم الخبيثة إجادتها للسوناتات كي تحصل على الحذاء. لن تحصل أبداً على الحذاء. تستطيع أن تشتريه بنفسها، عندما تكسب من عرق جبينها. تحرك الأم الحذاء دائماً كأنه جزرة أمام عينيها. بهذه الجزرة ترغبها الأم

مسافةً أخرى، ثم مسافةً أخرى، ولكن الطفلة لم تستطع الحصول على الحذاء، ولهذا تحبها الأم.

في كل وقت تتعالى وتسمو فوق الآخرين، فوق الآخرين ترفعها أمها عاليا أثناء ذلك. ولكنها، مقارنةً مع ما ينبغي الوصول إليه، تبقى خلف نفسها، وتحت نفسها. هكذا ترى الأم. رغباتها البريئة تتحول مع مرور السنوات إلى طمع مُهلك، إلى إرادة تدميرية. ما يملكه الآخرون، تريده أيضاً، وبصورة حتمية. وما لا تستطيع امتلاكه، تريد تدميره. تبدأ في سرقة الأشياء. في المرسم العلوي، حيث تقام دروس الرسم في المدرسة، تختفي جحافل من الألوان المائية والأقلام والفرشاة والمساطر. تختفي نظارة شمسية كاملة من البلاستيك، عدسات النظارة - أحدث صيحة في عالم الموضة - تتلون كقوس قزح! لا يمكنها أبداً الاستفادة من البضاعة المسروقة، لأنها من الخوف ترميها في أول صندوق قمامة تصادفه في الشارع، حتى لا يجدها أحد في حوزتها. تبحث الأم، وتعرف دوماً ما تم شراؤه سراً من شيكولاته، أو الآيس كريم الذي جمعت ثمنه من النقود التي ادخرتها خفيةً من تذاكر الترام.

بدلاً من النظارة الشمسية كانت تفضل أن تأخذ معها التايير الرمادي الجديد المصنوع من الفلانيل الذي ترتديه إحدى الفتيات. ولكن ليس من السهل سرقة التايير، إذ إن صاحبه تملؤه طوال الوقت. على سبيل التعويض، وبجهد فائق ينم عن مُخبرة سرية رائعة، تتوصل إلى أن الفتاة كسبت هذا الفستان

بثديها في الشوارع. تسلت أياماً وراء ظلال الذئب الرمادية التي تلقي بها لابسة التايير: الكونسرفتوار، ثم بار "بريستول" وما به من رجال أعمال في منتصف العمر - الذين يشعرون، يا حلوة أنت، في أيامنا هذه بالوحدة الفظيعة - كل ذلك في منطقة واحدة. الزميلة البضة لم تتعد بعد الستة عشر عاماً، ووفقاً للوائح يتم الإبلاغ عن الخطيئة التي ارتكبتها. تحكي لأمها عن التايير الذي تشتهيه، والأماكن التي يمكن للفتاة أن تكسب التايير بجسدها. ببراءة الأطفال المصطنعة تتساب الكلمات على شفثيها، حتى تسعد الأم بسذاجة طفلتها، وتمتدح الطفلة على ذلك. بسرعة ترتدي الأم ثياب الصيد، وتذهب إلى المدرسة وهي ترغي وتزبد، ولا ترضى بأقل من طرد للفتاة يكون عبرة لمن يعتبر. التايير الرمادي يطير من المدرسة مع لابسته، بعيداً عن العين، ولكن ليس بعيداً عن القلب، إذ أنه يظل يحوم بروحه في المكان فترة طويلة، مُخلفاً وراءه تشققات وأخاديد. صدر الحكم على صاحبة التايير، وكعقوبة أصبحت بائعة في محل عطور في وسط المدينة. عليها الآن أن تتحمل بقية حياتها دون أن تشعر بالسعادة التي يمنحها الحصول على تعليم عام! ولم تصبح، ما كان يمكن أن تصبح.

كمكافأة على عدم التواني في الإبلاغ عن الخطر، سمحوا لها بأن تصنع بيديها شنطة مدرسية، لافتة للنظر إلى أقصى حد، من البقايا الجلدية الرخيصة. من المهم أن تقضي وقت فراغها - وإن كان ليس لديها وقت فارغ - في نشاط نافع

مفيد. يستغرق الأمر وقتاً طويلاً إلى أن تكتمل الشنطة. أما ثمرة عملية الخلق فهو شيء لن يتجراً شخص آخر على الادعاء بأنه "ملكه"، ولن يرغب أحد في ملكيته. هي وحدها تمتلك مثل هذه الشنطة الخارقة للمألوف، بل ولديها الجرأة على السير بها في الشوارع!

التلاميذ الذين يقفون على أعتاب الرجولة والموسيقيون الشباب - ومعهم تعزف موسيقى الحجرة في أوركسترا إجباري - يوقظون لديها أشواقاً جارفة، يبدو أنها كانت كامنة في أعماقها على الدوام. أما على السطح فإنها تظهر كبرياء جموحاً، وفخراً، ولكن: بأي شيء تفتخر؟ تتضرع الأم إليها وتكرر ألا تغفر لنفسها أي ذنب، لأنها لن تسامحها على ذلك أبداً. لا تستطيع الابنة أن تغفر لنفسها أهون خطأ، لأنه سيظل شهوراً عديدة يحفر داخلها وينخرها. في كثير من الأحيان تعذبها فكرة لحوح: كان عليها أن تفعل شيئاً ما على نحو آخر، ولكن الآوان قد فات لتصحيح الخطأ! معلمة الكمان تقود بنفسها الأوركسترا الصغير - الذي يريد أن يكون أوركسترا - وفيه يجسد الكمان الأول السلطة المطلقة. تود أن تخطب ود أصحاب السلطة كي يجذبوها معهم إلى أعلى. إنها تخطب دوماً ود السلطة منذ الوهلة الأولى التي رأت فيها أمها. في فترات الاستراحة من العزف يقرأ الشاب - الذي تتبعه آلات الكمان الأخرى كما تلاحق الريح الراية المرفوعة أعلى البرج - كتباً مهمة لامتحان الثانوية العامة الوشيك. يقول إن الحياة الجادة

ستبدأ بالنسبة له قريبا، أي مع الدراسة الجامعية. إنه يخطط ويتحدث بجرأة عما يخططه. في بعض الأحيان ينظر مشتت الذهن من خلالها، ربما لكي يتمعن في معادلة حسابية، أو ربما معادلة الشهرة والمجد. لن يقدر أبدا على تصيد نظرتها، لأن صاحبة السيادة اعتادت على أن تنتظر بوقار إلى سقف الحجرة. لا ترى الإنسان فيه، بل الموسيقى فحسب؛ إنها لا تراه، وعليه أن يلاحظ أنه كالهواء. مع أن الجذوة داخلها تكاد تأتي عليها. ضياء فتيلها يفوق ألف شمس. هذا الضياء يهبط على تلك الجرذة العفنة التي يسمونها "العضو التتاسلي". ذات يوم، وحتى يُنعم عليها مرة بنظرة، تُلقي بقوة الغطاء الخشبي لصندوق الكمان على يدها اليسرى التي لا تستغني عنها. تصرخ عاليا من الألم حتى يمنحها بعض اهتمامه. ربما يتصرف معها بشهامة. ولكن كلا، إنه يريد أن يقضي الخدمة العسكرية، حتى يتفرغ لأشياء أخرى. إنه يشعر أيضا برغبة تدفعه لأن يصبح أستاذا في مدرسة ثانوية، وأن يتخصص في علم الأحياء واللغة الألمانية والموسيقى. من بين هذه المواد يتقن الموسيقى من الآن إتقانا لا بأس به. حتى يعترف بها زوجة، حتى يسجل وجودها في دفتر روحه كمخلوق أنثوي، فإنها تعزف له، وله وحده، صولو على البيانو خلال فترات الاستراحة، على البيانو هي ماهرة أشد المهارة، إلا أنه لا يحكم عليها إلا من خلال سوء تقديرها للأمور، وعدم مهارتها في أمور الحياة اليومية. هذه اللخمة لن تستطيع أن تغزو قلبه بقدميها الثقيلتين.

تقرر: لن تهب نفسها أبدا لأي رجل، ولن تحترق حتى
تذوي من أجل أي إنسان! تريد أن تحتفظ بكل شيء، بل وأن
تحصل أيضاً - إذا كان ممكناً - على شيء إضافي. الإنسان
هو ما يملك. إنها تصنع جبالا مائلة مما تملك، ومعارفها
وقدارتها تكون ذروة هذا الجبل، وفوقها جليد أملس كالزجاج.
لن يتغلب على مصاعب الصعود إلا أشجع المتزحلقين على
الجليد. في كل لحظة قد يتزحلق الشاب على تلالها، ويهوي في
حفرة لا قرار لها وسط الجليد. لقد عهدت لشخص بمفتاح قلبها
الغالي، مفتاح روحها الثلجية الملساء، ولذلك يمكنها أن تنتزع
المفتاح منه في كل وقت.

وهكذا تنتظر نافذة الصبر أن ترتفع في بورصة الحياة قيمة
أسهمها كعازفة ناشئة ممتازة. صامتة تنتظر، ومع الأيام
يزداد صمتها، في انتظار من يقرر أن يختارها، وعلى
الفور سوف تقرر بسعادة أن تختاره. سيكون إنسانا استثنائيا،
فذا في الموسيقى، وبلا غرور أو خيلاء. لكن ذلك الشخص قد
اختار: المادة الرئيسية الإنجليزية، أو الألمانية. له الحق في
كبريائه.

يلوح في الخارج شيء، تتعمد ألا تشارك فيه حتى تفتخر
فيما بعد بأنها لم تشارك. إنها تتمنى الحصول على ميداليات
ونياشين لعدم المشاركة الناجحة، حتى لا تقاس أو تقارن
بالآخرين. حيوان لا يسبح جيدا، ثقوب عديدة نالت من فرائه
بين مخالبه التلثة، يحاول أن يجدف على دفعات في بول الأم

الداقي، رافعاً رأسه والخوف يشله، ولكن - أين اختفت الضفة التي ستنقذه؟ ما أشق الخطوة الصاعدة إلى اليابسة التي يغلفها الضباب، وما أكثر المرات التي انزلت فيها الخطوة على المنحدر الأملس.

يغلبها الشوق إلى رجل يعرف الكثير، ويعزف على الكمان. ولكنه لن يعزف على أوتارها، إلا إذا تغلبت عليه. هذا الوعل المستعد للهرب يتسلق الصخور، إلا أن الطاقة تنقصه كي يتشم شذاها الأنثوي، وأن يستخرجها من الركام. إنه يتبنى الرأي القائل: المرأة هي المرأة. بعد ذلك يقول مداعبا عن قلب المزاج المشهور عند الجنس النسائي: النسوان! عندما يعطيها فرصة العزف فإنه ينظر إليها، دون أن يعي وجودها بالفعل. لا يأخذ قراراً ضدها، ولكنه يأخذ قراراً بدونها.

لن تسمح لنفسها أبداً بالتورط في موقف يمكن أن يظهرها ضعيفة، ناهيك عن أن تظهر بمظهر الخاضعة الخنوعة، لذلك تبقى في مكانها. لا تقبل المرور إلا بالمراحل المألوفة من التعلم والطاعة، ولا تذهب إلى مناطق جديدة. المعصرة تصر صريراً، بهذه المعصرة يستخرجون دمها من تحت أظافر أصابعها. العقل يطلب منها التعلم. أنا أطمح، إذن أنا أعيش، هكذا قالوا لها. أما الطاعة فتطلبها الأم. ثم: من يعرض نفسه للمخاطر، يهلك. هذه النصيحة من الأم أيضاً. عندما يخلو المنزل من الناس، تتعمد أن تجرح لحمها. إنها دائماً في انتظار اللحظة التي تستطيع فيها أن تقطع من لحمها دون أن يراقبها

أحد. ما تكاد تسمع الباب ينغلق، حتى تسرع وتستخرج شفرة حلقة والدها المتعددة الأغراض، تعويذتها الصغيرة. من معطف الأعياد تُخرج الشفرة بعد أن تنتزع عنها خمس طبقات من البلاستيك البكر. هي ماهرة في التعامل مع الشفرات، إذ إن عليها أن تحلق للأب: خذ الأب اللين هذا، تحت الجبهة الفارغة تماما، التي لا تؤرقها فكرة، ولا تغضنها إرادة. هذه الشفرة مخصصة للحمها فقط. هذا الموس الرقيق الأنيق المصنوع من الصلب المائل إلى الزرقة، مرن ومطاوع. تجلس بساقين منفرجتين أمام الجانب المكبر لمرآة الحلقة، ثم تشق شقا يوسع من فتحتها، هذه الفتحة التي تؤدي - مثل باب - إلى رحمها. إنها الآن خبيرة في إحداث شق بالشفرة لا يؤلم، فكم من مرة استخدمت ذراعيها ويديها وساقها كموضوع للتجارب. القطع في لحمها: هذه هي هوايتها.

مثل تجويف الفم، لا يمكن أن نصف مدخل الجسم ومخرجه بكلمة "جميل"، لكنه ضروري. هي هدف لنفسها، دون أي حماية؛ لكن ذلك على كل حال أفضل من أن يكون المرء هدفا للآخرين. فأمرها في يدها، ولليد مشاعر أيضا. إنها تعرف تماما، كم مرة، وإلى أي عمق. تفتح الفتحة على اتساعها أمام المرأة، ثم تجرى عملية مهبلية. بسرعة، قبل أن يأتي أحد. بمعلومات قليلة عن علم التشريح، وحظ أقل، يقترب الصلب البارد ثم يدخل، حيث يُعتقد أن ثقبها لا بد أن ينشأ في هذا المكان. يفتح، يرتعب من التغيير، ثم ينبثق الدم. ليس

منظرا غريبا، الدم، ولكن المرء لا يعتاده. كما هو مألوف: لا شيء يؤلم. ولكنها تقطع في الموضع الخاطئ، وتفصل بذلك ما جمعه الله الأب والطبيعة الأم في وحدة غير معتادة. ليس ذلك مسموحا للإنسان، ولذلك يثار جسدها. لا تشعر بشيء. لبرهة تتبادل قطعتا اللحم المقطوعتان نظرة محمقة في دهشة، إذ إن مسافة قد نشأت بينهما فجأة، لم تكن موجودة من قبل. سنوات عديدة وهما يتقاسمان حلو الدنيا ومرها، والآن يفصلان عن بعضهما البعض! في المرأة يبدو النصفان معكوسين، ولا يدري أيهما أي نصف هو. عندئذ يندفع الدم بحزم وحسم. تنز قطرات الدماء، ثم تنساب، وتختلط برفيقاتها، وتتحول إلى خيط لا ينقطع من الدم. وعندما تتحد الخيوط ينساب تيار أحمر، منتظم، مهدئ. من غزارة الدماء لا تدرك ماذا قطعت. كان هذا جسدها، ولكنه غريب عنها غربة فظيعة. لم تفكر من قبل في أنها لا يمكن أن تتحكم الآن في مسار القطع، مثلما يتحكم الطفل في قص القماش أثناء تعلم التفصيل، حيث يسير المرء بعجلة صغيرة فوق الحدود المنقطة أو المخططة، وبهذا يحتفظ المرء بالنظرة الشاملة. عليها أولا أن توقف سريان الدم، ولهذا ينتابها الخوف. الجزء السفلي من الجسم والخوف هما حليفان ودودان، غالبا ما يظهران معا. فإذا دخل أحد هذين الصديقين رأسها بدون أن يطرق الباب، فهي متأكدة تماما من أن الآخر ليس بعيدا. تستطيع الأم أن تراقب ابنتها، لتعرف: هل ستظل يداها على غطاء الفراش أم لا؛ ولكن لكي تراقب الخوف أو

تتحكم فيه، فلا بد عليها من أن تفلق جمجمة طفلتها، وتحك
الخوف لاستخراجه بنفسها.

لإيقاف النزيف تتناول علبة السيليلوز المحبوبة، التي
تعرف كل امرأة مميزاتا وتقدرها حق قدرها، لا سيما عند
ممارسة الرياضة، أو عموماً لدى الحركة. العلبة تمثل بديلاً
سريعاً للتاج الورقي الذهبي الذي تضعه البنت المرسلّة إلى
حفلة الأطفال في ثياب أميرة صغيرة. لكنها لم تذهب أبداً إلى
حفلات الأطفال التتكرية، والتاج لم تعرف يوماً شكله. وفجأة
ينزلق حلي الملكة ويختفي، وتجد المرأة نفسها في معمعة
الحياة. ما كان في السابق يتألق على الرأس بفخر طفولي،
وصل الآن إلى الموضع الذي ينتظر فيه الخشب الأنثوي الفأس
في صمت. الأميرة بالغة الآن، وهنا تنقسم الآراء مرة أخرى:
هذا السيد يريد قطعة أثاث لا تلفت الأنظار مكسوة بخشب قشرة
لطيف، والآخر يبغي طاقماً من خشب الجوز القوقازي
الحقيقي، أما الثالث فلا يريد إلا حطب تدفئة يكومه أكواماً
عالية. ولكن هنا أيضاً يستطيع السيد أن يثبت تفوقه: يمكنه أن
يرتب قطع الخشب فوق بعضها ليدخر مكاناً، قدر الإمكان. قبو
الفحم هذا، الذي ألقيت فيه قطع الخشب بفوضى تامة، قد
يسع لكمية أكبر من ذلك. النار تحترق في هذا البيت أطول
من احتراقها في مكان آخر، لأن في قبو صاحب البيت خشباً
أكثر.

في الخارج، أمام باب بيتها، ينتظرها العالم بأحضانها المفتوحة عن آخرها. إنه يصر على مصاحبة إريكا ك. كلما صدته إريكا، ألح العالم إلحاحاً أشد في فرض نفسه عليها. عاصفة ربيعية هوجاء انترعتها بدواماتها القوية. هبت الرياح تحت جونلتها الناقوسية، ثم، بعد قليل، تتركها تسقط بيأس. الهواء المشبع بالعام يتدافع في طبقات كثيفة تجاهها، ويملأ صدرها إلى حد يعوق التنفس. تسمع صوت احتكاك أشياء بجدار، واصطفاق أخرى.

في المحلات الصغيرة تتحني الأمهات على بضاعة ما، وهن يرتعشن وراء جدار الرياح الدافئة التي تهب من جبال الألب. ترتدي الأمهات ملابس ملونة على آخر موضة، وهن يأخذن المهمة الملقاة على عاتقهن على محمل الجد. يُترك الحبل للأطفال على الغارب، في حين انهمكت الشابات في تجريب معارفهن، التي استقنينها من أفخر المجلات المصورة، على ثمار الباذنجان البريئة، وثمار أخرى تُستورد من البلاد البعيدة. ترتعد فرائص أولئك النساء من النوعية السيئة وكأنهن رأين كوبرا ترفع رأسها القبيحة من بين ثمار الكوسة. ليس هناك إنسان بالغ سليم يمشي في مثل هذا الوقت في الشارع، إلا إذا كان لديه ما يقضيه. حول مدخل المحلات وضع تجار

الخضروات تلالا من الأقفاص المليئة بحاملات الفيتامينات الملونة، في كافة مراحل التعفن والفساد. بخبرة معرفية تنبش المرأة في الأقفاص وتقلب. هبت العاصفة قوية، فثبتت المرأة قدميها في الأرض. راحت تنقر على كل ثمرة بقرف، فاحصة الطزاجة ودرجة الصلابة، أو مختبرة وجود بقايا مواد حافظة ومبيدات حشرية على القشرة الخارجية، وهو الأمر الذي يزعج المرأة المثقفة إزعاجا يصل إلى حدود الارتياح. هنا، على العنب، باستطاعة المرء رؤية طبقة من الفطر الأخضر، السام بالتأكيد. بفضاظة بشعة رشوا المبيدات على العناقيد قبل جمعها. بامتعاض يتم عرض هذا العنقود على بائعة الخضار - التي ترتدي مريلة لونها أزرق غامق - كدليل على أن الكميء انتصرت مرة أخرى على الطبيعة، وأن جرثومة السرطان قد تكون زرعت في طفل الأم الشابة. لقد بين استطلاع للرأي على نحو لا يدع مجالا للشك أن الناس في هذا البلد يفحصون دائما درجة السمية في الأطعمة، وأن هذه الحقيقة أكثر شهرة من اسم المستشار السابق المعروف بلسانه السام. الزبونة المتوسطة العمر أيضاً تهتم بالسؤال عن جودة الأرض الزراعية التي أنبتت البطاطس. فالزبونة للأسف، وبناء على عمرها، معرضة للخطر إلى حد كبير. وها هو الخطر الذي يتربص بها قد نما نمواً مقلقا. في النهاية تشتري برتقالا، فباستطاعة المرء نقشيره، وبذلك يقلل المرء من سميات البيئة قليلاً واضحاً. تحاول ربة البيت أن تثير الانتباه إليها في المحل بعرض

معلوماتها عن علم السموم، لكن ذلك لم يفدها بشيء، إذ إن إريكا مرت بها دون أن تعيرها أدنى اهتمام، وفي المساء لا يعيرها زوجها أيضاً أي اهتمام، بل ينهمك في قراءة صحيفة اليوم التالي التي اشتراها في طريق عودته إلى المنزل، وذلك حتى يسبق عصره، الأطفال أيضاً لن يُقدِّروا طعام الغداء المطبوخ بحب حق قدره، لأنهم بالغون ولم يعودوا يسكنون في بيت العائلة. لقد تزوجوا منذ سنوات طويلة، وبتحمس يشترون بأنفسهم ثماراً سامة. يوماً ما سيقفون على قبر هذه المرأة، ويزرفون الدمع غير الغزير، وعندئذ سيمد الزمن مخالبه إليهم. ولكنهم ما كادوا يتخلصون من قلقهم على الأم، حتى يتبادلوا معها المواقع، ويجد أطفالهم أنفسهم مرغمين على حمل هموم والديهم.

هذا ما تتخيله إريكا.

في طريقها إلى المدرسة ترى إريكا في كل مكان، تقريباً مرغمة، احتضار البشر والمأكولات، ولكنها نادراً ما ترى شيئاً ينمو ويزدهر. على أقصى تقدير في منتزه دار البلدية، أو في "حديقة الشعب" حيث تتزاحم الورود والزنابق. ولكنها أيضاً تفرح قبل الهناء بشهور، فالذبول كامن في أعماقها. هذا ما تتخيله إريكا. وكل شيء يؤكد أفكارها هذه. الفن وحده، في رأيها، له الدوام والبقاء. إريكا تعتني بفنها، تحميه من الرياح، تنقيه من الحشرات، تقتلع الحشائش الضارة، وفي النهاية تحصده. ولكن من يعرف: من اختفى بسببها من على وجه

الدنيا بدون أي وجه حق، وراحت نغماته أدراج الرياح؟ في كل يوم تحتضر مقطوعة موسيقية أو رواية أو قصيدة، لأنها فقدت حقها في الحياة في هذا العصر. وما كان يُعتقد أنه خالد لا يزول، زال، ولم يعد يعرفه أحد. رغم أنه كان يستحق البقاء. حتى الأطفال يتجراؤون في حصة إريكا على أعمال موتسارت وهایدن، أما المتقدمون فيقتفون آثار برامز وشومان، تاركين آثار أيديهم المقرزة على نوتات البيانو.

بعزم وتصميم تقذف إريكا بنفسها في عاصفة الربيع، آملة أن تصل سالمة إلى الجانب الآخر، فهي تريد أن تعبر الميدان المواجه لدار البلدية. كلب بجوارها يشعر أيضاً بأنفاس الربيع الأولى. الأجساد والأبدان تتثير اشمئزاز إريكا، وتثير شعورا ملازماً يعوقها عن الاستمرار في طريقها المرسوم. لعلها ليست معوقة مثل ذوي العاهات، إلا أنها محدودة في حرية حركتها. إن أغلب الناس يتحركون بحب ولطف في اتجاه الـ"أنت"، أي في اتجاه الشريك. هذا هو كل ما يصبون إليه. ولكنها ترتعد إذا تجرأت زميلة في الكونسرفتوار وأمسكت بذراعها. غير مسموح لأحد بأن يستند على إريكا، ريش الفن الناعم فقط مسموح له بالهبوط على بشرتها، لكنه معرض مع كل هبة نسيم إلى التطاير والهبوط على جسم آخر. تلتصق إريكا ذراعها بجانب جسدها بقوة تصل إلى حد أن ذراع عازفة أخرى لا يجرؤ على كسر السور بين إريكا وذراعها، ولذا يهبط يائساً. يقولون عن مثل هذا الشخص إن الاقتراب منه ليس ممكناً. لا

أحد يقترب منها. لتحاشيها يسلكون طريقاً أبعد. يتقبل المرء التأخير والانتظار حتى لا يتقاطع طريقه مع إريكا. البعض يلفت الانتباه بالصوت العالي، إريكا لا. البعض يلوح بيديه، إريكا لا. الناس أنواع. البعض يقفز في مكانه، أو يغني، أو يصرخ. إريكا لا. لأنهم يعلمون، ما يريدون. إريكا لا.

تقترب منها تلميذتان أو متدربتان تسيران متشابكتين، وتتضاحكتان بصوت عال، الرأسان قريبان حد التلاصق مثل لؤلؤتين في عقد من البلاستيك. كل رأس متعلق بالآخر، مثل الكتاكيت. بالتأكيد ستفضان هذا التشابك على الفور إذا اقترب صديق هذه أو تلك. على الفور تنتزع الفتاة عندئذ نفسها من هذا العناق الودود الدافئ، لتلتصق بفتاها كالحشرة، ثم تنتشر تحت جلده وكأنها لغم من الألغام. فيما بعد سيُسمع صوت انفجار السخط عالياً، وتتفصل المرأة عن الرجل، كي تنمي موهبة أخرى متأخرة لم يتم الالتفات إليها بعد.

لا يكاد الناس يمشون أو يقفون فرادى، دائماً يظهرون في قطعان، وكان الفرد منهم ليس ثقيلاً بما فيه الكفاية ليخطو فوق سطح الأرض، هكذا تفكر إريكا الانفرادية. حلزونات عارية، لا شكل لها، بلا سند ولا عمود فقري، جهلة! لم يمسهم أو يغلبهم يوماً سحر الموسيقى. إنهم يتلاصقون ببعضهم البعض، بفرائهم الذي لا يعجز عن الإحساس بأي نسمة.

تنفض إريكا يديها منظفة نفسها. بضربات تشبه ضربات السوط الخفيفة تمر على الجاكت والجونلة. بالتأكيد التصقت بها

ذرات غبار بعد كل هذه العواصف والرياح. تتجنب إريكا المارة حتى قبل أن يظهروا على مرمى البصر. كان يوماً من تلك الأيام الربيعية المتألقة ببهاء خبيث، عندما قامت السيدتان كوهوت بتسليم الأب المعتوه، الذي لم يعد يعرف رأسه من قدميه، إلى المصححة الواقعة في النمسا السفلى، وقبل أن يستقبله مستشفى المجانين الحكومي "أم شتاينهوف" الذي تجاوزت شهرته الكنيية حدود البلاد، والذي جعل منه ضيفاً دائماً، لأي مدة يريد! وكما يتمنى.

صاحب المحل الذي تعودنا أن تشتريا منه السجق - وكان الرجل مشهوراً بأنه يذبح الحيوانات بنفسه، لكنه لم يفكر أبداً في ذبح نفسه - تولى طواعية عملية النقل إلى المستشفى بالميني باص "الفولكس فاجن" الرمادي الذي يملكه، حيث تتأرجح في المعتاد أنصاف العجول. كان بابا يسافر خلال الطبيعة الربيعية، ويتنفس. ومعه سافرت أيضاً أمتعته النظيفة قطعة قطعة، وعليها كلها الحرف الأول من اسمه، على كل جورب حرف الكاف المطرز باليد بمهارة فائقة، لم يعد الأب منذ فترة طويلة يستطيع أن يُعجب بها، أو حتى أن يقيّمها، مع أن هذه المهارة اليدوية تؤدي خدمات جليّة له، فهي تمنع السيد نوفوتتي المعتوه أيضاً، أو السيد فيفار، من أن يستعملا جواربه، خطأ وعن دون قصد خبيث. نعم، أسماؤهم تبدأ بحروف أخرى - ولكن ماذا عن العجوز المخرف السيد كلر الذي يفعلها في سريره؟ إنه يسكن غرفة أخرى، هكذا

استطاعت إريكا أن تهدي من روعها، بعد أن اقتنعت هي وأمها بذلك. إنهما في الطريق، وستصلان عما قريب! عن طريق رودولفس هوه، ثم عبر فوير شتاين، ثم مرورا ببحيرة الغابة الفيناوية، وجبل "كايزر برونن"، وجبل "يوخ جرابن" وجبل "كول رايت"، الذي تسلقته مع أبيها في الأيام الخوالي، التي لم تكن سعيدة، ولو لم يحددوا عند تلك المنطقة، لمروا أيضاً بجبل "بوخ". على الأقل "سنيه فيتشن"^(١١) تنتظر خلف الجبال! في بهاء رقيق ووجه مشرق بالضحك وسعيد لأن شخصاً يجيء ثانية إلى بلدها. وصلاً إلى منزل مبني لعائلتين - تملكه عائلة ذات أصل ريفي ودخل متهرب من الضرائب. تم تأثيث المنزل للأغراض الإنسانية الخيرة التي تهدف إلى الحفاظ على حياة المجانين، والاستفادة المالية منهم. بهذه الطريقة لم تستفد من المنزل عائلتان فقط، بل كان مأوى لمجانين أكثر من أن يعدوا أو أن يحصوا وكان مكاناً يجدون فيه الحماية من أنفسهم ومن الآخرين. يُسمح للنزلاء الجدد بالاختيار بين الأعمال اليدوية والنزهة على القدمين. هناك إشراف عليهم في كلا النشاطين. إذا قاموا بأشغال يدوية فهناك مخلفات، أما عند التمشية فهناك

(١١) Schneewitchen اسم بطلنة حكاية شعبية ألمانية كتبها الأخوان جريم، ويعني اسمها "البيضاء كالثلج". وكانت "سنيه فيتشن" بنتاً جميلة، ذات شعر أسود في لون خشب الأبنوس، وبشرة بيضاء (ومن هنا اسمها)، ولجمالها الفتان أثارت حسد الملكة، زوجة أبيها، لذا هربت منها الفتاة، لكن الملكة طاردتها حتى وجدتها مختبئة لدى سبعة أقزام، ثم حاولت قتلها بإعطائها تفاحة مسممة، كادت بالفعل تقضي عليها. وفي النهاية ينقذها ابن الملك الذي عشق الفتاة "البيضاء كالثلج". (المترجم)

أخطار (الهرب، عضه الحيوانات، الإصابة)، ولكنهم يحصلون عندئذ علي الهواء الريفى الطيب مجاناً، فوق البيعة. كل نزيل مسموح له باستنشاقه، بالقدر الذي يريده، والذي يحتاج إليه. كل نزيل يدفع عبر ولى أمره القانونى مبلغاً محترماً حتى يتم قبوله، وحتى يبقى مقبولاً، الأمر الذي يكلف كثيرين بقشيشاً إضافياً، تتحدد ضخامته وفق جسامه الفضلات التي يخلفها المريض. تقيم النساء في الدور الثاني وفي الطابق العلوي، أما الرجال فيسكنون الطابق الأول والجناح الجانبى الذي لم يعد يحتفظ رسمياً بتسميته القديمة "الجراج"، لأنه أصبح منزلاً صغيراً حقيقياً، مزوداً بالمياه الجارية الباردة، وبسقف تتسرب المياه إليه. عندما يرى المرء السيارات الخاصة بالمنزل، فإنه لا يفكر في العفن والفطر، فهي واقفة في الهواء الطلق. في المطبخ أيضاً يجد أحدهم في بعض الأحيان راحته بين الأشياء الرخيصة التي يتم شراؤها في مواسم التنزيلات والتخفيضات، ثم يستخدم مصباح جيبه في القراءة هناك. المبنى - إذا نظرنا إلى حجمه - يسع سيارة "أوبل كاديت"، سيارة "أوبل كومودور" ستتحشر داخله، ولن تستطيع التقدم أو الرجوع. أينما نظر المرء، وجد حول المكان سورا من الأسلاك، قويا وصلباً. لا تستطيع العائلة التي سلمت شخصاً أن تصطحبه على الفور، بعد أن تكون قد وجدت له مكاناً هنا بمشقة، ودفعت له كل هذه المبالغ الطائلة. لا بد أن العائلة الثانية - التي كانت تسكن هنا - قد اشترت قصراً في مكان خال من البلهاء والعبط، وذلك

من المبالغ التي تحصل عليها لقاء الضيوف الصغار. سوف تسكن العائلة بالتأكيد وحدها في القصر، حتى تستطيع أن تستجم من هذه العناية البشرية.

بعيون عمياء - ولكن هناك من يقوده بأمان - يسير الأب في طريقه إلى بيته الجديد، بعد أن هجر بيته المعهود. خصصوا له غرفة جميلة، هي الآن في انتظاره. كان في هذه الحجرة شخص ظل فترة طويلة يحتضر، والآن تستطيع الغرفة استقبال زائر جديد. وهذا أيضاً، سيجيء عليه اليوم الذي سيخلي فيه مكانه لآخر. ذوو العاهات العقلية يستحذون على المكان أكثر من العاديين من البشر، إذ إنهم لا يتقبلون الحجج والذرائع، ويشغلون على الأقل مكاناً مثل كلب شيفر متوسط الحجم. تعلن الدار أن كافة الأسرة مشغولة دائماً، وأن بإمكان القائمين عليها أن يزيدوا من عددها. في كل وقت يمكن استبدال النزيل الفرد الذي يجد نفسه في معظم الأوقات مجبراً على الرقاد، لأنه بهذه الطريقة يخلف قذارة أقل، ويشغل حيزاً أقل. ليس في استطاعتهم للأسف أن يحصلوا مبلغاً مضاعفاً عن كل فرد، وإلا لفعلوا! ما يرقد هناك، يأكل ويدفع - وهو أمر مربح للعائلة الثانية التي أخلت مكانها. ومن يرقد هنا، يبقى راقداً، لأن أقاربه أمروا بذلك. أقصى ما يمكن أن يفعله هو أن تسوء حالته: عندئذ يُنقل إلى "شتاين هوف" أو إلى "جوجينج"! الغرفة مقسمة تقسيماً واضحاً إلى أسرة منفردة، لكل نزيل سرير صغير، وكلما صغر السرير، كان بالإمكان وضع عدد أكبر في

الغرفة. بين أماكن التخزين - الأسرة - هناك فراغ يُقدر بحوالي ثلاثين سنتيمتراً، على مقياس قدم الإنسان بالضبط، حتى يتمكن الراقِد في حالات الضرورة من النهوض، والتخفيف عن نفسه، وهو ما لا يُسمح له بعمله في فراشه، وإلا سيطلب ذلك عدداً أكبر من الممرضين للاعتناء به. عندئذ تكون تكلفته أكثر من ثمن حشية سريره، فيُنقل إلى أماكن أكثر رعباً. كثيراً ما يجد الإنسان نفسه مدفوعاً إلى التساؤل: من نام في سريره؟ من أكل من صحنه؟ ومن فتش في صندوقه؟ هذه الأقرام! فإذا قرع الجرس، الذي ينتظره الجميع بفارغ صبر، جرس وجبة الغداء، هُرِع الأقرام في قطعان غير منتظمة متزاحمين إلى الغرفة حيث تستقبل "شنيه فيتشن" كل واحد منهم بحضورها اللطيف الرقيق. إنها تحب كل واحد، وتضم كل واحد إلى صدرها، هذه الأنثى التي نسوا وجودها منذ أمد بعيد، ذات البشرة البيضاء كالثلج، والشعر الأسود كخشب الأبنوس. ولكن ما ينتظرهم - هؤلاء الخنازير - ليس إلا مائدة كبيرة كالتي في الأديرة، مغطاة بألواح "الريزوبال" السهلة التنظيف، والمقاومة للتآكل والخدوش، فالخنازير لا تعرف آداب المائدة. الأطباق من البلاستيك حتى لا يؤذي أحد العبط نفسه أو آخرين، كما أن المائدة تخلو من السكاكين والشوك. ملاعق فقط. إذا قدم اللحم، وهو ما لا يحدث، يكون مُقطعاً من قبل. إنهم يتزاحمون، يتدافعون، يضربون ويقرصون بعضهم البعض، دفاعاً عن أماكنهم الضئيلة، أماكن الأقرام.

لا يدرك الأب لماذا هو هنا، لأنه لم يكن يسكن هنا أبداً. يمنعون عنه أشياء كثيرة، ويمنعونه عن فعل أشياء كثيرة. ما يفعله خطأ، هذا شيء بالطبع ليس جديداً، فهو قد اعتاده من حرمة المصون. عليه ألا يمسك شيئاً، وعليه ألا يفعل، عليه أن يكافح حيرته، وأن يبقى راقداً في هدوء، هذا المشاء الذي لا يعرف الهدوء أو الكلل. عليه ألا يدخل قاذورات إلى الدار، وألا يُخرج شيئاً من ممتلكات الدار. غير مسموح باختلاط الخارج مع الداخل. لكل مكانه. وللخارج ملابس تختلف عن ملابس الداخل، أو ينبغي أن يرتدي الأب معطفاً فوق ملابسه، ولكن الجار سرقة لكي يحرمه من متعة الخروج. يطمح الأب على الفور إلى الخروج، بمجرد إيداعه في مكانه، ولكن يتم إيقافه وإكراهه على البقاء. وإلا فكيف ستتخلص العائلة من المشاغب الذي يفسد هدوءها وراحة بالها؟ وكيف ستكون العائلة الثانية ثرواتها؟ البعض محتاج إلى بقائه بعيداً، والبعض الآخر إلى إقامته هنا. البعض يعيش من مجيئه إليهم، وآخرون من أنه مضى بعيداً، ولم يعد يسير أمام أعينهم. مع السلامة، كانت زيارة جميلة! ولكن يوماً ما سوف ينتهي كل شيء. كان على الأب عند انصراف السيدتين أن يخرج ليودعهما وهو مستند على ممرض غير متطوع يلبس معطفاً أبيض. ولكن بدلاً من التلويح، يضع "بابا" اليدين برعونة أمام العينين، متضرعاً ألا يضربه أحد. يلقي هذا بضوء سيئ فاقع على نصف العائلة المسافرين، لأن الأب لم يُضرب أبداً، بالتأكيد لا. من أين أتى بابا

بشيء كهذا، تريد البقية الباقية من العائلة أن تعرف من النسمة
الطيبة الوديعة. لكن النسمة لا تجيب. الجزار يسوق الآن
بسرعة أكبر من السابق، شاعراً بالراحة لأنه تخلص من
شخص خطير. ما زال يريد الذهاب مع الأطفال إلى ملعب كرة
القدم، فالיום هو الأحد، يوم إجازته. يواسي السيدتين بكلمات
اختارها مسبقاً بعناية. يُعرب عن أسفه تجاه السيدتين ك بجمال
منتقاة؛ رجال الأعمال يتقنون لغة الانتقاء والاختيار على أفضل
وجه. يتحدث الجزار وكأنه يفاضل بين شريحة "فيليه" و"ستيك"
من ظهر البقرة. إنه يتحدث بلغة مهنية عادية، مع أن اليوم
الأحد، يوم لغة وقت الفراغ. المحل مغلق. لكن الجزار الجيد
دائماً في الخدمة. السيدتان ك يصبان فيضاً من أحشائهما -
البخار لا يزال يتصاعد - يصلح كطعام للقطط في أفضل
الأحوال، هكذا يصدر المتخصص حكمه. تتباكيان وتقولان
إنهما تأسفان على هذه الخطوة، ولكنها حتمية - ومنذ فترة
طويلة! - وأن القرار كان صعباً للغاية. تدخلان في مزايدة.
الجزار معتاد على موردي اللحوم الذين يتنافسون في تقديم
العروض الأدنى. لكن فرام اللحم هذا أسعاره ثابتة لا تقبل
المزايدة، لأنه يعرف جودة بضاعته. لحم الثور ثمنه كذا،
البقري كذا، وفخذ الخنزير كذا. تستطيع السيدتان أن تدخرا
كلمات كثيرة. ولكن عليهما أن تكونا أكثر سخاء عند شراء
السجق واللحوم المدخنة. جميل الجزار فوق رأسيهما الآن، فهو
لا يقود سيارته يوم الأحد مجاناً. الموت فقط مجاني، لكنه يكلف

الإنسان حياته، وكل شيء له نهاية، ما عدا السجق له نهايتان، هكذا راح رجل الأعمال الخدوم يثرثر بالحكم المستهلكة، ويقهقه قهقهات عريضة. ببعض الأسى والحزن توافق السيدتان ك على ما يقول، لقد فقدتا عضواً من العائلة، لكنهما تعرفان ما يُنظر منهما كزبائن دائمين. سلوك المرأتين يشجع الجزار، الذي يعتبرهما النواة الصلبة لزبائنه المخلصين، فيقول: "لا يستطيع المرء أن يطيل حياة الحيوان، ولكن بإمكانه أن يعجل بموته وينقذه من آلامه." أصبح جادا تماما، الرجل ذو الحرفة الدموية، تؤيده السيدتان في هذه النقطة أيضاً. ولكن عليه أن يلتفت أكثر إلى المرور، وإلا ستصدق جملته على نحو فظيع، وبأسرع مما يعتقدون. السيارات في الشارع أقل من المعتاد، مرور نهاية الأسبوع، مرور غير المتدربين. يعقب الجزار بالقول إن القيادة أصبحت جزءاً من دمه ولحمه. ليس لدى السيدتين ك ما تعترضان عليه، ولكن فليبعد عن لحمهما ودمهما، فهما لا تريدان سفكه. لقد تحتم عليهما منذ قليل أن يسلما قطعة غالية جدا من اللحم والدم، وبسعر غال جداً، إلى صالة مبيت مكتظة إلى آخرها. على الجزار ألا يفكر أن الأمر كان سهلاً بالنسبة لهما. قطعة من لحمهما سافرت معهما، وبقيت في المصححة في "نويلنج باخ". أي قطعة إذن؟ يتساءل المختص.

بعد ذلك بقليل تدخلان الشقة التي أصبحت خالية بعض الشيء. هذه المغارة، المغلقة دوماً لحماية من يعيش بالداخل،

الآن لديهما مكان أكبر من ذي قبل لممارسة هواياتهما، هذه الشقة لا تستقبل كل من هب ودب، وإنما أصحاب البيت فقط! فجأة تهب الرياح من جديد. يدُ الرياح الضخمة تضغط عليها، راحة عملاقٍ طرية تدفع بالابنة كوهوت تجاه اللوح الزجاجي لواجهة محل نظارات حيث كانت العدسات تبرق. أمام المحل كانت نظارة ذات أبعاد غير عادية معلقة، مزودة بعدسات بنفسجية، وهي تهتز - تحت سياط الرياح - اهتزازاً مُهدداً للمارة. وفجأة ساد الهدوء التام، وكان الهواء يأخذ نفساً، ثم أصابه الفزع من شيء ما. لا بد أن الأم تتقنّفذ في هذه اللحظة مستمتعة بدفء مطبخها، وهي تقلي شيئاً في السمن سيأكلانه بارداً خلال الأمسية التي سيقضيانها معا. وبعد ذلك ينتظرها شغل الإبرة في بلوزة تريكو بيضاء.

في السماء سحب واضحة المعالم، منفصلة، ومحمرة الحواف. لم يبد على السحب أنها كانت تعرف إلى أين هي ذاهبة، وهكذا تحركت في سرعة محمومة بدون عقل، مرة إلى هنا، ومرة إلى هناك. إريكا تعرف دائماً قبل أيام، ما يتربص بها بعد أيام، وتحديدًا: العمل على رقي الفن في الكونسرفتوار. أو شيء آخر له علاقة ما بالموسيقى، مصاصة الدماء، التي تمتص إريكا في حالات مختلفة وبجرعات متباينة، معلبة أو طازجة، مرة كطعام مهروس، وأخرى في شكل صلب، مرة فاعلة، وأخرى أمرّة.

تسير إريكا في الشوارع العرضية التي تسبق "المؤسسة" الموسيقية، لقد تعودت أن تتطلع بعينيها كالجاسوسة، وأن تبحث وتتشم مثل كلب صيد محترف يقتفي آثار الروائح. هل ستضبط اليوم طلبة أم طالبات؟ تلاميذ لم ينشغلوا بعد بالمقرر الموسيقي، وما زال لديهم وقت فراغ كبير يستخدمونه لحياتهم الخاصة، تريد إريكا أن تتسلل وتتغلغل في هذه الأراضي الزراعية، التي - دون رقابة منها - قُسمت إلى حقول ممتدة. جبال دموية، حقول مزروعة بالحياة، لا بد أن تطبق بأسنانها عليها. من حق المعلم أن يفعل ذلك، لأنه ينوب عن الآباء. تتحرق شوقاً إلى معرفة أسرار الحيوانات الأخرى. ما يكاد تلميذ يتراجع أمامها، ما يكاد يصب نفسه في مكانه البلاستيكي الشاغر، ويعتقد أن لا أحد يراقبه، حتى تظهر السيدة ك وهي ترتجف ارتجافاً، استعداداً للحاق به سرا ودون أن يطلب منها أحد. تقفز فجأة في النواصي، وتظهر بلحمها وشحمها في الممرات، وتتجسد في المصاعد الكهربائية - هذه الروح المشحونة دوماً بالطاقة المعبأة في زجاجة. أحيانا تذهب إريكا إلى الكونسير، وذلك لترقية ذوقها الموسيقي، ثم فرض هذا الذوق كراهية على تلاميذها. إنها توازن وتقارن بين هذا العازف وذاك، ثم تسحق تلاميذها بما تطلبه منهم من إنجاز يليق بمستوى عظماء مهنتها. تلاحق الطلبة بعيداً عن مجال رؤيتهم، ولكن دوماً وفق رؤيتها هي للأمور. تراقب نفسها في مرآة الغرباء. البسطاء من الشعب سيقولون إنها "مراقبة جيدة"،

لكنها لا تنتمي إلى الشعب. إنها تنتمي إلى أولئك الذين يوجهون الشعب ويقودونه. خمول جسدها خلف فراغا امتصها، وعندما تفتح الزجاجاة، تنتزع إريكا إلى الخارج بفرقة، ثم يقذف بها وسط حيوات غريبة قد اختيرت من قبل، أو ظهرت علي غير توقع. لم يثبت عليها أحد أبدا أنها تتجسس عمدا وقصدا. ومع ذلك بدأت شكوك في أماكن عديدة تنتشر حولها. إنها تظهر فجأة في لحظات لا يتمنى المرء فيها شهودا.

أي تسريحة جديدة لإحدى التلميذات تكفي لإثارة حديث عنيف في المنزل، يستمر نصف ساعة، ويتضمن اتهامات توجه للأم بأنها تتعمد حبس ابنتها دوما في البيت حتى لا تخرج، وتمر بخبرات جديدة. لكن التسريحة الجديدة كان لا بد منها، تقول الابنة. بيد أن تلك الأم، التي لم تعد تجرؤ على إعطاء ابنتها علقه ساخنة، تلتصق بابنتها - إريكا - كالغراء، أو العدوى المرضية، إنها تمتص النخاع من عظامها. تعرف إريكا ما تعرفه من خلال مراقبة الآخرين سرا، ولكن جوهر إريكا وحقيقتها، أي عبقريتها، هذا شيء لا تعلمه سوى الأم التي تعرف ابنتها، باطنا وظاهرا، لقد عجنت ابنتها وخبزتها.

من يبحث، يجد ما يثير الاشمئزاز، ويعثر على ما كان يأمل خفية في العثور عليه.

منذ ثلاثة أيام ربيعية، أي منذ تغيير البرنامج، تعثر إريكا على كنوز مخبأة أمام سينما مترو في "يوهانيس جاسه". التلميذ

- المتشبت بذاته وبأفكاره الخنزيرية - تغلب على مخافة وشكوكه، ودفنها منذ فترة طويلة، وهو مستغرق الآن بكل حواسه في بؤرة الصورة السينمائية. يعرضون حالياً فيلماً من أفلام "السوفت بورتو"، مع أن هناك أطفالاً في محيط السينما القريب، يكونون في أثناء العرض في طريقهم إلى محراب الموسيقى. أحد التلاميذ الواقفين أمام الصور يتفحص بإمعان كافة تفاصيل الصورة، ليتمكن من إصدار حكمه الدقيق على ما يراه. التلميذ الآخر يهتم أكثر بجمال النساء المعلقات، الثالث يتمنى بعناد أن يرى ما لا يرى في الصور، أن ينظر داخل أبدان السيدات. تلميذان على أعتاب الشباب يتجادلان جدالاً عنيفاً حول حجم الصدر النسائي، وفي تلك اللحظة تحديداً تتفجر وسطهم تماماً السيدة معلمة البيانو، وقد أسرع الرياح الساخنة بقذفها تجاههما. كان لظهورها تأثير القنبلة اليدوية. في صمت وضعت على وجهها نظرة مُعاقبة ومتحسرة بعض الشيء. لن يصدق المرء أنها تنتمي إلى نفس جنس النساء في الصور، الجنس اللطيف، بل إن الجاهل سيظن أنها تنتمي إلى فصيلة مختلفة من النوع البشري. هذا إذا حكمنا بالمظاهر. لكن الصورة لا تظهر الحياة الباطنية، ولذلك فإن المقارنات غير عادلة، وليست في صف الأنسة كوهوت، إذ إن حياتها الباطنية مزدهرة ومتدفقة. من غير كلمة واحدة تواصل كوهوت سيرها. لا تدخل معهما في نقاش، ولكن التلميذ يعرف أنه سيُعنف لأنه

تدرب أقل من اللازم، ولأن اهتمامه - للأسف - يتركز على مكان آخر غير البيانو.

في فتارين الصور يهلك الرجال أنفسهم مع نساء، يدخلون في تشابك وتداخل يشع لذة، ويرقصون رقصة باليه مضمّنية. يتصبّبون عرقاً خلال هذا العمل. يعمل الرجل هنا وهناك في جسد المرأة، ويستطيع أن يظهر نتيجة عمله الشاق علانية: عندما يقذف، ويتناثر ما يقذفه، ويتساقط على جسم المرأة. هكذا، كما يتحتم على الرجل في الحياة في معظم الأحيان أن يطعم المرأة، وأن يحكم الآخرين عليه وفق قدراته على إطعامها، فإنه هنا أيضاً يدخل إلى المرأة غذاءً دافئاً، أنضجته أعضاؤه الداخلية على نار هادئة. تتأوه المرأة عالياً، بالصورة، يرى المرء صرختها بكل وضوح، إنها سعيدة بالهبة التي تلقّتها، وسعيدة بمغذيتها. صرخاتها تتكاثر. بالطبع لا يسمع المرء أصواتاً وهو يتفرج على الصور، لكن الصوت ينتظره في السينما، حيث تصرخ المرأة عرفاناً وشكراً للجهد الذكري. يسمع المتفرج صرختها على الفور، إثر دفع ثمن التذكرة، وبمجرد دخوله إلى السينما.

راح التلميذ - الذي ضُبط متلبساً - يمشي متخاذلاً خلف السيدة كوهوت، بعد مسافة تتم عن تقدير وتبجيل. أخذ يلوم نفسه أشد اللوم، لقد جرح كبرياءها الأنثوي، لأنه قام بدراسة أجساد العاريات. لعلها - كوهوت - تعتبر نفسها أيضاً امرأة، وبذلك تكون الطعنة التي وجهها إليها جسيمة. على ساعته

الداخلية أن تدق بصوت عالٍ في المرة القادمة، عندما تقترب معلمته القناصة.

فيما بعد، في درس البيانو، يتم عمداً تجنب النظر إلى التلميذ المصاب ببرص اللذة. أثناء عزف باخ، على الفور بعد السلام الموسيقية وتدريب الأصابع في البداية، يشعر التلميذ بانعدام الثقة التي تسود المكان وتملأه، هذه القماشة من النغمات المعقدة لا يمكن أن تقوى عليها إلا اليد الثابتة لعازف يشد اللجام بهدوء. لقد أتلّف النغمة الرئيسية، والنغمات الجانبية فرضت نفسها بقوة أكثر من اللازم، وكل العزف بعيد تماماً عن الرقة والشفافية. مثل زجاج سيارة ملطخ بالزيت. تتهمك إريكا على أنغام التلميذ التي لا تتساب في سلاسة، بل تسير معوقة بسبب الأحجار والطين الذي يعترض طريقها، قبل أن تصل إلى سريره المختبئ. تشرح إريكا الآن أعمال باخ على نحو أدق: إنها بناء عملاق من النغمات المؤثرة الجياشة، ولكنها أيضاً جحر ثعلب ملء بالأفخاخ الصوتية والنغمية. عمداً ومع سبق الإصرار ترفع إريكا أعمال باخ إلى عنان السموات، كي تهين التلميذ وتمرغ أنفه في التراب، إنها تدعي أن عزف مقطوعات باخ في كاتدرائيات العصر القوطي كان يعيد - موسيقياً - بناءها. في أثناء ذلك تشعر إريكا بالدغدغة بين الساقين، تلك الدغدغة التي لا يشعر بها إلا الذي اختاره الفن واصطفاه؛ ثم تكذب قائلة إن كاتدرائية شتراسبورج قد أثارَت في نفس فاوست أشواقاً إلهية، مثلما فعلت مع الكورال

الذي كان يرثل ترانيم "آلام المسيح حسب إنجيل متى" التي لحنها باخ. أما ما عزفه قبل قليل، فلا يمكن أن يُعزف في كاتدرائية. ولم تستطع إريكا أن تمسك عن القول إن الله خلق المرأة أيضاً. ثم قالت تلك النكتة الرجالية القديمة إن الله خلق المرأة بعد أن فرغت جعبته من الأفكار، ولم يخطر على باله شيء أفضل. ولكنها تستعيد النكتة مرة أخرى عندما تسأل التلميذ بكل جدية عما إذا كان يعرف كيف يتوجب عليه أن ينظر إلى صورة امرأة. بخشية وورع بالطبع، لأن ماما أيضاً، التي حملته وولדתه، كانت امرأة، لا أكثر ولا أقل. يتعهد التلميذ بأشياء تطلبها منه كوهوت، وكشكر على تعهداته تقول له إن قدرة باخ هي انتصار للحرفية في أكثر أشكالها وفنونها تنوعاً وتعدداً صوتياً. إريكا خبيرة بالعمل اليدوي، ولو كان الأمر أمر تدريب فحسب، لنالت نقاط الفوز، بل لأحرزت الانتصارات بالضربة القاضية على الآخرين! لكن باخ أكثر من ذلك، تقول بلهجة منتصرة، إنه تجسيد للإيمان بالله. وتبالغ إريكا وهي تمتدح الكتاب مديحا زائفاً وتقول إن الكتاب الذي يُدرّس منه تاريخ الموسيقى في الكونسرفتوار - الجزء الأول، المطبعة النمساوية الاتحادية - ورد فيه أن أعمال باخ هي تعبير عن إيمانه بالإنسان الشمالي المتميز الذي يصارع كي ينعم برحمة الله.

يقرر التلميذ أن يقاوم في المرة القادمة تأثره بصور المرأة العارية.

ترتعد أصابع إريكا مثل مخالب حيوان القنص المدرب تدريباً جيداً. في أثناء الحصة تكسر إرادة حرة تلو الأخرى. لكنها في أعماقها تشعر بالرغبة الحارقة في الطاعة. ولهذا لديها أمها في المنزل. ولكن المرأة العجوز تزداد عجزاً. ماذا يحدث عندما يتهاوى تماماً، وتصبح عبئاً ثقيلاً على بيوت رعاية المسنين؟ ماذا يحدث عندما تطيع الأم ابنتها، إريكا؟ تتحرق إريكا شوقاً إلى مهام صعبة تلقى على كاهلها، لا تضطلع بها على نحو جيد. لا بد أن تعاقب على ذلك. هذا الشاب، الغارق في دمه الآن، ليس خصماً، فهو قد أخفق في عزف مقطوعة من مقطوعات باخ الإعجازية. فكيف سيفشل في العزف إذا منح إنساناً من دم ولحم! لن يجرؤ على أن يمد يده ناحيته ويمسك به؛ إذ إن عجزه عن الإمساك بالنعمة الصحيحة واقعٌ يخجله. بجملة واحدة، بنظرة تعبر عن الإهمال له، تستطيع أن تجعله يتهاوى أمامها خجلاً، ويعلن عن نيته فعل هذا الشيء أو ذاك، وهو ما سيعجز عن تحقيقه. إن الذي يستطيع أن يحملها على أن تطيع أوامرهم، سيحصل منها على كل شيء. لا بد أن يكون هذا الشخص رئيساً للأركان، هذا إذا استثنينا أمها، وما خلفته من أخايد في إرادة إريكا. الاستناد على سور صلب لا يميل! شيء يشدها من كوعها، يتقل طرف الجونلة، كرة رصاصية صغيرة، تقل ضئيل متكور، إنها لا تعرف كيف سيؤذيها إذا انفصل عن السلسلة، هذا الكلب المسعور الذي رفع مشفره، وأخذ يخوم بجانب القضبان

الحديدية نافشاً فراء الرقبة، لكنه يظل على بعد سنتيمتر واحد بالضبط من ضحيته، غضب مظلم في الحلق، ونقطة ضوء أحمر في حدقة العين.

إنها تنتظر هذا الأمر، هذا الثقب الأصفر الذي يتصاعد منه البخار وسط كتل الثلج، فنجان صغير مليء بالبول؛ ما زال دافئاً، هذا السائل الأصفر، وبعد لحظات سيتحول هذا الثقب إلى أنبوبة صفراء رفيعة متجمدة داخل جبل الثلج، يتحول إلى أثر للمتزلقين والمنزلقين على الجليد، للمتجولين، يشير إلى أن حضوراً بشرياً كان يهدد هذه المنطقة، غير أنه انصرف وزال. لديها معلومات عن شكل السوناتة، وبنية "الفوجه". هذا هو تخصصها. ومع ذلك: أصابعها ترتعد تشوقاً للحصول على الأمر النهائي، الأخير، التلال الثلجية الأخيرة، المرتفعات، علامات حدودية في القفر، تسمي ببطء سهولا منبسطة، ناعمة، ثم تختفي في الأفق البعيد، وتغدو مساحات ثلجية عاكسة، لا خطوات فوقها، ولا آثار. الآخرون هم الذين سيفوزون، المركز الأول في سباق الرجال، والمركز الأول نساء، والمركز الأول في سباق الألعاب المختلطة!

ليس هناك شعرة تقف من أجل إريكا، ليس هناك ذراع يهتز من أجل إريكا، وعلى إريكا لا تستطيع ذرة غبار أن تستريح. رياح قوية تهب، أما هي فتمشي في الحقول، هذه الراقصة فوق الجليد بفساتنها القصير وحذاء الترحلق الأبيض. أكثر الأماكن زلاقة تصل بين هذا الأفق وذاك، ثم أبعد! أزيز

فوق سطح الجليد! منظمو الاحتفال خبأوا الشريط الموسيقي المناسب، ولهذا لم يسمع أحد كوكبيل الأغاني كما في كل مرة. بدون مرافقة موسيقية يعلو صليل سن قضيب التزلج أكثر فأكثر، ويمسي كشطاً معدنياً قاتلاً؛ يومض لبرهة، رمزاً من رموز مورس البرقية، لا يستطيع أحد أن يفك شفرتها، وتبقى غير مفهومة على حافة الزمن. تعدو وتتدفع بقوة، المترحلة على الجليد، قبضة عملاقة تمسك بها وتضغطها، طاقة حركة مركزة، تندفع في عشر الثانية الوحيد الممكن لتقفز وتستدير مرتين في الهواء، ثم تهبط على النقطة المحددة تماماً. عنفوان القفزة أدى إلى ضغط المترحلة مرة أخرى، فهي واقعة الآن تحت ثقل ضعف وزنها على الأقل، وهي تضغط بهذا الوزن على سطح الجليد الذي يقاومها. الجهاز الحركي للمترحلة يحفر حزا على السطح الجليدي القاسي كالماس، ويضغط على الأربطة الرقيقة التي تمسك بعظام اللاعبه والتي تتحمل إلى أقصى حدود تحملها. والآن الدوران في وضع القرفصاء، مستفيدة من شدة الاندفاعه نفسها! المترحلة تغدو أنبوبة أسطوانية، مثل رأس حفارة البترول؛ الهواء يندفع، مسحوق الجليد يصر صريراً، مناشير تصرخ صراخاً مريعاً، ولكن الجليد لا يُسحق، ليس هناك أثر لأي تلفيات! الدوران يهدأ وتخف سرعته، وبوسع المرء الآن أن يتعرف مرة أخرى على تلك الهيئة اللطيفة الوديعه. وتبدأ جيبتها القصيرة ذات اللون الأزرق الفاتح في التآرجح، فتشكل قرصاً دائرياً غير واضح

المعالم، وبعناية يتحول القرص إلى ثنيات، يتبع ذلك انحناءة
أخيرة أمام الجمهور، مرة في الجزء الأيمن من الصلاة، ومرة
في الأيسر، ثم تكمل ترحلقها وهي تلوح، وتؤرجح باقة الزهور
في يدها. لكنها لا ترى الجمهور بوضوح، ربما تعتقد فتاة
الجليد فصب أنه موجود، لأنها سمعت التصفيق بوضوح.
باندفاعات سريعة تعدو الفتاة، وتبعد، تصغر شيئاً فشيئاً، ليس
هناك سكينه أكبر من تلك السكينه التي تشعر بها حافة زي
العداءة الأزرق الفاتح عندما تستريح على الفخذ المفتول،
المغطى بالجورب الطويل الوردى، ثم يصطفق الثوب بالفخذ،
ثم يقفز، يتطاير، ويهتز؛ مركز لكل أنواع التهذئة - هذا الثوب
القصير الوثير المخملي الذي يأخذ شكل ناقوس، والملئ
بالثنيات، الملتصق بجذعها والذي ينتهي بتطريز عند فتحة
الصدر.

تجلس الأم بوقاحة في المطبخ إثر تناولها القهوة، وتبدأ في
نثر أوامرها يمينا ويسارا. وبعد أن تغادر الابنة البيت، تشغل
الأم التليفزيون الذي يبث برامج فترة الضحى والظهيرة. إنها
تشعر بالاطمئنان لأنها تعرف إلى أين ذهبت الابنة. على ماذا
تتفرج الآن؟ برنامج عن ألفريد دورر، أم ترحلق على الجليد
للسيدات؟

بعد مشاق النهار تصرخ الابنة في وجه أمها أن تتركها
أخيرا لتحيا حياتها، هذا من حقها، على الأقل بسبب عمرها،

تزار الابنة. الوالدة تجيب كل يوم أن الأم تعرف مصلحة طفلها أفضل منه، لأنها تظل دوماً أمه.

ولكن تلك الحياة الخاصة التي تشتهيها الابنة لا بد أن تنتهي بذروة تتجمع فيها شتى أنواع الطاعة الممكنة، إلى أن ينفتح أمامها درب صغير، ضيق، يسمح بالكاد بمرور شخص واحد، وفيه يلوحون لها إلى أن تعبره. يعلن الحارس أن الطريق ممهد. أسوار ملساء مصقولة بعناية على اليمين واليسار، الطريق صاعد، لا شوارع جانبية متفرعة أو ممرات، ليس هناك مغاور أو تجاويف، ليس إلا هذا الطريق الضيق، عليها أن تمشي فيه حتى نهايته. إلى أين؟ لا تعرف بعد. طبيعة شتوية في انتظارها حتى تصل إلى الأفق البعيد، ليس هناك قلعة تلوذ بها، كما أنها لا ترى مدقاً أو طريقاً آخر يؤدي إلى تلك الطبيعة. أو ربما ليس هناك سوى حجرة بلا أبواب، غرفة مفروشة بها طاولة اغتسال عتيقة الطراز، عليها جرة ومنشفة. خطوات صاحب الشقة تقترب، وتقترب، لكنها لا تصل أبداً، لأنه ليس هناك أبواب. في هذه الرحابة اللانهائية، أو في ذلك الضيق الخانق بلا أبواب، سيواجه الحيوان الخائف حيواناً أكبر وأضخم، أو طاولة الاغتسال تلك على عجلاتها التي تقف هناك تنتظر من يستخدمها، ولا شيء آخر.

تظل إريكا تغالب نفسها حتى تصل إلى مرحلة لا تشعر فيها بالغريزة داخلها. تصل بجسدها إلى مرحلة هدوء، إذ ليس هناك أحد يجرؤ على القيام بقفزة الفهد ليصل إليها، كي ينتزع

هذا الجسد إليه. إنها تنتظر، وتصمت. تلقي على كاهل البدن مهام صارمة، وعبر كمائن خفية جديدة يمكنها دوماً أن تزيد من الصعوبات، كيفما أحببت. تؤكد لنفسها أن الغريزة يتبعها أي إنسان، حتى البدائي الذي لا يخجل من قضاء حاجات غريزته في الخلاء.

أخذت إريكا تحسّن من مقطوعة باخ، وراحت ترقع هنا وهناك. تلميذها يحمل بنظرة جامدة إلى يديه المتشابكتين. تخترقه المعلمة بنظراتها، إلا أنها لا ترى إلا أسواراً عُلِقَ عليها تمثال لوجه شومان المحتضر. للحظة عابرة تشعر بالرغبة في أن تمسك بهذا التلميذ من شعره، وتلقي به بأقصى قوتها في جوف البيانو حتى تنفجر من تحت غطاء البيانو أحشائه الوترية وتتدفق الدماء، بينما تصرخ الأوتار وتولول. بعدئذ سيخرس بيانو "البوزندورفر" إلى الأبد. بخفة وسرعة مرقت هذه الأمنية برأس المعلمة، ثم اضمحلت بلا عواقب. يتعهد التلميذ بأنه سيتحسن، حتى لو تطلب الأمر تمريناً إضافياً. تتمنى إريكا هذا أيضاً، وتطلب مقطوعة لبيتهوفن. بلا حياء يجتهد التلميذ في العزف، طامعاً في الحصول على مديح وثناء، وإن لم يكن مدمناً على المديح مثل السيد كلمر الذي تتأوه مفاصله معظم الوقت استعداداً وتحمساً للعزف.

في فتارين سينما مترو يقرفص في الوقت الراهن - وبلا حُجب أو أستار - اللحم الوردي بكافة أصنافه وأشكاله، وعلى اختلاف أسعاره، الأرصفة تكتظ بالمتفرجين وتفيض، لأن إريكا

ك لا تَسْتَطِيع حالياً أن تَقِف أمام السينما وتَحرس المكان. أسعار الجلوس ثابتة، في الأمام أرخص من الخلف، مع أن المرء في الأمام يكون أقرب، وربما يستطيع أن ينظر على نحو أفضل داخل الأجساد. ظفران طويلان للغاية، مطليان باللون الأحمر الدموي، يحفران طريقهما في جسد امرأة، في حين ينحفر في جسد الأخرى شيء حاد، كرجاج يقطع في اللحم، مُظهراً للمتفرج من هو السيد هنا، ومن المطيع، والمتفرج أيضاً يشعر بنفسه سيداً. إريكا تحس مباشرة بالحفر في جسدها. إنه يحيلها على الفور إلى مكانها على كراسي المتفرجين. وجه المرأة الأولى متقلص من البهجة، فعبر ملامحها فقط يستطيع الرجل أن يعرف قدر اللذة التي أثارها، وقدر اللذة التي ضاعت بلا استفادة. وجه المرأة الأخرى على الشاشة متقلص من الألم، لأنها نالت لتوها ضربة بالسوط، وإن كانت خفيفة. لا تستطيع المرأة عرض لذتها عرضاً ملموساً، لذلك ليس أمام الرجل إلا أن ينتظر تعليماتها الشخصية. من وجهها يقرأ اللذة. ترتجف المرأة وتهتز، فهي لا تريد أن تكون هدفاً سهلاً للصياد. أغلقت عينيها وألقت برأسها إلى الخلف. عندما لا تغلق عينيها، قد تكون العين تحت ظروف معينة مقلوبة إلى أسفل. نادراً ما تنظر المرأة إلى الرجل، ولذا فلا بد عليه أن يبذل جهداً أكبر، لأنه لا يستطيع - إذا أراد - تحسين النتيجة بإظهار ملامح معينة على وجهه، كي يجمع نقاطاً أكثر. من كثرة اللذة لا ترى المرأة الرجل. من انهماكها في اللذة، لا ترى مثير اللذة. لا

تتظر إلا داخلها. الرجل، هذا الميكانيكي الماهر، يصلح السيارة المعطوبة، المرأة، إنتاج المصنع. إن العمل المنجز في أفلام البورنو هو عموماً أكثر بكثير مما يُنجز في فيلم عن عالم العمل.

إريكا خبيرة في التفرج على الناس الذين يجتهدون اجتهاداً شاقاً، لأنهم يتمنون الوصول إلى نتيجة. في هذه النقطة، الفارق طفيف بين الموسيقى واللذة، رغم أنه في المعتاد فارق كبير. لا تحب إريكا التفرج على الطبيعة، إنها لا تسافر أبداً إلى حي الغابات حيث يقوم فنانون بتجديد بيوت الفلاحين والسكنى فيها. لا تتسلق أبداً على جبل. لا تغوص أبداً في بحيرة. لا تتمدد أبداً على شاطئ. لا تتزحلق أبداً على الجليد. بطمع يكتنز الرجل منيه، ولا يفرط فيها إلا بالقطارة، إلى أن يرقد في النهاية غارقاً في عرقه في المكان الذي بدأ منه. لكنه في المقابل رفع حسابه اليوم في البنك بمبلغ محترم. مرتين من قبل شاهدت إريكا هذا الفيلم في سينما بإحدى الضواحي، حيث يجهلها الناس هناك تماماً (باستثناء المرأة على شبك التذاكر التي تعرفها وتتادىها قائلة: "سيدتي المحترمة"). لن تذهب لرؤيته أكثر من ذلك، لأنها، فيما يتعلق بأفلام البورنو، تفضل طعاماً أكثر دسامة. هذه النسخ اللطيفة من الجنس البشري، الموجودة هنا في سينما وسط المدينة، تتصرف بلا ألم، ولا تتيح أي فرصة للألم. من المطاط الخالص. ما الألم إلا نتيجة لإرادة اللذة، إرادة التدمير، الهلاك، وهو - في أسوأ صورته - نوع من اللذة. تود إريكا

أن تتخطى حدود قتل النفس. هناك في ضواحي المدينة، في المحلات المكتظة والمبتذلة، تنتعش الآمال في تشكيل الألم، وتزويقه وزخرفته. هؤلاء الممثلون البائسون، غير المحترفين، متواضعو القدرات، إنهم يعملون باجتهاد أعظم، وهم أيضاً يلهجون أكثر بآيات الشكر لأن الفرصة سنحت لهم بالتمثيل في فيلم حقيقي. أجسادهم معيبة، بشرتهم بها بقع، نمش، ندبات، تجاعيد، قشر، دوال، أورام دهنية. شعر مصبوغ صباغة سيئة. عرق. أقدام قذرة. في الأفلام الراقية فنيا التي تعرضها الدور الفخمة لا يرى المرء تقريبا سوى مساحات سطحية من الرجال والنساء. كلا النوعين مكسو بالتأكيد ببشرة من النايلون لا تلتصق بها القذارة، لا تتأثر بالأحماض، لا تتمزق، ومقاومة للحرارة. بالإضافة إلى ذلك فإن الشهوة في أفلام البورنو الرخيصة سافرة، بوضوح يرى المشاهد كيف يلج الرجل في جسد المرأة. المرأة لا تتكلم، وإن فعلت، فكل ما تنطق به: أكثر! أكثر! وبهذا يُستنفد الحوار، ولكن طاقة الرجل لم تستنفد بعد، فهو يحصي الذرى التي يصل إليها، وبحرص البخيل يأمل دائما في المزيد.

أما هنا في البورنو الخفيف فقد تقلص كل شيء إلى حدوده الخارجية. هذا لا يُشبع إريكا ذات الذوق الأنثوي الرفيع. لا يشبعها، لأنها تريد أن تسبر غور هؤلاء الرجال والنساء الذين يتداخلون ويتشابكون، ينشبون الأظافر ويعضون. تريد أن تعرف ما وراء الأكمة، ما يُضني الحواس إلى الحد الذي يدفع

كلا منهم إلى أن يفعل ذلك، أو على الأقل إلى أن يرغب في التفرج على ذلك. حتى إذا قمنا بجولة داخل الأجساد، فإن ذلك لن يلقي ضوءاً كاشفاً يحل اللغز حلاً نهائياً، بل سيترك شكوكاً عديدة. إننا لا نستطيع أن نفتح جوف الإنسان حتى نستخرج آخر بقاياها. في الفيلم الرخيص يلقي المرء، فيما يخص المرأة، نظرة أعمق. أما الرجل فلا يمكن التغلغل في جسده. ولكن يبقى شيء غير مرئي، حتى لو فتحنا جوف المرأة، فلن نرى سوى الأمعاء والأعضاء الداخلية. إن الرجل النشط في حياته ينمو جسدياً إلى الخارج. في النهاية يُظهر النتيجة المرجوة، أو لا يظهرها، ولكن إن فعل، فباستطاعة الجميع أن يشاهدوا النتيجة علانية، وهكذا يسعد المنجب بإنتاجه المحلي القيم.

يجب على الرجل في كثير من الأحيان أن يشعر أن المرأة تُخفي شيئاً جوهرياً حاسماً في فوضى أعضائها، تفكر إريكا. هذه الأشياء الأخيرة الخفية هي تحديداً التي تثير إريكا كي تتأمل في الجديد دائماً، في الأعمق، والأكثر اختباءً. إنها تبحث دوماً عن النظرة المتغلغلة التي ترى ما هو جديد وخارق للمألوف. جسدها الكتوم لم يبيح أبداً بأسراره، ولا حتى عندما تتفرج قدماها أمام المرأة الصغيرة، ولا حتى لصاحبته! هكذا أيضاً تحتفظ الأبدان على الشاشة بكل شيء لنفسها، ثم تبوح به للرجل الذي يريد أن يشاهد المعروض من النساء في السوق الحرة، من النوع الذي لم يجربه حتى الآن، وتبوح به لإريكا، هذه المشاهدة المنغلقة.

تعامل إريكا تلميذها اليوم بإزدراء واحتقار، وبهذا تعاقبه.
إريكا تضع بسلاسة ساقاً فوق الأخرى، ثم تقول شيئاً يفيض
تهكماً عن عزفه نصف النبيء لبيتهوفن. لا داعي للمزيد، إنه
يكاد يبكي.

إنها لا تجد اليوم داعياً لأن تعزف له المقطع الذي تقصده
مرة أخرى. لن يحصل اليوم على شيء من معلمة البيانو. إذا
لم يلاحظ بنفسه أخطاءه، فلن تستطيع معلمته تقديم يد العون له.

حيوان الغابة سابقاً، وحيوان السيرك حالياً - هل يحب مروضه؟ ربما، لكن هذا ليس حتمياً. إن كلا منهما بحاجة ماسة إلى الآخر. أحدهما يحتاج إلى الآخر حتى يستطيع الافتخار كالديك الرومي بألعاب الآخر البهلوانية التي يؤديها تحت ضوء الكشافات ومع أنغام الموسيقى؛ والثاني يحتاج إلى الأول حتى يجد بؤرة ثابتة وسط الفوضى التي تحيط به، وتشتت انتباهه. على الحيوان أن يعرف: أين فوق، وأين تحت، وإلا وجد نفسه فجأة يقف على رأسه. بدون مدربه سيجد الحيوان نفسه مضطراً إلى السقوط سريعاً إلى الهوة بلا أي مساعدة، أو ستسحبه دوامة فيدور حول نفسه؛ ثم يشرع - بدون أن ينظر إلى ما يمر في طريقه - في العض والخربشة، ثم الافتراس. لكنه مع المروض يضمن وجود أحد يقول له إذا ما كان هذا الشيء أو ذاك صالحاً للأكل. في بعض الأحيان يسهلون الأمر على الحيوان، ويمضغون جزءاً من الطعام، أو يضعون قطعة منه أمامه. وبذلك ينزاح تماماً عبء البحث عن طعام، ومعه المغامرة في الأدغال. هناك، ما زال النمر الأرقط يعرف كيف يقتنص ما يصلح له، سواء كان ظيبياً، أو صياداً أبيض لم يكن حذراً. الآن يحيا الحيوان في أثناء النهار حياة سهلة واضحة، يستجمع فيها قواه لأعباءه البهلوانية التي سيعرضها في المساء.

إنه يقفز عندئذ من خلال أطر مشتعلة، أو يصعد على الكراسي، أو يدير أعناق الجعارين بدون أن يدهسها، أو يرقص مع إيقاع الموسيقى، وحده أو بالاشتراك مع حيوانات أخرى، مع حيوانات كان سيمزقها إرباً لو قابلها في الغابة، أو سيهرب من أمامها لو استطاع. يرتدي الحيوان ملابس مضحكة على الرأس والظهر. بعض هذه الحيوانات يراها المرء تركب جيادا ترتدي كسوة جلدية واقية! وسيدة، المروض، يفرقع بالكرباج في الهواء! إنه يمتدح، أو يعاقب، حسب الأحوال. حسب ما يستحقه الحيوان. ولكن حتى أمهر المروضين وأحذقهم لم يفكر في يوم من الأيام أن يكلف نمراً أو أسداً بحمل آلة كمان. الدب فوق الدراجة - هذا أقصى ما تفتقت عنه مخيلة الإنسان.

آخر قطعة من اليوم تتفتت مثل بقايا الجاتوه بين أصابع لا تحسن التصرف. يحل المساء، وتتحرك سلسلة التلاميذ بإيقاع أبطأ. فترات الاستراحة تزداد، وخلالها تذهب المعلمة إلى دورة المياه، لتقضم خفية من شريحة خبز تلفها بعد ذلك بعناية كبيرة في ورقتها. في المساء يأتي البالغون إليها، الذين توجب عليهم أن يعملوا في أثناء النهار أشق الأعمال، حتى يُسمح لهم الآن بعزف الموسيقى. أما أولئك الذين يودون أن يمتحنوا الموسيقى، وهم غالباً يدرسون المادة التي تجعلهم يجلسون هنا كتلاميذ، فإنهم يأتون أثناء النهار، إذ إن الموسيقى هي شغلهم الشاغل. يريدون أن يتقنوا الفنون الموسيقية كلها، بلا ثغرات، وبأسرع ما يمكن حتى يجتازوا امتحان الدولة في الموسيقى. في معظم الأحيان ينصتون أيضاً إلى عزف الزملاء، وبعد ذلك وبالاشتراك مع السيدة البروفيسورة كوهوت، ينتقدونهم بنشاط. لا يستتفون عن أن يصححوا أخطاء الآخرين التي يرتكبونها بأنفسهم. إن لديهم في الغالب القدرة على الاستماع، ولكنهم لا يستطيعون أن يشعروا بالموسيقى ولا أن يقلدوا العزف. بعد انصراف آخر التلاميذ ترجع السلسلة أثناء الليل القهقري، حتى تكون جاهزة للعمل ابتداء من الساعة التاسعة صباحاً بعد أن

زُودت بمرشحين جدد. التروس تتعشق، وتبدأ في التكتكة. المكابس تتلاكم، والأصابع توضع ثم ترفع. نغمات تتصاعد. ها هو السيد كلمر يجلس الآن على مقعده في مواجهة ثلاثة كوريين جنوبيين، ويتقرب بحذر "مليمتر" بعد الآخر في اتجاه معلمته، يجب ألا تلاحظ ذلك، ولكنه سيغدو فجأة في داخلها مباشرة. قبلها بقليل كان يسير خلفها بمسافة. لا يفهم الكوريون من الألمانية إلا ما هو ضروري، ولذلك تورد إليهم الأحكام والأحكام المسبقة واللوم باللغة الانجليزية. وبلغة القلب العالمية يتحدث السيد كلمر إلى الأنسة كوهوت. العازفون من الشرق الأدنى يقدمون الموسيقى المصاحبة، وهم - بطريقتهم الرزينة المُجربة - عديمو الإحساس بالاهتزازات المتناغمة التي تصدر عن المعلمة وتلميذها الذي يرنو إلى المطلق.

تتحدث إريكا باللغة الأجنبية عن الآثام التي ترتكب في حق روح شوبرت - على الكوريين أن يشعروا، لا أن يقلدوا ببلادة أسطوانة لألفريد برندل، وإلا سيظل برندل هو العازف الأفضل! بدون أن يطلب منه أحد التدخل، يتحدث كلمر عن روح العمل الموسيقي التي لا يمكن طردها من العمل إلا بصعوبة بالغة. ولكن هناك من ينجح في طردها بالفعل! على هؤلاء ألا يغادروا بيوتهم، ماداموا أنهم يفتقدون الإحساس. في زاوية الغرفة لن يجد الكوري روحا للعمل، يتهم كلمر، التلميذ المفضل. شيئا فشيئا يهدئ نفسه ويقول مع نيتشه - الذي توحد معه - إنه ليس سعيدا بكل الموسيقى الرومانسية (بما فيها

بيتهوفن، الذي يضمه إلى تلك الحقبة)، لأنها ليست صحيحة
بالقدر اللازم. يناشد كلمر معلمته أن تصغي إلى عزفه الرائع
كي تستشف تعاسته ومرضه. إنه يحتاج إلى موسيقى ينسى
المرء عند عزفها المعاناة. الحياة الحيوانية! لا بد أن تشعر تلك
الحياة بالألوهية! الإنسان ينشد الرقص والانتصار. إيقاعات
خفيفة مسترخية، نغمات ذهبية رقيقة، ليس أكثر ولا أقل هو ما
يطلبه الفيلسوف الغاضب لكل صغيرة وكبيرة، وفالتر كلمر
يضم صوته إلى صوت الفيلسوف في هذا المطلب. متى تعيشين
إذن، يا إريكا، يسأل التلميذ ويشير إلى أن المساء يتيح للمرء
وقتا كافيا كي يحيا كما يحلو له، إذا عرف المرء كيف يقتنصه.
نصف الوقت هو من حق فالتر كلمر، أما النصف الثاني فلها،
لكنها تقبّع طيلة الوقت مع أمها، وتتبادل المرأتان الصراخ.
يتحدث كلمر عن الحياة كأنها عنقود عنب ذهبي شهي، تضعه
ربة البيت في طبق أمام الضيف حتى يأكل بعينيه أيضا. أول
حبة يتناولها الضيف مترددا، ثم يأخذ حبة أخرى، وثالثة، إلى
أن لا يبقى سوى العنقود العاري الذي قُطفت كل حباته، وتحتّه
كومة من البذور تشكلت في ارتجال حر.

لمسات غير مقصودة تهدد هذه المرأة التي يُقدّر المرء
روحها وفنّها. تهدد هذه اللمسات ربما شعرها، أو ربما كتفها
وقد وضعت فوقهما الجاكيت التريكو دون أن ترتديه، عندئذ
تتقدم المعلمة بكرسيها إلى الأمام قليلا، وتغوص أصابعها التي
تشبه المفك عميقا لتحضر البقية الباقية من أغنية فيناوية

للأمراء، لم تعد ترى النور إلا على البيانو فقط. الكوري يبذل في نواته الموسيقية التي اشتراها في وطنه، هذه النقاط السوداء العديدة تعني بالنسبة له ثقافة مجهولة تماما، وبهذه الثقافة سينفش ريشه مفتخرا بعد عودته إلى الوطن. أما كلمر فإنه يرفع لواء الحسية عاليا، إنه يجد الحسية حتى في الموسيقى! تنصح المعلمة، قائلة الروح الأنثوية، بأن يتقن العازف استخدام أدواته التقنية. ما زالت يده اليسرى لا تستطيع أن تتنافس اليد اليمنى. هناك تمرين خاص للأصابع. تقرب المعلمة اليد اليسرى ثانية إلى اليمنى، لكنها تعلم كل يد العزف المستقل عن الأخرى. عندما يعزف فإن إحدى يديه تكون في نزاع مستمر مع اليد الأخرى، تماما مثلما يدخل كلمر - "أبو العريف" - في نزاعات دائمة مع غيره من الناس.

بالنسبة للكوري انتهى درس اليوم.

تشعر إريكا كوهوت بجسم بشري في ظهرها، فتصيبها رعدة. عليه ألا يقترب إلى حد ملامستها. يمشي وراءها، ثم يعود، إنه يبرهن على عدم وضوح الهدف أمام عينيه. عندما ظهر أخيرا في طريق العودة في مجال رؤيتها ولمحته بزاوية العين - شريير، وبرأس يهتز كرؤوس الحمام يضع الشاب وجهه كله بمكر وخبث تحت حزمة الضوء الهابطة من المصباح، حيث الضوء أسطع ما يكون - عندئذ شعرت إريكا بالجفاف وبالانكماش. القشرة الخارجية تنتطير بخفة حول جوهرها الأرضي المضغوط. لم يعد جسمها من لحم. شيء ما

راح يشق طريقه إليها، ثم يتحول أيضاً إلى شيء. أنبوبة معدنية أسطوانية. جهاز بسيط التركيب تماماً، يوضع ليتغلغل. هذه الصورة للشيء "كلمر" يتم إسقاطها بحرقه وشوق داخل بدن إريكا، ثم تلقى بها على الجدار الداخلي لها. طبعا الصورة في الداخل بالمقلوب، وفي اللحظة التي تتحول فيها الصورة إلى جسد بالنسبة لها يمكن الإمساك به باليدين، يغدو الجسد مجرداً تماماً، ويفقد بدنه. في اللحظة التي يتواجه فيها الجسدان، يكونان قد قطعا كافة العلاقات الإنسانية التي تربط بينهما، وليس هناك أيضاً نواب من البرلمان يحملهم المرء رسائل أو خطابات أو إشارات. لم يعد أحد الجسدين يستطيع الشعور بالآخر. الجسد يتحول إلى وسيلة، إلى صفة تجسد جوهر الاختلاف. ويتمنى المرء أن يتوغل في الآخر بألم، وكلما كان التوغل عميقاً، كلما ازداد نسيج الجسد تعفناً، ثم يصبح خفيفاً كالريشة، يطير منطلقاً من هاتين القارتين الغربيتين، المتباعدتين، اللتين تصطدمان ببعضهما البعض بفرقة ثم تهبطان معاً، هيكل مخلخل يصطك اصطكاكاً، قد علقت به قطعاً كتانية متهرئة، عند أقل لمسة تتحل وتتحول غباراً.

وجه كلمر أملس كالمرأة، لا يتأثر، أما وجه إريكا فتظهر عليه بوادر الفساد والتعفن. ثنيات وتجاعيد تظهر واضحة على بشرة وجهها، الأجفان تتكور تكوراً ضعيفاً مثل ورقة تحت تأثير الحرارة، النسيج الرقيق تحت العينين يتجدد تجعدات زرقاء. فوق منبت الأنف اثنتان حادثان لا يمكن فردهما أبداً.

أصبح الوجه من الخارج أكبر من اللازم، وستستمر هذه العملية لسنوات قادمة، إلى أن ينكمش اللحم تحت الجلد، ثم يختفي، وتلتصق البشرة مع الرأس الميت الذي لم يعد يستطيع أن يدفعها. في الشعر خيوط بيضاء منفردة تتغذي على عصائر راكدة، لا تتوقف الخيوط عن التكاثر، إلى أن يتشوه الشعر ويمسي أعشاشاً قبيحة رمادية، لا تحتضن بيضاً، ولا تحيط حوله شيئاً لحمايته، إريكا أيضاً لم تحط يوماً بالدفء شيئاً، ولا حتى بدنها. ولكنها تترك الآخرين يحيطون بها. فليشتيهها، فليطاردها، فليركع تحت قدميها، فليفكر فيها إلى أن لا يستطيع التفكير في شيء آخر، حتى لا يجد مهرباً أو مفراً أمامها! نادراً ما تظهر إريكا على الملأ. أمها أيضاً قضت حياتها كلها على هذا النحو، وكانت نادراً ما تعرض نفسها لأعين الناس. إنهما تبقيان داخل جدرانهما الأربعة، بعيداً عن أعين الزوار المزعجين. وبهذا لا يُستهلك المرء بسرعة. على كل حال فأثناء ظهورهما العلني النادر لم يبد أحد اهتماماً كبيراً بالسيدتين كوهوت.

بأصابع متعجلة ينقر التدهور على أبواب إريكا. تغزو بدنها بؤابر أمراض جسدية. اضطراب في أوعية الساق الدموية، روماتيزم، التهاب في المفاصل (هذه الأمراض لا يعاني منها الأطفال إلا نادراً إريكا أيضاً لم تعاني منها حتى الآن) كلمر، إعلان حي لرياضة القوارب المطاطية الجالبة للصحة، يتفحص معلمته، وكأنه يريد أن يلفها في ورق ويأخذها

معه، أو ربما أن يلتهمها وهو واقف في المحل. لعل هذا هو آخر رجل يرغب في، تفكر إريكا بغضب، وعمّا قريب سأموت، ما زالت في الخامسة والثلاثين، تفكر إريكا بحنق. القفز بسرعة إلى القطار، لأنني إذا مت، لن أسمع، ولن أشم، ولن أتذوق أي شيء!

مخالبتها تخربش على مفاتيح البيانو، أقدامها تحك الأرض في اضطراب وحيرة. تمر بيدها على ملابسها وتعبث بها بلا هدف. الرجل يصيب المرأة بالتوتر، ويسلب منها رباطة جأشها، أي الموسيقى. الآن تنتظر الأم في البيت. تتطلع إلى ساعة المطبخ، هذا البندول الذي لا يرحم، الذي يعلن قدوم الابنة في غضون نصف ساعة على الأقل. لكن الأم، التي ليس عليها أن تتجز شيئاً، تفضل الانتظار من الآن. ربما أنت إريكا يوماً قبل الموعد على غير توقع، لأن تلميذاً لم يأت، عندئذ لن تكون الأم في انتظار.

تجلس إريكا على كرسي البيانو كالمزروعة، لكنها في الوقت ذاته تشعر بنفسها منجذبة إلى الباب. الرغبة القاهرة إلى السكون المنزلي، الذي لا يتخلله إلا صوت التليفزيون، هذه النقطة من الخمول والهدوء الكاملين، تمسي الآن ألماً تشعر به داخل جسدها، على كلمر أن يختفي كبخار الماء! لماذا يتحدث ويتحدث، بينما الماء يغلي في المنزل ويتبخر، وسيسبب قريباً نمو الفطريات على سقف المطبخ.

بعصبيته، وبمقدمة حذائه يتلف كلمر الباركيت، وكحلقات بخار ينفخ من جوفه الوقائع الصغيرة، المهمة للغاية للعزف على البيانو، بينما المرأة قد هيأت نفسها للذهاب إلى البيت. يسأل: ما الذي يميز النغمة؟ ثم يجيب بنفسه: طريقة الضرب على أصابع البيانو. بإسهاب يتخفف فمه من عبء البقية التي لا يمكن الإمساك بها، الكثيرة الظلال، من النغم واللون والضوء. كلا، ما تصفه الآن ليست هي الموسيقى كما أعرفها، ترد إريكا بصوت كالصرير، هذه الفأرة، التي تريد أخيراً أن تصل إلى جحرها الدافئ. ولكن هذا، وهذا وحده، هو ما يتدفق من فم الشاب. ما لا يُعقل، ما لا يُقاس، هذا هو مقياس الفن، يقول كلمر معارضاً معلمته. تغلق إريكا البيانو، تبدأ في ترتيب الأشياء. لقد مس الرجل الذي يتحدث من أعماق قلبه روح شوبرت بالمصادفة، ويستغل الأمر على الفور. كلما اضمحلت روح شوبرت وتحولت إلى أريج ولون وأفكار، انتقلت قيمته إلى مجال يسمو عن الوصف. القيمة تغدو ذروة عملاقة، لا أحد يستطيع إدراك علو الذروة. إن المظهر ينتصر على الجوهر انتصاراً حاسماً، هذا أمر واضح تماماً، يقول كلمر. نعم، ربما يكون الواقع خطأ جسيماً، واحداً من أعظم الأخطاء على الإطلاق. ولهذا تتقدم الأكاذيب على الحقائق، يستنتج الرجل من كلماته. غير الواقعي يجيء قبل الواقعي، وبذلك يزداد الفن جودة.

البهجة البيئية التي تنتشر على العشاء، تتأجل اليوم لأسباب خارجة عن إرادتها، هذه البهجة هي الثقب الأسود الذي يبتلع النجم إريكا. إنها تعرف أن هذا الابتلاع من الأم سيلتتهما ويهضمها، ولن يُبقي لها بقية، ومع ذلك فإنها تتجذب إليها بقوة أسرة. لون أحمر قان يستريح على عظام خدها، ثم يزيد من موافقه. على كلمر أن ينفصل عنها وينسحب. لا تريد إريكا أن تتذكر وجوده ولا بذرة غبار واحدة من أكتافه. إنها تتشوق إلى عناق طويل حار، وبعد ذلك - بمجرد أن يتم العناق - تلفظه هذه المرأة العظيمة مثل ملكة. كلمر أبعد ما يكون الآن عن هجر المرأة، ولذلك يجب عليه أن يخبرها أنه لم يستطع أن يحب سوناتات بيتهوفن إلا ابتداء من السوناتة التي تحمل رقم ١٠١ في مجمل أعماله، لأنه ابتداء من تلك المرحلة، هكذا راح يخرف، ترق السوناتات وتلين، وتتساب أجزاءها انسياباً، كل حركة واضحة المعالم، لكن الانتقال إلى الحركة التالية يأتي سلساً، لا تتمايز الحركات تمايزاً صلباً جامداً من بعضها البعض، يخترع كلمر. إنه يضغط على نفسه لاستخراج آخر هذه الأفكار والمشاعر، وفي النهاية يقول جملة ختامية تمنع هذا الحشو المنتفخ من أن يفيض، وكأنه يغلق قطعة سجق بعد حشوها.

لتوجيه الحديث إلى مجرى آخر، يا بروفيسورة، لا بد أن أخبرك - وسأفصل لك رأيي على الفور - أن الإنسان لن يصل إلى أسى ما لديه من قيم إلا عندما ينفصل عن الواقع

واهباً نفسه لمملكة الحواس، وهو ما ينطبق عليك أيضاً، وهو ما ينطبق بالضبط على بيتهوفن وشوبرت، المفضلين لدي من بين الأساتذة العظام. أنا شخصياً أشعر تجاههما بالارتباط الروحي، لا أعرف بأي رباط، ولكنني أشعر أن ذلك ينطبق علي أيضاً، علينا أن نحترق الواقع وأن نجعل من الفن والحواس واقعنا الوحيد. لقد انتهى الأمر بالنسبة إلى بيتهوفن وشوبرت، ولكن أنا - كلمر - في سبيلي إلى إنجاز ذلك. ثم اتهم إريكا كوهوت أن هذا هو ما ينقصها. إنها - في رأيه - تتمسك بقشور سطحية، لكن الرجل ينزع إلى التجريد ويفصل الجوهري عن غير الضروري، بكلامه هذا يكون، كتلميذ، قد تجرأ وأجاب إجابة وقحة.

في رأس إريكا مصدرٌ وحيدٌ للضوء ينير كل شيء كأنه الشمس، ولا سيما تلك اللافتة المكتوب عليها: "الخروج من هنا". المقعد المريح أمام التليفزيون يفتح أحضانه، بصوت خافت تسمع المقدمة الموسيقية لنشرة الأخبار، بلا انفعال تتحرك رأس قارئ الأخبار فوق رابطة عنقه. على المائدة الصغيرة بجانب التليفزيون مجموعة مثالية في كثرتها وتنوعها من المكسرات والمحمصات والحلويات، ومنها تتناول السيدتان بالتناوب أو في الوقت نفسه، عندما يفرغ أحد الأصناف، يُملاً على الفور، وكأنهما في بلاد تنابلة السلطان، حيث لا ينتهي شيء، ولا يبدأ شيء.

ترتب إريكا أشياء في نهاية الغرفة، وتنقلها إلى الطرف الآخر، ثم العكس. تنتظر بطريقة لافتة إلى الساعة، وتعطي إشارة غير مرئية من صارتها العالية، تشير إلى مدى إرهاقها بعد يوم من العمل الشاق، أساء فيه الهواة استخدام الفن لإرضاء طموح الآباء.

يقف كلمر وينظر إليها.

لا تريد إريكا أن تنشأ فترة صمت، وتقول كلاما عاديا يوميا، الفن بالنسبة لإريكا شيء عادي يومي، لأنها تأكل لقمتها بعرق الفن. كم سيكون أسهل على الفنان، تتحدث المرأة، أن يرمي جمهوره بأحاسيسه وعواطفه. إن النزوع إلى الدراماتيكية، وهو ما تُقدِّره للغاية يا كلمر، يعني أن يلجأ الفنان إلى وسائل ظاهرية، ويهمل الوسائل الحقيقية. تتحدث حتى لا ينشأ صمت. أنا كمعلمة، أؤيد الفن غير الدرامي، شومان مثلا، الدراما دائما أسهل! الأحاسيس والعواطف هي دائما بديل، تعويض للمتقنين الذين يعيشون من الذهن فقط. تتشوق المعلمة إلى زلزال، أو ضجيج يصك الأذان، أو أن تتقض عليها عاصفة مزمجرة. يكاد كلمر الجموح أن ينفذ من الحائط برأسه سخطاً. مجموعة الكلارينيت في الفصل المجاور - التي تردد عليها مرتين في الأسبوع لأنه اختار الكلارينيت كآلة ثانية - ستتعجب بالتأكيد عندما تخرق الحائط فجأة رأس كلمر الحانقة، وتستقر بجانب وجه بيتهوفن المحتضر. إريكا هذه، إريكا هذه لا تشعر أنه في الحقيقة لا يتحدث إلا عنها، وطبعاً عن نفسه!

إنه يذكر نفسه وإريكا في سياق حسي، ويتناسى في الوقت نفسه الذهن، عدو الحواس، والعدو اللدود للجسد. إنها تعتقد أنه يقصد شوبرت، بينما هو لا يعني إلا نفسه، كما تعود ألا يعني سوى نفسه عندما يتحدث.

يعرض على إريكا فجأة أن يرفعا الكلفة، فتتصحه بالاحتفاظ بمسافة احترام، وأن يخاطبها بـ "حضرتك". فمها يتقلص رغما منها ومن إرادتها، ويتحول إلى وردة صغيرة متغضنة. لم يعد تحت سيطرتها. صحيح أن ما ينطق به، هذا الفم، تحت سيطرتها، لكنها لا تسيطر على شكله الخارجي. تقشع بشرتها، وتسري القشعريرة في بدنها كله.

يشعر كلمر بالذعر من نفسه. إنه يهنا بالتمرغ في حوض استحمام مليء بأفكاره وكلماته الدافئة. يلقي بنفسه على البيانو معجبا ومختالا بذاته. يعزف بإيقاع سريع جدا جملة موسيقية تعلمها بالصدفة غيبا. إنه يريد أن يعرض شيئا، والسؤال هو: ماذا؟ إريكا كوهوت سعيدة بتحويل مجرى الحديث بهذه الطريقة الهادئة، إنها ترمي بنفسها أمام التلميذ حتى توقف القطار السريع، قبل أن ينطلق بأقصى سرعته. إن عزفك أسرع من اللازم، وأعلى من اللازم أيضا، يا سيد كلمر، إنك لا تبرهن بذلك سوى على عمق الفجوات التي يمكن أن يحدثها العزف الخالي تماما من الروح.

يرمي الرجل بنفسه إلى الخلف، في أحد المقاعد، كحصان سباق انتصر مرات عديدة، يقف على أحر من الجمر، لا يكاد

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَظِرَ إِشَارَةَ الْبَدءِ. تَعْوِضًا لَهُ عَنِ الْإِنْتِصَارَاتِ
الَّتِي يَحْرُزُهَا، وَتَجَنُّبًا لِلْهَزَائِمِ، يَطْلُبُ أَنْ يُعَامَلَ مَعَامِلَةً خَاصَّةً،
وَأَنْ يَحْصَلَ عَلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ الْعَنَاءِ، عَلَى الْأَقْلِ مِثْلَ طَاقِمِ
الْمَائِدَةِ الْفُضِي.

تَرِيدُ إِرِيكَأ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الْبَيْتِ. تَرِيدُ إِرِيكَأ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى
الْبَيْتِ. تَرِيدُ إِرِيكَأ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الْبَيْتِ. تَعْطِيهِ نَصِيحَةَ مَخْلُصَةً:
عَلَيْكَ أَنْ تَتَجَوَّلَ فِي شَوَارِعِ فَيِينَا، وَأَنْ تَسْتَنْشِقَ الْهَوَاءَ بَعْمَقٍ.
بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْكَ بَعْزَفُ شُوبَرْتِ، وَلَكِنْ بِطَرِيقَةٍ صَحِيحَةٍ هَذِهِ
الْمَرَّةَ!

وَأَنَا أَيْضًا سَأَذْهَبُ الْآنَ. يَجْمَعُ فَالْتَرُ كَلْمَرُ نَوَاتَاتِهِ الْقَلِيلَةَ،
وَيَغَادِرُ الْغُرْفَةَ وَكَأَنَّهُ مَمْتَلٌ مَسْرُحِي مَشْهُورٌ. الْفَارِقُ الْوَحِيدُ أَنْ
عَدَدَ الَّذِينَ يَتَفَرِّجُونَ عَلَيْهِ لَيْسَ كَبِيرًا. لَكِنَّهُ يَمْتَلُ أَيْضًا دُورَ
الْمَتَفَرِّجِ. النَجْمُ وَالْجُمْهُورُ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ. وَهُوَ الَّذِي يَصْفَقُ
تَصْفِيقًا مَدُويًا.

فِي الْخَارِجِ، وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى دُورَةِ مِيَاهِ الرِّجَالِ، يَتْرِكُ
كَلْمَرُ شَعْرَهُ الْأَشْقَرُ يَتَطَايِرُ إِلَى الْخَلْفِ، وَهَنَّاكَ يَفْتَحُ الْحَنْفِيَّةَ عَنِ
آخِرِهَا، فَيَنْسَابُ نَصْفَ لْتَرٍ مَنْدَفَعًا إِلَى أَسْفَلِ، دُونَ أَنْ يَتْرِكَ
أَثَارًا كَثِيرَةً مَدْمَرَةً عَلَى جَسَدِهِ الْخَبِيرِ بِالْمَاءِ. بَعْدَ ذَلِكَ يَلْطَمُ
وَجْهَهُ بِمَوْجَاتِ مِنَ الْمِيَاهِ الْمَسْتَخْرَجَةِ مِنَ الْآبَارِ الْعَمِيقَةِ فِي
أَعَالِي الْجِبَالِ. تَلْفِظُ الْمِيَاهُ أَنْفَاسَهَا الْأَخِيرَةَ عَلَى وَجْهِ كَلْمَرِ. إِنْنِي
أَجْذِبُ كُلَّ مَا هُوَ جَمِيلٌ إِلَى مَسْتَنْقَعِ الْأَلْمِ، يَقُولُ لِنَفْسِهِ. يُهْدِرُ
الْمِيَاهُ الْفِينَاوِيَّةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي أَصْبَحَتْ فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ

مسممة بعض الشيء. يغسل كلمر وجهه بهمة ونشاط لم يستطع الاستفادة منهما على نحو آخر. في أثناء الاغتسال يتناول صابوناً سائلاً مصنوعاً من إبر شجر التتوب، مرة، ومرتين، ثم مرات عديدة. ينثر المياه على وجهه، ويتغرغر. ويكرر عملية الاغتسال في مواضع يختارها. أخذ كلمر يلوح بقبضة يديه في الهواء، ثم بلل شعره، وراح يطقطق بفمه طقطقات لا تعني شيئاً محددًا. لأنه يعاني لوعة الحب. ولهذا السبب أيضاً راح يطقطق أصابعه ومفاصله. بسن حذائه راح يسيء معاملة الحائط تحت الشباك الصغير الوهمي المطل على الفناء، من غير أن ينطلق سراح المحبوس في أعماقه. صحيح أن بضع قطرات تتناثر من رأسه، لكن البقية تظل في وعائه، وبيضاء يفوح منها الزنخ، لأنها لم تستطع السير تجاه الميناء الأنثوي الذي تريد الوصول إليه. نعم، لا شك أن فالتر كلمر غارق في الحب. ليس للمرة الأولى، هذا صحيح، ولكن بالتأكيد أيضاً ليس للمرة الأخيرة. ولكن الطرف الآخر لا يبادل، مرة أخرى، الحب. ليس هناك استجابة لمشاعره. هذا هو ما يولد اشمئزازه، وهو يبرهن على اشمئزازه باستخراج المخاط من داخله مُحدثاً أصواتاً عالية، ثم يرمي به داخل الحوض. مُخلفات عشق كلمر. يغلق الحنفية بشدة إلى درجة أن من سيأتي بعده لن يستطيع بالتأكيد أن يفتحها، إلا إذا كان هو أيضاً عازف بيانو، وله بالتالي مفاصل وأصابع من صلب، ولأنه لم يغسل الحوض

بعد ذلك بالماء، فقد بقيت آثار من مخاط كلمر عالقة بفوهة البالوعة. من ينظر بدقة، يراها بدقة.

زميل في البيانو، أو في شيء مشابه، يخرج في هذه الثانية من غرفة امتحان القبول وعلى وجهه شحوب الموتى، ويعدو كالسهم مباشرة إلى إحدى كبائن دورة المياه، ثم يتقيأ في المرحاض، وكان ذلك ظاهرة طبيعية. يبدو أن زلزالاً ينشط في جوفه؛ لقد انهار الكثير، ومن بينه الأمل بأن ينجح قريباً في الامتحان. لمدة طويلة توجب على هذا الممتحن أن يكتب اضطرابه، فالسيد المدير كان حاضراً الامتحان. الآن يتشوق الاضطراب إلى الإعلان عن نفسه بقوة، حتى يأخذ طريقه إلى المرحاض. فشل الممتحن في عزف مقطوعة بيانو على الوجه الصحيح، لقد بدأها بسرعة مضاعفة، وهو ما لا يستطيع إنسان أن يتحملة، ولا شوبان أيضاً. كلمر يحتقر باب المرحاض المغلق، الذي يصارع الإسهال خلفه زميله في الموسيقى. إن عازف البيانو الذي يصرعه جسده إلى هذا الحد، لا يمكن أن يأتي بإنجاز إضافي في عالم الموسيقى. إنه حتما يرى في الموسيقى حرفة، وعندما تفشل آلة من آلاته العشر يُصعب الموضوع على نفسه، بلا داع. لقد تجاوز كلمر هذه المرحلة منذ فترة، ويركز الآن اهتمامه على المضمون الحقيقي الباطني للمعزوفة. ليس هناك، على سبيل المثال، مجال للنقاش في تقنية الإبراز المفاجئ لنغمة أو مجموعة نغمات في سوناتات البيانو لبيتهوفن، لأن على العازف أن يشعر بها، وأن يوحى للمستمع

بها، أكثر من أن يقوم بعزفها. بإمكان كلمر أن يلقي المحاضرات لساعات طوال عن القيمة الذهنية للمقطوعة الموسيقية. إنها دائما دانية القطاف، ولكن العازف الشجاع فقط هو الذي يهز الثمرة ويلتقطها. المهم هو في الشعور والتعبير عنه، وليس في البناء الموسيقي المجرد. يرفع شنطته ويخبط بها عدة مرات على حوض الاغتسال الخزفي تأكيداً لنظريته، ولا استخراج آخر ما تبقى من طاقة داخله، هذا إذا ما كانت لا تزال داخله طاقة. لكن كلمر - كما يلاحظ بنفسه - فارغ تماماً من الداخل. لقد استنفدت هذه المرأة طاقاته، يقول كلمر مستشهداً بكلمات رواية مشهورة. عليّ أن أنتبه الآن، يقول كلمر. لقد عرض عليها أفضل ما لديه، بل عرض عليها نفسه كلها. لقد قام بتقديم نفسه عدة مرات، كل مرة في عزف مختلف! الآن لا يتمنى إلا شيئاً واحداً: أن يقضي عطلة نهاية أسبوع في التجديف الضاري، حتى يجد طريقه مرة أخرى. ربما تكون إريكا كوهوت قد ذبلت واصفرت، ولذلك لا تستطيع أن تفهمه. إنها تدرك أجزاءً منه فحسب، لكنها لا تدرك عظمته الكلية.

الفاشل في العزف يخرج الآن من كابينته بخطى متثاقلة، وأمام المرأة - وهو يشعر بالعزاء بعض الشيء لرؤية صورته المتألقة - يمنح شعره قواماً فنياً، اللمسات الأخيرة لإحداث التوازن مع ما لم تستطع أن تنجزه يداها. بعزاء يفكر فالتر كلمر في أن معلمته أيضاً قد فشلت في تحقيق شهرة كعازفة بيانو، ثم

يبصق على الأرض، بصوت مسموع وواضح، آخر الرغوي التي خلفتها ثورته في فمه. ينظر عازف البيانو الزميل نظرة معاقبة على البصاق، لأنه تربي على النظام. الفن والنظام، الأقارب الأعداء. بحماس ينتزع كل مر عشرات المناديل الورقية من علبتها الحديدية، ثم يكرمشها في شكل كرة ضخمة، ويقذفها بدقة تامة إلى جانب وعاء القمامة، وهو ما اعتبره زميله الفاشل رعونة واعوجاجا في التفكير. الزميل يرتعد للمرة الثانية، هذه المرة بسبب تذيير ممتلكات لمدينة فيينا. إنه ينحدر من عائلة بورجوازية صغيرة، عائلة بقالين، وإليها سيعود عندما يفشل في الامتحان للمرة الثانية. عندئذ سيتوقف والداه عن دفع مصاريف تعليمه. سوف يغير عندئذ مهنته "الموسيقية" إلى مهنة "تجارية"، وهو ما سيكون له تأثير على إعلان الزواج الذي سينشره في الصحف. سوف تعوضه الزوجة والأطفال عن ذلك. وسيظل زيتنا في دقيقتنا، وتنتعش تجارنتنا؛ فأصحاب المحلات يعرفون كم من أشخاص مساكين فقراء، يصبحون في غياب أصحاب المال طيوراً كاسرة.

بعقلانية يضع فالتر كل مر قلبه في رأسه، ويفكر بعمق في أمر النساء اللاتي امتلكهن، ثم تخلص منهن بأسعار زهيدة. شروحات مفصلة كانت ترافق ذلك. لم يدخر وسعا، إذ على النساء أن يتعلمن - ولو بالألم - أن يتقبلن الأمر. هوائيات المرأة تتحرك بعصبية في الهواء، كأنها قرون استشعار، أليست المرأة كائنا مرهف الشعور؟ ليس العقل هو الذي يحكم

تصرفاتها، وهو ما يتضح أيضاً في عزفها على البيانو. المرأة في العادة تلمح إلى قدرتها تلميحا، وتقع بذلك، أما كلمر فهو إنسان يريد أن يسبر دائما غور الأشياء.

لا يستطيع فالتر كلمر أن يخفي رغبته في التقرب من معلمته، وكنتيجة حتمية لذلك يتمنى أن يغزوها. مثل فيل راح كلمر يدوس على بلاطتين بيضاوين وهو يفكر أن هذا الحب سيبقى بلا جزاء. إنه سيسرع الآن من دورة المياه كقطار إكسبريس خارج من نفق، ليدخل في طبيعة شتوية تلجية يحكمها العقل، العقل فيها هو السيد، وله اليد الطولى. هذه الطبيعة باردة أيضاً لأن إريكا كوهوت لم تشعل فيها ضوءاً. ينصح كلمر هذه السيدة أن تفكر تفكيراً جدياً، وتراجع امكانياتها المحدودة. هناك شاب يقطع نفسه من أجلها. إن القاعدة الفكرية بينهما موجودة في الوقت الراهن، ولكنها ستسحب من تحت أقدامهما، وعندئذ سيجلس كلمر وحده في قاربه.

صدى خطواته يتردد في ممر الكونسرفتوار المهجور تماماً. ككرة مطاطية راح يقفز من درجة إلى أخرى، من فرع شجرة إلى آخر، وبيطاء راح يستعيد مزاجه الحسن الذي كان ينتظره صابراً. خلف باب حجرة بيانو كوهوت لم يعد هناك صوت. في بعض الأحيان تعزف بعد انتهاء التدريس لبعض الوقت لأن البيانو الذي تملكه في المنزل أسوأ بكثير. هذا ما توصل إليه. يتحسس لوهلة مقبض الباب، حتى يمسك شيئاً تمسه المعلمة كل يوم، لكن الباب يظل بارداً وصامتاً. لم

يستجيب مليمترا واحدا، لأنه مغلق بالمفتاح. انتهى الدرس. إنها الآن في منتصف الطريق إلى أمها المخرفة التي تقبع معها في العش، مع أن السيدتين تصطدمان وتعترض الواحدة طريق الأخرى طوال الوقت تقريبا، لكنهما لا تستطيعان الانفصال، ولا حتى خلال الإجازة حيث تتبادلان الصراخ خلال الصيف الذي تستمتعان بنسائمه في إحدى قرى منطقة شتايرمارك منذ عقود! إنه أمر يصيب امرأة مرهفة الحس بالأمراض، وإذا حسبنا الأمر من كافة وجوهه، فإنها لم تتقدم بعد في العمر، هكذا يفكر كلمر بإيجابية في عشيقته المنتظرة، وهو يأخذ طريقه أيضا إلى والديه حيث ما زال يسكن. لقد طلب عشاء دسما للغاية: من ناحية حتى يملأ أوعية الطاقة التي استهلكها مع كوهوت، ومن ناحية أخرى لأنه ينوي أن يذهب في الغد في الصباح الباكر جدا لممارسة الرياضة، لا يهم أي نوع من أنواع الرياضة، وإن كان الأرجح أنه سيذهب إلى نادي التجديف. لديه احتياج شخصي أن يعمل حتى الإنهاك، وأن يستنشق في أثناء ذلك هواء بكرأ، لا هواء سبقه إليه الآلاف، شهيقا وزفيرا. هواء لا يمتص فيه كلمر - رغباً أم كره - أبخرة المحركات، وما ينبعث من ابناء الطبقة الوسطى جراء تناول الأغذية الرخيصة. يريد أن يتناول شيئا طازجا أنتجته أشجار الألب بمساعدة الكلوروفيل. سيسافر إلى إقليم شتايرمارك، في أكثر مناطقه المظلمة والمقفرة، هناك، بالقرب من الخزان القديم، سينزل قاربه إلى المياه. بقعة برتقالية فاقعة،

تُرى من بعيد بسبب صدريّة النجاة والقبعة والغطاء الأمامي؛ سيبحر بين غابتين، مرة هنا، ومرة هناك، لكن في الاتجاه نفسه دائماً: إلى الأمام، مع تيار الغدير. على المرء أن يتجنب الأحجار والصخور قدر الإمكان. حذار من الانقلاب! وعليك بزيادة السرعة! أحد الزملاء - في التجديف - سيسير وراءه، ولكنه بالتأكيد لن يتجاوزه في هذا النوع من الرياضة، ولن يسبقه. الزمالة في الرياضة تتوقف، حيثما يبدأ الآخر في أن يكون أسرع منك، وبذا يهددك. الزميل موجود كي يقيس المرء قواه ويقارنها بالشيء الأضعف في هذا الزميل، لكي يزيد المرء من المسافة الفاصلة بينهما. لهذا الغرض يبحث فالتر كلمر بعناية عن المُجَدِّف غير المتمرن. إنه أحد هؤلاء الذين لا يحبون الخسارة، لا في اللعب ولا في الرياضة، ولهذا يشعر أيضاً بالضيق مما حدث مع كوهوت. عندما يلقي هزيمة في نقاش شفوي، فإنه لا يسلم بذلك ويعلم استسلامه، بل يقذف في وجه غريمه بحقن كومة من النفايات، طرداً مُتَقِيّاً من العظام والشعر والأحجار والعشب النييء، ثم ينظر رافضاً، ويفكر بسرعة في كل ما كان عليه أن يفعله وفيما لم يقله للأسف، ثم يغادر المكان غاضباً.

من جيب البنطلون الخلفي يُحضر الآن، نظراً لوجوده في الشارع، حبه للأنسة كوهوت. ولأنه بالمصادفة وحيد في هذه اللحظة، ولأنه لا يستطيع الانتصار رياضياً على شخص آخر،

يتسلق هذا الحب ليصل إلى ذروة، هي جسدية وذهنية في آن واحد، وكأنه يتسلق سلما غير مرئي من الحبال. يمشي مسرعا الآن في شارع يوهانيس، بقفزات واسعة وكأنه ركب لوالب في حدائه، ثم يدخل إلى شارع كرننتر، ويعبره ليصل إلى الطريق الدائري. عربات الترام تمر كأنها ديناصورات ضخمة أمام الأوبرا، مكونة حاجزا طبيعيا لا يمكن لكلمر تجاوزه إلا بصعوبة، ولذلك يتحتم عليه، ورغم جسارته، أن يهبط بالسلم الكهربائي إلى بطن النفق في تقاطع الشارع أمام الأوبرا.

قبل ذلك ببرهة كانت هيئة إريكا كوهوت تتوارى خلف بوابة أحد البيوت. راحت تتابع ببصرها الشاب العابر، مثل لبؤة كانت تفتي أثره. غزوتها لم يرها أحد، لم يسمع بها أحد، ولذلك كأنها لم تحدث. لم تكن تستطيع أن تعرف أنه سيبقى كل هذه المدة في دورة المياه، لكنها انتظرت. انتظرت. كان لا بد أن يمر بها اليوم. إلا لو كان قد سار في الاتجاه الآخر، وهو ليس اتجاهه. إريكا دائما في مكان ما حيث تنتظر بصبر، إنها تراقب في المكان الذي لا يتوقعها فيه أحد. بحرص واعتناء تقطع حواف أشياء تنفجر في حضورها، أو تفرقع، أو تظل مخزنة في هدوء، تقطع الأطراف ثم تأخذها معها إلى البيت حيث - وحدها أو بالاشتراك مع أمها - تظل تقلبها على كافة أوجهها لترى هل ما زال في هذه القصاصات فتات أو هشيم أو وساخة أو مخلفات من الأبدان، فإذا وجدت، أخضعت للتحليل. القمامة التي تخلفها حياة الآخرين أو موتهم. ولا بد من الفحص

بسرعة قبل أن يذهب بها أحد إلى التنظيف، في هذه الحالات هناك الكثير مما يمكن فحصه والعثور عليه. بالنسبة إلى إريكا فإن هذه القصاصات هي في الحقيقة جواهر الأشياء. بحماسة وهمة تتحني الأم كوابنتها، على انفراد أو معا، تحت مصباح العمليات في البيت، وتقربان لهب الشموع إلى بقايا الأقمشة، للاختبار والتأكد من نوعية القماش، هل الألياف محض نباتية، أم محض حيوانية؟، وهل النسيج خليط من عدة ألياف أم هو نسيج محض اصطناعي؟ عبر رائحة الحريق وكثافته يتأكد المرء. يعرف المرء عندئذ - والدهشة تغمره - لماذا كان يحتاج إلى القصاصات.

تتداخل رأسا الأم والابنة، وكأنهما إنسان واحد، والشيء الدخيل مطروح أمامهما، منفصل عن مكانه الأصلي، لا يلمسهما، لا يهددهما، ولكنه زاخر بأفعال الآخرين المشينة، ولذلك لا بد أن يوضع تحت المجهر. لن يستطيع الهرب، والتلاميذ أيضاً لا يستطيعون في معظم الأحيان الهرب من سلطة معلمة البيانو التي تستطيع - إذا ابتعدوا عن مياه التدريب الفائرة - أن تدركهم أينما كانوا.

يحرك كلمر ساقيه بسرعة، وإريكا خلفه. بعزم من يعرف هدفه، يسير في اتجاه معين، دون لف أو دوران. ليس هناك شخص ولا شيء يستطيع الإمساك بإريكا؛ لكنها إذا رأت شخصا ينزلق من بين أصابعها بسلاسة، فإنها تتبعه على الفور باعتباره مخلصها، تسير خلفه وكأنها منجذبة إلى مغناطيس ضخم.

بهمة ونشاط تعدو إريكا كوهوت خلف فالتر كلمر عبر الشوارع. كلمر - الذي يشتعل داخله السخط على ما لم يتوصل إليه، والغیظ على ما لم يرغب فيه - لا يدرك أن الحب، ولا شيء أقل من الحب، يتبعه، بل وبالخطوة نفسها. تنظر إريكا بارتياب إلى الفتيات الصغيرات اللاتي بملابسهن وبمقاييس أجسادهن يحتقرنها، ويجعلن منها أضحوكة. كم سنتهكم مع أمها على تلك المخلوقات بمجرد وصولها إلى البيت! ببراءة تتقاطع طرقهن مع طريق كلمر البريء، مع أن بإمكانهن أن يفرضن وجودهن عليه مثل صفارات التحذير، إلى أن يتبعهن ويطيعهن طاعة عمياء. تنتبه إريكا إلى المرأة التي تتريث أمامها نظرات كلمر، وبعد ذلك تمحو هذه النظرات محوًا تامًا. الشاب الذي يعزف على البيانو لا بد أن يتمتع بذوق رفيع سام لا تصل إليه أية امرأة. عليه ألا يختار امرأة، مع أن كثيرات ترغبن في اختياره.

على هذه الطرق الملتوية والضالة يسير الثنائي بسرعة محمومة في حي "يوزف شتات". الأول لكي يبرد أخيرا من ثائرته، والثانية لكي تشعل نار الغيرة.

تشد إريكا جسدها بقوة. جسدها معطف منيع، فهي لا تتحمل أي لمسة. تظل محاصرة في ذاتها. ومع ذلك تجذبه خلف هذا التلميذ. مُذنب خلف الشهاب الأصلي. لا تفكر اليوم في إضافة جديد إلى مخزن ملابسها، لكنها تفكر أن ترتدي في

الحصة القادمة شيئاً من مجموعتها، سنتزين بثوب جميل وشبابي، فالربيع الآن على الأبواب.

في البيت لم تعد الأم تريد الانتظار أكثر من ذلك، والسجق الذي تغليه لا يحب الانتظار أيضاً، إذا قامت الآن بتحميره، فلن يكون شهياً، بل سيفقد اللحم طراوته. عندما تصل إريكا إلى المنزل أخيراً، فسوف تقوم الأم - بكبرياء مجروح - باستخدام حيلة نسائية معروفة لدى ربّات البيوت وستجعل قطع السجق تتفجر أثناء الغليان، بحيث يترسب الماء بخبث في اللحم، وذلك كي يفسد تماماً ولا يكون له أي طعم. سيكفي هذا تحذيراً. لا تخمن إريكا شيئاً عما ينتظرها.

تسير وراء كلمر، وكلمر يسير أمامها. وبذا يتلاقى زوجان متناسبان، ودائماً في الموضع المناسب. قدم إريكا تسير حيثما سارت قدم كلمر من قبل. لا تستطيع إريكا بالطبع في أثناء ركضها القناص أن تعاقب واجهات المحلات بالتجاهل التام. إنها تتفحص فتارين البوتيكات بطرف عينيها، فهذه منطقة لم تقم - فيما يخص الملابس - باستكشافها بعد، مع أنها دائماً تبحث عن ثياب جديدة فاخرة. لن تمنع على الإطلاق في ارتداء فستان جديد للكونسير، لكنها لا ترى هنا شيئاً يستحق. من الأفضل أن تشتريه من وسط المدينة. حلزونات ورقية بهيجة تعلن مقدم الكرنفال، وقصاقيص ملونة متناثرة فوق أولى موديلات الربيع، وآخر تنزيلات الشتاء، أيضاً هناك ثياب لامعة متلائة، لا يمكن للمرء اعتبارها أنيقة ومناسبة للسهرة

إلا - ربما - عندما يسود الظلام الحالك. كأسان لطيفتان من الشمبانيا مليئتان بسائل اصطناعي، ألقى فوقهما وشاح من الريش بطريقة توحى بالتلقائية. زوج من الصنادل الإيطالية الحقيقية بكعب عالٍ، مرشوش عليهما أشياء لامعة، أمامهما تقف سيدة في العمر الوسيط، مستغرقة تماماً فيما تتفرج عليه. لن تتناسب قدمها ولا حتى في خف من وبر الجمل مقاس ٤١، مفرطتان تماماً من كثرة الأعمال المملة التي يتحتم عليها أن تتجزأ واقفة طيلة حياتها. تلقي إريكا نظرات على فستان من الشيفون، لونه أحمر شيطاني، ومكشكش عند فتحة الصدر والأكمام. اسأل متفرجاً، ولا تسأل بائعاً. هذا يعجبها، ذلك أقل، فهي ليست متقدمة في السن إلى هذا الحد.

إريكا كوهوت تتبع خطى فالتر كلمر، الذي - دون أن يستدير مرة إلى الوراء - يعبر باب منزل أحد البيوت البورجوازية من الطبقة العليا، حتى يصل إلى شقة والديه في الدور الأول. هناك تجلس العائلة في انتظاره. لا يبعد مسكنها كثيراً. في الحي نفسه. إنها تعرف من استمارات الطلبة أن كلمر يسكن بالقرب منها. أيرمز ذلك لعلاقة الانتماء الروحي؟ ربما صنع الواحد للآخر، وعلى الآخر أن يدرك ذلك بعد صراع وكفاح.

لن ينتظر السجق طويلاً، فإريكا الآن في طريقها إليه. إنها تعرف أن فالتر كلمر لم يتوقف في مكان ما، بل ذهب إلى البيت بلا تأخير، ولذلك تستطيع أن تنتهي وردية الرقابة لهذا

اليوم. ولكن شيئاً ما يعتمل في داخلها، وستأخذ نتيجة ذلك معها إلى البيت، حيث ستخبئه أولاً في صندوق وتغلقه، كي يظل بعيداً عن عيني الأم.

في ملاهي "البراتر" في فيينا كلُّ يغني على ليلاه، وفي حدائق "البراتر" يعرّب كل على هواه. الآباء المتخمون حتى الحلق بقطع لحم الخنزير المحمرة، وكريات البطاطس المهروسة، وكئوس البيرة أو النبيذ، يزرعون في "البراتر" كتاكيتهم، الشبعانة هي أيضاً إلى حد التخمة، على القصرية أو على الأحصنة (البلاستيكية) الملونة والأفيال والسيارات، وعلى وحوش التنين المخيفة أو داخلها. والطفل الذي يبدأ بالدوران، يتقياً ما حشاه أبواه بصعوبة في جوفه قبل قليل، وبسبب ذلك ينال لكمة، لأن الوجبة في المطعم كلفتها "الشيء الفلاني" والمرء لا يذهب إلى المطعم كل يوم. الوالدان يحتفظان بوجبتهم في جوفهما، لأن معدتهما قوية، ولأن أيديهما أسرع من البرق في التعامل مع النشاء، وبهذا يتم الإسراع في تننشة النشاء. من الممكن، إذا أفرط الوالدان في الشراب، ألا يتحملا رحلة سريعة على العجلة الكبيرة. لاختبار الشجاعة وحب المغامرة تجد الأجيال الحديثة ضالتها في أجهزة تولد المتعة، وتوجه عن بعد إليكترونيا؛ أجهزة من الجيل قبل الأخير من الرقائق الإليكترونية، تحمل هذه الأجهزة أسماء مشتقة من لغة رواد الفضاء، وهي ترتفع بلا تمهيد وبسرعة الريح إلى عنان السماء، ثم تتأرجح هناك كما يحلو لها، ولكنها توجه بدقة في

السماء، مع إمكانية أن يتبادل ما هو فوق مكانه مع ما هو تحت. الشجاع فقط هو من يركب هنا، إنها - في الواقع - مصممة لأنصاف البالغين الذين أكسبتهم الحياة بعض الصلابة، ولكنهم لا يتحملون المسؤولية، ولا حتى مسئولية أبدانهم. إلا أنهم يتحملون إذا انقلب "التحت" إلى "فوق"، أو العكس. سفنية الفضاء ليست إلا مصعداً، وهي تتكون من كبسولتين معدنيتين ضخمتين وملونتين، وبداخلهما يجلس الناس.

أما على الأرض فيتم التنشيط من أجل خاطر المخطوبة، كي تكسب دمية بلاستيكية، يُسمح لها بأن تأخذها معها إلى المنزل. بعد مرور سنوات ستنتظر المرأة المحبطة إلى الدمية وتعرف كم كان صديقها يقدرها سابقاً.

الموقف يختلف في المروج الخضراء التي تترامي بلا نظام حول "البراتر"، هناك يتفشى الانقسام. في النصف الأول الدوخة هي سيدة الموقف: سيارت جميلة كبيرة، أو سريعة مؤذية، تنزل أشخاصاً يرتدون زياً مناسباً لركوب الخيل، وهم يتوجهون - كما يُملي الظرف عليهم - إلى ظهور الأحصنة. في بعض الأحيان يدخرون فيما لا يمكن ادخاره، في الحصان، ويكتفون بشراء الزي، وبه يتبخثرون في خيلاء. هنا تلقي السكرتيرات بأنفسهن في التهلكة، لأنهن مرغبات في أثناء النهار على ارتداء ملابس أنيقة للرئيس في العمل. المحاسبون يهلكون أنفسهم في العمل حتى يأتوا إلى هنا عصر يوم السبت، ولمدة ساعة يتركون حيواناً يأخذهم ويلقي بهم كيفما شاء. من

أجل دفع ثمن التذكرة يعملون بسرور ساعات إضافية خلال الأسبوع. رؤساء أقسام شئون الأفراد والمديرون يأخذون الأمر على محمل أكثر رزانة وطمأنينة، لأنهم يستطيعون دفع ثمن التذكرة، ولكن لا يتحتم عليهم ذلك. وبهذه الطريقة أيضا يرى المرء مكانتهم ودرجتهم. إنهم يهيئون أنفسهم للعبة الجولف.

هناك بالتأكيد مناطق أجمل لركوب الخيل، ولكن ليس هناك مكان آخر يُحاط فيه المرء بالتعجب والاندھاش من جانب مثل هذا العدد من العائلات البريئة والأطفال الأبرياء مع كلابهم المربوطة بالسلسلة، الذين يقولون: "أما حصان!"، ويعلنون عن رغبتهم في ركوبه، فينالون لكمة على الخد إذا أصروا على طلبهم وكرروه بصوت عال. لا نستطيع دفع ثمن التذكرة، وكنوع من تقديم البديل يُوضع الولد أو البنت على الحصان البلاستيكي الهزاز، وهناك يواصل الطفل صراخه وزعيقه. عبر ذلك يمكن أن يتعلم الطفل درساً مهماً، وهو أن لمعظم الأشياء نسخاً رخيصة، وهي التي يمكن الحصول عليها. ولكن للأسف فإن الطفل لا يفكر سوى في الأشياء التي يُحرم منها، ولذلك يكره والديه.

هناك أيضاً "كريو" و"قرويدناو"، حيث تحترف الأحصنة تقديم أقصى ما لديها من جهد، فالخَبَاب لا يُسمح له بالقفز، أما في السباق السريع فلا بد للحصان من أن يركض كالريح. الأرض مغطاة في كل مكان بعلب المشروبات الفارغة وإيصالات مراهنات السباق ونفايات أخرى لا تستطيع الطبيعة

هضمها. في أفضل الأحوال تتجح الطبيعة مع الورق الرقيق، مثل الذي يُستخدم في صنع المناديل الورقية. كان الورق في يوم ما منتجاً طبيعياً، ولكن الأمر سيستغرق وقتاً طويلاً إلى أن يرجع إلى أصله. الأرض مزروعة بالأطباق الورقية التي دهستها آلاف الأقدام، لكنها بذور فاسدة. حسب القواعد يعرضون في الحلبة الجياد الأفضل، المفتولة العضلات، التي لا تحصل إلا على أفضل طعام. إنها تقف هناك، وهي تهتز اهتزازاً تحت الأغشية في انتظار إشارة البدء. ليس هناك ما يمكن أن تخشاه هذه الجياد سوى التكتيك الذي ستربح به السباق الثالث، ولكن ذلك يضطلع به الجوكي أو السائق في الوقت المناسب، قبل أن تصبح الخسارة حقيقة واقعة.

عندما تتطفئ أنوار النهار، وتنتشر ظلمة الليل، يقضي البعض وقته في الأشغال اليدوية تحت المصباح، والبعض الآخر في مشاجرات ونزاعات في الشوارع. عندئذ يظهر أشخاص لم يلقوا في حياتهم الرعاية والتوجيه الكافيين، وفي أغلب الأمر نساء. ويظهر أيضاً، وإن كان نادراً، صبيان، يفقدون قيمتهم في عيون زبائنهم عندما يتقدمون في العمر، ويصبحون أقل شأنًا من النساء العواجيز، وإن لم تمثل النساء بالطبع في أي مرحلة قيمة ما بالنسبة لمثليي الجنس. عندئذ تفتح مواخير "البراتر" أبوابها. في كل مكان، في كل أرجاء فيينا يعرف المرء ذلك، حتى الأطفال الصغار يتلقون تحذيرات بالألا يقتربوا في الظلمة من هذا المكان ولو عن بعد: يساراً

الأولاد، يمينا البنات. المرء يقابل هنا نساء كثيرات على حافة المهنة والحياة. في أغلب الأحيان لا يلقي المرء إلا بقاياهن المهترئة بطلقات الرصاص، والتي أقيت من السيارات العابرة. في معظم الأحيان تقوم الشرطة بتحرياتها بلا نتيجة، لأن الجاني أتى بصمت منظم ثم عاد إلى حيث أتى. وربما كان لدى القواد من يُثبت عدم وجوده في مكان الجريمة. الحشية التي يمكن طيها اخترعت واستخدمت لأول مرة في هذا المكان. من ليس لديه شقة، من ليس لديه حجرة أو فندق أو منزل أو سيارة، فلا بد على الأقل أن يمتلك حشية يمكن نقلها، تبعث على الدفاء، وتهيئ لجسد الإنسان أرضية لينة إلى حد ما، عندما تطرحه الرغبة أرضاً. هنا تنمو أجمل أزهار فيينا، بخبثها غير المحدود؛ هنا يمرق يوغسلافي نشيط، أو حداد متعجل من حي "فونفهاوس" يريد أن يدخر مالاً، ووراءهما المحترفة التي يسيل لعابها في سماجة وابتذال بعد أن وقعت ضحية الغش ولم تحصل على أجرها. ولكن حداد "فونفهاوس" لا يشتهي شيئاً، لنفسه ولخطيبته، مثل خزانة كبيرة بعرض الحائط، يستطيع المرء أن يخبئ داخلها قذارات حياته الشخصية. بأمان تام يستطيع المرء هناك أن يحتفظ بالكتب، وجهاز الاستريو مع الأسطوانات والساعات، والتليفزيون والراديو، ومجموعة الفراشات المُجففة، وحوض السمك، ومستلزمات هوايته، وغيرها وغيرها وغيرها من الأشياء المحجوبة عن عين الرائي. لا يرى الزائر إلا الخشب المدهون

بدهان داكن، لكن بصره لا يقع على الفوضى التي يضمها. ربما ينظر - وعليه أن ينظر - إلى البار المنزلي الصغير، بما يحويه من زجاجات "ليكور" مختلفة الألوان، وفوقها، بما يتناسب لونها معها، الكنوس المصقولة اللامعة التي تبرق غضبا. على الأقل في السنوات الأولى من الزواج ستلمع الكنوس بعناية. فيما بعد سيهشمها الأطفال، أو ينسى المرء تنظيفها عمدا، لأن الرجل يأتي دائما متأخرا، كما أنه يسكر خارج البيت. ببطء تعلق البار المزود بالمرايا طبقات من الغبار.

اليوغسلافي، والتركي أيضا، يحتقر المرأة بطبيعته. الحداد لا يحتقرها إلا إذا كانت غير نظيفة أو عندما تصرف نقودا على المساحيق. الأفضل صرف هذه النقود في شيء آخر يستفيد منه المرء مدة أطول. لا يحتاج الحداد إلى أن يدفع نقودا مقابل شيء قصير العمر مثل القنف، فالمرأة تستمتع معه كما لا تستمتع مع غيره من الرجال. بعد جهد جهيد، ووقت طويل، استطاع الرجل أن يربي حيواناته المنوية؛ وإذا مات فلن يستطيع - لأسف النساء الشديد - إنتاج رحيق أو إنزال طاقة. لا يجرؤ الحداد في معظم الأحيان على التهرب من الدفع، لأنه معروف في أوساط القوادين الذين سيلحقونه عندئذ بلا رحمة. ولكن في لحظة الأزمة المالية الملحة - لأن هناك أقساطا لا بد من دفعها - يخاطر بأن ينال علة أو يحدث له مكروه أسوأ من

ذلك؛ إذ إن تشوقه إلى تغيير المهبل الأنثوي لا يتماشى دوماً مع رغباته وإمكانياته المالية.

إنه الآن ينتقي امرأة لا تبدو وكأنها في حاجة إلى حماية رجل. حتماً هي تشعر بعرفان الجميل لأن الحداد رجل متين البنيان مفتول العضلات. لقد وقع اختياره على امرأة تتميز بالتفرد في مملكة الحواس، امرأة متقدمة في السن سبق لها الإنجاب. الرجل اليوغسلافي أو التركي لا يمكنه أن يخاطر بشيء مثل هذا، لأن النمسيات لا يسمحن باقتراب أمثال هؤلاء إلى قلوبهن، بل لا يسمحن عموماً باقترابهم إليهن. هناك من تقبل هذا أو ذاك كزبون، ولا تستطيع في أغلب الأحيان أن تطلب شيئاً في المقابل، لأن عملها ليس له أي قيمة. التركي على سبيل المثال - وهو أيضاً عديم القيمة تقريباً في نظر رب العمل، الأمر الذي يتجسد في راتبه آخر الشهر - يشعر بالقرص من شريكة حياته. إنه يرفض أن يلبس واقياً لأن المرأة هي الخنزيرة، وليس هو. ومع ذلك فإنه - مثل الحداد - يشعر بالانجذاب من طرف تلك الحقيقة المكروهة التي لا يمكن نفيها، والتي تسمى المرأة. إنهم لا يحبون المرأة ولن يجلسوا طواعية مع امرأة، لكن لأنها موجودة - فما هو أول شيء يخطر على بال الرجل ليفعله معها؟

حداد "فونفهاوس" سينعم على خطيبته بمعاملة طيبة على الأقل لمدة أسبوع. يصفها بأنها نظيفة ومجتهدة. يقول لأصدقائه إنه لا يخجل من مظهرها، وهذا شيء كثير في حد ذاته!

يستطيع أن يظهر معها في أي ديسكو، كما أنها - وقد نشأت على التواضع - لا تطلب منه الكثير. تحصل على أقل مما تطلب، ولا تكاد تلاحظ ذلك. هي أصغر منه سنوات عديدة. تتحدر من بيت غير منظم، ولذلك فإنها تقدر النظام تقديراً كبيراً. إنه يقدم لها الكثير. لا يستطيع المرء أن يتحدث عن حياة التركي الخاصة، لأنه في واقع الأمر لا يتواجد في البيت. إنه يعمل. وبعد العمل لا بد أنه يبقى في مكان يحفظه من عوامل التعرية، ولكن لا أحد يدري أين. يبدو إنه يقضي وقته في الترام، دون أن يقطع تذكرة طبعاً. بالنسبة إلى محيطه غير التركي فهو كالأهداف الورقية التي يصوب عليها المرء في لعبة التنشئين. عند ازدياد العمل يتم الاستعانة به، وبالمحركات الكهربائية يتم سحبه عاليًا، ثم يصوب المرء، وسواء أصيب أم لم يُصب، فإنه يُسحب من الطرف الآخر، فيمضي دون أن يراه أحد - لا أحد يدري ماذا يحدث له، ولكن ربما لا يحدث شيء - ثم يعود إلى مكانه مرة أخرى خلف الجبال المصنوعة من الورق، ويعبر مرة أخرى المنظر الذي يمثل جبال الألب، عندئذ يكون في انتظاره الرجال الفيناويون الذين تسلحوا ببندقيات الرش، وبرفقتهم الزوجة المرتدية ثياباً احتفالية تليق بأيام الأحاد والتي تقوم بتحميم الزوج، ومعها صحيفة "كرونن تسايونج" والابن اليافع الذي يريد أن يهزم أباه قريباً في النيشان، ولذلك يتربص بفشله. الذي يصيب الهدف يحصل على مكافأته دمية صغيرة من البلاستيك. هناك أيضاً زهور من

الريش، أو ورود ذهبية، علي كل حال دائما أشياء مخصصة للسيدات اللاتي ينتظرن القناص المنتصر، ويعتبرن أنفسهن أكبر مكافأة له. وهي تعلم أيضاً أنه يبذل أقصى ما في وسعه من أجلها فحسب، ولهذا يغضب عندما يخطئ الهدف. في كلتا الحالتين هي التي تتحمل العواقب. قد يصل الأمر إلى نزاع مدمر إذا لم يستطع الرجل أن يتحمل إخفاقه في إصابة الهدف. في هذا الموقف لا تزيد المرأة الطين إلا بلة، إذا حاولت أن تقدم له العزاء. سوف تكفر عن ذلك عندما يقفز عليها قفزة تخلو من أي حب وحنان، دون أن يقدم لها اليوم أي مشهيات تمهيدية. إنه يتجرع الكأس حتى الثمالة ثم يقفز عليها، فإذا امتنعت عن الفرشحة، نالت علقة ساخنة حتى تبكي دما، عندئذ تأتي سيارة الشرطة وهي تعوي، ويهبط رجال الشرطة من السيارة ويسألون المرأة: لماذا تصرخ هكذا؟ إذا كانت هي لا تستطيع النوم، فعليها أن تدع الجيران ينامون في هدوء. ثم تحصل على عنوان ملجأ النساء، الذي خصصته الدولة للواتي يتعرضن للضرب على يد أزواجهن.

بتمهل تشق القناصة إريكا طريقها في منطقة الصيد التي تمتد عبر كامل الجزء الأخضر في ملهى "البراتر". منذ فترة قريبة وهذا الجزء يدخل في منطقتها أيضاً. لقد وسعت من مجال تأثيرها، فهي تعرف الآن كل الحيوانات المتوحشة في المحيط القريب منها. يحتاج المرء إلى جرأة كي يفعل ذلك. ترتدي حذاء متينا مقفولا، تستطيع به - إذا اقتضت الضرورة،

وإذا اكتشف أحد وجودها - أن تخوض بين الشجيرات ووسط مخلفات الكلاب التي تشبه أصابع السجق، وبين القوارير البلاستيكية الفارغة المصنوعة على شكل عضو الذكر، وبداخلها بقايا ليمونادة الأطفال الملونة بألوان سامة (ولكل نوع من هذه الليمونادة حيوان يغني لها في إعلانات التليفزيون)، وسط أكوام الورق المتسخة، المستخدمة في أغراض غير سرية، والأطباق الورقية وعليها بقايا المسطردة، وزجاجات مكسورة، أو بين الأشياء المطاطية الممتلئة. بعصبية تمضي متحسنة طريقها، متجنبه هذه الأشياء. تستشق الهواء عميقا، وتزفره.

ليست المنطقة خطيرة بعد، هنا، في ملاهي "البراتر"، بالقرب من محطة الترام. صحيح أن هناك رجالا صرعهم الشبق يتجولون بين المارة الأبرياء، ولكن حتى السيدة الأنيفة يمكنها أن تقوم بزيارة "البراتر" بلا خوف، رغم أن المنطقة ليست بالراقية. هنا تحدث بعض الأشياء خفية، على سبيل المثال أن يقوم عدد من الأجانب - إذا لم يكونوا من باعة الصحف - بعرض أشياء على المارة وهم يصيحون، ولكن بطريقة لا تلفت الانتباه، ومن حقائب بلاستيكية ضخمة يخرجون قمصانا رياضية للرجال بجيوب مزركشة، من المصنع مباشرة، أو ملابس نسائية على الموضة بألوان صارخة، من المصنع مباشرة، لعب أطفال، من المصنع مباشرة، وإن كانت معطوبة قليلا، أكياس بالكيلو من البسكويت

الكسر، من المصنع مباشرة، أدوات كهربائية وإلكترونية صغيرة، من المصنع مباشرة أو مسروقة، راديوهات صغيرة وأجهزة أسطوانات، من المصنع مباشرة أو مسروقة، وخراطيش سجاثر، سيان من أين هي. تبدو إريكا - رغم مظهرها البسيط للغاية - وكأن شنطة يدها الكبيرة جدا والمعلقة على كتفها مصنوعة خصيصا، أو على الأقل محمولة خصيصا، لكي تخفي فيها عن أعين الجمهور مسجلاً صغيراً، خارجاً لتوه من المصنع، مجهول بلد التصنيع، وصلاحيته للتشغيل مجهولة أيضاً، ولكن "بشوكته" في الغلاف البلاستيكي. لكن الشنطة تحتوي أساساً - إلى جانب أشياء ضرورية كثيرة - على منظار ليلي. مظهر إريكا يوحي بقدرتها على الشراء، فحذاؤها من الجلد الأصلي ونحو نعل محترم، معطفها ليس صارخاً، لكنه أيضاً ليس هامساً إلى حد عدم التعرف على لونه، إنه يستقر على لابسته بهدوء وفخامة، فخوراً أنه يحمل ماركة إنجليزية عالمية، وإن كان لا يظهر عليه ذلك. لقد ألحت الأم في نصح إريكا بشرائه، لأنها لا تحب التغيرات الكثيرة في الحياة. المعطف يبقى لإريكا، وإريكا تبقى عند أمها.

الآنسة كوهوت تتحاشى الآن رجلاً يوغسلافياً وقحاً يتتبع خطاها عارضاً عليها ماكينة قهوة عطلانة. يجبرها على احتمالها. لا ينقص إلا أن يجمع أشياءه ويرافقها. تسير إريكا - عمداً معرضةً برأسها عنه - وتخطو على شيء غير مرئي. إنها تقصد الآن حدائق "البراتر" التي يفقد الفرد فيها نفسه

بسهولة، لكنها لا تهدف إلى ضياع ذاتها، بل إلى الربح. وحتى إذا افترضنا أنها فقدت نفسها، فإن أمها - التي يتكاثر لديها الشعور بالتملك منذ ولادة الابنة - ستذهب على الفور لتعلن أحقيتها وملكيّتها لما فقد؛ عندئذ ستبحث المدينة كلها عنها، بمساعدة الصحف والإذاعة والتلفزيون. شيء ما يجذب إريكا إلى حدائق "البراتر"، وليست هذه هي المرة الأولى. كثيراً ما أتت إلى هنا، لذا فهي تعرف المنطقة جيداً. الزحام يخف، ويتلاشى. يتفرق الناس مثل أسراب النمل، كل منهما تعهد بأداء واجبات محددة لخدمة الدولة. بعد ساعة تعرض الحشرة بكل فخر قطعة من ثمرة فاكهة أو من جيفة.

قبل قليل تجمعت على المحطات عناقيد من البشر ومجموعات وجُزر، حتى يكتسحوا معا مكانا ما، والآن - لأن إريكا عملت حساب كل شيء - فإن الظلام على الأبواب، وهكذا يطفئ البشر مصابيح حضورهم أيضاً. وحول الأنوار الاصطناعية للمصابيح يتزايد عدد الناس. هنا، على الهامش، وبدون وجود منطقة انتقالية، لا يقابل المرء سوى الناس الذين يحتم عليهم عملهم التواجد هنا. أو الذين أتوا لممارسة هوايتهم، النيك، أو ربما سرقة الأشخاص المنكوحين وقتلهم. البعض لا يفعل شيئاً سوى الفرجة في هدوء. وبقية ضئيلة تذهب لفورها إلى محطة ترام الأقرام في الملاهي، وهناك تتعري.

طفل آخر متأخر يسرع في طريقه إلى المنزل، وهو يحمل أجهزة الرياضة الشتوية بعد انتهاء الشتاء، يتعثر في طريقه إلى آخر نقطة ضوء في محطة الترام، وصوت الوالدين في أذنه يحرّضه علي الإسراع، ويحذره من السير وحيدا في منطقة "البراتر" ليلا. يذكر الآباء قصصاً تعرض فيها الأطفال - في أفضل الأحوال - إلى السطو، حيث سرقت عنوة الأدوات الجديدة للترحلق على الجليد التي تم اقتناصها أثناء تخفيضات الشتاء، والتي لن يتم استخدامها إلا في الشتاء المقبل. لقد كافح الطفل طويلا للحصول على أدوات الترحلق، ولا يستطيع أن يتخيل فقدانها. بمشقة وعناء يمرق الطفل بالقرب من الأنسة إريكا، ويتعجب من وجود السيدة الوحيدة التي تجسد النقيض الحي لكل ما يدعيه الوالدان.

تخطو إريكا على النجيلة شاعرة بالانجذاب إلى الظلمة التي تنتشر هنا دون عائق، وسط الشجيرات والمنحدرات والغابات الصغيرة. إنها ببساطة هناك، المروج، وتحمل أسماء. هدفها: "مرج اليسوعيين". لا بد أن تسير مسافة كبيرة حتى تصل إلى هناك. إريكا كوهوت تقيس المسافة بحذاء التجول الذي تخطو به خطوات منتظمة. تمر الآن بجزء الملاهي في منطقة "البراتر". الأضواء تبرق من بعيد ثم تختفي سريعا. طلقات رصاص تفرقع، أصوات تهلل منتصرة. مراهقون يزعقون في صالات اللعب، وكذلك تفعل الآلات القتالية التي يحملونها، أو يهزون بصمت ماكينات تصلصل عندئذ صلصلة

أعلى، وتصدر عنها نغمات وبريق أضواء. بعزم وتصميم تترك إريكا هذه الأنشطة خلفها، ولا تعطيها الفرصة كي تقترب منها أو تمسها. برفق تربت الأضواء بأصابعها على كتفي إريكا، لكنها لا تجد مستقراً، فتمر بسرعة على شعر رأسها المغطى بإيشارب حريري، ولكنها تنزلق، وتعبّر أسفةً آثاراً ملونة سائلة على معطفها، قبل أن تسقط خلفها على الأرض، حيث تحتضر في الحمأة. انفجارات صغيرة تفرقع جانب أذنها، ولكنها أيضاً تجد نفسها مجبرة على المرور بإريكا مرور الكرام، دون أن تترك ثقباً. لا تثير هذه الأشياء شهية إريكا. إنها تثير بالأحرى اشمئزازها. عجلة الملاهي الضخمة هي عجلة من الأضواء الخفيفة المنتشرة. إنها تعلق كل شيء. لكن لعبة "قطارات الجبال والأودية" تنافسها، وإن كانت أضواء القطارات صارخة أكثر. في عرباتها الصغيرة ذات العويل الحاد يمرق الشجعان بقوة التقنية، صارخين صرخات حادة، وهم يتشبثون بالعارضة الحديدية. بالحجة اللائقة يتشبثون أيضاً بالمرافقة. ليست هذه من الألعاب المناسبة لإريكا. إنها تريد كل شيء، إلا أن يتشبث بها أحد. شبح مضيء يرسل تحياته من مقدمة قطار الأشباح. إنه لا يستطيع اجتذاب أي كلب إليه، إلا ربما البنات ذوات الأربعة عشر ربيعاً اللاتي عقدن أولى الصداقات مع الجنس الآخر، واللاتي ما زلن يتلاعبن بأهوال العالم كالمقطط، قبل أن يصبحن هن أنفسهن جزءاً من تلك الأهوال.

فيلات وبيوت تحوي عدة شقق. النهار يجر أذياله. في المنازل يسكن أناس مجبرون طيلة النهار على سماع الضجيج الذي يتأهى إليهم من بعيد، بل وحتى أثناء الليل. سائقو الشاحنات من دول الكتلة الشرقية الذين يريدون تخزين آخر جرعة من العالم الكبير المفتوح. زوج من الصنادل للمرأة في الوطن، الآن يتم فحص الصنادل مرة أخرى بعد إخراجها من الكيس البلاستيكي، للتأكد من أنها تتوافق مع المعايير الغربية. نباح كلاب. وميض عشاق من شاشة تليفزيون. أمام سينما بورنو يصرخ رجل بصوت عال أن ما يُعرض في الداخل، لم يره أحد من قبل، هيا إلى الداخل! بمجرد حلول الظلام يبدو العالم وكأنه لا يتكون في معظمه إلا من الذكور. الأجزاء الأنثوية التابعة تنتظر بصبر وراء الأضواء الأخيرة، لتتال نصيبها مما تبقى من عافية الرجل بعد خروجه من السينما البورنو. الرجل يذهب بمفرده إلى السينما، وبعدها يحتاج إلى المرأة المغوية دائما، سواء هنا أو هناك. لا يستطيع أن يفعل كل شيء وحده. إنه يدفع للأسف الشديد ثمنا مضاعفا، لتذكرة السينما والمرأة.

تواصل إريكا تقدمها. مروج خالية من البشر تفتح أفواهاها شافطة من يمر أمامها. السهول الخضراء هنا مترامية الأطراف. إنها تتوغل حتى تصل إلى البلاد الأجنبية. إلى نهر الدانوب، إلى ميناء النفط في لوباو، وميناء فرويدناو. ميناء ألبرنر للحبوب الغذائية. الغابات العتيقة عند ميناء ألبرنر. ثم

المياه الزرقاء ومدافن المجهولين. رصيف الميناء التجاري، حيث ترسو السفن قبل أن تواصل رحلتها. ثم وراء الدانوب المنطقة الشاسعة التي خلفها الفيضان، والتي يكافح للحصول عليها شباب حماية البيئة، ضفاف رملية، مراعي، شجيرات، أدغال. موجات لاعقة. ولكن إريكا لن تبعد إلى هذا الحد، فالطريق إلى هناك أبعد من اللازم. وحده المتجول المزود بالأدوات الضرورية يستطيع أن يتقدم هنا سيراً على قدميه، ثم يستريح ويأكل بعضاً من زاد الطريق. تشعر إريكا الآن بأرضية المرج اللينة تحت قدميها، فتواصل تقدمها. إنها تسير وتسير. جزر صغيرة متجمدة، أسطح من الجليد، تحتها العشب ما زال متجمداً من الشتاء. أصفر وبني. تضع إريكا بانتظام قدماً بعد الأخرى وكأنها بندول ساعة. إذا خطت قدم فوق خراء كلاب، فإن القدم الأخرى تدرك على الفور، وتتجنب الموضع الذي تفوح منه رائحة عفنة لمدة طويلة. عندئذ تنظف القدم الأولى في العشب. الأنوار تتخلف ببطء. والظلام يفتح أبوابه: تفضلوا بالدخول! تعرف الأنسة كوهوت بالخبرة أن المومسات في هذه المنطقة يقمن بأشغالهن بلا جهد كبير وعلى الملأ. لقد وضعت إريكا في شنطتها سندوتشا بالسجق زاداً للطريق. طعامها المفضل، وإن كانت الأم ترفضه باعتباره غير صحي. هناك أيضاً مصباح صغير للجيب لحالة الطوارئ، ومسدس صوت لحالة الضرورة القصوى (في حجم عقلة الإصبع!)، وعلبة حليب بالكاكاو لحالة العطش بعد السجق، ومناديل ورقية

كثيرة لحالات طوارئ، ونقود قليلة، لكنها تكفي على كل حال لدفع أجرة تاكسي. ليس هناك بطاقة هوية، ولا حتى لحالة الطوارئ. والمنظار المكبر الذي ورثته من الأب الذي كان في أيام ذهنه الصافي يتجسس به على الطيور والجبال، حتى في الليل. الآن تعتقد الأم أن الابنة ذهبت إلى أحد البيوت لعزف موسيقى الحجرة، وتتباهى بصوت عال أمام إريكا أنها تدع ابنتها تذهب وحدها إلى هناك حتى تعيش حياتها الخاصة، وأن عليها أن تتوقف عن توجيه الاتهامات الدائمة للأم أنها لا تريد أن تتركها من بين أصابعها. بعد ساعة على الأكثر ستتصل الأم تليفونيا للمرة الأولى عند زميلتها في الموسيقى، والزميلة ستبحث عن حجة مقنعة حاذقة. تعتقد الزميلة أن إريكا تقوم بمغامرات عاطفية، وتعتبر الزميلة نفسها محل ثقته.

الأرض تحت أقدامها سوداء. السماء لا تقل عنها سواداً إلا قليلاً. نور السماء يكاد يكفي لأن يعرف الإنسان أين الأرض وأين السماء. في الأفق تتبثق من الأشجار أخيلة رقيقة. تلتزم إريكا الحيط. تتحرك بخفة الريشة وهدوئها. ترق وتخف. وتقريباً تمسي غير مرئية. تكاد تتحول أثيراً. كلها آذان صاغية وعيون مفتوحة. وبالمنظار لها عيون إضافية. تتحاشى الدروب التي يسير عليها المتجولون الآخرون. وتبحث عن النقاط التي يقضي المتجولون الآخرون فيها وقتاً ممتعاً - دائماً في ثنائيات. إنها بالطبع لم ترتكب جريمة تجعلها تتجنب الناس. لكنها تتصيد بمساعدة المنظار المكبر أزواجاً من العشاق، يتراجع

أمامهم الآخرون لدى رؤيتهم. لا تستطيع فحص الأرض تحت حذائها، لذلك تمشي كالعُمياء. تعتمد اعتماداً كاملاً على أذنيها، وهو ما اعتادته من مهنتها. تتحني قامتها في بعض الأحيان، وأحياناً أخرى تكاد تتعثر، لكن قامتها تستقيم وتمضي إلى الأمام كما تطمح. تسير وتسير وتسير. النفائات تلتصق بنعل حذائها الرياضي وتجعله زلقاً مستويًا، لكنها تواصل تقدمها على المروج.

ثم تصل إلى هدفها. إنها تتصاعد الآن، مثل نيران موقدة في معسكر، هكذا تتنامى صرخة ثنائي عاشق، وتتصاعد من النجيلة أمام إريكا كوهوت. أخيراً وصلت المتفرجة إلى وطنها. الصرخات قريبة إلى الحد الذي لا تحتاج فيه إلى المنظار المكبر. هذا المنظار الليلي الخاص. انهمك الثنائي في النيك على أجمل الأراضي المعشبة كأنهما في البيت. مآقي إريكا تتشرب المنظر. راح رجل يدخل في امرأة وكأنه مسمار قلاووظ، مُطلقاً صيحات تهليل أجنبية. المرأة لا تفرع أجراس الفرح، بل تعطي تعليمات وأوامر بلهجة أقرب إلى التذمر وبصوت نصف مسموع. ربما لا يفهمها الرجل، إذ إنه يواصل ابتهاجه بالتركية، أو بلغة أخرى نادرة، دون أن يلتزم بما تصرخ به المرأة. تفتح المرأة حلقها عن اتساعه مثل كلب على استعداد للقفز، ولهذا لا يقوى الزبون على فتح فمه. يعزف التركي ويعصف مثل رياح الربيع، وإن كان أعلى قليلاً. يصرخ صرخات طويلة ممدودة، هي بالنسبة لإريكا نقطة جيدة

للارتكاز الصوتي، حتى تستطيع أن تتسلل وتدنو منهما أكثر، رغم أنها قريبة للغاية منهما. مجموعة الشجيرات التي تمنح العاشقين ماوى مؤقتا، تموه أيضا وجود إريكا تمويها جيدا. يبدو أن التركي، أو الأجنبي الشبيه بالتركي، مبتهج بما يفعله. المرأة، هكذا يتناهى إلى السمع، مبتهجة أيضا. لكنها تكبح ابتهاجها. ترشد المرأة الرجل إلى الأماكن التي ينبغي عليه أن يتوجه إليها. لا يمكن التأكد ما إذا كان يطيعها. إنه يريد أن يتبع أوامره الباطنية، ولا مناص عندئذ من أن يصطدم مع رغبات شريكته. إريكا شاهد على كيفية حدوث ذلك. المرأة تقول: يمينا، فإذا به يتوجه يسارا. يبدو أن الغضب بدأ يستولي على المرأة، لأن الرجل لا يعطيها الأسبقية كما تقضي الأصول. إذا قالت: على مهلك، فإنه يسرع. لعل المرأة ليست محترفة، بل امرأة عادية سكرانة أحضرها الرجل إلى هنا. ربما لن تتال في النهاية أي شيء على الجهد الذي بذلته. تتكور إريكا، ثم تقعد قعدة مريحة. حتى لو كانت تسير بكعب عال، فلن يسمعها الثنائي العاشق. فالأول يصرخ عاليا، تتبعه الأخرى بصراخها، أو يصرخان معا. أثناء بحثها عما تتفرج عليه، ليس الحظ دائما حليفها مثل اليوم. تتكلم المرأة الآن مع الرجل، عليه أن ينتظر لحظة. لا تستطيع إريكا أن تتأكد ما إذا كان الرجل يوافقها على رأيها. ينطق الآن جملة بلغته تقع على الأذن موقعا هادئا نسبيا. تشتمه المرأة، وتتهمه بأن ما يقوله لا يستطيع إنسان أن يفهمه. أنت، انتظر، تفهم؟ انتظر! "مفيش انتظر"،

تسمع إريكا الإجابة. يلج الرجل المرأة، وكأنه يريد في وقت قياسي أن ينتهي من تركيب نعل حذاء، أو لحام أجزاء سيارة. في كل مرة يطعنها، تهتز المرأة وترتج. الآن تبصق، بصوت أكثر حدة مما يستلزمه الموقف، وبلعاب يسيل تصرخ: أبطأ!! على مهلك قليلا، من فضلك. انتقلت الآن إلى الرجاء. والنتيجة صفر أيضاً. طاقة التركي غير معقولة، وسرعته مجنونة. بماكينته الداخلية ينتقل إلى سرعة أكبر حتى يستطيع أن يطعن أكبر عدد ممكن من الطعنات في كل وحدة زمنية، وربما أيضاً في كل وحدة نقدية. تدعن المرأة، وتتخلى عن أملها بأن تنتهي الأمور نهاية طيبة بالنسبة لها، وتزعق فيه سائلة متى سينتهي أخيراً، أم أنه ينوي الاستمرار إلى بعد الغد. باللغة التركية يزفر الرجل زفراته الأخيرة التي تتصاعد من أعماق أعماقه. يقذف الحمم على كلا الجانبين. يبدو أن اللغة والمشاعر يتقاربان عنده تقارباً كبيراً. ينهق بالألمانية: يا مرة! يا مرة! المرأة تحاول محاولة أخيره معه: أبطأ! اثنان زائد اثنين، تحسب إريكا في مخبئها، وتقرر أن هذه المرأة ليست من مومسات "البراتر"، لأنها لو كانت كذلك لأشعلت نار الرجل ولم تكبح جماحه. لا بد على المومس أن تجمع أكبر عدد من الزبائن في أسرع وقت ممكن، على العكس من الرجل الذي يشعر على نحو يتناقض مع تفكير المرأة. إنه يريد أن يستفيد من المرأة أطول مدة ممكنة. ربما يجيء اليوم الذي لا يستطيع فيه على الإطلاق، عندئذ لن يتبقى له سوى الذكريات.

إن كل جنس يريد دائماً، ومبدئياً، نقيض ما يريده الجنس الآخر.

ليست إريكا إلا نسمة، يكاد لا يصدر عنها زفير، لكن عينيها مفتوحتان عن اتساعهما. هذان العينان يتشمان، كما تتشمم الأنف رائحة الفريسة، إنهما عضوان في منتهى الحساسية، ولذا يرفرفان مثل الرايات في الريح. تفعل إريكا هذا حتى لا تستبعد من وسط الناس. مرة تأتي إلى هنا للزيارة، مرة تذهب إلى هناك. لها مطلق الحرية، وتستطيع أن تفعل ما تشاء، وتذهب حيثما تشاء. لا تريد أن تشارك في شيء، ولكن ليس مسموحاً للأشياء بأن تحدث من غيرها. هي دائماً موجودة أثناء عزف الموسيقى، مرة منفذة، ومرة متفرجة ومستمعة. هكذا يمضي وقتها. تقفز داخله، ثم خارجه، وكأنها تركب عربة ترام عتيقة ليس لها أبواب. في العربات الحديثة يظل من ركب الترام بالداخل. حتى المحطة التالية.

يدق الرجل مسامير لا تعد. يعرق أثناء ذلك عرقاً يختلف في مواضعه وغازاته. بأصابع من حديد يتشبث بالمرأة، حتى لا تفلت منه. ينثر لعبه على كافة أجزاء جسدها، وكأنه ثعبان يخدر فريسته بالسم قبل أن يفترسها. لم تعد المرأة تتطق حرفاً، إنها تتأوه أيضاً، بعد أن نقل شريكها العدوى إليها بحماسة. تغمغم بسلسلة من الكلمات المفردة غير المفهومة بلهجة

متضرعة. صارت تصفرّ وكأنها مرموط^(١٢) فوق جبال الألب يتشمم عدواً. ترسو بيديها وسط ظهر الرجل الذي يواجهها، حتى لا يفلت منها. حتى لا يتحرر منها أثناء أداء الواجب أو بعده، ثم يتخلص منها بكلمة عطف أو مزاح. يعمل الرجل بسرعة تبغي إنجازاً كثيراً في زمن قليل. وبهذا يُعلي من سقف إنتاجيته. إنها بالنسبة له الفرصة الأولى بعد وقت طويل مع امرأة نمسوية، وهو يملأ ينتهز المناسبة، ويملوها بنشاط محموم. هامات الشجر تنتصب فوق رأس العاشقين. تبدو السماء الليلية - وبفعل الريح - على قيد الحياة. من الواضح أن التركي لم يعد يستطيع أن يتراجع عن تنفيذ ما يخطر في باله. يبصق كلمات من حلقه، لا يبدو أنها تنتمي حتى إلى اللغة التركية. تصب المرأة الآن زيتها على جمره المتوهج حتى يتأجج.

باطن المتفرجة يعمل بطريقة مدمرة. أقدامها ترتجف، وتطلب منها أن تنتقل إلى مرحلة العمل الإيجابية، لكنها تنصاع، إذا منعها المرء. تنتظر أن تمنع عن ذلك منعاً باتاً. أفعالها تطلب إطاراً ثابتاً تتحرك داخله. بدون أن يحدث العاشقان تجعل إريكا من الثنائي ثلاثياً. فجأة تشرع أعضاء ما في جسمها بالعمل، دون أن تستطيع السيطرة عليها، بسرعة مزدوجة، أو حتى أسرع. ضغط قوي على المثانة. معاناة تثير

(١٢) المرموط حسب "المنجد" حيوان من فصيلة السنجابيات ورتبة القواضم. متوسط القد، بطيء الحركة، عريض الرأس، صغير الأنين. ويدوم بيّاته الشتوي نحو أربعة شهور.

الضيقة، تنتابها دائما عندما تتفعل وتهيج. دائما في أكثر اللحظات غير الملائمة، رغم أن الطبيعة هنا تفتح أحضانها على اتساع كيلومترات لاحتواء هذا الشعور المُلح ونتائجه، دون أن تترك آثارا. السيدة والتركي يقدمان لها المثال والنموذج. لا إرادياً يأتي رد فعل إريكا، ويسري هسيس خافت بين الأغصان. هل أرادت الهسيس أم لا؟ هذا الشعور الملح من الداخل يثير في كل مرة غضبها. على المتفرجة أن تعدل قليلا من وضعها المتكور حتى تستطيع التخفيف من هذا الشعور الملح الذي يطلب الخروج. إنه ملح للغاية. مَنْ يعرف، كم من الوقت تستطيع أن تحبسه داخلها. ولكنها لا تستطيع الآن على الإطلاق. الحفيف يعلو حواليتها، لا تدري إريكا، هل تعمدت أن تساعد الفرع على الانتشاء، وهو ما سيكون بطبيعة الحال جنونا. لقد اصطدمت بالفرع، الذي ثار بهذا الصوت المزعج.

التركي، ابن الطبيعة الذي يربطه شعور عميق بالألفة مع الأعشاب والزهور والأشجار أكثر مما يربطه مع الماكينة التي يعمل أمامها في المعتاد، يقطع على نحو فجائي كل ما يفعله. وينفصل أول ما ينفصل عن المرأة. لا تلاحظ المرأة بسرعة ما حدث، وتظل تصرخ لمدة ثانيتين، مع أن الضيف التركي كان قد شد ذراع الماكينة وأوقفها. دون أن يحرك ساكنا يتريث التركي الآن، ما أجمل ذلك أيضاً^(١٣). لقد قضى الآن -

(١٣) إشارة ساخرة إلى بيت شعري مشهور لجوته ورد على لسان فاوست، وفيه يتضرع فاوست إلى لحظة الحب الجميلة أن تتمهل: تريثي قليلا، فما أجملك! (المترجم)

يا للمصادفة - وطره، ومن حقه أن يستريح. يصغي إلى هسهسة الريح بعد أن وصل به الإنهاك غايته. الآن تنصت المرأة أيضاً، ولكن بعد أن فحّ ابن البوسفور بكلمات نهرتها لأنها صرخت على هذا النحو. التركي ينبح سؤالا قصيرا، أم أنه أمر؟ بمشاعر نصف زائفة تهدي المرأة من روعه، ربما ما زالت تريد شيئاً من جارها في العشق. التركي لا يفهمها. ربما يتوجب عليه أن يضربها، إذ إنها تستعطفه بأعلى درجات صوتها أن يبقى معها. أو ربما قالت شيئاً مشابهاً، لم تفهمه إريكا تماماً. كان انتباهها مشتتاً، لأنها في اللحظة ذاتها كانت قد هربت إلى الورااء عشرة أمتار. كان التركي بأكمله تحت رحمة ارتعشات المرأة وارتجافاتها. لحسن الحظ لم تلاحظ المرأة شيئاً، والآن فقد استعاد التركي نفسه. وهو رجل ولا كل الرجال. تسبه المرأة طالبةً إما حبا أو مالا. من فم المرأة يتعالى البكاء والنواح. ساكن خليج اسطنبول الذهبي ينهرها بصوت عال، وينفصل عنها كالسدادة من الزجاجاة، ثم يقطع الاتصال اللاسلكي بها. أثناء عملية الانسحاب أصدرت إريكا ضجة مثل قطيع من الجاموس اقتربت منه لبؤة. لعلها تعمدت ذلك، أو تعمد لاوعيا ذلك. النتيجة واحدة في كلتا الحالتين.

يرتكز التركي على قدميه ويتأهب للانطلاق، لكنه يقع ثانية، وحول ركبتيه يتوهج في الظلام بنطلونه ولباسه. راح يشد ويجذب قطع ثياب دون أن يتوقف عن إطلاق لعناته، وببيديه يشير إشارات تهديدية جادة. بيده اليسرى، واليمنى. في

اتجاه الشجيرات التي تحبس خلفها الأنسة كوهوت أنفاسها،
منكمشةً وهي تعض على أحد أصابع البيانو العشرة.
يقفز التركي الآن داخل ملابسه، وكأنه يقفز في سوال. لا
يتمهل حتى لفعل ما هو ضروري. بعض الناس لا يفكرون، بل
يفعلون بدون تفكير، أي شيء؛ تمرق هذه الخاطرة في رأس
المتفرجة لدى مراقبتها لما يحدث. ينتمي التركي إلى هذه
المجموعة من الناس. راح الجزء المُحبط من الثنائي العاشق،
المستلقي بضعف على الأرض، يزعم بأن لا يتركها هكذا
وسط فلول الواقي الذكري المتساقطة بجانبها، الكلاب فقط أو
الجرذان يمكن أن تسمن على مثل هذه الأشياء. فضلات كثيرة
طيبة يمكن التهامها هنا. عليه أن يعود، حبيبها. عليه ألا يتركها
وحدها، لو سمح. الرأس الأجنبي الوسيم ذو الشعر الأجد لا
يستجيب، بل ينمو الآن وتنتصب قامته - يبدو أنه تركي طويل
نسبياً. أخيراً دخل في البنطلون، وهو يتوجه الآن ناحية
الشجيرات. لحسن الحظ يخطو - ربما عمداً - في الاتجاه
الخاطئ، أي إلى حيث تتكاثف الشجيرات. بدون تفكير عميق
بحثت إريكا عن مكان تَقَل فيه النباتات، حيث لا يتوقع
وجودها. من بُعد تتضرع المرأة بصوت خافت. هي أيضاً
يستقيم عودها الآن. تحشر شيئاً بين ساقها، وتمسح بقوة. ثم
ترمي عدة مناديل ورقية مكرمشة. تطلق سبابها بنبرة بشعة
اخترعتها لتوها، يبدو أنها تتلاءم مع طبيعة حالتها النفسية.
تتادي وتتادي. يقشعر بدن إريكا. الرجل يقذفها بإجابات

قصيرة، ويبحث ويبحث. يتحسس منطقة، قبل أن ينتقل إلى التالية. ثم يعود تلقائياً إلى المنطقة الأولى. ربما يعتريه الخوف، ولذلك فإنه لا يريد بالفعل أن يعثر على الذي كان يتلصص عليهما. إنه لا يتجول إلا في المنطقة بين شجرة البتولا والشجيرات العجفاء، ثم من الشجيرات إلى البتولا. لا يسير أبداً تجاه الشجيرات الأخرى التي تعلن عن وجودها أيضاً. على فترات منتظمة تصرخ المرأة أن لا أحد هنا. "ارجع"، تطلب منه. لكن الرجل لا يريد ذلك، ويطلب منها بالألمانية أن تخرس. تضع المرأة للمرة الثانية كومة من المناديل الورقية بين فخذيهما من باب الاحتياط، في حالة ما إذا كان شيئاً لا يزال عالقا بالداخل، ثم ترفع هي أيضاً الكيلوت. وفوقه الجيبة، التي تمر بيدها الآن عليها لفردتها. تركز اهتمامها الآن على البلوزة التي لا تزال مفتوحة، ثم تسحب المعطف الذي كانت فرشته تحته. لقد بنت عشاء، على عادة النساء. لم ترد أن تتسخ الجيبة، لكن المعطف الآن قد نال نصيبه من القذارة والكرمشة. يصيح التركي بكلمة جديدة: تعالي! عشيقته التركي تتمنع، وتهم بالابتعاد السريع عن المكان. إريكا تنتظر الآن إليها بكامل هيئتها. المرأة طاعنة في السن نسبياً، ولكن بالنسبة لرجل تركي فما زالت عروساً شابة. توخيا للحديقة تظل في الخلفية، فهي تحتاج إلى مسافة تسبق بها عشيقها - إذا اقتضى الأمر أن تعدو - مع وجود كل هذه المناديل في الجيوب. ما أسهل أن يفقدها المرء! لم تتل المرأة في العشق ما كانت تشتت به، فلا تريد الآن

أن تقع فوق ذلك ضحية جريمة قتل. في المرة القادمة ستحرص علي أن تستمتع بالعشق في هدوء وحتى آخر لحظة. ملامح المرأة تمسي - بشكل متزايد - نمسوية، والتركي يظل تركيا كما كان دوماً. المرأة تبحث عن الاحترام الذي تستحقه، والتركي يبحث تلقائياً عن الأعداء والخصوم.

لا تسمح إريكا لأي ورقة من الأشجار أن تنزل عليها أو أن تصدر خشخشة. تبقى ساكنة وميتة مثل فرع شجرة عطن، انكسر، واحتضر في العشب بلا أي نفع.

تهدد المرأة العامل الأجنبي بأنها ستغادر المكان فوراً. يريد العامل الأجنبي أن يرد باحتقار، لكنه يتواني في الوقت المناسب، ويواصل البحث صامتاً. عليه أن يظهر الآن جسارته حتى ينال احترام المرأة التي استيقظت فجأة متذكرة أنها من أهل البلد. يخطو الآن في دائرة أوسع - وقد شجعه أن لا شيء يتحرك - مُهدداً بذلك السيدة كوهوت تهديداً أكبر. تحذره المرأة للمرة الأخيرة، رافعةً شنطة يدها من الأرض. تضع اللمسات الأخيرة داخل جسدها وخارجه. تزرر، وتشبك، وتتفض شيئاً. تشرع ببطء في التفهقر ناحية المطاعم، دون أن تترك الصديق التركي يغيب عن مجال بصرها، ولكن مع زيادة السرعة الذاتية. تتوح على سبيل الوداع بكلمات وضيفة غير مفهومة.

يصيب التردد التركي، ولا يعلم إلى أين يذهب. إذا هجرته هذه المرأة، فربما لن يجد طيلة أسابيع بديلاً لها. تصرخ المرأة أنها تجد أمثاله في كل ناصية. يقف التركي ويمد رأسه ناحية

المرأة، ثم ناحية الشخص المختفي وراء الشجيرات. التركي غير متأكد، إنه يتأرجح بين غريزة وأخرى، وكم من مرة أدت به كلا الغريزتين إلى التهلكة. ينبج، مثل كلب لا يعرف أي ريح يتبعها.

لم تعد إريكا كوهوت تستطيع التحمل. الحاجة أقوى. بحذر تسحب البنطلون لأسفل، ثم تبول على الأرض. دافئا راح البول ينهمر بين فخذيهما ليجد طريقه إلى العشب. يسيل فوق الحشية الرخوة المكونة من الطين والأوراق والأغصان والنفائيات والقانورات. ما زالت لا تعرف: هل تريد أن يكتشفها، أم لا؟ كل ما تفعله هو أنها تدع السائل ينساب، وقد قطبت جبينها، محذقة أمامها في جمود. داخلها يخلو شيئاً فشيئاً، والأرض تمتص كل شيء. لا تفكر في القيام بأي خطوة، ليس هناك دافع، ولا عواقب. عضلاتها تسترخي، والانهمار يخف ويتحول إلى سرسوب ضعيف لا ينقطع. أمام حدقتيها صورة الأجنبي الواقف بقامة منتصبه دون حراك، ثبتت الصورة في عينيها، بينما راحت بكل قوتها تستكمل تبولها. مستعدة هي لهذا الحل أو ذاك، كلاهما يوافقها. تترك الأمر للقدر المتجسد في هيئة المصادفة، وهي ستحدد: هل التركي طيب أم لا؟ بحرص تمسك بجونلتها الاسكتلندية فوق ركبتيها حتى لا تبتل. ليس للجونلة ذنب في الأمر. الحرقان يخف أخيراً، وبعد لحظات تستطيع أن تغلق الحنفية.

ما زال التركي يقف وسط العشب كالتمثال. أما رقيقة
التركي فإنها تصيح صيحات حادة وتقفز فوق النجيلة المترامية.
بين الحين والآخر تلتفت إلى الوراء، وتصنع بإصبعها إشارة
دولية مبتذلة وضيعة، وبها تتخطى حاجزا لغويا.

ينجذب الرجل مرة إلى هنا، ومرة إلى هناك. حيوان أليف
بين سيدين. لا يعرف ماذا يعني الخرير والهسيس، إذ لم يلفت
نظره من قبل وجود غدير. ولكنه أثناء ذلك أصبح يعرف شيئا
بكل تأكيد: أن رقيقة حواسه تهجره.

في اللحظة التي تتأكد فيها إريكا كوهوت أنه سيخطو
الخطوتين الكبيرتين اللتين تفصلان بينه وبينها، وفي اللحظة
التي أخرجت إريكا كوهوت آخر النقاط من داخلها، متوقعة
ضربة شاكوش بشري تهبط عليها من السماء (إنسان ضخ من
ألواح البلوط السميكة صنعه نجار ماهر، يعتصر إريكا مثل
حشرة)، في هذه اللحظة يرجع الرجل، في البداية بخطوات
متردة، مواصلا النظر خلفه، ثم بخطوات تزداد سرعة
وتصميما، متتبعا الفريسة التي اقتتصها في بداية هذه الأمسية
البهيجة. المرء يحتفظ بما في يديه. لا أحد يعرف إذا كانت
جودة ما يحصل عليه المرء في البداية، تتطابق مع رغباته.
يهرب التركي من المجهول، الذي طالما اتضح أنه مؤلم بالنسبة
له في هذا البلد، ولا يفارق ظل شريكته. عليه أن يسرع للغاية،
فالمرأة قد أمست نقطة ضئيلة تكاد تختفي بعيدا. و عما قريب لن
يكون هو أكثر من خراء ذباب في الأفق.

اختفت المرأة الآن، وهو أيضاً اختفى، والسماء تمد يدها
ثانية للأرض وتصافحها في الظلام الدامس، وتظل اليدان معاً
بعد الافتراق القصير الذي دام لحظات.

بيد عزفت إريكا كوهوت قبل قليل على بيانو العقل، وباليد الأخرى على بيانو الشهوات. في البداية سيطرت الشهوات، الآن حان دور العقل الذي يدفعها إلى الإسراع خلال الطرق المظلمة للوصول إلى البيت. ولكن ثمار الشهوات جناها آخرون نيابة عنها. راقبتهم المدرسة وأعطتهم درجات حسب معايير وضعتها بنفسها. لو ضُبطت أثناء ذلك، لربما أجبرها الآخرون على الاشتراك معهم في شهواتهم.

تمرق إريكا بين صفوف الأشجار التي يحوم حولها منذ فترة شبح الموت. كان على أغصان عديدة أن تفارق مكانها الأصلي، لينتهي بها المطاف وسط الحشائش. تتخلى إريكا بخطوات متعجلة عن مكان الحراسة، حتى تعود إلى مكانها في عشها. لا شيء في مظهرها يشير إلى ما أصاب داخلها من خلل. ولكن عاصفة دوارة تهب في أعماقها، عندما ترى شبانا يتسكعون مع أجساد شابة على أطراف حدائق "البراتر". حسب السن يمكن أن تكون أهم! كل ما حدث قبل ذلك لا يمكن استعادته أو تكراره. ولكن من يعرف ما يخبئ المستقبل؟! في عصرنا هذا الذي وصل إليه التقدم الطبي مرحلة عالية، يمكن للمرأة أن تمارس حتى في عمرها المتقدم وظائفها الأنثوية. تسحب إريكا لأعلى سوستة مفتوحة. بهذه الطريقة تمنع كل

لمسة من الدخول إليها، حتى لو كانت بالمصادفة. لكن العاصفة تقف في باطنها الجريح عشبها الذي ما زال نضراً غصاً.

تعرف بالضبط أين تقف سيارات التاكسي، وتركب في أول سيارة في الطابور. من المروج الواسعة في منتزه "البراتر" لم يبق سوى البلل في الحذاء وبين الساقين. رائحة حمضية خفيفة تتصاعد من تحت جونلتها، لن يستطيع سائق التاكسي بالتأكيد أن يتشممها، لأن مزيل رائحة العرق الذي يضعه يغطي على الروائح الأخرى كلها. لا يريد السائق أن يعذب الركاب برائحة عرقه، ولا يريد أيضاً أن يشم عفونة ركابه. الهواء في السيارة دافئ وجاف تماماً، الدفاية تكافح بهدوء الليل البارد. في الخارج تمر بها الأضواء. البنايات المظلمة الكثيفة التي لا تنتهي في الحي الثاني، بلا أنوار، نائمة في بلادة. الجسر فوق قناة الدانوب. مطاعم صغيرة، بغیضة، مشبعة بالخسارة، يُطرد منها سكارى يقفزون بسرعة ثم ينهالون على بعضهم البعض ضرباً. عجائز على رؤوسهن إشارات، يتمشين مع كلابهن لآخر مرة في هذا اليوم، ويأملن أن يقابلن - مرة واحدة - رجلاً وحيداً، أرمل، يتمشى هو أيضاً مع كلبه. تمر إريكا بسرعة البرق على كل هؤلاء، مثل فأر من المطاط على خيط تشده قطة هائلة تلعب به كما شاءت.

قطيع من الموتسيكلات. فتيات تلتصق بهن بنطلونات جينز، يحملن على رؤوسهن تقليداً فجاً لتسريحة "البانك"، لكن شعرهن لم ينجح في البقاء منتصباً. دائماً يسقط. الدهون في

الشعر وحدها لا تكفي. بيأس يلقي الشعر نفسه على خلفية فروة الرأس. والفتيات يلقين بأنفسهن خلف الطيار، سائق الموتسيكل الذي يسرع في الابتعاد بضجيجه.

مبنى "الأورانيا" يطلق سراح جموع من المتعطشين للمعرفة الذين توافدوا للإصغاء إلى محاضرة. يتحلقون الآن ويتزاحمون كالقطيع حول المحاضر. يريدون أن يعرفوا المزيد عن درب التبانة، مع أنهم استمعوا إلى كل المعلومات المتوفرة. تتذكر إريكا أنها تحدثت هنا مرة أمام جمهور من المهتمين عن فرانكس ليست وأعماله المجهولة. ألفت المحاضرة بأسلوب امرأة تشتغل تريكو دون أن تنتظر إلى الإبرة: غرزتان عدل، وغرزتان مقلوب، وغرزتان عدل، وغرزتان مقلوب. ثم تحدثت مرتين أو ثلاث مرات عن سوناتات بيتهوفن المبكرة. آنذاك أدلت بأقوال جاء فيها أن التنوع يسود سوناتات بيتهوفن - سواء المتأخرة أو المبكرة - حتى أن على المرء أن يتساءل أولاً وبصورة مبدئية: ماذا تعني كلمة "سوناتا" على الإطلاق؟ تلك الكلمة التي أصبحت مضغة في الأفواه. لعل هذه المعزوفات - التي صنفها بيتهوفن هكذا - ليست سوناتات بالمعنى الصارم للكلمة. علينا أن نعثر على قوانين جديدة في تلك المعزوفات، في هذا الشكل الموسيقي الذي بلغ ذروة درامية، وعند هذه الذروة يراوغ الإحساس ويهرب من الشكل في كثير الأحيان. ليس هذا هو الحال لدى بيتهوفن، لأن الشكل

والإحساس يسيران في سوناتاته يداً في يده؛ الإحساس ينبه الشكل إلى وجود ثقب في الأرض، والعكس صحيح.

الأضواء تتزايد الآن، فوسط المدينة يقترب، وهناك يتعامل المرء بسخاء أكثر مع النور، حتى يجد السائحون طريقهم إلى مقار إقامتهم بسهولة أكثر. الأوبرا أطفأت أنوارها. هذا يعني في الواقع أن الوقت متأخر إلى حد يتوجب معه أن تكون السيدة كوهوت الأم ما زالت تعمل وتتحرك في دائرة تأثيرها المنزلية التي لا تخرج منها إلى أن تذهب إلى الفراش، وهي لا تفعل ذلك إلى أن تعود الابنة سالمة إلى البيت. ستصرخ عندما تعود. ستدفعها الغيرة العمياء إلى تمثيل فيلم فظيع. سيستمر الفيلم وقتاً طويلاً، إلى أن تتصلح مع الأم. وستقوم إريكا عندئذ بأداء عشرات من الأعمال الخاصة جداً إثباتاً لحبها لأمها. لقد ثبت منذ مساء اليوم، وبما لا يدع مجالاً لأي شك، أن الأم تضحى بنفسها، أما الطفلة فإنها لا تضحى بثانية واحدة من وقت فراغها! وكيف يمكن للأم أن تغفو، وهي تخشى أن تستيقظ عندما تصعد الابنة إلى النصف الثاني من فراش الزوجية. مثل ذئب تذرع الأم الشقة الآن جيئة وذهاباً، بخطى أسرع من المعتاد، وبنظرات خنجرية ترشقها في اتجاه الساعة. تقضي وقتها في هذه الأثناء في غرفة الابنة التي ليس بها سرير أو مفتاح. تفتح خزانة الملابس، وتلقي بمزاج سيئ وبلا هدف الثياب المشتراة في الهواء، ما يتناقض مع الأقمشة الرقيقة والتعليمات المرفقة للاعتناء بها. أول شيء سيتوجب على

الابنة أن تفعله في الغد هو أن تعيد ترتيب كل شيء، قبل أن تذهب إلى الكونسرفتوار، هذه الملابس هي بالنسبة للأم دلالة على الأثنية والجموح. أثنائية الابنة يلاحظها المرء الآن أيضاً، فالساعة تعدت الحادية عشرة، وما زالت الأم وحدها مع نفسها. كيف تفعل ابنتها هذا معها؟ بعد انتهاء الفيلم في التليفزيون لن يعود هناك أحد تتحدث معه. في التليفزيون الآن برنامج "حديث الليل"، وهي لا تريد أن تشاهده، لأنها لو فعلت ستغفو، وهو ما لن تسمح بحدوثه قبل أن تظل تضغط الطفلة حتى تتحول إلى بكرة صوف رطبة لا شكل لها. تريد الأم أن تظل مستيقظة تماماً. راحت الأم تعض بأسنانها في فستان حفلات قديم، ما زال يحتفظ في ثنياته بالأمل في أن ترتديه يوماً نجمة أوربية لامعة في سماء موسيقى البيانو. آنذاك قطعت الأم من جلدها ومن جلد الأب المعتوه حتى تشتريه. اليد التي اشترت الفستان، تمسك به الآن بنية شريرة وتقطعه. آنذاك كانت الضفدعة المختالة بنفسها، إريكا، تفضل أن تموت على أن تظهر على خشبة المسرح مثل الأخريات بالجيبة التافته والبلوزة البيضاء. في ذلك الوقت اعتبرت الأم الفستان استثماراً في محله، حتى تبدو العازفة بمظهر لطيف. هباءً وعبثاً. تدوس الأم على الفستان بالخف النظيف تماماً مثل الأرضية تحته. لن يدنس الخف الفستان، كما أنه لين وطري. في نهاية الأمر يبدو الفستان فقط مكرماً بعض الشيء. لهذا تدخل الأم ساحة الوغى واللا شرف بمقصد لإضفاء اللمسات الأخيرة على هذا

المخلوق الذي أنتجته يد خياطة شبه عمياء تسكن في إحدى ضواحي فيينا، وكانت قد مرت عليها - عندما انتهت من تفصيل هذا الفستان - عشر سنوات على الأقل دون أن تلقي نظرة في إحدى مجلات الموضة. ولكن اللمسة الأخيرة لن تفيد الفستان بشيء. لو كانت لدى إريكا الشجاعة لأن ترتدي هذا الابتكار المقلّم، الجديد في عالم الموضة، وأن تملأه، لربما ظهر الفستان على نحو أفضل. تقص الأم أحلامها وتقطعها مع الفستان. وكيف لها أن تحقق أحلام الأم إذا كانت - إريكا هذه - عاجزة عن تحقيق أحلامها الشخصية؟ ولكن إريكا لا تجرؤ حتى على التفكير إلى نهاية الحلم، بل تتطلع بغباء من أسفل الحلم إلى أعلاه. انهمكت الأم في تمزيق الحافة المطرزة في فتحة الصدر والأكمام اللطيفة المنفوخة. آنذاك كانت مقاومة إريكا كبيرة ضد ارتداء فستان يمثل هذه الأكمام. ثم بدأت تقص - من فوق إلى تحت - ما تبقى من الجيبة. إنها تتعذب. في البداية كان عليها أن تعمل ليل نهار حتى تتمكن ابنتها من شراء فستان كهذا. كانت تقطع من اللحم الحي كي تدخر ثمن الفستان، والآن تتعذب وهي تمزقه. أمامها قصاقيص عديدة من الفستان، تود أن تلقي بها في مفرمة. ولكن ليس لديها واحدة. لم تعد الطفلة إلى المنزل بعد. قريبا ستخلي مرحلة الغضب مكانها لمرحلة الخوف. المرء تنتابه هواجس مقلقة. ما أسهل أن تحدث فظائع للمرأة في طريق ليلي، لم يكن لها أن تسير فيه. تتصل الأم بالشرطة التي لا تعرف شيئا، ولم تسمع عن شائعات بهذا

الصدد. توضح الشرطة للأم أنها ستكون بالطبع أول من يُخبر بالأمر، إذا حدث مكروه. لكن ليس هناك ما يدعو للقلق، فحتى الآن لم ترد أي أخبار تتوافق مع عمر إريكا وطولها. إلا إذا كانت الجثة لم يتم العثور عليها بعد. رغم ذلك تتصل الأم بمستشفى أو اثنين، لكن لا أحد هناك سمع عن شيء. يقول العاملون في المستشفى إن مثل هذه الاتصالات عديمة الجدوى تماماً، يا سيدتي المحترمة. من الممكن، مع ذلك، أن تكون الصناديق الدموية التي تحوي قطع الابنة توزع الآن على صفائح قمامة متفرقة وبعيدة عن بعضها للغاية. عندئذ ستبقى الأم وحدها، ولا بد أن تنتقل إلى بيت للمسنين، وهناك لن تستطيع أن تتفرد بنفسها أبداً! من ناحية أخرى، لن يقاسمها أحد فراش الزوجية، وكما تعودت.

مرت عشر دقائق أخرى، وليس هناك بوادر تظهر على قفل الباب، ليس هناك جرس لطيف من التليفون يقول: من فضلك، تعالي فوراً إلى مستشفى فيلهلمينه. ليس هناك ابنة تقول: ماما، سأحضر خلال ربع ساعة، على غير توقع اعترض طريقي شيء. مُضيفة كونسير موسيقى الحجرة المزعومة لا ترد على التليفون، حتى إذا رن ثلاثين مرة.

تتسلل الأم المتتمرة من غرفة النوم، حيث كل شيء معد للنوم، إلى غرفة المعيشة، حيث يلفظ السلام الوطني في التليفزيون آخر أنغامه. ومع الأنغام يرفرف علم في الهواء بألوانه الأحمر والأبيض والأحمر. كإشارة إلى النهاية. لو كانت

تعرف ذلك لما شغلت التليفزيون مرة ثانية، فالسلام الوطني تحفظه الأم عن ظهر قلب. تمسك بتمثالي زينة من الخزف وتبدل مكانهما. تنقل الصحن الكريستال الكبير من موضع إلى آخر. في الصحن فواكه من البلاستيك، تقوم بتلميعها بمنشفة بيضاء ناعمة. عقل الابنة لا يفكر إلا في الفن، ولذلك تطلق على الفواكه الاصطناعية وصف "شنيع". تعارض الأم هذا الحكم القاسي، فما زالت هذه شقتها، وهذه ابنتها. عندما تموت، ذات يوم، سيتغير ذلك من تلقاء نفسه. في غرفة النوم تجري الأم مرة ثانية فحصا دقيقا للترتيبات التي تم الاتفاق عليها، والتي تنص على التالي: طرف غطاء السرير، الذي يشكل مثلثا متساوي الأضلاع، لا بد أن يكون مطويا بعناية. ملاءة السرير الكتانية لا بد أن تكون مشدودة مثل شعر امرأة مصفف جيدا ومثبت بالدبابيس. على الوسادة "قطعة حلوى قبل النوم"، على شكل حدوة حصان من الشيكولاتة، من بواقي حلويات رأس السنة. هذه المفاجأة تبعد الآن، فلا بد من العقاب. على الكومودينو، بجانب مصباح الكومودينو، الكتاب الذي تقرأه الابنة حاليا. بداخله علامة ملونة باليد من مرحلة الطفولة، تحدد الصفحة التي وصلت إليها. بجانبه كوب مليء بالماء لعطش الليلي، فللعقوبة حدود أيضا. تفرغ الأم الطيبة الكوب وتملاه مرة ثانية بماء الحنفية، حتى يظل قدر الإمكان باردا وطازجا، ولا يكون فقاعات تدل على أن الماء راكد منذ فترة. في النصف الذي يخصها من فراش الزوجية لا تطبق الأم هذه

التعليمات الصغيرة بحذافيرها. ولكن مراعاةً لابنتها لا تخلع طاقم أسنانها إلا في الصباح الباكر لتنظفه، ثم على الفور يعود إلى مكانه! إذا كان لدى إريكا أمنية في الليل، فإنها تلبى، مادام أنه كان من الممكن تلبيتها من الخارج. الأمانى الداخلية يجب على إريكا أن تحتفظ بها - ألا تستمتع بالدفء والحماية في الداخل؟ بعد تفكير طويل تضع الأم أيضاً تفاحة كبيرة خضراء بجانب الكتاب الليلي، حتى تكون فرصة الاختيار كبيرة أمامها. تحمل الأم قصاقيص الفستان من هنا إلى هناك، تشبه في ذلك قطة أم لا تثق بالهدوء الذي يحيط بصغارها، ولذلك لا تتي تحملهم من مكان إلى آخر، ثم إلى مكان ثالث حيث يستطيع المرء أن يرى القصاقيص على نحو أوضح وهي تبرق. يجب أن ترى الابنة على الفور العمل التدميري الذي تتحمل هي وزره في نهاية المطاف. ولكن يجب ألا يكون لافتاً جداً للنظر. في النهاية تضع السيدة كوهوت بقايا الفستان بعناية على الأريكة التي تضطجع عليها الابنة عندما تتفرج على التليفزيون، وكأن على إريكا أن ترتدي كل ذلك لحفل بيانو قريب. عليها أن تحترس حتى تظل روح الفستان داخل جسده. تنظم الأم شظايا الأكمام بطرق مختلفة. إنها تقدم صنيع يدها التدميرية وكأنها تضع شيئاً على صينية.

ينتاب الأم شك لوهلة أن السيد كلمر، منذ تلك الأمسية الموسيقية المنزلية، يحاول أن يحشر نفسه بين الأم وابنتها. هذا الشاب لطيف بالفعل، لكنه ليس بديلاً عن الأم التي لا يمتلك

المرء إلا نسخة واحدة منها، أي النسخة الأصلية. إذا حدث في هذه الأثناء جماع بين الابنة وكلمر، فسيكون هو الأخير. قريباً سيدفعان أقساط الشقة الجديدة. في كل يوم تتسج الأم خطأً جديدة وترمي القديمة، لتعلل ضرورة أن تنام الابنة معها في فراش واحد، في الشقة الجديدة أيضاً. لا بد أن تطرق الأم الحديد - إريكا - وهو ساخن، قبل أن تسخن عواطفها تجاه فالتر كلمر هذا. حيثيات الأم: خطر الحريق، خطر السرقة، خطر السطو، خطر انفجار مواسير المياه، خطر الجلطة بالنسبة للأم (ضغط الدم!)، مخاوف ليلية ذات طبيعة عامة، وأخرى ذات طبيعة خاصة. تقوم الأم بترتيب حجرة إريكا في الشقة الجديدة كل يوم على نحو آخر، وفي كل مرة على نحو أدق من المرة السابقة. ولكن لا مجال للحديث عن سرير للابنة. فوثيه مريح، هذا هو أقصى تنازل تستطيع تقديمه.

تستلقي الأم، ثم تنهض على الفور. لقد ارتدت قميص النوم وفوقه الروب. راحت تحوم كالنمرة، تبعد قطع الزينة من أماكنها المعتادة، لتضعها في مكان آخر، من حائط إلى آخر. سوف تعرف كيف ترد للطفلة الصاع صاعين.

ولكن مهلاً، لقد آن الأوان، وستأخذ الآن ثأرها من الطفلة. هناك تكة واضحة في قفل الباب، المفتاح يجبر لسان القفل على التراجع، ثم تفتح الأبواب إلى البلاد الرمادية الوحشية، بلاد حب الأم. تدخل إريكا. تضيق عينيها كفراشة شربت كثيراً، وتمشي في اتجاه ضوء المدخل. الأنوار مُضاءة في كل مكان،

وكان اليوم عيد. لكن "العشاء المقدس" قد فات وقته دون جدوى منذ ساعات.

بهدوء، لكن بوجه تشتعل فيه الحمرة القانية، تركض الأم من مكان إقامتها الأخير، ملقية في طريقها بشيء دون قصد، وطارحة الابنة أرضاً؛ وهي مرحلة من مراحل القتال سيأتي دورها فيما بعد. تنهال بالضرب على طفلتها بلا صوت، والطفلة ترد بالضرب بعد فترة رد فعل قصيرة. من نعل حذاء إريكا تتصاعد رائحة لا تطاق، تشير على الأقل إلى تعفن شيء. وبسبب الجيران الذين يستيقظون في الصباح الباكر اشتبكت الاثنتان في عراك صامت، نتيجه غير محسومة. تترك الطفلة الأم ترحب في آخر ثانية، ربما بدافع الاحترام. أما الأم فتترك الطفلة ترحب، ربما بدافع القلق على أصابع الطفلة العازفة. مبدئياً وواقعياً، الطفلة أقوى لأنها أصغر، كما أن الأم استهلكت طاقتها في العراك مع زوجها. توزع الأم لطمات قوية، تصيب تسريحة شعر إريكا، ثمرة بطنها التي تأخر قطافها، الإيشارب الحريري، وعليه صورة رؤوس الجياد، يرفرف عالياً، ثم يهبط - وكان أحداً تعتمد ذلك - فوق مصباح المدخل، مهدناً ومقللاً من الإضاءة، وكما يليق بالعروض المسرحية الأكثر رقياً. بالإضافة إلى ذلك فإن الابنة في موقف أضعف، لأن حذاءها - وقد أمسى زلقاً بسبب ما علق به من خراء وطمى وأعشاب - انزلق من قدميها على سجادة المدخل. وهكذا ارتطم جسد المعلمة بالأرض، ولم يخفف من الارتطام

قليلًا سوى المشاية الحمراء المنسوجة من خيوط السيزال. قدر ضخم من الضوضاء المتنامية. تفح الأم في وجه إريكا أمره إياها بالهدوء مراعاةً للجيران. ثأراً، تلتمس الابنة من أمها الهدوء أيضاً مراعاةً للجيران! كلتاها تتشببان الأظافر في وجه الأخرى. تطلق الابنة صيحةً وكأنها نسر قناص يحوم حول فريسته، وتقول إنه لا يهمها أن يشتكي الجيران في الغد بسبب الإزعاج، لأن الأم هي التي ستشرب العواقب. تهم الأم برفع عقيرتها بالصراخ، لكنها تكبت على الفور صرختها، عندئذ يتواصل اللهاث والتأوه والنههة والتشكي بصوت شبه مسموع حيناً، ونصف مكتوم أحياناً. تشرع الأم في الضغط على أنبوبة الشفقة، لأن الصراع لم ترجح كفته حتى الآن، وتعتمد وسائل غير نظيفة مثل العمر ودنو الأجل. بصوت شبه مسموع تقدم الحجج والبراهين، وتتلو وهي تتحجب سلسلة من الذرائع الفاسدة، لتشرح لماذا لا تستطيع اليوم أن تفوز في العراك. شكوى الأم تصيب الابنة وتؤثر فيها، لأنها لا تريد أن تنهك الأم إنهاكاً شديداً. تقول الأم إن إريكا هي التي بدأت. لقد قصر ذلك حياة الأم شهراً على الأقل. تبادر إريكا بالخربشة والعض، ولكن بنصف قواها فحسب. تستفيد الأم على الفور من الميزة التي أتاحت لها، وتنتزع خصلةً من الشعر المتدلي فوق جبهة إريكا، وهو الشعر الذي تفخر به إريكا لأنه يلتف ويتجدد ويهبط على الجبهة في شكل لولب جميل. تطلق إريكا على الفور صرخةً وحيدةً حادةً، تفزع الأم إلى درجة أنها تكف عما

تفعله. في الغد سيتوجب على إريكا أن تلتصق شريطا طبيا على هذا الموضع العاري من فروة الرأس. أو، كتقليعة جديدة، تترك الإيشارب على رأسها وهي تقوم بالتدريس. تجلس السيدتان إحداهما في مقابل الأخرى على المشاية في الغرفة الصغيرة التي تلي المدخل تحت الضوء المخفف المنبعث من المصباح، وقد علا شهيقهما وزفيرهما. بعد عدة تنهيدات خرجت بدون نفع، تتساءل الابنة: هل كان هذا ضروريا؟ مثل امرأة مُحبة تَلقت لتوها خبرا فظيحا من الخارج وضعت يدها اليمنى وضغطت بها في تشنج على عنقها الذي برز فيه عرق لم يتوقف عن النبض والارتجاف. الأم - مثل "نيوب" التي تطاولت على الآلهة اليونانيين - تجلس بجانب الصندوق الموضوع في المدخل، وعليه طاقم من الأشياء المجهولة الغرض وغير المحددة الاستخدام، تجيب دون أن تجد كلمات. تجيب أنه لم يكن ضروريا، لو كانت الابنة تعود دائما في موعدها إلى المنزل. عندئذ يتبادلان الصمت، ولكن حواسهما متيقظة، حادة ومسنونة، بعد أن مرت على حجر التجليخ الدوار. قميص نوم الأم انزلق في أثناء النزال مبرهنا على أنها، رغم كل شيء، ما زالت أولا وأخيرا امرأة. والابنة تتصحها في حياء بأن تتغطي تغطية كاملة. تتصاع الأم في ارتباك. تنهض إريكا وتقول إنها عطشانة. تهرع الأم لتلبية هذه الرغبة المتواضعة. إنها تخشى أن تشتري إريكا في الغد، نكابة فيها، فستانا جديدا. تخرج الأم من الثلجة عصير تفاح، وهو

عرض لا يُقدّم إلا في أيام الأحاد وفي المناسبات الخاصة، لأن الأم أصبحت نادرا ما تحمل زجاجات العصير الثقيلة من السوبر ماركت إلى البيت. بالمقدار نفسه من الطاقة المبذولة تشتري في أغلب الأحيان شربات التوت المركز الذي يكفي طويلا. يُخلط العصير المركز بالماء الذي يطيل عمره أسابيع عديدة. تقول الأم إن ساعة الأجل حانت الآن بصورة نهائية، لأن الإرادة متوفرة لديها، والقلب ضعيف. تتصح الابنة الأم بعدم المبالغة! لقد تبادلت مشاعرها من الشكوى المستمرة بسبب اقتراب الموت. تريد الأم أن تشرع في البكاء، وهو ما سيجعلها فائزة بالضربة القاضية في الجولة الثالثة، وفي أسوأ الأحوال فائزة بالانسحاب. إريكا تمنع الأم، مُشيرة إلى الساعة المتأخرة. تريد إريكا الآن شرب العصير ثم لا شيء إلا السرير. على الأم أن تفعل الشيء نفسه، ولكن في الناحية التي تخصصها من الفراش. عليها ألا تكلم إريكا بعد هذه اللحظة! إذ إن إريكا لن تسامح الأم بمثل هذه السرعة على اعتدائها بمثل هذا الشكل على الموسيقية المسكينة العائدة إلى منزلها في أمان الله. لا تريد إريكا أن تأخذ دشا في هذا الوقت، تقول إنها لن تستحم الآن، لأنها إن فعلت، فسيسمع البيت كله صوت المياه في المواسير. ترقد كما هي بجانب الأم. مُنصهر أو اثنان احترقا اليوم في دماغها، لكن إريكا تمكنت من العودة إلى منزلها على كل حال. إريكا لا تلاحظ على الفور عملية الاحتراق، لأن المنصهر مُصنّع في الأساس لأجهزة نادرة الاستعمال. تستلقي

على السرير وتستغرق لتوها في النوم، بعد "تصبحين على خير" بلا رد. تظل الأم مستيقظة فترة طويلة، وهي تسأل نفسها في سرها، كيف استغرقت الابنة على الفور في النوم دون أن تظهر عليها بوادر ندم. كان على الابنة أن تلاحظ أن الأم لم تستجب عمداً إلى "تصبحين على خير" التي ألقته. في الأيام العادية ترقد كلتاها بلا حراك حوالي عشر دقائق، كل في رحيقها وداخل صندوقها، ثم يلي ذلك التصالح الإجباري الهامس، والطويل خصوصاً، الذي يُختتم بقبلة مع "تصبحين على خير". ولكن الليلة استولى النوم على إريكا ببساطة، والآن تحملها وتحلق بها الأحلام التي لا تعرفها الأم، لأن الابنة لم تحك لها عنها شيئاً. تتصح الأم نفسها بالتزام أقصى درجات الحذر خلال الأيام والأسابيع، بل والشهور القادمة. سوف تبقىها هذه الهواجس مستيقظة ساعات وساعات، إلى أن يتنفس الصبح.

فيما يخص الكونشيراتات الستة لسبستيان باخ، التي يُطلق عليها كونشيراتات براندنبورج، اعتاد العارف في أمور الفن أن يدعي - ضمن ما يدعي - أن النجوم كانت تتراقص في السماء أيام إبداعها. عندما يتحدث هؤلاء الناس عن باخ فهم يتكلمون دائما عن الله وبيت الله. إريكا كوهوت حلت اليوم محل تلميذة أُصيب أنفها بنزيف، وكان عليها - وسلسلة المفاتيح في عنقها - أن تستلقي قليلا على حشية رياضية. آلات الفلوت والفيولينه تتوج اليوم الفرقة الموسيقية، وتمنح كونشيراتات براندنبورج قيمة نادرة، إذ إن الكونشيراتات يتم عزفها دائما بتتوع كبير، ودائما بآلات مختلفة، حتى أنها عُرِفَت مرة باستخدام آلتَي ناي! في حاشية إريكا يسير فالتر كلمر وقد عقد النية الأكيدة على شن هجوم جديد. انفصل عن المجموعة وجلس في ركن من صالة الألعاب الرياضية، هذا هو مكان المتفرجين بالنسبة له، ومن هناك يصغي إلى بروفات أوركسترا الحجرة. يتصرف وكأنه ينظر بتفكير عميق في النوتة الموسيقية التي أحضرها معه، لكنه في الحقيقة لا ينظر ولا يفكر إلا في إريكا. لا يدع حركة من حركاتها على البيانو تفوته، لا ليتعلم، بل - وعلى عادة الرجال - ليربك العازفة. يرسل نظراته إلى المعلمة دون أن يفعل شيئا، ولكن بطريقة مستفزة. يريد الرجل أن يكون هو

التحدي الوحيد الحي على وجه البسيطة الذي يستحق وحده الحصول على أقوى امرأة فنانة. تسأله إريكا عما إذا كان يود أن يتولى هو العزف على البيانو. يقول: لا، لا أريد. وبين الكلمتين يتوقف وقفة ذات أهمية يبوح فيها بشيء غير منطوق. يجيب بصمت بليغ على ادعاء إريكا بأن التمرين وحده هو الذي يصنع الأساتذة. كلمر يحيي فتاة يعرفها، ويطلع - مازحا - قبلة على يدها، ثم يتبادل الضحكات مع فتاة ثانية حول شيء عديم الأهمية. تشعر إريكا بالخواء الذهني الذي ينبعث من فتيات كهؤلاء سرعان ما يضجرن الرجل. الوجه الحسن وحده لا يكفي، إنه يُستهلك بسرعة شديدة. كلمر، البطل التراجيدي، أصغر من أن يؤدي مثل هذا الدور، بينما إريكا أكبر في الواقع من أن تمثل دور الضحية البريئة التي وقعت في شباك رجل يبدي اهتمامه بها. يدع كلمر أصابعه تجري على صفحة النوتة الخرساء منتبعا موضع العزف. أي شخص يعرف على الفور أن أمامه ضحية موسيقية، وليس متطفلا على الموسيقى. إنه يدعي القدرة على عزف البيانو، لكن ظروفها غير مواتية منعه من العزف. يضع كلمر ذراعه للحظات حول كتف فتاة ثالثة ترتدي أقصر الثياب التي عادت إلى الموضة ثانية. لا يبدو أن ثمة فكرة واحدة تطوف برأسها أو تعكر صفوها. تفكر إريكا: إذا أراد كلمر أن ينحدر إلى هذا المستوى، فليفضل، لكنني لن أرافقه. من الغيرة يقشعر جلدها ويتجدد كأنه من نسيج الكريب. عيناها تؤلماها لأنها لا تستطيع أن ترى أي شيء إلا من أقصى

زاوية العين، فهي لن تسمح لنفسها بالالتفات إلى كلمر. ليس مسموحا له أبدا أن يلاحظ اهتمامها به. إنه يمازح الآن الفتاة الثالثة التي يرتعد بدنها تحت سياط القهقهات، كاشفة أثناء ذلك عن ساقها بأكملها تقريبا، أي إلى حيث تنتهيان عمليا، وتلتحمان بالجذع. أشعة الشمس تنهمر على رأس الفتاة. التجديف المستمر ترك لونا صحيا على وجنتي كلمر، رأسه يتلاقى مع رأس الفتاة، شعره الفاتح يتألق جوار شعر الفتاة الطويل. في أثناء ممارسة الرياضة يحمي كلمر رأسه باستخدام خوذة. يحكي للتلميذة نكتة، وفي أثناء ذلك يدع عينيه تبرقان بطيف أزرق وكأنها أضواء خلفية في سيارة. يشعر على الدوام بحضور إريكا. عيناه لا تعطيان مؤشرا إلى أنه يناور لوقف الزحف إلى الأمام. نعم، إن كلمر منهمك بلا شك في معمة هجوم جديد. الرياح والمياه والصخور والأمواج قدمت نصيحة قلبية لليانس - الذي كان يريد أن يستسلم، والذي كان يهم بقطف زهور أخرى غير إريكا، الزهرة البرية - بأن يصبر قليلا، فهناك بواذر على أن العشيقة السرية تتراجع وتلين. لو تمكن مرة واحدة من أن يزرعها في قارب! ليس من الضروري أن تكون أول مرة في القارب المطاطي الذي يقولون إن من الصعب السيطرة عليه. هناك، على صفحة بحيرة أو نهر، هناك سيكون كلمر في مجاله الطبيعي. يستطيع بالتأكيد أن يتولى قيادتها، لأنه يشعر في الماء كأنه في بيته. يستطيع عندئذ أن يقوم بقيادة حركات إريكا المحمومة والتنسيق

بينها. هنا، على البيانو، وفي أثناء العزف، فإنها هي في مجالها الطبيعي، والميسترو - رجل مجري يعيش في المنفى النمساوي - هو الذي يقودها، هائجا مرغيا مزيدا ولكنها أجنبية شديدة في وجه زمرة تلاميذه.

يشخص كلر ما يوحدته بإريكا على أنه انجذاب، ولذلك فإنه لا يستسلم، بل يتهايا للانقراض مرة أخرى على الفريسة التي كادت تغلت من بين أنيابه، والتي كاد يتخلى عنها بسبب شعوره بالفشل. كان ذلك سيكون خطأ كبيرا. تبدو له الآن أكثر نضجا جسديا، وأكثر انفتاحا مما كانت عليه قبل عام. تدق إريكا على أصابع البيانو، مصوبة نظرات قلقة تجاه التلميذ الذي لم ينصرف، ولكنه أيضا لم يأت إليها ليعترف بالحريق المشتعل في أعماقه. لا يبدو عليه من ناحية أخرى أنه حاضر بذهنه ليحلل المعزوفة الموسيقية. إنه حاضر، هذا صحيح. هل هو حاضر من أجلها؟ في المجموعات الموسيقية هناك شابات حسناوات على كل شكل، ومن كل لون، وبكل مقياس. لم تثبت إريكا أنهن لفتن نظر كلر على الإطلاق. لم يدخل كلر دائرة الشبهات. إريكا تجعل نفسها شيئا نادرا، وفي الوقت نفسه ترسل لكلمر إشارات أنها هي الوحيدة التي لاحظت وجوده هنا منذ البداية. عدا كلمر ليس هناك وجود إلا للموسيقى بالنسبة لإريكا - المرأة التي صرعت الموسيقى. انطلاقا من خبرته، لا يعتقد كلمر في صحة ما يظن أنه يراه على وجه هذه المرأة: الرفض. هو الوحيد الذي يستحق أن يفتح باب الحظيرة المكتوب عليه "ممنوع الدخول منعا باتا". مع حركة يد إريكا

يهتز خيط اللؤلؤ المثبت على أساور البلوزة البيضاء. إريكا مشحونة بسرعة عصبية. لعل مبعث السرعة هو الربيع الذي تقرب خطواته، والذي أعلن عن مقدمه منذ فترة طويلة من خلال تزايد عدد الطيور وسائقي السيارات اللامبالين الذين كانوا قد هجروا سياراتهم في الشتاء لأسباب صحية وتقنية عامة، والآن ينطلقون من جديد، مع الزهور التي بدأت تشق طريقها عبر الجليد، ولأنهم أقلعوا فترة عن القيادة، فإنهم يتسببون في حوادث مريعة. بميكانيكية راحت إريكا تعزف على البيانو المقطوعة البسيطة. أفكارها تأخذها إلى بعيد، إلى رحلة دراسية موسيقية تقوم بها مع التلميذ كلمر. هي فقط، وهو، وغرفة صغيرة في فندق، والحب.

ثم تقوم شاحنة بنقل الأفكار كافة، وإفراغها في الشقة الصغيرة المعدة لشخصين. قبل أن يتسلل اليوم من بين الأصابع لا بد للأفكار أن تكون ثانية في عشاها الوثير الذي هيأته الأم بحنان وفرشته، وهكذا يجد الشباب مكانه في أحضان الشيخوخة.

مرة ثانية ينقر السيد نيميت بعصاه. لم يكن عزف آلات الكمان ناعما بما فيه الكفاية. مرة أخرى الجزء الأخير من فضلكم. النازفة من الأنف تعود الآن بعد أن استجمعت قواها. تطلب مكانها على البيانو، وكذلك حقها كعازفة منفردة، وهو الحق الذي انتزعتها بعد منافسة ضارية. إنها التلميذة المفضلة لدى البروفيسورة كوهوت، لأن لديها أيضاً أما تملك طموح الشهرة نيابة عن ابنتها.

تأخذ الفتاة مكان إريكا. يغمز فالتر كلمر بعينه إلى الفتاة مشجعاً ، وفي الوقت نفسه يحرص على معرفة رأي إريكا فيما فعله. تندفع إريكا من القاعة، حتى قبل أن يمسك السيد نيميت بعصاه. كلمر الذي تربطه وشائج متينة بها، والمعروف في المدينة كلها بالتعجل، في الفن كما الحب، يرتجف ناهضاً، ويريد أن يتعقب آثارها. لكن نظرة واحدة من المايسترو جعلت المتفرج كلمر يغوص ثانية في مكانه. علي التلميذ أن يقرر إذا كان يريد الدخول أم الخروج، وعليه أيضاً أن يبقى حيثما اختار وقرر.

يهجم عازفو الوترية بالذراع اليمنى على القوس، ثم يشرعون في العزف بقوة. البيانو يتمهل ويدخل إلى الساحة بكبرياء، هازأ خصره، راقصاً بخفة، مُبدعاً نغمات فريدة ليس لها وجود في النوتة، وإنما هي ثمرة تفكير ليال طويلة. الضوء الوردي الباهر يُسلط عليه، فيتهادى في نصف دائرة بخيلاء ورشاقة. يتوجب الآن على السيد كلمر أن يبقى جالساً في انتظار أن يوقف قائد الفرقة العزف مرة أخرى. ولكن المايسترو يريد هذه المرة أن يواصل المعزوفة بأكملها، سواء رغب العازفون أو كرهوا، شريطة ألا يقفز أحدهم من القطار. لكن هذا أمر لا يخشاه أحد، فالعازفون هنا كلهم من البالغين. في الساعة الرابعة كان موعد تدريب أوركسترا الأطفال ومجموعات الغناء المدرسية، التي هي خليط متنوع من كافة مدارس الغناء الموجودة في الجمهورية. تدربوا على مقطوعة

ألفها قائد فرقة عازفي الناي، وغنت فيها منفردة إحدى معلمات المدارس الغنائية اللاتي تجمعن من كافة فروع المدارس الموسيقية في النمسا وكأنها فروع شركات صغيرة تابعة للكونسرفتوار الأم، مقطوعة موسيقية جسورة تتبادل فيها الإيقاعات الزوجية مكانها مع الفردية، وهو ما جعل بعض الصغار يفعلها في فراشه.

الآن وهنا يترعرع موسيقياً عازفو الغد المحترفون، العازفون الأشبال الذين سيلتحقون في الأوركسترا الفني بالنمسا السفلى، أو في دور الأوبرا في الأرياف، أو في الأوركسترا السيمفوني للإذاعة والتلفزيون النمسوي، بل وربما إلى أوركسترا فيينا الفيلهارموني، هذا إذا كان لدى التلميذ أحد الأقارب الذكور يعزف هناك بالفعل.

يرقد كلمر على موسيقى باخ، ولكن مثل دجاجة لا تهتم كثيراً في الوقت الحالي ببيضتها. هل ستعود إريكا سريعاً؟ أم أنها تريد أن تغسل يديها؟ لا يعرف كلمر دهاليز هذا المكان وحجراته. لا يستطيع أن يتوقف عن تبادل التحيات الغامزة مع الزميلات الجميلات. يريد أن يكون جديراً بسمعته كدون جوان. لقد تحتم عليهم اليوم أن يتدربوا في هذه القاعة البديلة، لأن كافة صالات الكونسرفتوار مشغولة بسبب بروفة رئيسية طارئة يقوم بها فريق الغناء الأوبرالي، تحضيراً لمشروع انتحاري طموح (زواج فيجارو لموتسارت). يرتبط الكونسرفتوار بصداقة وثيقة مع المدرسة الابتدائية التي أعارتهم

صالة الألعاب الرياضية للتدريب على باخ. سُحبت أجهزة الرياضة حتى الحائط، ولمدة يوم واحد أخلت الثقافة البدنية الطريق للثقافة الراقية. في هذه المدرسة الابتدائية، التي تقع في الحي الذي كان يعمل فيه شوبرت سابقاً، وجدت مدرسة الموسيقى التابعة للحي مقراً لها في الطوابق العلوية، إلا أن صالات المدرسة أصغر من أن يقيم الكونسرفتوار فيها بروفات.

تلاميذ مدرسة الموسيقى مسموح لهم اليوم بأن ينصتوا إلى أعضاء أوركسترا الكونسرفتوار المشهورين أثناء تأدية البروفة. قلائل استفادوا من الفرصة التي تسهل عليهم الاختيار المهني في المستقبل. إنهم يرون أن الأيدي المشهورة لا تحزم الأمور بهمة فحسب، بل تستطيع أيضاً أن تداعب الأوتار برفقة. يجلس التلاميذ في خشوع على الكراسي والحشيات الرياضية، وكلهم آذان صاغية. ليس لدى أي منهم أب يرغب طفله على تعلم مهنة النجارة. ولكن على الطفل ألا يستنتج أن عازف الموسيقى ما عليه سوى أن يفتح فمه للحمام المشوي الهابط من السماء. على الطفل أن يضحى بوقت فراغه من أجل البروفات. فالتر كلمر يشعر بالإحباط من الجو المدرسي المحيط به الذي لم يعد منذ سنوات طويلة معتاداً عليه. يشعر بنفسه وقد ارتد طفلاً أمام إريكا. علاقة التلميذ بمعلمته تتحجر، أما علاقة العاشق بالعشيقة فتبتعد حتى تكاد تتوارى عن الأنظار. لا يجرؤ كلمر حتى على استخدام وسائله كي يصل بسرعة إلى

باب الخروج. لقد هربت إريكا أمام عينيه وأغلقت الباب دون أن تنتظره. تواصل الفرقة العزف على الفيولينة والفيولا والدق والضرب على أصابع البيانو. العازفون يبذلون أقصى ما لديهم من جهد، لأن العازف عموماً يبذل جهداً أكبر عندما يعزف أمام مستمعين جهلاء، لأن هؤلاء ما زالوا يقدرّون الوجوه الخاشعة والملاحم المنصّعة المنتبهة، ولهذا يأخذ الأوركسترا نشاطه على محمل الجد، أكثر مما يفعل في الأيام العادية. ينغلق جدار الصوت أمام كلّم، ولأسباب موسيقية مهنية لا يجرؤ على اختراقه، وإلا سيرفض السيد نيميت أن يمنحه فرصة العزف المنفرد في الحفل الختامي الكبير القادم وسيفضل عليه مرشحا آخر، كونشيرتو لموتسارت.

بينما راح فالتر كلّم يستهلك وقته في صالة الألعاب الرياضية بالتفرّج على الفتيات وقياس المقاييس الأنثوية، ومقارنة هذه بتلك، وهو شيء لا يمثل أي صعوبة أمام المهندس، أخذت معلمة البيانو - من غير أن تحسم أمرها - تفتش غرفة تغيير الملابس التي تكتظ اليوم بصناديق الآلات وعلبها، بالمعاطف والقبعات والكوفيات والقفازات. عازفو آلات النفخ يدفعون رؤوسهم، وعازفو البيانو والآلات الوترية يدفعون أيديهم، كل بحسب عضو الجسم الذي سينتزع النغمات السحرية. أزواج لا تحصى من الأحذية ملقاة هنا وهناك، لأنه من غير المسموح دخول الصالة الرياضية إلا بأحذية رياضية.

بعض التلاميذ نسي حذاءه الرياضي، ويجلس الآن هناك
بالجوارب الطويلة أو القصيرة، وبذلك يُصاب بالبرد.

شلال باخ المتدفق في صخب كالرعد ينهمر من بعيد
مخترقاً آذان عازفة البيانو. إنها تقف على أرضية مهينة
لاستقبال إنجازات رياضية متوسطة المستوى، ولا تعلم تماماً
ماذا تفعل هنا، ولماذا اندفعت قبل قليل خارجة من صالة
البروفة. هل كلمر هو السبب الذي حملها على الخروج؟ لم يكن
من الممكن احتمالها وهو يقف في الفتيات، وكأنه واقف في قسم
التبغ والخمور بأحد المتاجر. لو سُئل، فسيتحجج بأنه يعرف
بخبرته كيف يقدر الجمال الأنثوي حق قدره، في كل مراحلها
ومن كل فئاته. هذه إهانة للمعلمة التي بذلت جهداً كي تهرب
من شعورها، ولذا جاءت إلى هنا.

كثيراً ما تمنح الموسيقى إريكا العزاء في أوقات الشدة، أما
اليوم فإنها تحفر داخلها وتضع أصابعها على نهاية الأعصاب
الحساسة التي عراها الرجل كلمر، كأنها تجد نفسها في غرفة
غير مدفأة يملؤها الغبار بأحد المطاعم. تريد اللحاق بالآخرين،
ولكن المدخل مسدود برجل مفتول العضلات يتولى الخدمة في
المطعم. إنه ينصح السيدة المبجلة بأن تقرر أخيراً ماذا تريد أن
تأكل، وإلا فإن المطبخ سيغلق. حساء بالبيض "فريداتين"، أم
حساء بالكبيرة "ليبركنودل"؟

المشاعر تثير دائماً سخرية الآخرين، لا سيما إذا وقعت
بين أصابع من ليس له الحق في الاطلاع عليها. مثل طائر

نادر بسيقان عالية في حديقة حيوان الاحتياجات السرية تقيس إريكا بعينها الغرفة التي تتصاعد منها رائحة عفنة. تجبر نفسها على السير بأقصى درجات البطء أملاً في أن يأتي أحد ويوقفها. أو أملاً في أن يزعجها أحد وسط الخطة القذرة التي تتسجها، فيتوجب عليها أن تتحمل النتائج الفظيعة: أن ترغم على عبور نفق في الظلام الدامس، وفي النفق أجهزة مخيفة مدببة، لا بصيص ضوء في نهايته. وأين هي مفاتيح النور للغرف الجانبية التي يختبئ فيها عمال النفق في حالة الطوارئ؟ إريكا لا تعرف إلا شيئاً واحداً: في النهاية الأخرى تنتظرها الحلبة المنارة بالأضواء الكاشفة، وهناك عليها أن تؤدي اختبارات أخرى تثبت فيها قدرتها الفائقة على الحفظ والتقليد. من صفوف المقاعد الحجرية في المسرح المكشوف يمتطرونها بوابل من بكر ورق التواليت وقشر السوداني وأكياس الفشار وزجاجات المياه الغازية وبداخلها الشفطات المثنية، سيكون ذلك هو جمهورها الحقيقي. من الصالة الرياضية يتناهى إلى سمعها صراخ السيد نيميت المكتوم. عليهم أن يعزفوا بصوت أعلى. "قورته!" النغمة يجب أن تكون قوية!

الحوض مصنوع من الخزف وملئ بالشروخ. فوقه مرآة، وتحت المرآة لوح زجاجي يستريح على إطار معدني. على اللوح كوب ماء. الكوب موضوع هكذا كيفما اتفق، بلا تفكير عميق وبلا احترام للجماد. هكذا وضع الكوب. نقطة مياه

منفردة تتعلق بقاعه وتستريح قبل أن تتبخر وتندثر. لا بد أن تلميذا شرب جرعة من الكوب قبل قليل. تفتش إريكا في جيوب المعاطف والجواكت باحثة عن منديل، ولا تلبث أن تجده. من مخلفات فترة البرد والزركام. تمسك إريكا الكوب بالمنديل، وتلف الأول بالثاني. الكوب المطبوع عليه بصمات لا تحصى تركتها أيدي التلاميذ الشقية، يلتحف الآن بالمنديل الذي يحجبه تماما. تضع إريكا الكوب داخل لحافه على الأرض، وتدوس بكعب الحذاء بقوة فوقه. يتهشم الزجاج هشيما مكتوما. عندئذ يدهس الكوب المصاب عدة إصابات إلى أن يصير مسحوقا من الشظايا التي ما زالت تحتفظ بحوافها إلى حد ما. على الشظايا ألا تسحق سحقاً ناعماً. لا بد أن تحتفظ بقدرتها على الوخز والإيلام. من الأرض ترفع إريكا المنديل بمحتوياته الحادة الزوايا ثم تجعل الشظايا تتزلق في عناية داخل جيب أحد المعاطف. الزجاج الرخيص الرقيق له شظايا مسنونة ومؤذية للغاية. صرخات الألم الحادة التي تصاعدت من الكوب أخطمها المنديل على الفور.

تعرفت إريكا على المعطف بسهولة، سواء بسبب لونه الصارخ المتوافق مع الموضة، أو بسبب قصره "الميني" الذي شاع في الآونة الأخيرة. لقد حاولت تلك الفتاة في بداية البروفة محاولات مبتذلة للتقرب من فالتر كلمر الذي يسمو بقامته فوقها مثل برج. تريد إريكا أن ترى كيف وبأي شيء ستباهي الفتاة عندما تغطي الجروح يدها. ستغدو ملامح وجهها بشعة قبيحة

ولن يتعرف أحد على شبابها وجمالها البائد، عندئذ ستنتصر روح إريكا على مفاتن الجسد.

لقد تحتم على إريكا أن تقفز على مرحلة "الميني روك" رقم واحد، بناء على رغبة أمها التي غلفت الأمر في شكل تحذير بأن هذه الموضة القصيرة لا تناسب الابنة، لذا فإن عليها ارتداء الملابس الطويلة. البنات الأخريات كلهن قصرن الجيبات والفساتين والمعاطف، أو اشترين الأشياء قصيرة جاهزة. ودارت عجلة الزمن، ومعها سارت سيقان البنات الرشيفة العارية، لكن إريكا كانت بناء على أوامر الأم "سبّاقة"، سبّاقة لعصرها. كان لا بد أن تشرح للجميع، سواء أرادوا أن يسمعوا أم لا: هذه الموضة لا تتلاءم معي شخصيا، ولا تعجبني أنا شخصيا! ثم أسرعت إريكا للقفز عاليا فوق المكان والزمان. بعد أن أطلقتها مدافع الأم. ومن أعلى اعتادت أن تصدر حكمها على الأفخاذ حسب مقاييس صارمة وضعتها بعد تفكير عميق استغرق ليالي، هذه الأفخاذ التي تعرت إلى الحد الذي ما بعده حد، بل وتجاوزت هذا الحد! كانت توزع الدرجات باختلافها على سيقان البنات، من الجوارب الطويلة الدانتيل حتى العري الصيفي - وهو أسوأ الأشياء. عندئذ كانت تتحدث إريكا مع المحيطين بها: لو كنت أنا مكان فلانة أو علانة، لما تجرأت على ذلك أبدا! كانت إريكا تصف وصفا مجسما، وتشرح لماذا ينبغي على أغلب الفتيات ألا يفعلن ذلك بقوامهن. وسرعان ما تجاوزت إريكا الزمن وموضاته، بجيباتها الخالدة التي تصل

إلى حد الركبة، والتي لا تتقدم أبدا، ورغم ذلك، وأسرع من غيرها، وقعت إريكا فريسة للتروس الحادة والقاطعة لعجلة الزمن. تعتقد إريكا أن على المرء ألا يتقيد بالموضة كالعبد المطيع، بل أن تتقيد الموضة كالجارية بما يتناسب مع المرء شخصيا.

عازفة الفلوت هذه، التي تضع المساحيق والأصباغ كالمهرج، أثارت فتاها فالتر كلمر بفخذيها المكشوفتين إلى حد بعيد. تعرف إريكا أن الفتاة تلميذة نجيبة ومثيرة للحسد في مدرسة الموضة. وعندما تعمدت إريكا كوهوت وضع الكوب المهشم في جيب معطفها، فقد خطر على بالها أنها لا تريد بأي حال من الأحوال أن تعيش شبابها مرة أخرى. إنها سعيدة بتقدمها في العمر، وبأنها استبدلت الخبرة في الوقت المناسب بالشباب.

طوال هذه الأثناء لم يدخل أحد، رغم أن المخاطرة كانت كبيرة. لكن الجميع واقع في هوى الموسيقى التي تعزف في الصالة. المرح - أو مفهوم باخ عن ذلك - يملأ الأرجاء والأركان ويصعد في سيقان البراعم الموسيقية. لم يعد لحن الختام بعيدا. وسط أجواء العمل الدؤوب تفتح إريكا الباب وتعود في تواضع إلى الصالة. تفرك يديها وكأنها غسلتها لتوها، ثم تغوص بلا كلمة في أحد الأركان. طبعا من حقها كمعلمة أن تفتح الأبواب رغم أن موسيقى باخ ما زالت تغور وتتدفق. السيد كلمر يلاحظ هذه العودة ببريق من عينيه اللتين

تلمعان بطبيعتهما. تتجاهله. يحاول أن يحيي معلمته كما يفعل طفل مع أرنب عيد الفصح الذي يجلب البيض الملون. البحث عن البيض يجلب فرحة أكبر من العثور عليها، هكذا يشعر فالتر كلمر أيضاً مع هذه المرأة. عملية المطاردة والصيد تمثل بالنسبة للرجل متعة أكبر من الوصال الذي لا محيد عنه، لكن السؤال هو: متى يحدث الوصال؟ ما زال كلمر يشعر بالخجل بسبب فارق العمر اللعين، لكن لأنه رجل، فمن السهل التغلب على حاجز السنوات العشر التي تفصله عن إريكا، كما أن قيمة الأنثى تتناقص تناقصاً كبيراً مع تزايد السنوات، وتزايد الذكاء. المهندس داخل كلمر يحسب كل شيء، والرقم الإجمالي الناتج عن حساباته يقول إن إريكا ما زال أمامها بالكاد بعض الوقت قبل أن تهبط إلى حفرة القبر. يشعر فالتر كلمر بمزيد من التلقائية عندما تتضح له تجاعيد وجه إريكا وجسمها، ويشعر بمزيد من الارتباك عندما تشرح له شيئاً على البيانو، ولكن المهم بالنسبة للمحصلة النهائية هي التجعيدات والثنايا، وترهل البشرة، والشعر الشائب، وأكياس الدموع، واتساع مسام البشرة، وطاقم الأسنان، والنظارة، وفقدان الرشاقة.

لحسن الحظ لم ترجع إريكا إلى البيت مبكراً كما اعتادت أن تفعل في كثير من الأحيان. تحب إريكا أن تتصرف دون أن تلفت نظر أحد. دون تحية تحذيرية، وحتى دون تلوحة يد. فجأة تذهب، وينتلاشي صوتها وتختفي صورتها. في مثل تلك الأيام التي تتسحب فيها عمداً من أمامه، يضع كلمر أسطوانة

"رحلة الشتاء" وينصت إليها فترة طويلة، مددنا مع الموسيقى بصوت خافت. في اليوم التالي يخبر معلمته بأن هذه الرباعية الغنائية الحزينة هي التي استطاعت تلطيف الحالة النفسية التي كنت فيها بالأمس، بسببك أنت يا إريكا. شيء ما في أعماقي كان يهتز مع شوبرت. لا بد أنه كان كسيرا حزينا عندما ألف "الوحدة"، أي أننا كنا نعاني على الإيقاع نفسه، شوبرت وشخصي المتواضع. مقارنة بشوبرت، أنا طبعاً صغير وضئيل القيمة، ولكن في أمسيات كالأمس أجد نفسي في موقف متشابه مع شوبرت، أكثر من المعتاد. إنني أنزع في العادة إلى السطحية، للأسف الشديد، كما ترين يا إريكا: إنني أعترف بصراحة.

تصدر إريكا أوامرها بالألا ينظر كلمر إليها على هذا النحو، لكن كلمر يواصل إبداء رغباته بوضوح. إنهما مجبران على التعايش مثل فراشتين توأم داخل شرنقة واحدة. شرنقة رقيقة مغزولة من الطموح والطموح والطموح ثم الطموح. هذه الشرنقة تستريح هيئة لينة على الهيكل العظمي لكل منهما، هيكل أمنياتهما ورغباتهما الجسدية. هذه الرغبات هي التي تجعل الواحد حقيقياً بالنسبة للآخر. أن يتغلغل أحدهما في الآخر تماماً: هذه الرغبة هي ما تجعل منهما كلمر وكوهوت، قطعان من اللحم داخل فترينة جيدة التبريد في محل جزارة بإحدى ضواحي المدينة. وضعت القطعتان بحيث يواجه الجمهور الجانب الوردي من اللحم. ربة البيت تطلب بعد تفكير عميق

نصف كيلو من هنا، ثم كيلو من هناك. يتم تغليف القطعتين في ورق رقيق لا يُنفذ الدهن. تضع الزبونة القطعتين في كيس بلاستيكي قدر لم يُنظف في حياته مرة. تتقارب القطعتان وتتآلفان. الفيليه من لحم البقر والإسكالوب من الخنزير، الأولى حمراء قائمة اللون، والثانية وردية فاتحة.

سترى لديّ الحدود التي ستتّكسر عندها إرادتك، لأنك لن تتخطاني أبداً يا سيد كلمر! المتحدّث إليه يعارض معارضة حماسية، راسماً من جانبه حدوداً وواضعاً المقاييس.

في تلك الأثناء اندلعت فوضى في غرفة تغيير الملابس، فوضى من الأقدام الداھسة والأيدي الممتدة الباحثة. أصوات تشكو أنها لا تستطيع أن تعثر على هذا الشيء أو ذاك الذي وُضع هنا أو هناك. آخرون يصرخون أن على ذلك وذاك إرجاع ما اقترضاه من نقود. دوي صاخب يصدر عن صندوق كمان تحت قدم شاب لم يشتر الصندوق، وإلا كان تعامل معه باحتراس أكبر، مثلما يلح عليه الوالدان. بطبقة السوبرانو تتبادل فتاتان أمريكيتان حديثاً كالزقزقة يدور حول الانطباع الموسيقي العام الذي قلل من تأثيره شيء لا تستطيعان تسميته، لعله الصدى، ولكن هناك شيئاً أزعهما.

ثم تشق الهواء صرخة، وترفع يد مليئة بالجروح ومضرجة بالدماء. تقطر الدماء على المعطف الجديد! الدماء تسبب بقعاً كثيفة. البنت، صاحبة اليد، تصرخ فزعاً وتولول من الألم الذي تشعر به الآن، وذلك بعد لحظة الفرع التي أحسّت

خلالها بألم القطع الفعلي، وبعدها لم تعد تشعر بأي شيء. لا بد من خياطة هذه اليد المليئة بالجروح، اليد التي كانت تعزف على الفلوت. الشظايا والقطع الزجاجية المغروزة تنتثر الآن في هذه اليد التي تضغط على أزرار الفلوت.

غير مصدقة راحت المراهقة تنتظر إلى يدها التي تقطر دماً، وعلى الفور انسالت على خديها صبغة الرموش في تناسق وتناغم مع ظلال الجفنين. الجمهور يُصاب بالخرس، ثم يندفع بقوة مضاعفة، كشلال مياه يكتسح كل شيء في طريقه إلى بؤرة. مثل شظايا حديدية في مجال مغناطيسي. لن يفيدهم في شيء أنهم يلتصقون هكذا بالضحية. لن يحولهم ذلك إلى جناة، ولن تربطهم علاقة سرية بالضحية. يُطردون شر طردة من حول الفتاة، ويمسك السيد نيميت بعصا السلطة، أمراً أن يتم الاتصال بطبيب. ثلاثة تلاميذ ممتازون يهرعون للاتصال بالتليفون. الآخرون يظنون متفرجين دون أن يدركوا أن السبب في هذا الحادث هو الشهوة في إحدى أكثر صورها إزعاجاً وإحراجاً. لا يستطيعون على الإطلاق تقديم تحديد الشخص الذي يقدر على فعل ذلك. سيظلون طيلة حياتهم عاجزين عن ارتكاب اعتداء مثل هذا.

مجموعة إغاثة تتحلق حول الفتاة مكونة نواة صلبة من النفايات سرعان ما تلفظ ذاتها. لا أحد يتحرك بعيداً عن الفتاة، كلهم يريدون أن يروا كل شيء بدقة تامة.

على الفتاة أن تجلس لأنها تشعر بالغثيان. ربما قد انتهت بالنسبة لها الآن، أخيراً، مرحلة النفخ المعذب في الفلوت. تتظاهر إريكا بسوء المزاج والغثيان لأنها ترى دماء عن قرب.

يحدث ما يمكن أن يفعله البشر في حالة إصابة أحدهم. البعض يتصل تليفونيا لمجرد أن الآخرين يتصلون. كثيرون يصرخون ملتهمسين الهدوء وقليلون يتصرفون في هدوء. يتزاحمون ويدافعون حتى يروا. يوجهون الاتهامات إلى أشخاص أبرياء تماماً. ترتفع صيحات بالتزام النظام، لكنهم يتصرفون عكس ذلك. لا يبدو عليهم الاقتناع عندما يسمعون رجاءً بإفساح مكان أو بالهدوء ومراعاة أنهم أمام حادث فظيع. ها هم تلميذان أو ثلاثة يتصرفون على نحو معارض لأكثر قواعد اللياقة بدائية. الذين تمتعوا بتربية أفضل واللامبالون انسحبوا بهدوء إلى أركان مختلفة، ومن هناك يتصاعد سؤال حول المذنب. يخمن أحدهم أن الفتاة جرحت نفسها حتى تصنع من ذاتها شخصية مثيرة. شخص ثان يعارض بقوة الأول وينشر شائعة تقول إن صديقاً غيوراً هو الجاني. ثالث يقول إن الغيرة - مبدئياً - هي السبب، لكن الفاعل فتاة غيور.

تثور نائرة شخص متهم ظلماً. واحدة يُسْتَبه بها ظلماً تبدأ في العويل. مجموعة من التلاميذ ترفض الالتزام بإجراءات أملاها العقل. شخص ينفي اتهاماً نفيًا تاماً، على الطريقة التي

يعرفها من المساسة في التليفزيون. يطلب السيد نيميت الهدوء
الذي يخترقه بعد لحظات عويل سيارة الإسعاف.
تراقب إريكا كوهوت كل شيء بإمعان، ثم تخرج. فالتر
كلمر يراقب إريكا كوهوت مثل حيوان حديث الولادة عرف
مصدر الغذاء، ويلتصق بها كظلها عندما خرجت.

نعل إريكا الخفيف يرتد بعد ارتطامه بدرجات السلم التي تقوست تحت أقدام الأطفال الأشقياء. الدرجات تختفي تحت أقدامها. إريكا تشق طريقها إلى أعلى. في تلك الأثناء تكونت في صالة الألعاب الرياضية مجموعات من المرشدين، شرعت في إطلاق التكهنات، والنصح بالقيام بخطوات معينة. تبدأ المجموعات في فرز دوائر الجناة المحتملين، ثم تقوم بتمشيط هذه الدوائر للعثور على الجاني. لن ينفرد عقد هذه المجموعات سريعا. بعد مرور وقت طويل ستأخذ في التفتت قطعة إثر الأخرى، لأنه يتحتم على الموسيقيين الصغار أن يرجعوا إلى بيوتهم. ولكنهم الآن ما زالوا يتحلقون حول الفتاة المصابة ويقترّبون منها، ويشعرون بحسن حظهم لأنهم نجوا من مصيرها. لكن بعضهم يعتقد أن الدور عليه. تصعد إريكا الدرج. كل من يراها تهرب على هذا النحو، يظن أنها تشعر بالغثيان. عالمها الموسيقي لا يعرف الجروح والدماء، غير أنها في الحقيقة وقعت مرة أخرى تحت وطأة الشعور الملح الذي يفاجئها في أكثر اللحظات غير المناسبة: لا بد أن تتبول. تشعر به يهبط إلى أسفل ويتجمع بين ساقها، لذا تجري إلى أعلى.

تبحث عن دورة مياه في الطابق العلوي الأخير، فهناك لن يفاجئ أحد المعلمة وهي تقضي حاجة جسدية عادية.

لا تعرف إريكا المبنى جيدا، لذا تجرب حظها وتشد أحد الأبواب. هي خبيرة بأبواب دورات المياه، إذ إنها كثيراً ما ترغم على البحث عنها في أكثر الأماكن غرابية. في مبان أو مصالح حكومية لا تعرفها. الباب، بخشبه البالي المتآكل، يُقسم أنه ينتمي لدورة عمومية في هذه المدرسة. عفونة بول الأطفال المتصاعدة خلفه تؤكد صدق قسمه.

مراحيض المعلمين لا يمكن فتحها إلا بمفاتيح خاصة، وهي تحتوي على أجهزة إضافية للتنظيف بكافة مستلزماتها. أحدث تكنولوجيا العصر. دائما ينتاب إريكا الشعور غير الموسيقي بأنها ستفجر قريبا. في هذه الحالات لا تريد شيئا سوى أن ينهمر ما بداخلها انهمارا طويلا ساخنا. في كثير من الأحيان ينقض عليها هذا الشعور الملح أثناء الكونسير، في لحظة غير مناسبة على الإطلاق، مثلا عندما يعزف البيانيست عزفا خافتا للغاية، بيانيسمو. والأشر والأنكي عندما يدوس العازف على البدال. إريكا تعارض معارضة عنيفة تلك العادة السيئة المنتشرة بين كثرة من عازفي البيانو الذين يعتقدون، بل ويعلنون رأيهم على الملأ، أن البدال لا يُستخدم سوى في المقاطع الخافتة تماما، بينما تتحدث تعليمات بيتهوفن نفسه لغة واضحة ومختلفة تماما، هكذا راح عقل إريكا يثرثر مع الخبيرة الفنية، وكلاهما يؤيد بيتهوفن. تتدم إريكا سرا لأنها لم تستطع

الاستمتاع حتى النهاية بجريمتها التي راحت ضحيتها التلميذة
الغرة الساذجة.

هي الآن في الغرفة الصغيرة التي تسبق المراحيض.
لا تستطيع سوى الاندهاش لسعة خيال المهندس المعماري
للمدرسة. في اليمين باب قزم نصف مفتوح يؤدي إلى مبنية
الصبيان. الرائحة تذكر بقبور الطاعون. هناك مجرى من
المعدن المكسو بطبقة من الميناء، تُبنت على الأرض بمحاذاة
الحائط المدهون بالزيت. في المجرى بالوعات عديدة موزعة
توزيعاً لطيفاً، وبعضها مسدود. هنا إذن يصوب الرجال
الصغار أشعتهم الصفراء، أو يرسمون بها الأشكال على
الحائط. الحائط يشهد على ذلك.

في المجرى تلتصق أيضاً أشياء ليس هذا مكانها:
قصاصات ورقية، قشر موز، قشر برتقال، بل وكراسة بأكملها.
تفتح إريكا الشباك عن آخره فتري تحتها، إلى الجانب قليلاً،
إفريزا فنيا. زخرفة البناية تظهر - حسب نظرة إريكا الفوقية -
شيئاً يبدو مثل رجل عار وامرأة عارية. تلف المرأة ذراعها
حول فتاة صغيرة ترتدي ثياباً وتعمل بالإبرة. الأب يتطلع
بحدب واضح تجاه ابنه المرتدي ثياباً والذي يمسك بحرص
برجالاً مفتوحاً، ويبدو عليه الانهماك في حل واجبات علمية.
تدرك إريكا أنها تتفرج على نصب تذكاري أقيم في ظل
السياسة التعليمية للحزب الديمقراطي الاشتراكي. لا تمد إريكا
رقيبته إلى الأمام أكثر من اللازم حتى لا يحدث لها مكروه.

تفضل إغلاق النافذة رغم أن الرائحة العفنة تزداد الآن حدثها بعد فتح الشباك واستنشاق الهواء النقي. لا تستطيع إريكا الانشغال بتأملات فنية، لا بد أن تواصل السير.

اعتادت التلميذات الصغيرات أن يتخفن من حاجتهن الملحة وراء حاجز يشبه ما يراه المرء في كواليس المسرح. الكواليس هنا تشبه على نحو غير مقنع صفاً من الكبائن، كما في حمام السباحة. في الجدران الخشبية حُفرت ثقوب عديدة مختلفة الأحجام والأشكال. تتساءل إريكا: بأي شيء حفروها؟ تصل الجدران تقريبا إلى كتف المعلمة، عند هذا الارتفاع نشروها بوحشية. رأسها يبرز أعلى الجدار. بالكاد تستطيع تلميذة في المدرسة الإعدادية أن تتواري مضطرة خلف هذا البارافان، أما المعلمة البالغة فلن يواربها. لا بد أن التلميذات والتلاميذ يتلصصون من خلال هذه الثقوب، كي يروا المنظور الجانبي للمرحاض ومستعمليه. إذا وقفت إريكا خلف الجدار فإن رأسها يبرز مثل زرافة تظهر وراء سور لتصل إلى أوراق فرع عال. لعل سبب وجود هذه الجدران العازلة هو توفير إمكانية للشخص البالغ تتيح له أن يلقي في أي وقت نظرة على الكبائن ليعرف ماذا يفعل الطفل طوال هذا الوقت خلف الباب، أم أنه ربما حبس نفسه؟

بسرعة تجلس إريكا على المرحاض المتسخ بعد أن رفعت الغطاء. هذه الفكرة أيضاً خطرت على بال غيرها، إذ إنها تجد الخبز البارد مغطى بالقاذورات. يطفو في المرحاض شيء لا

تود إريكا أن تتمعن فيه، إلى هذه الدرجة هي في عجلة من أمرها. في حالتها هذه سوف تقرفص أيضاً فوق حفرة مليئة بالأفاعي. ولكن شريطة أن يكون هناك باب يمكن قفله بالترباس! بدون ترباس لا يمكن أن تنزل شيئاً من أحشائها. الترباس يؤدي وظيفته، وهي بالنسبة لإريكا تشبه وظيفة الهويس. مع تنهيدة ارتياح تدير إريكا الذراع الصغير، فتظهر من الناحية الأخرى من الباب دائرة حمراء صغيرة: مشغول.

شخص ما يفتح باباً آخر ويدخل دورة المياه. لا تردعه هذه الأجواء. من المؤكد أن الخطوات المقتربة خطوات رجل، وسرعان ما يتضح أنها خطوات فالتر كلمر الذي تبعها. كلمر أيضاً يخرج من حالة اشمئزاز ليدخل في حالة غثيان. لكن ذلك شيء لا يمكن تجنبه ما دام يريد العثور على محبوبته. لقد رفضته طوال شهور، رغم أنها بالتأكيد تعرف تعجل كلمر واندفاعه. يتمنى أن تتحرر أخيراً من عوائقها النفسية. عليها أن تخلع شخصيتها كمعلمة، وتجعل من نفسها شيئاً جديراً بالعرض عليه. سوف يتكفل بعمل كل شيء. كلمر الآن موسوعة تجمع بين البيروقراطية والشهوة. شهوة لا تعرف حدوداً، بل - ورغم معرفته بالحدود - فإنه لا يحترمها. هذا فيما يخص كلمر، والواجب الذي وضعه نصب عينيه فيما يتعلق بالهيئة التعليمية. يُفرغ فالتر كلمر كبسولة اسمها العوائق النفسية، وأخرى اسمها الخجل، وكبسولة ثالثة اسمها التحفظ. لن تستطيع إريكا مواصلة الهروب، فالحائط وراءها. سيجعل إريكا تنسى

ال نظر والسمع. ليس مسموحا لها أن ترى أو أن تسمع سواه. سيرمي إرشادات الاستخدام بعيدا، حتى لا يستطيع أحد غيره الاستفادة منها. كفى هذه المرأة تردداً وكأبة. كفاها تشرنقاً مثل الأميرة الجميلة النائمة. عليها أن تتقدم في اتجاه كلمر: إنساناً حراً يعرف تماماً ما يريد سراً.

لهذا يسأل كلمر الآن: "إريكا، هل أنت هنا؟" لا إجابة. ليس هناك إلا خرير ينبعث من إحدى الكبائن ويقل تدريجياً. خرير يتلاشي شيئاً فشيئاً. نحنحة، لم يفلح صاحبها في كبتها تماماً، تشير إلى الاتجاه. لا يحصل كلمر على إجابة، وهو ما يستطيع فهمه على أنه احتقار. لقد استطاع أن يتعرف على صوت المنتحنح وهويته بطريقة لا تدع مجالاً للشك. إجابة مثل هذه لن تُعطى لرجل بعد الآن، يتحدث كلمر في اتجاه غابة الكبائن. إريكا معلمة، لكنها في الوقت نفسه طفلة، صحيح أن كلمر تلميذ، لكنه في الوقت نفسه، مقارنة بها، هو الشخص البالغ. لقد أدرك أنه في هذه المحطة هو القائد، لا معلمته. يستخدم كلمر هذه المؤهلات المكتسبة حديثاً كي يصل إلى هدفه. وهكذا راح يبحث عن شيء يقف عليه. بسرعة بديهية يعثر كلمر على دلو من الصفيح القذر، وعليه خرقة قماش مفرودة تستخدم في التجفيف. يلقي كلمر بالخرقة، ثم ينقل الدلو إلى الكابينة التي يقصدها، يقلبه، ويقف عليه، ناظراً عبر الجدار الفاصل الذي نزلت خلفه القطرات الأخيرة. ليس إلا هدوء الموتى. المرأة خلف البرافان تنزل الجيبة حتى لا يقع بصر كلمر على شيء

منها ليس في صالحها. جذع فالتر كلمر يظهر الآن فوق الباب. ينحني في اتجاهها متحدياً. يحمر وجه إريكا احمراراً فاقعاً، ولا تتفوه بكلمة. من أعلى يفتح كلمر - الزهرة الطويلة الساق المصممة على كل شيء - ترباس الباب. يُخرج كلمر المعلمة من الكابينة، لأنه يحبها، وهي موافقة على ذلك إلى أبعد حد. ستمنحه الامتياز بعد قليل. يريد البطلان الآن أن يمثل مشهداً غرامياً لا يحضره سواهما، بلا كومبارس. فقط الممثل الأول الراقد تحت ثقل الممثل الآخر.

حسب ما تفرضه الظروف تستسلم إريكا على الفور. مثل هدية مغلقة بورق سلوفان يعلوه الغبار، موضوعة فوق مفرش مائدة أبيض. في وجود الضيف يظل المرء يدير الهدية في يديه بحب وامتنان، ولكن بمجرد أن يبتعد صاحب الهدية، توضع اللفة بحرج وبلا اهتمام، ثم يسرعون جميعاً إلى الطعام. لا تستطيع الهدية أن تتصرف، ولكنها تتعزى على الأقل لوهلة بأنها ليست وحيدة. الأطباق والفناجين تصطك، الشوك والسكاكين تحتك بالصيني وتصدر صليلاً. عندئذ تلاحظ اللفة أن جهاز تسجيل على المائدة هو الذي يصدر هذه الأصوات. تصفيق، ورنين الكاسات، كلها من الشريط! يأتي شخص ويأخذ هذه اللفة: ترتاح إريكا وسط هذه الطمأنينة، يهتم آخرون بشأنها. تنتظر إشارة أو أمراً. لقد قضت فترة طويلة في انتظار هذا اليوم، وليس في انتظار حفل موسيقي.

كلمر أيضاً يستطيع الاختيار: بين أن يضعها من حيث أتى بها دون استخدام كي يعاقبها، أو أن يستخدمها. الأمر متروك له تماماً: هل يستفيد من الفرصة أم لا. يستطيع طبعا أن يلقي بها. يستطيع أيضاً أن يمسحها ويلمّعها ويضعها في "فاترينة". يمكنه أيضاً ألا يغسلها أبداً، بل يملأها كل مرة من جديد بسائل ماء، إلى أن تتسخ حوافها وتلتصق من آثار الشفاه عليها. على الأرض طبقة من السكر عمرها أيام.

فالتز كلمر يُخرج إريكا من كابينة دورة المياه. يجذبها. استهلالاً يطبع قبلة طويلة على فمها كانت مُستحقة منذ فترة طويلة. راح يعض شفّتيها برفق، ماداً لسانه متحسناً بلعومها. بعدما أنك لسانه يقوم بسحبه، ثم ينطق باسم إريكا عدة مرات احتفالاً بهذه المناسبة. يعمل بجد واجتهاد مع هذا الشيء المسمى إريكا. يمد يده تحت جونلتها، عالماً أنه بذلك يقوم بخطوة كبيرة إلى الأمام. يتجرأ أكثر، لأنه يشعر أن أشواقه تسمح بذلك. الأشواق تبيح كل شيء. راح يتحسس أحشاء إريكا، وكأنه يريد أن ينتزعاها كي يعيد تشكيلها على نحو جديد. يصطدم بحاجز، ويكتشف أنه لن يتقدم كثيراً بيده. الآن يلهث وكأنه ركض مسافة طويلة حتى يصل إلى هذا الهدف. لا بد أن يعرض على هذه المرأة على الأقل جده واجتهاده. يستحيل عليه أن يتغلغل فيها بكامل اليد، ولكن ربما يستطيع أن يتعامل مع جسدها على الأقل بإصبع أو اثنين. القول لدى كلمر توأم الفعل. ولأنه يشعر بسبابته تتعمق داخلها شيئاً فشيئاً، فإنه يهلل ويغمره

الفرح، ويشرع في عض إريكا عشوائياً. يغطيها بلعابه. يمسك بها بيده الأخرى، التي لا يحتاجها في حقيقة الأمر، لأن المرأة ستبقى واقفة هنا حتى بدونها. يفكر أن ينفذ بيده الثانية من تحت البلوفر، لكن فتحة البلوفر الشبيهة برقم ٧ ليست بالعمق الذي يسمح بذلك. ثم هذه البلوزة السخيفة البيضاء تحت البلوفر. الآن يضغط عليها، ويضم إليه الجزء السفلي من جسد إريكا بحنق وقوة مضاعفة. يعاقبها، لأنها تركته وقتاً أطول من اللازم على نار الحب، حتى تخلى عن نياته، وهو شيء ليس في صالحها. يسمع من إريكا صوتاً متألماً. على الفور يخفف من الضغط، فهو لا يريد الإضرار بها قبل أن تبدأ في أداء عملها. تخطر على بال كلمر الفكرة النيرة: ربما يستطيع أن يشق طريقه تحت البلوفر والبلوزة، أي من الاتجاه المعاكس. لا بد عليه أولاً أن ينتزع البلوفر والبلوزة من الجونلة. فمه يفرز الآن لعاباً أكثر، لأنه يبذل جهداً أكبر. ينبح كثيراً في فم إريكا باسمها الذي تعرفه دون نباحه. ولأنه يصرخ تجاه الحائط الصخري، فإنه لا يسمع أي صدى لصراخه. تقف إريكا وتستريح على كلمر. إنها تخجل من الموقف الذي أدخلها فيه. هذا الخجل مريح. ويلهب عواطف كلمر الذي راح ينهنه شاحداً أسلحته عن طريق الاحتكاك بإريكا. يركع دون أن يرخي قبضته عليها. ثم يسحب نفسه إلى أعلى مرتكزاً عليها، وفي اللحظة التالية يهبط مرة أخرى مثل أسانسير، ولكن مع التوقف عند المناطق الجميلة. بقبلاته يلتصق بإريكا. تقف إريكا كوهوت

على الأرض كآلة موسيقية يكثر استعمالها، لذا فإنها تنكر ذاتها. لو لم تفعل، فلن تتحمل الآلة الشفاه العديدة للهواة الذين يتناولونها ويضعونها باستمرار في أفواههم. إنها تريد الحرية التامة للتلميذ، أن يذهب وقتما يشاء. توظف طموحها كي تظل واقفة في المكان الذي وضعها فيه. سيجدها، إذا رغب فيها بعد تشغيلها، وفيّة للمكان، لم تتحرك قيد أنملة. تشرع في استخراج شيء من داخلها، من داخل وعاء ذاتها الذي لا قرار له، والذي لن يكون فارغاً أمام التلميذ بعد الآن. تأمل أن يفهم الإشارات غير المرئية. يستخدم كلمر كل قسوة جنسه كي يلقي بإريكا إلى الخلف، على الأرض. سيهبط هو برفق، أما هي فسيستقبل ظهرها الأرض القاسية. يطلب منها الحد الأقصى. الأقصى. لأن كليهما يعلم أن أحداً قد يدخل في أي لحظة. يصرخ فالتر كلمر في أذنها بشيء عن حبه، شيء جديد تماماً.

من إطار ضوئي تظهر أمام إريكا يدان. تحاولان من اتجاهين مختلفين الوصول إليها. تندهشان لما تعثران عليه على غير انتظار. يتفوق صاحب اليدين على المعلمة في القوة، لذلك تقول له كلمة كثيراً ما يُساء استخدامها: "انتظر!" لكنه لا يريد الانتظار. يشرح لها لماذا لا يريد الانتظار. من الشهوة يشهق. يبكي أيضاً لتأثره الشديد بسهولة ما يحدث. ولأن إريكا تعاونت معه تعاوناً جيداً.

إريكا تبعد فالتر كلمر عنها بمسافة ذراعها. تخرج عضوه الذي أعده هو أيضاً لهذه المناسبة. لا تنقص إلا اللمسة الفنية

الأخيرة، فالعضو جاهز ومستعد. هونت إريكا عليه الأمر، ونابت عنه في القيام بهذه الخطوة الصعبة. الآن يحاول كلمر الهجوم على مؤخرة رأس معلمته. إنن يتحتم على إريكا أن تواجهه بكل ثقلها حتى تستطيع البقاء منتصبة القامة. تمسك بعضوه، مُبعدة كلمر عنها بمسافة ذراعها. هو يواصل العبث بأعضائها. تشير إليه أن يتوقف، وإلا ستتركه. كان عليها أن تكرر ذلك عدة مرات بصوت منخفض، لأن إرادتها التي تغلبت عليه فجأة، لم تكن لتنفذ بسهولة إليه وإلى غضبه المتراكم. يبدو كالمنتشي من مخططاته الحانقة. يتردد. يسأل نفسه: هل فهم شيئاً خطأ؟ لا في تاريخ الموسيقى، ولا في أي مكان آخر يُستبعد الرجل المُغازل من الأحداث بهذه الطريقة. هذه المرأة - ولا شرارة واحدة من الشوق. راحت إريكا تعجن الجذر الأحمر بين أصابعها. ما يحل لها، محرم على الرجل تحريماً تاماً. ليس مسموحاً له أن يلمس جسدها. عقل كلمر الخالص يوصيه ألا يسمح لها بأن ترحه وتهزه، فهو الفارس، وهي في نهاية الأمر الحصان! ستتوقف على الفور عن دعك قضيبه، إذا لم يتوقف عن قطع أعشابها النامية بين الفخذين. يصل إلى الإدراك بأن متعته عند استثارة مشاعره أكبر من المتعة التي يشعر بها لدى إثارة مشاعر الآخرين، ولهذا يطيع. بعد عدة محاولات فاشلة تهبط يده وتبتعد نهائياً عن إريكا. غير مصدق يتأمل ذكره الذي راح ينتفش بين يدي إريكا، وكأنه قد استقل عنه. تطالبه إريكا بأن ينظر إليها، لا إلى الحجم الذي وصل

إليه قضيبه. عليه أن يتوقف عن القياس والمقارنة مع الآخرين. هذا هو المقاس المناسب له، وسواء كان صغيراً أو كبيراً، فهو يكفيها. لكن ذلك يولد لديه شعوراً بعدم الراحة. ليس لديه ما يفعله، وهي تفعل ببدنه ما يحلو لها. العكس سيكون أكثر فائدة، وهو ما يحدث أيضاً أثناء الدرس. لكن إريكا تبعده عنها. تتأهب هوة بين جسديهما تاركة حوالي ١٧ سم قضيباً، إضافة إلى ذراع إريكا، مع عشر سنوات فارقاً في العمر. الإثم الذي تقترفه دائماً ومبدئياً هو واحد لا يتغير: حب الفشل. إريكا موجهة دائماً ناحية النجاح، ومع ذلك فإنها لم تحصده يوماً.

يريد كلمر أن ينفذ إليها عن طريق آخر، وتحديدًا عن طريق يجعله أكثر تغلغلاً. ينادي اسمها الأول عدة مرات. يجدف بيديه في الهواء، ويتجراً مرة أخرى على المساس بأرض محرمة ليرى إذا كانت ستفتح له ملعبها الاحتفالي الذي يتوجه التل الأسود. يتتبعها، أنهما - كلاهما - سيستمتعان بالأمر أكثر، ويعلن استعداداه للقيام باللازم. قضيبه ينتفض وقد ازرق لونه واستطال. يتخبط في الهواء. يجد كلمر نفسه مجبراً على الاهتمام بهذه الزائدة الدودية، أكثر من اهتمامه بإريكا كلها. تأمره بأن يصمت وألا يحرك ساكناً. وإلا ستذهب. يواجه التلميذ موقفاً صعباً أمام معلمته، دون أن يستطيع بتقدير النهاية. ذاهلاً يسلم نفسه للإرادة الغريبة، وكأنه يطيع إرشادات لعزف مقطوعة "الكرنفال" لشوبرت، أو سوناتة لبروكوفيف يتدرب عليها في الوقت الراهن. محتاراً يضع يديه على خياطة

البنطلون، لأنه لم يجد مكاناً أفضل. ملامحه الخارجية تشوهت بسبب قضيبيه الذي أطاع وراح يستعرض نفسه منتصباً. هذا النتوء اللامع الذي يرغب في مد جذوره في الهواء. الظلام يسود في الخارج. لحسن الحظ تقف إريكا بجانب زر النور الذي تضغط عليه الآن. تفحص لون قضيبي كلمر وشكله. تغرز أظافرها تحت غلفته مانعة كلمر من إصدار أي صوت عال، سواء كان ابتهاجاً أو ألماً. يقف التلميذ في وضع متصلب بعض الشيء. حتى يطول الأمر يضم عضلات فخذه، ويشد عضلات ردفه التي تقسو كالصلب.

أرجوك ألا تتوقفي الآن! شيئاً فشيئاً يتزايد رضى كلمر بالموقف، كما تتزايد المشاعر المتولدة في جسده. يتغلب على بطالته ويتفوه بكلام غرامي، إلى أن تأمره بالتزام الصمت. تحظر المعلمة للمرة الأخيرة أي ملاحظة من جانب التلميذ، سواء كانت في صلب الموضوع أو خارجة عنه. ألم يفهمها؟ يشكو كلمر من أنها تتعامل بلا عناية مع عضوه الجميل الذي بلغ كامل طوله الآن. إنها تتعمد إيلامه. في الأعلى ينفث ثقب، يؤدي إلى جوف كلمر. توصيلات مختلفة تقوم بتغذيته. الثقب ينتفس إلى الداخل متسائلاً عن توقيت الانفجار. يبدو أنه قد حان، لأن كلمر يصيح بالتحذير المعتاد في مثل هذه المواقف. يصرخ قائلاً إنه لم يعد يستطيع أكثر من هذا. يؤكد أنه يبذل جهوداً خاصة بذلك، لكنها لم تعد تجدي نفعاً. الآن تضع إريكا أسنانها على تاج القضيبي الذي لا يهتز أقل اهتزاز، لكن

صاحبه يصرخ بضرارة. توجه إليه تحذيراً بالهدوء، لهذا يهمس كمثل على خشبة المسرح: خلاص! الآن! تخرج إريكا الذكر ثانيةً من فمها، وتخبر صاحبه أنها ستكتب له كل ما تسمح به. رغباتي ستسجل، وسيكون لديك فرصة الاطلاع عليها في كل وقت. هذا هو الإنسان بكل تناقضاته، مثل كتاب مفتوح. على كلمر أن ينتظر بشوق تلك اللحظة!

لا يفهم كلمر ما تعنيه تماماً، لكنه يتضرع باكياً ألا تتوقف الآن، وإلا سينفجر كالبركان. يعرض عليها رشاشه الآلي الصغير طالباً منها أن تضغط على الزناد وتطلق الرصاص. لكن إريكا تقول إنها لم تعد ترغب في لمسه، على الإطلاق. ينثني كلمر مُحنياً جذعه إلى أسفل، حتى كاد يلامس ركبتيه. بهذا الوضع يترنح كلمر أمام المراحيض، يلاحقه الضوء القاسي الصادر عن مصباح داخل كرة زجاجية بيضاء. يتوسل إلى إريكا، لكنها لا تستجيب. يتولى هو إكمال ما بدأته. أثناء ذلك يشرح لمعلمته العواقب الصحية الوخيمة الناشئة من جراء معاملة الرجل بلا احترام هكذا، في مثل وضعه هذا. تجيب إريكا: ابعد يدك، وإلا لن تراني يا سيد كلمر بعد اليوم في موقف كهذا، أو في موقف مشابه! السيد يصور لها بالتفصيل الآلام الفظيعة المعروفة الناجمة عن التلكؤ في الأمر. لن يستطيع السير على قدميه حتى البيت. "إذن خذ تاكسيا"، تنصحه إريكا بهدوء، ثم تغسل يديها في الحوض بسرعة، وتشرب جرعات عدة من الماء. يحاول كلمر خفية أن يعزف على

جسدها عزفاً لم تسبق كتابته في أي نوتة موسيقية. صيحة حادة تعطله عن ذلك. عليه أن يقف ببساطة أمام معلمته إلى أن تأمره بعكس ذلك. تريد أن تدرس التغيرات الجسدية التي تطرأ عليه. لن تلمسه بعد الآن، فليتأكد من ذلك تماماً. السيد كلمر يستعطف وهو يرتعش ويرمش بجفنيه. إنه يعاني من آثار القطع الفجائي للعلاقات، حتى وإن كانت غير متبادلة. يصف ويبالغ في وصف كل مرحلة من المعاناة، بادئاً بالرأس حتى يصل إلى القدمين. في هذه الأثناء ينكمش قضيبه ببطء شديد. ليس كلمر بالشخص المطيع، حتى في المهد لم يكن مطيعاً. إنه من الذين يسألون دوماً عن السبب، لهذا يفيض به الكيل ويشرع في توزيع شتائمه على المعلمة. فقد السيطرة تماماً، لأن رجولته تعرضت للإهانة والتعذيب. بعد اللعب والرياضة لا بد من إعادة الذكر نظيفاً إلى مكانه. ترد إريكا: "أخرس!" تقولها بنبرة تصيبه فعلاً بالخرس.

يقف على مسافة منها آخذاً في التراخي. يريد كلمر، "بعد أن أخذنا وهلة لالتقاط الأنفاس"، أن يُحصي الأشياء المحرم فعلها مع رجل في حالته. ما فعلته إريكا اليوم يؤدي إلى سلسلة طويلة من المحظورات، يريد أن يذكر لها الأسباب. تأمره بالصمت. هذا آخر ما تطلبه منه. لكن كلمر لا يصمت، بل يتوعدّها بإجراءات ثأرية. تسير إريكا إلى الباب وتودعه بلا صوت. لم يطعها، رغم أنها منحتة الفرصة عدة مرات. والآن

لن يعرف أبداً ما كانت ستسمح له بأن يرتكبه معها. تضغط على مقبض الباب، عندئذ يتضرع كلمر إليها أن تبقى. يعطيها كلمة شرف بأنه سيلزم الصمت بدءاً من هذه اللحظة. تفتح إريكا باب المرحاض على مصراعيه. الباب المفتوح يشكل إطاراً لكلمر. يالها من صورة تافهة القيمة. لو دخل أحد الآن، سيرى قضيبه العاري دون أن يكون مستعداً أقل استعداد لهذا المشهد. تترك إريكا الباب مفتوحاً كي تعذب كلمر. ولكنها لا تريد لأحد أن يراها هنا. بجسارة تترك الأمر للمصادفة. الدرج ينتهي قبالة باب دورة المياه مباشرة. مرةً أخيرة تداعب إريكا قضيب كلمر مداعبة عابرة تحيي آمالاً جديدة. لكنها سرعان ما تتركه. يرتعش كلمر مثل ورقة شجر في مهب الريح. لقد تخلى عن مقاومته. يتركها تنظر إليه دون أن يفعل شيئاً. بالنسبة لإريكا فإن ما تفعله هو قمة المتعة في شئون الفرجة. هذه هي مادة التفوق بالنسبة لها، وذلك بعد أن اجتازت المواد الإجبارية والمواد الفرعية دون أن ترتكب خطأ واحداً.

تقف المعلمة بلا حراك على الأرض. تمتنع بحسم عن لمس عضو الحب. خف إصغار العشق ولم تبق منه إلا آثار واهنة. لم يعد كلمر يتحدث عن المشاعر المتبادلة. بألم راح يصغر. لقد بات في عيني إريكا صغيراً إلى حد يدعو للضحك. يتقبل ذلك. من الآن فصاعداً ستتحكم بدقة فيما يفعله، في المهنة كما في وقت الفراغ. قد تمنعه من ممارسة رياضة التجديف لو

ارتكب خطأ صبيانياً سخيفاً. ستقلبه كما تقلب صفحات كتاب ممل. وربما تلقى به جانبا عما قريب. لن يُسمح له بإعادة مجدافه إلى مكانه، إلا إذا أمرت بذلك. لقد أجهضت إريكا محاولة إدخاله ولفه وإغلاق السوستة. الوقاحة تغلب كلمر الآن، لأنه يشعر بقرب النهاية. ينتبأ بأنه لن يستطيع السير على قدميه طوال ثلاثة أيام. يصور المخاوف التي ستتتابه لأن السير بالنسبة للرياضي كلمر هو التدريب الأساسي الذي لا غنى عنه. تخبره إريكا أن التعليمات ستصله. إما كتابياً، أو شفويًا، أو تليفونيا. الآن تسمح له بأن يُرجع خيارته إلى مكانها. بتصرف غريزي يدير كلمر ظهره كي يفعل ذلك، ولكن في نهاية الأمر يتحتم عليه أن يفعل كل شيء أمام عينيها. بينما تتفرج هي عليه. يفرح لحصوله على الإذن بالتحرك. يؤدي تمريناً رياضياً يستغرق ثوانى، فيقفز ملاكماً الهواء يميناً ويساراً. إنه، إذن، لم يُصب بضرر جدي. يركض في دورة المياه من طرف إلى آخر. وكلما بدا أكثر ليونة ومرحاً، ازداد تصلب المعلمة وتشنجها. للأسف الشديد انسحبت تماماً الآن إلى قوقعتها. كلمر يجد نفسه مجبراً على إدخال السرور إلى قلبها، بمداعبات وضربات على عنقها ولطومات على خدها. وها هو يعرض عليها أن تضحك قليلاً. "لا تكوني جادة هكذا أيتها المرأة الجميلة! الحياة جادة والفرن مرح. والآن إلى الهواء الطلق! هذا هو أكثر ما افتقده طوال الدقائق الطويلة الماضية، إذا أردنا

الصدق، في عمر كلمر ينسى المرء الصدمات على نحو أسرع
من إريكا بسنواتها الكثيرة.

يقفز كلمر خارجاً إلى الممر، وهناك يتدرب على العدو
لثلاثين متراً. يمرق بجانب إريكا مولداً هبات هوائية قوية، مرة
من هنا، ومرة من هناك. يخفف من ارتبائه بقهقهة مجلجلة.
ينظف أنفه بصوت كالرعد. يقسم أن المرة التالية ستكون أفضل
بالنسبة لكليهما! التمرين خير معلم، أيتها المعلمة. يضحك كلمر
عالياً، ثم يسرع ويهبط الدرج بقفزات واسعة. بكل دقة يهبط
دائماً على الدرجة العريضة عند المنحنى. يكاد الأمر يثير
الخوف. من الأسفل يتناهى إلى سمع إريكا صوت اصطفاق
بوابة المدرسة الثقيلة.

يبدو أن كلمر غادر المبنى.

ببطء تهبط إريكا كوهوت الدرج إلى الدور الأرضي.

أثناء حصة فالتر كلمر يستولي الغضب اليائس على إريكا كوهوت التي لم تعد تفهم نفسها، لأن شعوراً ما بدأ يستولي عليها. بمجرد أن لمستته، تراخى التلميذ تراخياً واضحاً في التمرين. الآن يخطئ كلمر في العزف بدون نوتة، يتعثر في التنفيذ بينما تقف اللاحبية وراء عنقه. إنه لا يعرف حتى المقام الموسيقي! دون جدوى تتصاعد نغمات إلى الهواء. العازف يبتعد درجة درجة عن مقام "لا" الكبير حيث ينبغي عليه أن يتوقف. تشعر إريكا كوهوت بحُمم خطيرة من النفايات المدببة تتدحرج في اتجاهها. بالنسبة إلى كلمر تثير هذه النفايات سروره، فهي ثقل محبب للمرأة، وإن كان هو ينوء تحت هذا الثقل. إرادته الموسيقية - التي لا تتماشى مع إمكاناته - تتسنتت. تقريباً دون أن تفتح فمها تحذره إريكا من أنه يرتكب الآن إثماً في حق شوبرت. لكي يصلح خطاه ويولد الحماسة لدى المرأة، يفكر كلمر في جبال النمسا ووديانها، في الأشياء الجميلة التي يزعمون أن هذا البلد يمتلك منها الكثير. شوبرت، هذا الممل القابع دوماً في غرفته، لم يفحص صحة هذا الزعم، إلا أنه كان يحدث ذلك. عندئذ يبدأ كلمر مرة أخرى ويعزف السوناتة العظيمة - من مقام "لا" الكبير - التي ألفها الموسيقار

الأستاذ في غمار الموضة الموسيقية السائدة آنذاك، وعلى العكس من روح الرقصات الألمانية. يقطع عزفه، لأن معلمته تتهم عليه قائلة إنه لم ير في حياته أبداً صخرة حادة الميل، أو بنراً شديدة العمق، أو جدولا جارفا كاسحا يتدفق في الوهاد، أو بحيرة في كامل بهائها وتآلقها. شوبرت يعبر عن مثل هذه التناقضات، خاصة في هذه السوناتة الفريدة، وليس عن الطبيعة النهرية الودية تحت أشعة العصر، ومع فنجان شاي الساعة الخامسة. قد يعبر عن تلك الطبيعة النهرية الموسيقار سميتانا في مقطوعته "المولداو". لكنه لا يعبر عنها من أجلها - إريكا كوهوت، قاهرة العوائق الموسيقية - بل من أجل جمهور حفلات فترة الضحى في الإذاعة النمساوية.

يغلي دم كلمر ويفور. ليس هناك من سبر أغوار الجداول الجارفة الكاسحة مثله. بينما لا تعرف معلمته إلا البقاء في الغرف المظلمة، وبجانبها أمها الطاعنة في العمر التي لا تكاد تقوم بأي نشاط خارج البيت، ولا تذهب بعيدا إلا بالبصر، وبمعاونة جهاز التليفزيون. وسواء نظرت الأم فوق الأرض أو تحتها، فإن ذلك لم يعد يمثل فرقا بالنسبة لها. تذكر إريكا كوهوت بسمات موسيقى شوبرت وقد اهتمت مشاعرها. ماؤها يفور ويمور. هذه السمات لدى شوبرت تبدأ بالصراخ وتصل إلى الهمس، وليس الكلام بصوت عالٍ إلى الكلام بصوت منخفض! بالتأكيد ليست الفوضى من نقاط قوتك يا

كلمر. إن تشبث محترف الرياضات المائية بالتقاليد أقوى من أن يجعله فوضوياً.

يتمنى فالتر كلمر أن تسمح له بطبع قبلة على عنقها. لم يسبق له أن فعل ذلك، لكنه سمع عن تأثيرها كثيراً. تتمنى إريكا أن يطبع تلميذها قبلة على عنقها، لكنها لا تتيح له الفرصة كي يفعل ذلك. تشعر بالعاطفة تصعد داخلها، ثم تصطدم في رأسها بكتل الكراهية القديمة والحديثة، لا سيما كراهية النساء اللاتي عشن عمراً أقل من إريكا، وبالتالي يصغرنها. لا تشبه عاطفة إريكا في أي وجه من الوجوه عاطفتها تجاه أمها. أما الكراهية التي تشعر بها، فإنها تشبه في كل وجوهها الكراهية المعتادة التي تشعر بها.

كي تلقي إريكا وشاحاً على مثل هذه المشاعر، تعارض علنياً وبسرعة محمومة كل ما كانت حتى الآن تتبناه موسيقياً. تقول: في عزف المقطوعة الموسيقية هناك نقطة معينة تنتهي عندها الدقة وتبدأ عدم دقة الخالق الأصلي للعمل. ليس العازف هنا خادماً، بل سيداً يستخرج من الموسيقى آخر ما عنده. لعل الألوان لم يفت بعد بالنسبة لإريكا كي تبدأ حياة جديدة. لن يضرها أن تتبنى نظريات جديدة. بسخرية راقية تقول إريكا إن كلمر وصل الآن إلى درجة كبيرة من المقدرة، تجعل من حقه أن يضع الوجدان والمشاعر إلى جانب المقدرة. ثم توجه المرأة على الفور صفة إلى وجه التلميذ قائلة إنه لا يحق لها أن تفترض ضمناً وجود المقدرة لديه. لقد انخدعت، رغم أنها

بوصفها معملة كان من المفترض أن يكون حكمها على الأمور أفضل. على كلمر أن يذهب للتجديف، ولكن عليه أن يتجنب بكل حرص روح شوبرت إذا قابله في الغابة. شوبرت، هذا الإنسان القبيح. تبتلع إريكا طبقة جديدة من الكراهية، ثم تسب التلميذ المثالي بأنه وسيم وشاب. بصعوبة بالغة تضغط على الكراهية داخلها إلى أن تصل إلى مستوى الصدر، ثم تعنف إريكا كلمر قائلة: أنت حبيس المقاييس المتوسطة التي تجعلك تتباهي بمظهرك الحسن، لذلك لا تدري الهوة التي تقترب منها، حتى عندما تسقط داخلها. أنت لا تخاطر أبدا! تقفز فوق نقر المياه حتى لا يبطل حذاؤك. إذا انقلبت مرة في الماء ووقعت على رأسك وأنت تصارع الأمواج بقاربك المطاطي - على حد فهمي لهذه الرياضة - فإن قامتك تستقيم على الفور. بل إنك ترتعب من عمق المياه، من هذه الليونة الفريدة التي يغطس فيها رأسك! تفضل أن تجدف في المياه الضحلة، هذا ما يراه المرء مرسوما على وجهك. تحوم حول الصخور وتتجنبها برفق - رفقاً بك أنت! - حتى قبل أن تراها.

تصارع إريكا لاستنشاق الهواء بصعوبة، بينما يصارع كلمر بيديه حتى يُبعد العاشقة - التي لم تصبح عاشقة بعد - عن هذا الطريق. لا تسدي طريقك إليّ بالمتاريس إلى الأبد، ينصح المرأة نصيحة ودية. من الغريب أنه - كما يبدو - يخرج أقوى مما كان عليه، سواء من صراع المبارزات الرياضية، كما من صراع الجنسين. امرأة طاعنة في السن

تتلوى وترتجف على الأرض وعلى صدغها يسيل زبد السُعار .
هذه المرأة باستطاعتها أن تسبر غور الموسيقى وكأنها تبصر
في منظار مكبر تمسك به مقلوباً، ولذلك تبدو الموسيقى بعيدة
للغاية وصغيرة للغاية. إذا اعتقدت هذه المرأة أن عليها إتمام
شيء حصلت عليه من الموسيقى، فلا يمكن إيقافها. عندئذ
تحدث بلا انقطاع.

تسهر إريكا بالظلم يفترسها افتراساً، لأن أحداً لم يحب
فرانتسل شوبرت، ذلك البدين القصير السكير. إذا نظرت إلى
التلميذ كلمر، يغمرها شعور بعدم استحالة الجمع بين النقيضين:
شوبرت والنساء. فصل مظلم من فصول كتاب الفن الداعر. لم
يتوافق شوبرت مع صورة العبقرى لدى الجماهير، لا كمؤلف
مبدع، ولا كعازف. كلمر واحدٌ من الجماهير العريضة. هذه
الجماهير تصنع صوراً، ولا تشعر بالرضا إلا إذا قابلت هذه
الصور وهي تتحرك بحرية في الطبيعة. لم يكن شوبرت يمتلك
بيانو، ما أطيب أحوالك بالمقارنة، يا سيد كلمر! يا للظلم! كلمر
ما زال على قيد الحياة لكنه لا يتدرب على نحو كاف، بينما
توفي شوبرت في ريعان شبابه. تهين إريكا كوهوت رجلاً
تتمنى أن يمنحها حبه. بغباء تمطره بوابل من الإهانات
الجارحة التي تتفجر في حلقها، ثم تنسال على لسانها. في الليل
يتورم وجهها، بينما تغط أمها بجوارها في نوم عميق مُصدرة
شخيرها دون أن تدري عن ابنتها شيئاً. في الصباح لا تستطيع
إريكا إلا بصعوبة بالغة أن ترى في المرأة عينيها اللتين

أغلقهما الورم. تبذل جهدا فائقا مع صورتها، لكن الصورة لا تتحسن. ثم يتواجه الرجل مع المرأة مرة أخرى ويبدآن نزاعا متجمدا.

في حقيبة إريكا تططق بين النوتات الموسيقية رسالة موجهة للتلميذ، تريد أن تسلمها له، ولكن بعد أن يتلقى نصيبه من التهكم. ما زال قيء غضبها يتشنج في انتظام، قانفا حممه إلى أعلى. بالتأكيد كانت موهبة شوبرت كبيرة، لأنها كانت بلا معلم يمكن مقارنته بليوبولد موتسارت مثلا، لكن شوبرت لم يكن بالأستاذ المتمكن الذي بلغ الذروة في فنه، هكذا راح كلمر يبذل جهده حتى يُخرج من بين أسنانه قطعة سجع طازجة حشاها لتوه بالأفكار. يقدمها للمعلمة على طبق من ورق مع قليل من المسطردة: إن من يعيش حياة قصيرة مثله، لا يمكن أن يصبح أستاذا متمكنا! أنا أيضا فوق العشرين ولا أستطيع سوى القليل، هذا ما ألاحظه كل يوم، يقول كلمر. ما أقل مهارات شوبرت إذن بسنواته الثلاثين! هذا الطفل اللغز، الجذاب، ابن ناظر مدرسة في فيينا! بالزهري اغتالته النساء.

النساء سيحملننا ويلقن بنا في فوهة القبر، قال الشاب مازحا وقد انقلب مزاجه، ثم راح يتحدث عن تقلب المزاج الأنثوي. مرة يسرن في هذا الاتجاه ومرة في الاتجاه المعاكس، دون قاعدة أو قانون. إريكا تقول لكلمر إنه لا يدري شيئا عن التراجيدية. إنه شاب وسيم. يتلقف كلمر العظمة القاسية التي قذفت به معلمته، ثم يعض عليها بأسنانه السليمة. قالت له أيضا

إنه لا يفقه شيئاً في تقنية التأكيد على النغمة لدى شوبرت. ليحفظنا الله من التكلف والتأنق! هذا هو رأي إريكا كوهوت. التلميذ يسبح بسرعة كبيرة مع التيار.

في أعمال شوبرت للبيانو ليس من المناسب دائماً أن يتعامل المرء بسخاء زائد مع آلات النفخ النحاسية. قبل أن تحفظ هذه القاعدة حفظاً يقضي على روح العمل يا سيد كلمر، عليك أن تحذر القراءة الخاطئة للنوتة، واستخدام البدال أكثر من اللازم. احذر أيضاً أن تستخدمه أقل من اللازم! لا تستغرق النغمة أثناء العزف كل هذا الوقت المسجل على النوتة، كما أن طول النغمة في النوتة لا يتلاءم دائماً مع المدة التي ينبغي أن تستغرقها أثناء العزف.

كهدية منها إلى التلميذ تقوم إريكا بتمرين خاص ضروري لليد اليسرى. تريد بهذا التمرين تهدئة نفسها. اليد اليسرى تخفف من المعاناة التي يسببها الرجل لها. كلمر لا يرغب في تهدئة عواطفه المشبوبة عبر الانشغال في العزف على البيانو. إنه يبحث عن صراع الأبدان والآلام، وهو صراع ستخوض إريكا هي الأخرى غماره. إنه مقتنع بأن انتصاره في هذا الصراع الشاق سيفيد منه أيضاً. بعد الجولة الأخيرة، وعند الوداع، سيتضح أن رصيده زاد، بينما نقص رصيد إريكا. من اليوم يتشوق إلى حدوث ذلك. ستشيخ إريكا عاماً، وهو سيتطور ويسبق الآخرين بعام. ينشب كلمر أظافره في شوبرت ويتشبث به. يصرخ بصوت حاد ويقول إن المعلمة فجأة،

وبطريقة تثير الدهشة، قد استدارت ١٨٠ درجة. إنها الآن تتردد
الرأي الذي تبناه كلمر دائماً، وتحديداً أن ما لا يُتوقع، ولا يُقال،
ولا يُعزف، ما لا يُنتقد، ولا يُعقل هو الشيء المفهوم. بينما هي
لا تتفك تقول: التكنيك، التكنيك، التكنيك، ثم التكنيك. هل
ضبطتك متلبسة يا أستاذة؟

تُشعر إريكا بحرارة لافحة عندما تحدث كلمر عما لا
يُعقل. لا يمكن أن يقصد بذلك سوى حبه لها. يستضيء باطنها
ويستتير ويتدفأ. من جديد تشرق شمس العواطف التي لم تُشعر
بها حتى الآن للأسف الشديد. إنه يشعر تجاهها بالشعور نفسه
الذي شعر به بالأمس وقبل الأمس! من الواضح أن كلمر
يعشقها ويعبدها عبادة. لقد باح بذلك بوحا رقيقاً. تخفض إريكا
نظرتها، ثم تهمس بنبرة ذات مغزي أنها لم تقصد سوى أن
شوبرت كان يحب التعبير عن المؤثرات الأوركسترالية بالبيانو
وحده. على العازف أن يتعرف على هذه المؤثرات، وأن يعرف
الآلات الموسيقية التي تجسدها، وعليه أن يتمكن من عزفها.
لكن - وكما سبق لي القول - بدون تكلف وتأنق. ثم تقدم إريكا
العزاء بلطف وأنثوية: لا تتعجل، أنت على الطريق!

المعلمة والتلميذ يتواجهان: رجلاً وامرأة. وبينهما نيران
الحب جداراً عالياً لا يمكن القفز فوقه. الجدار يمنع أي شخص
من تخطيه ومن أن يمتص دماء الآخر. المعلمة والتلميذ يغليان
فوق جمر الغرام والنشوق إلى مزيد من الغرام. تحت أقدامهما
تتصاعد فقاعات غازية براقية من عصيدة الثقافة الساخنة التي

يحتسيانها بجرعات صغيرة مستمتعة؛ غذائهما اليومي، بدونه لن يبقيا على قيد الحياة.

طبقة داكنة متكلسة تغلف أعوام إريكا كوهوت. لا يستطيع أحد، ولا يريد أحد نزع الغلاف عنها. هذه الطبقة لا يمكن نقشيرها. ما أكثر الفرص التي ضاعت سدى، لا سيما في شباب إريكا. علي سبيل المثال السنة الثامنة عشرة، التي يحتفل بها الناس احتفالاً خاصاً. إنها سنة واحدة، سرعان ما تمر. الآن يستمتع آخرون مكان إريكا بهذه السنة المشهورة. عمر إريكا اليوم ضعف عمر فتاة بلغت الثمانية عشرة! لا تتي تحسب وتحسب، لكن ذلك لا يقلص أبداً الفارق بين إريكا وبين فتاة في الثامنة عشرة، إلا أنه أيضاً لا يزيد الفارق. النفور الذي تشعر به إريكا تجاه كل فتاة في هذا العمر يوسع من المسافة بينهما بدون داع. تتقلب إريكا في كل ليلة على سيخ الحنق والسخط، العرق يتصبب منها، بينما ترتفع ألسنة اللهب من حب الأم. على فترات منتظمة يلقون فوقها بالرحيق الشذي المستخلص من فن الموسيقى. لا شيء يغير من هذا الفارق الذي لا يمكن التقليل منه: كبير / صغير. كما لا يمكن تغيير شيء في النوتات التي تسجل موسيقى العباقرة الراحلين. يبقى الوضع على ما هو عليه. منذ نعومة أظافرهما وإريكا جزء من نظام التسجيل الموسيقي هذا. إنها تتقن قراءة الخطوط الخمسة منذ أن استطاعت التفكير. ليس مسموحاً لها بالتفكير في شيء سوى في هذه الخطوط الخمسة السوداء. لقد حولت هذه الخطوط،

بالتعاون مع أمها، إلى شبكة متينة لا تبلى من التعليمات والأوامر والنواهي الدقيقة، ثم حزمتهامعا، وعلقتها كما يعلق الجزار فخذة لحم وردية اللون على خطاف. يمنح ذلك شعوراً بالأمان والتأكد، والتأكد يولد الخوف من الأشياء غير المؤكدة. تخشى إريكا أن يبقى كل شيء على حاله، إلا أنها تخشى أيضاً أن يتغير شيء ما. تصارع صراعاً قوياً للحصول على الهواء وكأنها تعاني أزمة ربو، ثم لا تعرف عندئذ ماذا تفعل بكل هذا الهواء. تتحسرج أنفاسها، ولا تستطيع أن تلفظ حرفاً واحداً من حلقها. يفرع كلمر فزعاً يصيب أساسات صحته التي لا تتزعزع، ويتساءل: ماذا حدث للحبيبة؟ هل أحضر كأساً من الماء؟ هكذا يتساءل بعناية وشعور طاغ بالخرج الذي يولده الحب. كلمر الفارس الشهم. تسعل المعلمة سعالاً متشنجاً. بالسعال تحرر نفسها من أشياء أكثر سوءاً. لا تستطيع التعبير عن مشاعرها شفويًا، وإنما بالعزف على البيانو فحسب.

من شنتطتها تسحب إريكا رسالة مغلقة بإحكام تحسباً لأي ظروف، وتسلمها لكلمر وفقاً للسيناريو الذي تخيلته بكل دقة آلاف المرات في منزلها. مكتوب في الرسالة ما هو الطريق الذي يجب أن يسير فيه حبّ معين. كتبت إريكا كل شيء لا تستطيع قوله. يعتقد كلمر أن الرسالة تحوي أشياء رائعة لا يمكن البوح بها، أشياء لا يمكن إلا أن تكتب وتسجل، ولذلك يتألق مثل قمر في أعالي الجبال. لكم افتقد ذلك! أخيراً، وبفضل العمل الدؤوب على عواطفه وطريقة التعبير عنها، وصل كلمر

إلى وضع سعيد يمكنه من التحدث عما يحلو له، في كل وقت، وبصوت عالٍ! نعم، لقد اكتشف أنه يترك لدى الجميع انطباعاً طيباً وطازجاً عندما يقم نفسه في كل مكان لكي يكون أول من يبوح بشيء ما. دعك من الخجل، لأنه لن يوصلك إلى شيء. شخصياً، هو على استعداد للصراخ والاعتراف بحبه، إذا تطلب الأمر ذلك. لا يتطلب الأمر ذلك لحسن الحظ، فلا أحد يريد أن يسمع اعترافاته. يتكئ كمر على مقعد السينما، مستمتعاً بالجيلاتي في يده، وهو يشاهد برضا تام صورته بالحجم فوق الطبيعي على الشاشة حيث يعرضون فيلماً عن العلاقة الشائكة بين شاب وامرأة مسنة. وفي دور ثانوي هناك أم تثير السخرية تتمنى من كل قلبها أن تقع أوروبا كلها وإنجلترا وأمريكا في أسر النغمات الحلوة التي تعزفها طفلتها منذ سنوات. تتمنى الأم بصراحة أن تتضج ابنتها الملفوفة بأربطة حبها، بدلا من أن تلعنها نار العواطف الحسية. كمر يرد على الأم ويعطيها نصيحة طيبة قائلاً إن العواطف تتضج تحت ضغط البخار بسرعة أكبر، وتحتفظ بالفيتامينات أيضا. بعد نصف عام على أكثر تقدير سيكون قد التهم إريكا بنهم، وعندئذ سيتوجه إلى المتعة التالية.

يغمر كمر يد إريكا بالقبلات الحارة، هذه اليد التي سلمته الرسالة. يقول: شكراً يا إريكا. يريد أن يهب نفسه كلية للمرأة في عطلة نهاية هذا الأسبوع. ترتعب المرأة لأن كمر يريد السطو على عطلتها، قدس أقداسها المنيع، ولذلك تسلك سلوكاً

رافضاً. تخترع حجة بسرعة لتبرر انشغالها هذا الأسبوع، وربما الأسبوع القادم، وبعد القادم أيضاً. ثم تكذب المرأة بوقاحة قائلة: يمكننا التحدث في كل وقت تليفونياً. من اتجاهين يسري التيار الكهربائي داخلها. يداعب كلمر الرسالة الغامضة مداعبة ذات مغزى، ثم يتبنى نظرية تقول إن إريكا لا يمكن أن تقصد شيئاً سيئاً، وكما قد يتبادر إلى ذهن المرء لدى سماع ما تقوله باندفاع. عليها ألا تدع الرجل يحترق بلا سبب على نيران الأشواق، هذه هي الوصية التي ينبغي عليها اتباعها.

على إريكا ألا تنسى أن السنة التي تضاف بسهولة إلى عمر كلمر، يُضاف ثلاثة أضعافها على الأقل إلى عمرها. على إريكا أن تقتنص الفرصة وألا تدعها تفلت من بين أيديها، ينصحها كلمر بإخلاص، وهو يطبق الرسالة في يده المنداة بالعرق، وباليد الأخرى يلمس معلمته برفق، وكأنها دجاجة يفكر في شرائها، لكنه يريد أن يرى السعر أولاً، ليقرر ما إذا كان يتناسب مع عمرها. لا يدري كلمر كيف للمرء أن يعرف ما إذا كانت الدجاجة المحمرة، أو تلك التي صنّع منها الحساء، شابة أم عجوزاً. لكنه يتفحص معلمته تفحصاً دقيقاً، ويدرك بالطبع أنها لم تعد زهرة شابة، إلا أنها في حالة جيدة نسبياً. يكاد المرء يصفها بالشباب، لولا نظرة عينيها الرخوة. ثم ذلك الألق الذي لن يشحب: إنها معلمته! هذا يثيره كي يجعلها تلميذته، على الأقل مرة في الأسبوع. تبتعد إريكا عن التلميذ. تسحب جسدها من أمامه وتبتعد، ولأنها تشعر بالحرج راحت

تتمخط فترة طويلة. كلمر يتراءى لها مثل منظر طبيعي. إنه يمثل الطبيعة كما تعرفت إليها وأحببتها. عما قريب سيتنزّه معها في الطبيعة، وسينعم بها مع إريكا. في الغابة، وتحت أكثر الأشجار كثافة، سيستريحان فوق الأعشاب البضة ويهتآن بالطعام الذي أحضراه معهما. هناك لن يرى أحدًا الرياضي والفنان الشاب الذي سبق له دخول منافسات عدة وهو يتمرغ مع المرأة التي أضنتها السنون والتي تتجنب أي منافسة مع نساء أصغر منها. يتنبأ كلمر بأن أكثر ما يثير في العلاقة الغرامية القادمة هو سرّيتها.

صمّنت إريكا تمامًا. لا شيء يصدر عن قلبها أو عينيها. كلمر يشعر الآن بأن اللحظة قد أنت حيث يستطيع أن يصحح بدقة كل ما ادعته المعلمة عن فرانتس شوبرت. سوف يحشر نفسه - كشخص - في النقاش. بحب وعطف سوف يعدل من وضع الصورة التي كونتها إريكا عن شوبرت، واضعاً نفسه في بؤرة الضوء. سوف تكثر من الآن النقاشات الجدلية التي سيخرج منها منتصراً، يتنبأ للحبيبة. إنه يعشق هذه المرأة، لا سيما بسبب الكنز الضخم الذي جمعه من الخبرات الموسيقية. لكن ذلك لن يخدعه على المدى البعيد، إذ إنه يعرف كل شيء أفضل منها بكثير. يثير هذا ذروة اللذة عنده. يرفع إصبعاً كي يؤكد رأياً أبداه، بينما تحاول إريكا أن تعارضه. إنه المنتصر الوقح. مخافة أن ينهال عليها بالقبلات تتحصن المرأة خلف

البيانو. في يوم ما ستنتهي الكلمات، وتنتصر المشاعر بقوة الصمود والجلد.

تتفاخر إريكا بأنها لا تعرف شيئاً اسمه المشاعر. وإذا اضطرت إلى الاعتراف بعاطفة فلن تدعها تنتصر على ذكائها. الآن يفصل البيانو الثاني أيضاً بين إريكا وكلمر، الذي يتهم رئيسته المعشوقة بالجبن. إن من يحب شخصاً مثل كلمر، لا بد أن يعلن ذلك على الملأ وبصوت عال. لكن كلمر لا يريد على أي حال أن ينتشر الخبر في أروقة الكونسرفتوار، لأنه في المعتاد يرعى على مراعي أكثر نضارة، كما أن الحب لا يسعد المرء، إلا إذا حسده الآخرون على المحبوب. معنى ذلك في هذه الحالة: الزواج لاحقاً من المستحيلات. لحسن الحظ فإن هناك والدة إريكا التي لن تسمح لها بالزواج.

يغمر كلمر شعور بالتفوق والنصر، ويهاجم رأي إريكا الأخير الخاص بسوناتات شوبرت ويمزقه تمزيقاً. تسعل إريكا، ومن الارتباك تتحرك في الغرفة مثل إنسان آلي، على نحو لم يألفه كلمر، اللين المفاصل، لدى أي شخص. تختبيء في أماكن غريبة. وفجأة يشعر كلمر بموجة من الاشمئزاز تتصاعد في أعماقه، لكنها سرعان ما تختفي في إكليل مشاعره. ربما يتناسب ذلك مع الموقف، ولكن على المرء ألا يسمح للمشاعر بأن تستولي عليه. تطقطع إريكا مفاصل أصابعها، وهو أمر لن يفيد صحتها ولا عزفها. بعناد ترسل النظر إلى زوايا بعيدة، رغم أن كلمر يطلب منها أن تنتظر إليه بحرية وصراحة، دون

خجل أو عقد، ودون استراق للنظر، على كل حال فليس هناك أحد يراقبهما.

تسمحين لي - يتفحص فالتر كلمر طريقه متشجعا بنظرتها البشعة - أن أطلب منك طلباً يتجاوز الحدود، شيئاً لم تفعله من قبل؟ وعلى الفور يطلب منها أن تثبت حبها. كخطوة أولى على طريق العشق الجديد عليها أن تفعل شيئاً لا يمكن تخيله، عليها أن تذهب معه لفورها، وأن تلغي درس آخر تلميذة في مساء اليوم. لكن عليها أن تتعلل بالغثيان أو الصداع حتى لا يتولد أي شك في نفس التلميذة يدفعها إلى أن تثرثر. لكن إريكا تتحرج من أداء هذا الواجب الهين. حصان بري دخل بحوافره أخيراً من باب الحظيرة، ويقرر البقاء في الحظيرة وعدم مغادرتها. يخبر كلمر المرأة المحبوبة كيف نفذ آخرون عن كاهلهم نير الالتزامات والعادات. كمثال من بين أمثلة كثيرة لا تحصى يذكر أوبرا "الخاتم" لفاجنر. يقدم لها الفن مثلاً لكل شيء، ومثلاً للشيء. إذا قام المرء بالفحص الدقيق للفن - هذا الفخ الملىء بالمناجل والمحشات المدببة - فسيعثر على أمثلة كافية للسلوك الفوضوي. موتسارت - الذي يصلح مثلاً لكل شيء - نفذ عن عاتقه رعاية الأسقف الأمير. إذا كان بمقدور موتسارت المحبوب من الجميع - وكلانا لا يكن له احتراماً كبيراً - أن يفعل ذلك، فبإمكانك أنت أيضاً أن تقوم بهذه الخطوة يا إريكا. كم من مرة اتفقنا في الرأي القائل إن الفنان - سواء الفنان الفاعل أو المتلقي - لا يستطيع الالتزام بأي لوائح

أو محظورات. الفنان يهرب من الضغط المرير الذي يمارسه الواقع، وكذلك من ضغط القواعد واللوائح. إنني أتعجب - وأرجو ألا تغضبي مني - كيف استطعت تحمل أمك طوال كل هذه السنين. إما أنك لست فنانة، أو أنك لا تشعرين بالنير الذي يثقل كاهلك، رغم أنك تختنقين بسببه. هكذا راح كلمر يتحدث مع معلمته بلا كلفة، مبهجاً بأن كوهوت الأم تقف لحسن الحظ مصداً بينه وبين المرأة. هذه الأم ستتكفل بالألا يختنق في حضرة هذه المرأة الطاعنة في السن! ستقدم الأم مادة لا تنفذ للحديث، وستغدو كأدغال تعيق تحقيق رغبات عديدة، لكنها من ناحية أخرى تحتفظ بابنتها دوماً في مكان ثابت، وبالتالي لن تستطيع الابنة أن تتبع كلمر إلى كل مكان يذهب إليه. أين يمكننا أن نلتقي يا إريكا على فترات منتظمة نطلق فيها لرغباتنا العنان، ولكن دون أن يعرف أحد عن أمرنا شيئاً؟ بحماسة يقترح كلمر أن يلتقيا في غرفة، في مكان ما بعيداً عن الأنظار، وإلى هناك سينقل جهاز أسطواناته القديم ومجموعة من الأسطوانات، لديه منها نسخة ثانية على كل حال. إنه يعرف ذوق إريكا الموسيقي، وهو ذوق مكرر أيضاً، لأن كلمر لديه الذوق نفسه بالضبط! لديه عدد مكرر من أسطوانات شوبان، وأسطوانة بها عدد من الأعمال الغريبة والقليلة العزف للموسيقار باديريفسكي الذي طغى شوبان عليه. ظلم باديريفسكي فلم يلتفت إليه أحد، هكذا يرى كلمر وإريكا التي أهدته هذه الأسطوانة التي كان قد اشتراها قبل ذلك. لم يعد كلمر يطيق الانتظار. يريد أن يقرأ

الرسالة أخيراً. على الإنسان أن يكتب ما لا يستطيع البوح به. وعلى الإنسان ألا يفعل ما لا يستطيع تحمل عقباه. إنني أتحرق شوقاً إلى قراءة وفهم رسالتك المؤرخة بتاريخ ٤/٢٤ يا عزيزتي إريكا. وإذا تعمدت أن أسيء فهم رسالتك، وأنا أتشوق إلى ذلك أيضاً، فإننا سنتصالح بعد أن نختلف ونتنازع. على الفور يشرع كلمر في التحدث عن نفسه، ثم عن نفسه، ثم عن نفسه. لقد كتبت له هذه الرسالة الطويلة، إذن يحق له أيضاً أن يبوح قليلاً بما يضطرم في نفسه. الوقت الذي سيتحتم عليه أن يقضيه مرغماً في قراءة الرسالة، يستطيع الآن استغلاله في الكلام، حتى لا تتقل كفة إريكا. يشرح كلمر لإريكا أن طرفين نقيضين، متطرفين، يتصارعان داخله، ألا وهما الرياضة (روح التنافس) والفن (الانتظام). تمنع إريكا التلميذ - الذي ترتعش يداه وتمتد في اتجاه الرسالة - منعاً باتاً من لمس الخطاب مجرد لمس، وتتصححه بتهكم أن يهتم بدلاً من ذلك بمدونات شوبرت الموسيقية.

غير أن كلمر يعاند. لمدة ثانية يفكر في أن يصرخ في وجه العالم مُفشيًا سره مع معلمته. لقد حدث ما حدث بينهما في المراهيض! ولأن ذلك ليس من دواعي فخره، فإنه يقرر الصمت التام. يستطيع فيما بعد أن يكذب على الأجيال القادمة، ويلوي عنق الحقائق قائلاً إنه هو الذي انتصر في الصراع. تهاجم كلمر الشكوك حول حقيقة مشاعره؛ ألن يختار الفن والرياضة إذا خيروه بين المرأة والفن والرياضة؟ ما زال يخفي

عن المرأة مثل هذه الأفكار الحمقاء. يشعر الآن أنه يفهم ماذا يعني أن يسمح لذات غريبة في اقتحام عالمه. ولكن حتى في الرياضة هناك مخاطر، لياقة اللاعب تتأرجح على سبيل المثال تأرجحاً كبيراً من يوم لآخر. هذه المرأة متقدمة في السن، لكنها ما زالت لا تعلم ماذا تريد. أنا ما زلت شاباً، لكنني أعرف دائماً ما أرغب فيه.

الرسالة تتجعد في جيب قميص كلمر. أصابعه "تأكله"، لم يعد يطيق صبراً. ثم يقرر - وهو الشخص المتقلب في شهواته - أن يختار مكاناً هادئاً في أحضان الطبيعة، ليقرأ الخطاب بهدوء حتى نهايته، مسجلاً على الفور ملاحظاته. من أجل جواب أطول من الرسالة، ربما يجلس في الحديقة المواجهة لمسرح "بورج"؟ في مقهى "بيت النخيل" سوف يطلب فنجاناً من القهوة بالحليب (ميلانش) ومعه قطعة من فطيرة التفاح. العنصران المختلفان، الفن وكوهوت، سوف يزيدان من جاذبية هذه الرسالة زيادة لا حد لها. وبينهما يقف كلمر حكماً ومعه "جونج" يقرعه، ليعلن من منهما الفائز في هذه الدورة: الطبيعة بالخارج، أم إريكا بداخله؟ يميل كلمر حيناً إلى الساخن، وأحياناً إلى البارد.

ما كاد كلمر يخرج من حجرة البيانو، وما كادت التلميذة التالية له تبدأ في التسلق الأعرج على السلم الموسيقي، حتى ادعت المعلمة "أنا لا بد أن نلغي درس اليوم، لأنني أعاني من

صداع يحطم الرأس". ترفرف التلميذة بجناحيها في الهواء كالقنبرة، وتختفي.

تتلوى إريكا بفعل مخاوف وهواجس مقينة لا تستطيع ردها. إنها الآن تحت رحمة كلمر تماماً. هل يستطيع فعلاً أن يتسلق أسواراً عالية، وأن يعبر أنهاراً كاسحة؟ هل هو مستعد لأن يخاطر في عشقه؟ لا تعرف إريكا، هل تسمح لنفسها بالاعتماد على تأكيدات كلمر الدائمة بأنه حتى الآن لم يتهيب أي مخاطرة في يوم ما، بل وكلما كانت المخاطرة أكبر، كان ذلك أحب على قلبه. إنها المرة الأولى طيلة كل هذه السنوات التي ترسل فيها إريكا تلميذة إلى بيتها خاوية الوفاض. الأم تحذرهما من الطرق المنحرفة التي تؤدي إلى التهلكة. إذا لم تلوح الأم بسلم النجاح الذي يصعد عليه المرء إلى القمة، فإنها تسهب في تصوير فظاعة شبح الهبوط إلى القاع، إذا سلك المرء سلوكاً منافياً للأخلاق. بلوغ ذروة الفن خيرٌ من التخبط في حضيض الجنس. على الفنان - وعلى عكس الرأي الشائع في هذا البلد - أن ينسى الجنس وعربدته، هكذا تعتقد الأم؛ فإذا لم يستطع، فهو إنسان عادي، وليس فناناً. لن يكون عندئذ إلهياً! للأسف الشديد تكتظ سير الفنانين - وسيرة الفنان هي أهم شيء لديه - بالملاذات الجنسية وحيل العشاق، وهو ما يولد انطباعاتاً مضللاً، وكأن حقل الجنس المغطى بطبقة من السباح هو التربة الخصبة التي لا تنمو النعمة الخالصة إلا عليها.

لقد تعثرت الطفلة فنياً ذات مرة، هكذا تتهمها الأم دوماً خلال المشاحنات، ولكن إريكا ستري أن التعثر مرة ليس شيئاً ذا بال.

تسير إريكا من الكونسرفتوار إلى البيت.

بين ساقبها كتلة رخوة فاسدة عديمة الإحساس. عفونة. قطع متحللة من بقايا مواد عضوية. هواء الربيع لا يوقظ نائماً هنا. إنها كومة متبلدة من الرغبات التافهة والأشواق المتوسطة التي تخشى أن تتحقق. رفيقا حياتها المصطفيان سوف يطوقانها مثل فكي كماشة. يحيطان بها مثل كماشة الكابوريا: الأم والتلميذ كلمر. لا يمكن أن تحصل على كليهما معا، ولكن أيضا لا يمكن أن تحصل على أحدهما بمفرده، لأنها عندئذ ستفقد الآخر على الفور. تستطيع أن تعطي تعليمات للأم، ألا تجعل كلمر يجتاز عتبة الباب إذا رن الجرس. بكل فرح ستطيع الأم، وتتفد هذا الأمر. هل عاشت إريكا بهدوء طوال هذه الأعوام من أجل هذا الشعور الفظيع بالقلق؟ تأمل ألا يجيء كلمر مساء اليوم، يمكنه أن يأتي في الغد، ولكن اليوم لا. مساء اليوم تريد إريكا أن تتفرج على فيلم قديم للمخرج لوبيتس. الأم والطفلة يتشوقان إلى هذا الفيلم منذ يوم الجمعة الماضي، أي منذ صدور المجلة التليفزيونية التي تضم برنامج الأسبوع المقبل. عائلة كوهوت تنتظر هذه المجلة على أحر من الجمر، وبتشوق يفوق انتظارها للحب الكبير الذي لا يريد أحد أن يرى وجهه في هذه العائلة.

تقدمت إريكا خطوة إلى الأمام عندما كتبت الرسالة. مسئولية هذه الخطوة لن تستطيع أن تزيحها على عاتق الأم. لا، بل وينبغي على الأم ألا تعلم إطلاقاً بهذه الخطوة صوب الفاكهة المحرمة. لقد تعودت إريكا أن تعترف أمام عين الأم فوراً بكل شيء محرم. لكن هذه العين - عين القانون - تدعي معرفة كل ما يحدث.

أثناء السير تشعر إريكا بالكرامية تجاه هذه الثمرة المسامية الزنخة التي تمثل قمة نصفها السفلي. الفن وحده يعد بحلاوة لا نهائية. تواصل إريكا سيرها. عما قريب ستتنامى هذه العفونة لتشمل مساحات كبيرة من الجسد. عندئذ يلقى المرء حتفه تحت التعذيب. مرعوبة راحت إريكا تتخيل نفسها بطولها البالغ متراً وخمساً وسبعين سنتيمتراً ترقد بلا إحساس داخل تابوت. جسد فارغ. ثم تتحلل في التربة. الفراغ الذي كانت تحتقره وتهمله، استولى عليها الآن وامتك بدنها. إنها لا شيء. ولا شيء ستحصل عليه بعد اليوم.

فالتر كلمر يسرع وراء إريكا بدون أن تلاحظه. لقد تغلب على شعور ملح يدفعه إلى أن يفتح الرسالة. قرر ألا يفعل ذلك على الفور، لأنه يرغب في الحديث مع إريكا الحية الدافئة حديثاً يضع النقاط فوق الحروف قبل أن يقرأ خطابها الخالي من الحياة. إريكا، هذه المرأة المفعمة بالحياة، أحب إلى كلمر من قطعة مية من الورق، كان على إحدى الأشجار أن تلفظ أنفاسها الأخيرة من أجل تصنيعها. هذه الرسالة أستطيع أن

أقرأها بكل هدوء فيما بعد، في البيت، يقول كلمر لنفسه. إنه يريد أن يطرق الحديد وهو ساخن. وها هي المرأة الساخنة تتحرك أمامه، تقفز، وتتوقف أمام إشارة المرور، وتنعكس صورتها على الواجهات الزجاجية للمحلات. لن يدع هذه المرأة تُلمِّي عليه متى يقرأ الرسائل ومتى يبادر بالهجوم. ليست المرأة معتادة على أن تكون مُطاردة، ولهذا لا تلتفت حواليتها. رغم ذلك عليها أن تتعلم أنها الفريسة، وأن الرجل هو الصياد. ومن الأفضل لها أن تبدأ اليوم في التعلم، وألا تؤجل ذلك إلى الغد. لم يخطر على بال إريكا أبدا أن إرادتها المسيطرة قد لا تستطيع أن تخضع كل شيء، رغم أنها تخضع على الدوام لإرادة الأم المسيطرة. لكن خضوعها للأم يجرى في عروقها مثل الدم، لذا لم تعد تلاحظ ذلك. الثقة شيء جميل، لكن الرقابة أجمل.

على البعد يلوح لحسن الحظ البيت بأبوابه المغلقة. أشعة دافئة موجهة تحيط بالمعلمة. إريكا تظهر في رادار الأم مثل نقطة ضوئية سريعة، ترفرف مثل فراشة، مثل حشرة مثبتة بدبابيس كائن أقوى منها. لا تريد إريكا أن تعرف رد فعل كلمر على الرسالة، لأنها لن ترفع سماعة التليفون. بمجرد دخولها ستكلف الأم بأن تخبر الرجل أنها غير موجودة. هذا إذا صدقت أنها تستطيع أن تأمر الأم بشيء لم تكن الأم قد أمرتها به من قبل. تستحسن الأم الخطوة التي أقدمت عليها إريكا، أنها أحكمت إغلاق ذاتها تجاه الآخرين، وأنها لا تثق إلا بالأم. تشتعل جذوة الكذب في باطن الأم، وتتوهج توهجا يسخر من

عمرها: ابنتي غير موجودة في البيت الآن، للأسف الشديد. لا أعرف متى ستعود. شرفنا مرة أخرى واتصل قريبا. شكرا جزيلًا. في مثل هذه اللحظات تشعر بأن ابنتها تنتمي إليها أكثر من المعتاد. إليها وحدها، ووحدها فقط، أما بالنسبة للآخرين كلهم فإن الطفلة غير موجودة.

الرجل المدفون تماما تحت ركام أفكار إريكا يتبع الشخص الذي يتوجه إليه بعواطفه على طول شارع "يوزف شنيدتر". في الماضي كانت هنا أكبر وأحدث دار عرض سينمائي في فيينا، الآن يحوى المبنى بنكاً. أحيانا كانت إريكا تذهب إلى هذه السينما في أحد أيام العطلات والأعياد. ولكن في معظم الأحيان، وتوفيراً للنفقات، كانت السيدتان تذهبان إلى سينما ألبرت، الأصغر والأرخص. الأب كان يظل في المنزل، وبذا يوفر المرء مبلغاً أكبر. في حالة الأب فإنه كان يوفر أيضاً البقية الباقية من عقله التي لم يكن يريد أن يفقدها في إحدى دور العرض السينمائي. لم تستدر إريكا مرة واحدة إلى الوراثة. حواسها لا تشعر بشيء، ولا تشعر حتى بالحبيب القريب منها. مع أن أفكارها تلتقي في بؤرة واحدة، هي الحبيب الذي يتضخم في عينيها ويمسي عملاقاً: فالتر كلمر.

هكذا راح الواحد منهما يمشي إثر الآخر في هدوء. شيء ما في ظهر معلمة البيانو إريكا كوهوت يدفعها إلى الأمام. إنه الرجل الذي سيستخرج منها ملاكا أو شيطاناً. يتوقف الأمر تماماً على المرأة كي تعلم الرجل أن يراعي رقة

مشاعرها. تشرع إريكا في إطلاق العنان لحواسها، أو ما يمكن أن يُطلق عليه الحواس لديها، إلا أنها لا تلاحظ خلفها التلميذ كلمر بكل حواسه العظيمة. على طريق العودة إلى المنزل لم تشتت عدداً جديداً من إحدى مجلات الموضة الأجنبية، ولم تشتت فستاناً مصوراً داخلها، أو تقليداً لفستان داخل مجلة موضة. إنها لم تلق حتى نظرة واحدة على الموديلات الربيعية التي لم يمض على عرضها في واجهات المحلات سوى أيام. النظرة الوحيدة التي تفضلت بها، في غمرة ارتباكها بسبب الجذوة الجنسية التي توهجت في أعماقها، كانت عابرة ومشتتة، ومن نصيب الصفحة الأولى من جريدة اليوم التالي - الصورة التالفة لرجل سطا على أحد البنوك اليوم، وهي صورة تظهر المجرم - الذي ارتكب جريمته للتو - في بدلة الزفاف. يبدو أن آخر صورة سمح بالتقاطها له كانت بمناسبة حفل قرانه السعيد. وبفضل الصورة، ولأنه تزوج، أصبح الآن معروفاً لدى الجميع. إريكا تتخيل كلمر عريساً، وتتخيل نفسها عروساً، وأمها أما للعروس تحيا في شقة الزوجين، لكنها لا ترى التلميذ الذي يقتفي أثرها والذي لم تتوقف عن التفكير فيه.

تعرف الأم أن طفلتها لن تظهر قبل نصف ساعة على أقل تقدير. إذا كانت الظروف مواتية. ومع ذلك تنتظرها على أحر من الجمر. لا تعرف الأم شيئاً عن إلغاء الحصة، ومع ذلك تترصد وصول الابنة التي تجد طريقها دوماً إلى الأم في الموعد المناسب. إرادة إريكا ستستكين إلى إرادة الأم مثل حمل

في أحضان الأسد. بسبب تقديم فروض الولاء والطاعة هذه، تجد إرادة الأم حرجاً في تحطيم إرادة الابنة الرخوة والرعاء، ونهش العظام التي تقطر دماً في الفك. وفجأة يفتح باب المنزل. الظلمة تفتح فاهها. الدرج ينتصب أمامها كأنه سلم يوصل إلى سماء النشرة الإخبارية وما يليها من برامج تليفزيونية. شعاع خافت لطيف يهبط من الطابق الأول بعد أن ضغطت إريكا على زر النور في الدرج. لن يفتح باب الشقة اليوم، لأن الأم لن تتعرف على خطى ابنتها التي لا تتوقع مجيئها قبل نصف ساعة على أقل تقدير. ما زالت الأم تهب نفسها بالكامل للتحضيرات الأخيرة، ومسك الختام اليوم هو شي اللحم المتبل بالبصل.

منذ نصف ساعة وفالتر كلمر لا يرى معلمته إلا من الخلف. حتى من هذا الجانب - وهو ليس الجانب المفضل لدى إريكا - سيتعرف عليها ضمن آلاف! إنه خبير بالنساء، ومن كافة الجوانب. ينظر إلى الحشية الطرية الرخوة في مؤخرتها المستقرة فوق عمودي قدميها الممتلئين. يفكر في كيفية الإمساك بهذا الجسم، وهو الرجل المتخصص الذي لا تثنيه أعطال التشغيل الصغيرة عن الوصول إلى هدفه. الشوق والتطلع يتملكان كلمر، ويختلطان بقشعريرة سرت في بدنه. لا تزال إريكا تخطو في هدوء، ولكن عما قريب ستصرخ عالياً من اللذة! وسيكون هو وحده، كلمر، مثير هذه اللذة. لم يزل هذا البدن يسير ببلاهة وبرود. كلمر وحده هو الذي سيضغط على

برنامج "الغليان" لديه. لا يشتهي كلمر هذه المرأة اشتهاً حارقاً، بل هي في الأصل لا تتثيرة. إنه لا يعلم على وجه اليقين: هل لا يشتهيها بسبب عمرها، أم بسبب شبابها الضائع؟ لكن كلمر يسير بهمة إلى هدفه، ألا وهو إيقاظ حواسها الجسدية، فقط لا غير. هو لم يعرفها حتى الآن إلا في وظيفة واحدة: كمعلمة. الآن سيستخرج منها وظائف أخرى، وسيرى إذا كانت تصلح لشيء آخر غير التعليم: كعاشقة. إذا لم تصلح، فليذهب كل إلى حال سبيله. هذه الطبقات التي لبستها بعناية، طبقات من القناعات الحديثة أو العتيقة، والأحجبة والقشور التي لا تجمعها سوى إرادتها التشكيلية الضعيفة، البشرة الملتصقة بها وفوقها الأسماك المتهرئة الملونة، كل هذا يريد بعزم وتصميم أن ينزعه عنها! إنها لا تدري شيئاً، ولكنها قريباً ستدري كيف ينبغي على المرأة أن تتزين في الحقيقية: بجمال، ولكن المهم أن يحدث ذلك بطريقة عملية، حتى لا تعوق المرأة نفسها أثناء الحركة. إنه، كلمر، لا يريد امتلاك إريكاً، بل يرغب في أن يفتح أخيراً هذه العلبة بما تحويه من عظم وجلد، هذه العلبة المزينة بحرص بمجموعة من الألوان والمنسوجات! سيكرمش الورق المغلف للعلبة، ويلقي به في سلة القمامة. هذه المرأة التي ظلت فترة طويلة منيعة داخل جيبياتها وأوشحتها الملونة، تصد الرجال وتردهم، يريد أن يهيئ هذه المرأة لاستقباله قبل أن تتعفن. لماذا تشتري مثل هذه الأشياء؟ هناك ثياب جميلة وعملية، وليست غالية الثمن! هكذا سيقول لها مُعلقاً، بينما

تشرح له هي تقنية تعليق النغمة الموسيقية لمدة معينة في أعمال باخ. يرغب كلمر في أن يرى لحمها، حتى لو بذل في ذلك جهدا عظيما. إنه يريد ببساطة أن يمتلك أخيراً ما تحت الملابس. إذا نزع قشور هذه المرأة، فلا بد أن الإنسان إريكا سيظهر للعيان بكل عيوبه التي تثير اهتمامي منذ فترة طويلة، يفكر كلمر. إن كل طبقة من الثياب متكلسة وباهتة أكثر من التي تليها. كلمر يريد خيراً ما في إريكا، النواة الصغيرة التي ربما تكون شهية. إنه يريد الجسد. يريد أن يستخدمه. لأغراضه هو. وبالإكراه إذا تطلب الأمر. الروح يعرفها الآن معرفة كافية. نعم، كلمر يصغي في حالات الشك إلى صوت جسده الذي لا يخطئ أبداً. بلغة الجسد يتحدث كلمر مع نفسه ومع الآخرين. عند المدمنين والمرضى غالباً ما يتحدث الجسد بالأكاذيب، ولكن جسد كلمر، والله الحمد، سليم تماماً، نمسك الخشب، وحصوة في عين الحسود. عند ممارسة الرياضة يقول الجسد لكلمر متى يتوقف ويكتفي، ومتى يكون لديه مخزون في التانك الاحتياطي. إلى أن يستنفد كل جهده. بعدها يشعر كلمر بنفسه في أروع حال! شيء لا يُمكن وصفه، هكذا يصور فالتر كلمر حالته بابتهاج وتحمس. يريد في أن يحقق أخيراً رغبات جسده بينما النظرات المنكسرة لمعلمته تتطلع إليه. كم انتظر هذه اللحظة! لقد مضت شهور، واكتسب بفضل الصبر والجهد حقاً ما. لقد فهم المؤشرات فهما صحيحاً: كانت إريكا في الفترة الأخيرة تتزين بطريقة ملفتة للنظر من أجل خاطر كلمر:

بالقلائد والفيونكات والأحزمة والأكمام المشمرة والأحذية ذات الكعب العالي، بالإشارات والعطور وياقات فرو يمكن نزعها، وبأساور بلاستيكية تعوقها لدى عزف البيانو. لقد تزينت هذه المرأة لرجل بعينه. لكن الرجل لديه رغبة طاغية في أن يسحق كل أدوات الزينة هذه، لأنها تتم عن ضعف ومرض، لأنه يرغب في أن يرج العلبة لاستخراج ما خبأته المرأة، البقية الباقية من جوهرها الأصيل. إنه يريد كل شيء! ولكن بدون أن يشتهيها في الحقيقة. هذا التبرج يثير لدى كلمر - الذي يحب الخطوط المستقيمة الواضحة - سُخْطاً غير مبرر. كما أن الطبيعة لا تتبرج عندما تصرخ داعية إلى اللقاح. بضعة طيور فحسب، غالباً ذكور، تتزين بريش ملون جذاب، غير أنها تظهر دائماً على هذه الصورة.

ما زال كلمر يعتقد، وهو يعدو هكذا خلف حبيبة المستقبل، أن غضبه الحائق إنما ينصب على اعتنائها البالغ بنفسها الذي يبدو متكلفاً وغير موفق. لا بد من التخلص من هذا الطلاء، ومن هذه الزينة الخارجية التي يشعر كلمر أنها تشوه منظرها تشويهاً فظاً! من أجل خاطره! سيفهم إريكا أن النظافة التامة هي وحدها الزينة التي يقبلها، لأنها تثير الراحة لا النفور. هذا إن كان لا بد من زينة. إن إريكا تثير السخرية، وهي ليست بحاجة إلى ذلك. دش مرتين في اليوم، هذا ما يفهمه كلمر من كلمة "الاعتناء بالجسد"، وهو ما يكفي أيضاً. يطالب كلمر بشعر نظيف، لأنه لا يطيق الشعر غير المغسول. حقاً إن إريكا تتزين

في المدة الأخيرة مثل فلاحه تقلد نساء المدن. حتى تنتزع إعجاب التلميذ انتزاعاً، قامت هذه المرأة في الفترة الأخيرة بنهب خزينتها من الملابس التي بقيت فترة طويلة دون استخدام. لا بد أن هذا الثوب سيأخذ عقله، وهذا أيضاً! إنها تبالغ في التأنق ووضع المساحيق، ما يثير الدهشة ويلفت الانتباه في كل مكان تذهب إليه. تمر بعملية انسلاخ وتحول. وهي لا ترتدي ثياباً من مجموعتها الضخمة فحسب، بل تشتري أيضاً ما يناسبها من أكسسوار، بالكيلو، وذلك في هيئة أحزمة وشنط وأحذية وقفازات وحلي مصطنعة على الموضة. تريد المرأة أن تخلب لبه بكل ما تستطيع، إلا أنها لا تثير بذلك سوى أخط نوازعه. كان أحرى بها أن تدع هذا النمر نائماً في سلام، حتى لا يلتهمها التهاماً. هكذا ينصحها كلمر نصيحة يقصد بها شخصه الكريم. تتخبط إريكا في سيرها كالسكرانة، وهي في كامل زيتها وعتادها، وفي كامل زينتها وسحرها. لماذا لم تكسر خزانة ملابسها قبل ذلك حتى تسرع من علاقة الحب المعقدة هذه؟ الخزانة تكتظ بأشياء رائعة جديدة دائماً! أخيراً تجرأت على كسر خزانة ملابسها الحريرية الملونة، وهي في شوق إلى تلقي نظرات إعجاب صريحة. لكنها لا تحصل على مثل هذه النظرات، وتتجاهل التهكم الصريح الذي يبديه أناس يعرفونها منذ زمن طويل والذين يفكرون بجدية في معنى التغييرات التي لحقت بمظهرها. تثير إريكا السخرية بأربطتها الجميلة المشدودة عليها كالمومياء. كل بائع يعرف أن المهم هو

الغلاف! عشر طبقات فوق بعضها البعض، توفر لها الحماية وتثير انتباه الآخرين. وربما تتناسب كل طبقة مع الأخرى! ليس هذا بالإنجاز الهين. تعنف الأم إريكا لأنها لم تشتري "تايبير" فحسب، بل أيضاً قبة جديدة علي غرار قبعات الكابوي، لها رباط من نفس قماش القبة، وبه تثبت على الذقن حتى لا تطير لدى هبوب الريح. تشتكي الأم وتصرخ بسبب المبلغ المنفق، وتتنظر بعين الارتياح إلى الطفلة المصابة بإدمان المظاهر. هذا الإدمان يستهدف بالتأكيد شخصاً بعينه، ألا وهو الأم، وهو يتوجه إلى شخص، أو تحديداً إلى جنس الرجال. هل تقصد رجلاً معيناً؟ إذن فسوف يتعرف عن قريب إلى الأم! وسيرى أكثر جوانبها صعوبة وتنفيراً للآخرين. تتحدث الأم متهمكة عن تناسق ملابس الابنة ورقي ذوقها. تقوم الأم بتسميم القشور والجلود والأغلفة والأغطية التي تضعها الابنة على بدنها بحرص وانتقاء، وترش عليها رحيق تهكمها. تسخر الأم بطريقة لا تستطيع أن تموه طويلاً دافعها الأصلي، ألا وهو الغيرة.

فالتر كلمر يسرع الخطو خلف هذا الحيوان الملتف بأبهي الأردية، والذي ليس له في الطبيعة مثيل. العدو الطبيعي لهذا الحيوان هو كلمر الذي يهدف إلى أن يجعل المعلمة تقلع بأسرع ما يمكن عن هذا التصنع غير الطبيعي. الجينز والـ "تي شيرت" يكفيان كلمر تماماً. بوابة العمارة تشير إلى داخل مظلم. ولكن هناك ينمو نبات نادر بعيداً عن الأعين. كل الألوان التي

تزدهر بالخارج، تحتضر هنا. في منتصف الدرج المؤدي إلى الطابق الأول يصطدم كلمر اصطداماً عنيفاً بإريكا. لا مجال للهرب. ليس هناك جراج، أو موقف للسيارات.

الرجل يتقابل مع المرأة، لكن ليس صدفةً. والشخص الثالث غير المرئي، الأم التي تمثل العناية الفوقية، تنتظر فوقهما دورها في الكلام. تتصح إريكا التلميذ نصيحة مخصصة جادة بأن يختفي على الفور. هي الآن على أرضها، ولذا تتمتع بالسيادة. التلميذ يعارض بجدية، رغم أنه لا يود أن يقابل الأم. يطلب منها أن يذهباً معها إلى مكان، حيث نستطيع أخيراً أن نتحدث وحدنا. يريد أن يتجاذب معها أطراف الحديث! مرعوبة تدق إريكا الأرض بقدميها، الرجل يريد أن يخترق جنتها المغلقة. ماذا ستقول الأم التي تنتظرها بوجبة عشاء لشخصين؟ بالنسبة للأم والطفلة فإن الطعام محدد سلفاً.

يمد كلمر يده للإمساك بإريكا التي توجه إليه نظرة ممتحنة لتعرف إذا ما كان قرأ الرسالة. هل قرأت الجواب يا سيد كلمر؟ وهل نحتاج إلى جوابات فيما بيننا، يتفحص كلمر المرأة المحبوبة التي تتنفس الصعداء لأنه لم يقرأ الخطاب بعد. من ناحية أخرى فهي تخشى ألا يستجيب لما طلبته في الرسالة. قبل البدء في جولات الصراع يشتبك الطرفان بحب، وقد يخطئان فيما يريد كل منهما من الآخر. سوء الفهم يتصلب كالجرانيت. لا يخطئان فيما يخص الأم التي ستتدخل بقسوة وتطرد على الفور الطرف الذي يُستغني عنه (كلمر)، أما

الطرف الآخر، الذي يمثل بهجتها في الحياة وكل ما تملك في هذه الدنيا (إريكا)، فستحتفظ به لنفسها. تتنازع إريكا رغبتان، إنها تريد أن تسير في هذا الاتجاه، وفي ذلك أيضاً، مُظهرةً بذلك أقصى درجات التردد. يتفهم كلمر ذلك، ويشعر بالفخر لأنه هو سبب تردها. سيساعدها الآن قليلاً حتى تستطيع إريكا أن تلد قراراً. برفق ينزع القبعة الكابوي عن رأس فريسته. أي نكران جميل تقابل به هذه القبعة! إنها تبرز دائماً كلافتة لطيفة تشير إلى الطريق وسط حومة المعركة، مثل نجم يرشد المجوس الثلاثة إلى يسوع الطفل. قبعة لن يتخطاها أحد دون أن يدفع نصيبه من التهكم. المرء يرى هذه القبعة ويتعكر مزاجه، مع أن المرء لا يستطيع أن يقول إن السبب في تعكر مزاجه يرجع دائماً إلى القبعة.

هنا على الدرج، ليس سوانا نحن الاثنين، نحن الآن نلعب بالنار، يقول كلمر منبهاً المرأة. كلمر يحذر إريكا من إثارة شهواته على الدوام دون أن تشبعها. ترمق إريكا الرجل الذي تطلب منه الرحيل، لأنه يريد أن يبقى هنا. المرأة تزدهر ازدهاراً داكناً داخل الورق الجميل البراق الذي يغلفها. هذه الزهرة لا تتوافق مع مناخ اللذة القاسي، وليست مهياًة للتريث طويلاً على الدرج، فالنبات بحاجة إلى الضوء، إلى الشمس. أكثر مكان مناسب لها هو بجانب أمها، أمام التليفزيون. بخلاعة تنمو إريكا الآن بعد أن نزعت عنها القبعة الجديدة. وجهها

المتورد - والذي يشير احمراره بالأحرى إلى المرض - ينتمي لكائن عثر أخيرا على أستاذه.

يشعر كلمر بعجزه عن أن يشتهي هذه المرأة، لكنه يتمنى منذ فترة طويلة أن يلجها. بأي ثمن كان! الثمن بالتأكيد كلمات حب. تعشق إريكا الشاب وتنتظر منه خلاصها. لا تصدر إريكا أي بادرة حب، حتى لا تنهزم. ترغب إريكا في إظهار ضعفها، لكنها تريد أن تحدد بنفسها كيف ستخضع للرجل. لقد كتبت له كل شيء. تريد أن يمتصها الرجل امتصاصا، وألا يبقي عليها باقية. عدم التلامس، كما التلامس الشهواني الحار، لا بد أن يحدثا تحت غطاء قبعة الكاوبوي. تريد المرأة أن تلتين تحجرا عمره سنوات طويلة، حتى لو التهمها الرجل في أثناء ذلك! هذا يتوافق مع رغبتها. تريد أن تفقد نفسها تماما مع هذا الرجل، ولكن بدون أن يلاحظ هو ذلك. ألا تلاحظ أننا هنا وحدنا تماما؟ نسأل الرجل بدون صوت تقريبا. في الأعلى تنتظر الأم. ستفتح الباب بعد لحظات. لم يفتح الباب بعد، لأن الأم ما زالت لا تتوقع قدوم الابنة.

لا تشعر الأم بطفلتها وهي تقطع القيود، فما زال هناك نصف ساعة حتى ترى طفلتها وتشعر بها وهي تقطع قيودها. إريكا وكلمر مشغولان بتحديد من منهما يحب الآخر أكثر، وبالتالي من هو الأضعف في هذا الثنائي. إريكا تتظاهر أنها هي التي تحب أقل، وذلك بسبب عمرها، فهي قد أحبت كثيرا من قبل. لذلك فإن كلمر هو الذي يحب أكثر. غير أن إريكا لا

بد أن تُحَبُّ أكثر. كلمر يحاصر إريكا الآن في الزاوية، لم يعد أمامها سوى ثقب صغير يؤدي إلى عش الدبابير في الطابق الأول. باب العش يمكن رؤيته الآن بوضوح. الدبورة العجوز تقف خلف الباب محدثة ضجيجا بأوعية الطبخ والطاسات، المرء يسمع الضجيج، ويرى خيالاً وراء نافذة المطبخ المضاءة التي ترسل ضوءها إلى الممر. يصدر كلمر أمراً. تطيع إريكا هذا الأمر. يبدو أنها تسير بسرعة شديدة تجاه فشلها، هذا هو هدفها الأخير، وهو أكثر الأهداف لطفاً. تسلم إريكا إرادتها. هذه الإرادة التي كانت حتى الآن في حوزة الأم، تسلمها مثل عصا سباق النتابع إلى فالتر كلمر. تتكى إلى الوراء وتنتظر ما سيقرره الآخرون بشأنها. صحيح أنها تستغني عن حربتها، إلا أنها تشترط شرطاً واحداً: أن تستغل إريكا كوهوت حبتها كي يتحول هذا الشاب إلى سيد لها. كلما زادت سلطته عليها، أضحي مخلوقها هي - إريكا - الذي يفعل ما تريد. سيخضع كلمر لها في عبودية كاملة، مثلاً عندما يسافران إلى رامساو، ومن هناك ينطلقان في نزعات جبلية. هناك سيعتبر نفسه السيد، سيد إريكا. ستستخدم إريكا حبتها كي تصل إلى غرضها، هذا هو الطريق الوحيد الذي يحفظ الحب من أن يزوي قبل الأوان. ينبغي أن يكون مقتنعا: هذه المرأة أسلمت قيادها لي بالكامل، وبهذا ينتقل هو إلى حيازة إريكا. هكذا تتخيل الأمور. لن تفشل إلا إذا قرأ كلمر الرسالة ورفض ما جاء بها. قرفاً أو خجلاً أو خوفاً، أياً كان الشعور الذي سيسيطر عليه. كلنا بشر، ولهذا

لسنا كاملين، تعزي إريكا الوجه الذكري الواقف أمامها الذي يريد في اللحظة نفسها أن يقبلها، هذا الوجه الذي لان حتى كاد يذوب، بفعل نظرات المعلمة. أحيانا نفشل بالفعل، وأكاد أعتقد أن هذا الفشل المبدئي هو هدفنا النهائي، تختتم إريكا كلامها، دون أن تقبله، بل ترن جرس الباب، وخلفه في اللحظة نفسها كانت تقف الأم، وعلى وجهها خليط من التوقع والغضب، من الذي يتجرأ على الإزعاج الآن، يزدهر الوجه، ثم على الفور يذبل عندما يلاحظ تابعا يكاد يلتصق بالابنة. التابع يحدد بسرعة الميناء الهدف: هنا، شقة كوهوت الأم والابنة. ها قد وصلنا. الأم تتصلب. لقد انتزعت من تحت الغطاء الدافئ انتزاعاً غير رحيم على الإطلاق، وها هي الآن تقف في قميص النوم أمام جمع غفير من الناس، يهتفون ويصيحون. الأم تسأل ابنتها بلغة النظرات التي تدربت عليها طويلاً مع ابنتها: ماذا يريد هذا الشاب الغريب هنا؟ وبالنظرة نفسها تطلب الأم أن يُبعد هذا الشاب عن هنا، لا هو قارئ "عدّاد المياه" ولا "عدّاد الكهرباء"، والمبلغ يُخصم من الحساب البنكي دون الحاجة إلى مرور محصل. تجيب الابنة أنها تريد أن تتباحث في أمر مع التلميذ، والأفضل أن تذهب معه إلى غرفتها مباشرة. تشير الأم إلى أن الابنة لا تمتلك غرفة، لأن الغرفة - التي تدعي في جنون عظمتها أنها غرفتها - هي في الحقيقة ملك الأم. في هذه الشقة، طالما هي ما زالت شقتي، فإننا نقرر كل شيء معاً، ثم تصوغ الأم في كلمات ما تم إقراره من قبل. تتصح إريكا الأم

بألا تتبعتها والتلميذ إلى الغرفة، وإلا سترى ما سيحدث لها! السيدتان تفقدان اللطف في التعامل فيما بينهما، كل منهما تصرخ في وجه الأخرى. السرور يغمر كلمر، والغضب يجتاح الأم. تلتف الأم من حدثها، وتشير بلا صوت تقريبا إلى كمية الطعام المحدودة التي تكفي شخصين يشبعان سريعا، ولن تكفي ثلاثة بينهم أكل يلتهم كثيرا. كلمر يرفض رفضا تاما: كلا، شكراً. لقد تناولت طعامي. تفقد الأم رباطة جأشها بعد أن ألقي بها على أرض الواقع القاسية. تقف هناك وترسل البصر. بإمكان أي شخص أن يحمل الأم الآن بعيدا. أي هبة ريح يمكنها أن تطيح بهذه السيدة الحيوية التي تقف في المعتاد أمام كل إعصار رافعة قبضتها وكأنها على استعداد لملاكمته، والتي تقاوم كل زخة مطر بالثياب الملائمة. تقف الأم هناك وترى التيار يجرف آمالها.

أمام الأم يمر الموكب المكون من الابنة والرجل الغريب الذي تعرفت إليه الأم معرفة سطحية، وإن كانت ذات أثر باق. يدخل الموكب حجرة الابنة. ببساطة تغمغ إريكا شيئا على سبيل الوداع، إلا أن ذلك لا يغير من الأمر شيئا: إنها تودع الأم، وليس التلميذ الذي اقتحم هذا المسكن بدون وجه حق. من الواضح أنها مؤامرة لإضعاف مكانة الأم المقدسة. تتمم الأم بصلاة إلى يسوع المسيح، ولكن لا أحد يسمعها، ولا حتى المُصلّي إليه. بلا رحمة ينغلق الباب. لا تدرك الأم ما يحدث في غرفة إريكا بين شخصين، لكنها تستطيع اكتشاف ذلك

بسهولة، لأن الغرفة - في إجراء وقائي حكيم من الأم - لا يمكن إغلاقها بالمفتاح. تتسلل الأم على أطراف أصابعها صوب غرفة الطفلة، لتعرف أي آلة تعزف هناك. ليس البيانو، لأن البيانو يتربع بفخامة في ركن الصالون. كانت الأم تظن ابنتها البراءة مجسدة، وعلى حين غرة يدفع شخص إيجاراً كي يُسمح له بين الحين والآخر بقضاء بعض الوقت مع الطفلة. مثل هذا الإيجار سترفضه الأم على كل حال باستياء. يمكنها الاستغناء عن مثل هذه الموارد المالية. سيريد هذا الفتى بالتأكيد أن يدفع الإيجار في صورة حب زائل سريع التبخر، لن يدوم طويلاً.

عندما مدت الأم يدها إلى مقبض الباب، سمعت بوضوح كيف يتم على الجانب الآخر من الباب تحريك قطعة أثاث ثقيلة من مكانها، ربما البوفيه الموروث عن الجدة، والمكدس الآن بقطع غيار حديثة الشراء مع المستلزمات الجديدة للملابس التي اشترتها الابنة حديثاً وإن كانت غير ضرورية. بالقوة يُنتزع البوفيه من مكانه الذي ترسخ فيه سنوات طويلة، ثم يُزججح. الأم المحبطة تقف أمام باب غرفة الابنة الذي يُسد عمداً أمام عينيها. تستجمع آخر ما تبقى لها من قوة وتحاول عبثاً أن تتعامل مع الباب. تركز الباب بمقدمة القدم اليمنى التي تلبس خفاً منزلياً من وبر الجمل، وهو ما يجعل المقدمة ألين من اللازم. يسري ألم في أصابع قدمها، لكن الأم لا تشعر به في غمرة انفعالها. في المطبخ بدأت رائحة الطعام تفوح. ليس

هناك يد عطوف تقلبه. لم يتعطف أحد على الأم، وتحدث معها محافظا على الشكليات. لم يقدم لها أحد أي تفسير، مع أن هذا بيت الأم، والأم هي التي تهيب البيت الجميل للابنة. تقضي الأم هنا وقتا أطول من الابنة، لأنها لا تكاد تغادر البيت. كما أن الشقة ليست ملكا للابنة وحدها، فما زالت الأم تعيش هنا، وهي تتوي الاستمرار في ذلك. مساء اليوم، وبعد أن ينصرف الزائر المزعج، استدعي الأم أمام الابنة على سبيل المزاح أنها ستتقل من الشقة إلى بيت المسنين. وعندما تطاردها الابنة بالأسئلة، ستقول إن قرارها لم يكن جديا تماما. إلى أين أذهب إذن؟ خبرات بغیضة تهاجم الأم، لتحل مكان خبرات أخرى، وتخل بموازن القوى داخل نفسها الباغضة. في المطبخ تلقي حولها بأواني الطعام نصف الناضج. تفعل ذلك بدافع الغضب، أكثر منه بدافع اليأس. ذات يوم لا بد أن تسلم الكهولة عصا السباق إلى الشباب. ترى الأم في ابنتها البذرة المسممة للصراع بين الأجيال، وهو صراع سيتم تجاوزه إذا فكرت الطفلة في المبالغ المحترمة التي تدين بها للأم. لم تعد الأم تتوقع أن تتنازل عن عرشها بعد أن بلغت هذا العمر. لقد توهمت أنها ستحافظ على مكانتها حتى النفس الأخير. إلى أن يدق جرس النهاية. ربما لن تحيا أطول من ابنتها، لكنها ستظل متفوقة على الابنة مادامت على قيد الحياة. لقد تجاوزت الابنة السن الذي يمكن أن يفاجئها فيه رجل مفاجآت غير سارة. ولكن ها هو الرجل الذي اعتقدت أن الابنة طردته من رأسها. بنجاح جعلت الابنة تتساه، ولكن

ها هو يظهر الآن، سليما معافى، كأنه ولد من جديد. ليس هذا فحسب: إنه يظهر في عشاها!

تغوص الأم في كرسي المطبخ بلا نفس. أطلال الطعام تحاصرها. لن يجمع أحد سواها كل هذه الأشياء المتناثرة. يشتت ذلك ذهنها قليلا. لن تتبادل مع إريكا كلمة واحدة أثناء التفرج على التليفزيون مساء اليوم. وإذا حدث، فستوضح لإريكا أن كل ما فعله الأم هو بدافع الحب. ستعترف الأم لإريكا بحبها، وستعذر عن أخطاء محتملة. وفي هذا السياق سوف تستشهد بالله وبرؤساء آخرين يقدرون الحب تقديرا ساميا، ولكن ليس الحب الأناني، وليس على أية حال هذا الحب الذي نبتت بذرتة في نفس الشاب كلمر. كعقاب لها لن تذكر الفيلم بكلمة طيبة أو سيئة. لن يتم اليوم تبادل الأفكار على النحو المعتاد، لأن الأم قررت ألا تفعل ذلك. سيتحتم على الابنة اليوم أن تتصاع لما ترغب فيه الأم. ولن تتحدث الابنة مع نفسها. لا نقاش، وأنت تعرفين السبب!

دون طعام تذهب الأم الآن إلى غرفة المعيشة، وتشغل الإغراء المتجسد في صورة تليفزيون ملون، متعمدة أن يكون الصوت عاليا، حتى تشعر الابنة العابسة بالندم لأنها عندما خيرت بين متعتين، اختارت المتعة الأقل. تبحث الأم عن قشة تتمسك بها، وفي النهاية تعزي نفسها قائلة إن الابنة أحضرت الرجل إلى المنزل، بدلا من الذهاب إلى مكان آخر. تخشى الأم أن يكون الجسد هو الذي يتحدث الآن خلف الباب المغلق.

تخشى الأم أن يكون الشاب قد وضع المال نصب عينيه، لا تستطيع الأم أن تتخيل هدفاً آخر لأي شخص سوى المال. حتى لو استطاع تمويه نيته بذكاء، مُدعياً أنه يرغب في الابنة. يستطيع الحصول على كل شيء، لكن ليس على المال. هكذا تقرر وزيرة المالية في هذه الأسرة. من الغد ستغير كلمة السر لدفتر التوفير. لن تكون كلمة السر "إريكا" بعد اليوم. ستعرض الابنة إلى موقف محرج للغاية عندما تذهب إلى البنك كي تمنح الشاب حق التصرف في ثروتها.

تخشى الأم ما يحدث خلف الباب، وأن تكون ابنتها لا تصغي الآن سوى إلى جسدها الذي ربما بدأ يفتتح تحت تأثير الهمسات واللمسات. ترفع درجة الصوت إلى حد لن يتحمله الجيران. ترتج جدران الشقة على صوت أبواق يوم القيامة، الذي يعلن الآن بدء النشرة الإخبارية المصورة. بعد قليل سيدق الجيران بعصا المقشاة على السقف، أو سيقفون شخصياً أمام الباب لتقديم شكواهم. تستحق إريكا ما يحدث لها، إذ إنها ستقول إن الابنة هي سبب هذه المخالفة الصوتية، وبالتالي لن تتجراً مستقبلاً على النظر في عين أحد سكان المنزل.

لا صوت من غرفة الابنة حيث تتكاثر الخلايا تكاثراً سرطانياً. لا غراب يصيح، ولا بومة تتعق، ولا رعد يدوي. تبذل الأم أقصى جهودها، لكنها لن تسمع شيئاً، حتى لو صرخت الابنة. تخفض صوت الجهاز الهادر بأخبار سيئة، وتضبطه على درجة الصوت المعتادة لتسمع ما يحدث في غرفة الابنة.

ومع ذلك لا تسمع، لأن هذا البوفيه يمتص الأقوال أيضاً، وليس فقط الأفعال والتصادمات. تخرس الأم الصوت تماماً، ومع ذلك لا شيء يتحرك خلف الباب. الأم ترفع درجة الصوت ثانية لتمويه تسللها على أطراف الأصابع إلى باب الابنة كي تنتصت. أي الأصوات ستتتاهى إلى سمع الأم بعد لحظات، أصوات اللذة، أم الألم، أم كليهما معاً؟ تلتصق الأم محارة الأذن بالباب، إنها لا تملك للأسف سماعة طبيب. لحسن الحظ فإنهما يتحدثان فقط. ولكن ماذا يقولان؟ وعن أي شيء يتحدثان؟ هل يتحدثان عن الأم؟ الأم أيضاً فقدت الآن كل اهتمامها ببرنامج التلفزيون، رغم أنها لا تمل الادعاء أمام الابنة أن لا شيء أجمل من التلفزيون في نهاية يوم عمل طويل. تتجز الابنة العمل، ولكن يُسمح للأم أن تتفرج معها على التلفزيون. زُبدة الفرجة على التلفزيون هي بالنسبة للأم تمضية الوقت مع الطفلة. الزبدة الآن ساحت واحترقت، ولم يعد للتلفزيون طعم بالنسبة للأم. إنه ممل أخرس.

تذهب الأم إلى خزانة السموم في الصالون. تشرب كأساً من الليكور، ثم عدة كنوس. تشعر بالتعب والنقل. تستلقي على الكنبه وتتجرع كنوساً أخرى من الليكور. خلف الباب تتنامى الخلايا مثل سرطان يواصل نموه رغم أن صاحبه مات وشبع موتاً. تواصل الأم تجرع الليكور.

في نزق يستجيب فالتر كلمر لرغبته في الانقضاض على إريكا كوهوت؛ ألم يجتازا مرحلة التمهيد، ووضع العقبات أمام الباب؟ لن يستطيع أحد الدخول، ولكن لن يستطيع أحد أيضا الخروج إلا بمعونته اليدوية. لقد زحزح الخزانة بقوته لتسد الباب، والمرأة الآن في حيازته، والخزانة تحمي كليهما من أخطار الخارج. يرسم كلمر لإريكا علاقة شراكة يوتوبية، مُتبلّة جيداً بعواطف الحب. يا لجمال الحب إذا استمتع به الإنسان مع الشريك المناسب! تقول إريكا إنها لا ترغب في العشق إلا بعد اجتياز مرحلة الفوضى والإباحية والتهيه. تتشرنق إريكا داخل جسدانيته، وتتسبّد مشاعرها. بتشنج تضع أمامها خزانة خجلها وصندوق ارتباكها. على كلمر أن يزحزح بالقوة الخزانة والصندوق حتى يستطيع الوصول إليها. تريد أن تكون آلة فحسب، وستعلمه أن يعزف عليها. ينبغي أن يكون حراً وهي ترسف في أغلالها. ولكن إريكا هي التي تحدد قيودها بنفسها. هي التي تقرر أن تتحول إلى شيء، إلى أداة؛ وعلى كلمر أن يقرر استخدام هذا الشيء. إريكا تجبر كلمر على قراءة الرسالة، وتتضرع إليه في قرارة نفسها أن يتجاهل مضمونها بمجرد أن يقرأها، من فضلك. حتى لو كان السبب الوحيد في ذلك أنه يشعر تجاهها بالحب الحقيقي، لا بمظاهره البراقة

الخداعة. ستبتعد إريكا عن كلمر نهائياً إذا امتنع عن استخدام العنف معها. غير أنها ستسعد في كل وقت بمحبته التي تمنعه من استخدام العنف ضد الحبيبة التي اختارها. ولكن تحت شرط استخدام العنف فقط ستسمح له بامتلاكها. عليه أن يعشق إريكا حتى الاستسلام، عندئذ ستعشقه هي حتى إنكار الذات. عندئذ سيتبادلان باستمرار أدلة موثقة على المودة والخضوع. تتوقع إريكا أن يقسم كلمر على عدم ممارسة العنف معها لأنه يحبها. ولأنها تحبه فسترفض، وتطلب منه أن يفعل معها ما نصت عليه الرسالة بالحرف الواحد.

يتطلع كلمر إلى إريكا بحب وتبجيل، وكان شخصاً آخر يتطلع إليه أثناء تطلعه إلى إريكا في تبجيل وخضوع. المشاهد غير المرئي ينظر إلى كلمر من خلف أكتافه. أما إريكا فإن المخلص المنتظر هو من ينظر خلف أكتافها. تطرح نفسها بين يدي كلمر، وترجو الخلاص عبر الثقة المطلقة. تطلب من نفسها الطاعة، ومن كلمر أن يصدر أوامر تشبع حاجتها إلى الطاعة. تضحك: الموضوع بحاجة إلى اثنين! كلمر يضحك معها. بعد ذلك يقول إننا لا نحتاج إلى تبادل رسائل، فتبادل القبلات وحده يكفي. يؤكد كلمر لعشيقة المستقبل أن بإمكانها أن تبوح له بكل شيء، بكل شيء فعلاً، وأنها ليست بحاجة إلى كتابة رسائل. بالطبع يحق للمرأة التي تعلمت عزف البيانو أن تخجل! تستطيع أن تعوض الرجل بمظهرها الجيد عن جاذبيتها الجنسية التي تذب وتذوي كلما جمعت مزيداً من العلم. يريد كلمر أن يبدأ

غزوة العشق، دون أن يراعي علامات المرور المكتوبة. ها هي الرسالة، لماذا لا يفتحها؟ تلمم إريكا بارتباك أشلاء حريرتها وإرادتها اللتين تستطيعان الآن أن تقدما استقالتهما، إذ إن الرجل لم يفهم هذه التضحية على الإطلاق. تشعر بسحر خافت ينبعث من ضعف الإرادة هذه، وهو ما يهيجها بشدة. يمزح كلمر بخفة: بعد قليل سأفقد رغبتى تماما. يهددها بأن هذا الجسد الرخو والسلبى، هذا اللحم المقعد أمام البيانو لن يثير لديه رغبة كبيرة إذا تراكمت مثل هذه العوائق بينهما. نحن الآن وحدنا، فلنبدأ! لم يعد بإمكاننا الرجوع إلى الوراء أو التماس الأعذار. عبر طرق كثيرة ملتوية استطاع الوصول أخيرا إلى هنا، إليها. تعود كلمر أن يلتهم نصيبه عن آخره، ثم يتطلع بنهم إلى المزيد. ويغرف لنفسه مرة أخرى. يخرج كلمر الرسالة بالقوة ويقول لإريكا إن على المرء أن يرغبها على سعادتها. يصور السعادة التي ستعيشها معه، مزاياه وفضائله، ولكن أيضا ضعفاته أمام الورق الميت: فهو إنسان من دم ولحم! وستشعر بهذا عن قريب، بدمها ولحمها أيضا. يلمح فالتر كلمر مهددا إلى أن بعض الرجال يملون سريعا بعض النساء. على المرأة أن تعرف كيف تقدم نفسها على نحو شهى متنوع. إريكا، التي تتقدمه بخطوة، تعرف ذلك. ولذا تحثه على قراءة الرسالة التي كتبت له فيها كيفية إطالة علاقتهما والظروف المحيطة بذلك. تقول إريكا: نعم، ولكن الرسالة أولاً. لا يستطيع كلمر سوى أن يمسك بالرسالة، إذ إنه لو تركها، لسقطت على الأرض، وبذلك

سيهين المرأة. يوزع قبلاته الحارة على إريكا، سعيداً لأنها تعقلت أخيراً، وأمست متعاونة في شئون الغرام. ومقابل ذلك سينعم عليها كلمر بمباهج العشق التي لا يُباح بها. تصدر إريكا أمرها: اقرأ الرسالة! مرغماً يترك إريكا بعد أن امتدت يده إليها، ثم يمد يده إلى المظروف ويمزقه. يتعجب مما كتبت. يقرأ فقرات بصوت عال. إذا صح هذا، فستكون النهاية سيئة بالنسبة له، وبالنسبة لها فالنهاية أسوأ، إنه يضمن ذلك. رغم أنه يبذل جهداً كبيراً للسيطرة على انفعالاته، فإنه لم يعد يستطيع أن يعتبر هذه المرأة إنساناً. لا يمكن أن يلمس أمثالها إلا بفقاز. تسحب إريكا علبة حذاء قديم، وتخرج ما ادخرته فيها. تتأرجح وهي تفكر فيما تختاره، إنها ترغب على كل حال في أن تكون مشلولة تماماً عن الحركة. ترغب في أن يحمل عنها المسؤولية عبر وسائل يستخدمها استخداماً خارجياً. تريد أن تعهد بنفسها إلى شخص، ولكن بشرطها هي. إنها تتحداه!

يشرح كلمر موقفه قائلاً إن رفض التحدي واختيار العرف السائد هو أمر غالباً ما يتطلب شجاعة. يقرأ كلمر ويتساءل عما تتوهمه هذه المرأة. هل تقصد ذلك بجد؟ يتساءل في حيرة. إن الجدية التي يواجهها مسألة حياة أو موت، جدية خبرها في خضم المياه المندفعة. هناك يجابه المرء مواقف يسيطر فيها على أخطار حقيقية.

ترجو إريكا من السيد كلمر ألا يقترب منها إلا وهي تلبس ثياباً داخلية من النايلون وجوارب، فقط لا غير! هذا يعجبها.

رغبتها الحارقة هي، يقرأ السيد المعبود كلمر، أن تعاقبني.
تريد أن يتعقبا كلمر ويعاقبها على الدوام. كلمر هو العقوبة
المتجسدة بالنسبة لها، وهي تريد أن تضع نفسها تحت طائلته.
عليه أن يستمتع وهو يقيدها تقييدا قويا عنيفا، في كل مكان،
تقييدا ماهرا، وحشيا، معذبا، فنيا، بالحبال - التي جمعتها، تقول
إريكا - وبالأحزمة الجلدية، بل وبالسلاسل (!) التي امتكلمها
أيضا. فليربطها ويكبلها ويصفدها كلما استطاع إلى ذلك سبيلا!
وفي هذه الأثناء عليه أن يركلها بركبته في بدنها ركلا عنيفا،
من فضلك.

بصوت عال يضحك كلمر مما يقرأه. إنها نكتة أن تطلب
منه أن يلكمها في معدتها بقبضته، وأن يقعد فوقها بقوة إلى أن
تتمدد هناك لوحا خشبيا لا يستطيع حراكا بسبب قيوده الوحشية
الحلوة. يقهقه كلمر لأنها غير جادة فيما تقول ولأنها أحسنت
الاختلاق. هذه المرأة تظهر الآن جانبا جديدا منها، وهي بذلك
تقيد الرجل إليها برباط قوي. إنها تريد التسلية وتتوع في
تسلياتها. فهي هنا على سبيل المثال تكتب رسالة تقول فيها:
إنني سأتلوى مثل دودة في أصفادك القاسية التي سنتركني مقيدة
بها ساعات طويلة، تضربني خلالها في كل المواضع التي
تتخيلها، وتركلني، بل وتلهب جسدي بالكرباج! تكتب إريكا في
الرسالة أنها تريد أن يسحقها سحقا، وأن يمحوها من الوجود
محوأ. إنجازاتها البورجوازية في مجال الطاعة تحتاج إلى
تصعيد! والأم ليست كل شيء، كما أن المرء لديه أم واحدة

فقط. الأم ستظل أمًا، أما الرجل فيريد أن ينجز إنجازاً يتخطى
الأم. يتساءل كلمر عما تتوهمه هذه المرأة. يريد أن يعرف
كنها. لديه انطباع بأنها لا تعرف شيئاً اسمه الخجل.
يريد كلمر أن يغادر هذه الشقة الفخ. لم يكن يعرف قبل
ذلك ما هو مُقدم عليه. كان يأمل في أشياء أفضل. المُجَدَّف يجد
نفسه هنا أمام مياه مجهولة العمق. لا يعترف لنفسه بالذي أتى
به إلى هنا، ولن يعترف أبداً للآخرين. إنه يخشى ما تريده هذه
المرأة منه. هل فهمها على نحو صحيح؟ هل سيصبح سيدها،
ولكن دون أن يسود عليها في يوم؟ إنها هي التي تحدد كل
شيء يفعله معها، وبذلك سيظل جزء ما منها مجهولاً، لا يُسبر
غوره. ما أسهل أن يتوهم العاشق أنه اقتحم أعماق المناطق لدى
العشيق، وأنه كشف كل الأسرار. تعتقد إريكا أنها بعمرها ما
زالت لديها فرصة الاختيار، بينما هو أصغر منها بكثير، ولذا
فإنه يعتقد أن من حقه أن يختار اختياراً من الدرجة الأولى،
لأنه هو درجة أولى. تطلب إريكا منه خطياً أن يقبلها جارية
له، وأنه يكلفها بواجبات. لا يرى الأمر سيئاً لو كان يقف عند
هذا الحد، لكنه أبداً لن يعاقب أحداً. ما أصعب ذلك على الشاب
السخي. هناك نقطة في عاداته الغرامية لن يتخطاها في يوم ما.
على المرء أن يعرف حدوده، وهي تبدأ حيث يشعر المرء
بالألم. ليس معنى هذا أنه غير واثق من نفسه، لكنه لا يريد.
تقول في الرسالة إنها ستتوجه إليه كتابياً أو تليفونياً، ولكن ليس

بصفة شخصية أبداً. إنها لا تجرؤ على النطق بما تفكر به! لا تجرؤ على فعل ذلك وهي تنتظر في عينيه الزرقاوين .

من الألم الداخلي يضرب كلمر يده على فخذه مسبباً لنفسه ألماً جسمانياً. إنها تريد أن تعطيه هو إرشادات! وعليه أن يطيعها فوراً! كما أنها ترجوه أن يصف دائماً بدقة ما ينوي أن يفعله معها. "وهددني بصوت عال بما سيحدث لي لو رفضت طاعتك!" يجب أن يرسم كل شيء بالتفصيل. أيضاً الخطوات التصاعديّة لا بد أن توصف بدقة وإسهاب. يسخر كلمر من إريكا مرة أخرى، ويسألها: أنت تظنين نفسك من؟ تهكمه يعني ضمناً أنها لا شيء، أو لا شيء مهماً. يتحدّث عن حدود أخرى لا يعرفها أحد سواه لأنه هو الحارس عليها: هذه الحدود تبدأ عندما يتوجب عليّ أن أفعل شيئاً ضد إرادتي، يقول كلمر ساخراً من جدية الموقف. يواصل القراءة، ولكن لمتعته الشخصية فقط. يتلو ما يقرأه، لا لشيء إلا ليُدخل الانشراح إلى نفسه: لن يتحمل أحد ما تتمناه دون أن يموت، إن أجلاً أو عاجلاً. تحصر إريكا أنواع الألم، وتسجلها على قائمة. عليّ إذن أن أعاملك على أنك مجرد شيء. أيضاً في أثناء حصّة البيانو، ولكن شريطة ألا يلاحظ الآخرون ذلك. يسألها كلمر: هل جننت؟ إذا كانت تعتقد أن الآخرين لن يلاحظوا فهي تخطئ. تخطئ خطأ عظيماً.

لا تتحدّث إريكا. إنها تكتب أن قطيع البيانو السمج قد يطلب شرحاً وتفسيراً، لكنه لن يحصل على شيء. تتجاهل

إريكا تلاميذها تجاهلا مُهينا، يعترض كلمر. لن يخرج نفسه أمام أشخاص كلهم أغبي منه. لم أكن أرجو ذلك من علاقتنا يا إريكا. يقرأ كلمر في الرسالة - التي لا يستطيع أن يأخذها على محمل الجد مهما حاول - أن عليه ألا يلبي أي رجاء لها. "إذا رجوتك يا حبيبي أن تخفف من قيودي بعض الشيء، فرفض رجائي! بذلك قد أتمكن من تحرير نفسي. لا تستجب أبدا لتضرعاتي، هذا مهم للغاية! على العكس، عندما أتضرع إليك، فتصرف وكأنك تستجيب، على أن تقوم في الحقيقة بتشديد الأصفاد وإحكام ربطها، وتضييق الحزام خرمين أو ثلاثة. كلما ضيقت أغلالي، شعرت أنا بمتعة أكبر، كما أن عليك أن تحشو فمي بقطع قديمة من النايلون - أكون أعددتها من قبل - حتى أكاد أختنق، وأن تتفنن في تكميم فمي حتى لا يخرج منه أي صوت".

يقول كلمر لا. كل شيء انتهى الآن. يسأل إريكا: هل تريدن لطفة؟ لا تعطي إريكا لنفسها ترخيصاً بالكلام. يهدد كلمر أنه إذا واصل القراءة، فلن يفعل ذلك إلا لأنه يهتم بحالة مرضية، اسمها إريكا. يقول: امرأة مثلك لا تحتاج إلى ذلك. إنها ليست قبيحة. ولا تعاني عيباً جسمانياً، باستثناء السن. كما أن أسنانها أسنان حقيقية.

مكتوب في الرسالة: "اربط بهذا الخرطوم المطاطي فمي المكتم بكل قوة - سأريك كيف - حتى لا أستطيع أن أبصق الكمامة بلساني. الخرطوم جاهز! لف رأسي جيداً من فضلك -

حتى تزيد متعتي - بإحدى بلوزاتي، واربط البلوزة على وجهي رباطاً وثيقاً ماهراً يجعلني عاجزة عن أن أتحرر منها. واتركني في هذا الوضع المؤلم ساعات طويلة أتعذب، عاجزة عن فعل أي شيء، وحيدة تماماً، مع نفسي وداخل نفسي". وأين مكافأتي في هذا الوضع؟ يمزح كلمر. يوجه لها هذا السؤال لأن عذابات الآخرين لا تسبب له المتعة. أما عذاب الرياضة الذي يرضى به طواعية، فهو شيء آخر: فلا أحد غيره يعاني عندئذ. رش الماء "السيبيري" في حمام الساونا بعد التجديف في أكثر المياه الجبلية برودة: "هذا شيء أختاره بإرادتي، وأرهق به جسدي، وهو ما يوضح لك مفهومي عن الظروف القصوى". تهكم علي وأطلق علي "الجارية الغبية" وشتائم أسوأ من ذلك، تطلب إريكاً خطياً. صف لي دائماً بصوت عال ما تفعله الآن، وصف لي الخطوات التصاعدية، ولكن دون أن تصعد بالفعل وحشيتك. تحدث عن ذلك، ولمح إلى الأفعال تلميحاً. هددني، ولكن لا تتخط الحدود أو الضفاف. يفكر كلمر في الضفاف العديدة التي تعرف إليها، ولكن امرأة كهذه لم تصادفه من قبل. لن يبحر المرء معها إلى ضفاف جديدة، أيها المجري العتيق العفن، هكذا يطلق عليها دون بهجة، وبالفكر وحده. يفيض عليها بسخريته، وإن داخلياً وبدون حرف. يرسل النظر إلى هذه المرأة التي تتمنى أن تستولي عليها اللذة حتى لا تعود تدرك من هي، ويتساءل: ومن يدرك مجاهل جنس النساء؟ إنها لا تفكر سوى في ذاتها. شكراً و عرفانا تريد المرأة أن تقبل

قدمي بعد ذلك، يكتشف الرجل الآن. تتحدث الرسالة في هذه الأمور لغة واضحة. تقترح الرسالة أشياء سرية ستحدث بينهما بعيداً عن أعين العامة. درس البيانو يقدم أرضاً خصبة ومثالية لخميرة السرية والخفاء، وللنبوغ العلني والامتياز أيضاً. يلاحظ كلمر أن الكلام يتواصل بلا نهاية على هذه النبرة. لا يستطيع أن يفهم ما يقرأه سوى على أنه شيء غريب وطريف. أريد أن أغادر هذه الغرفة بأسرع ما يمكن، هذا هو هدفه النهائي. ما يبقيه هو بالأحرى الفضول، ليرى إلى أي مدى يمكن لإنسان أن يمضي، إنسان يريد أن يمد يده ليمسك بالنجوم! كلمر، النجم الصغير المعبأ في كيس جاهز، يضيء محيطها منذ فترة. إن الكون الموسيقي واسع ورحب، ليس على المرأة سوى أن تمد يدها، لكنها تقنع بالقليل! يشعر كلمر برغبة تستولي عليه، يريد أن يركل أحداً، أن يركلها.

تتظر إريكا تجاه الرجل. لقد كانت يوماً طفلة، ولن تعود ذلك أبداً.

يسخر كلمر من ظلم الضربات التي ينالها المرء دون أن يستحق. هذه المرأة تريد أن يكفي مجرد وجودها كي تستحق أن تضرب. ما أهون ذلك. تفكر إريكا في السلام المتحركة القديمة في متاجر طفولتها. يمزح كلمر قائلاً إنه قد يفقد أحياناً السيطرة على يده، أنا لا أستطيع أن أنكر ذلك، ولكن الزائد عن الحد، لا يفيد إلا في النادر. الإفراط في العشق فقط، من فضلك. تختبره في الهوى، هذا شيء يراه الأعمى. اختبار واحد

فحسب، لترى إلى أي مدى سيسير في طريق الحب. تمتحنه في مسألة الوفاء الأبدي، وتريد أن تتأكد من ذلك قبل أن نبدأ. هكذا تفكر المرأة في كثير من الأحيان. يبدو أنها تجس النبض لتري مدى خضوعه، وقوة خفقان قلب الحبيب على أسوار جسدها المستسلم. قدرتها على الاستسلام مطلقة. القدرات تتحول إلى خبرات.

في مثل هذه الحالة يتبنى كلمر رأيا ويدافع عنه أيضاً. إنه يرى أن على الرجل أن يعد المرأة في هذه المرحلة بكل شيء، وألا يفني بشيء. ما أسرع أن يبرد حديد العواطف المتوهج، إذا تردد الحداد في الطرق عليه. فليسرع بالمطرقة عليه! الرجل يبرر ميله المتناقص إلى النموذج الأنثوي المتواجد لديه. الإفراط في العمل أنهك الرجل، والآن يتحرق شوقاً إلى الوحدة. يستقي كلمر من الرسالة أن هذه المرأة تتمنى أن يلتهمها التهاماً. بشهية منعدمة يشكر ويرفض! يعلل كلمر رفضه بأن "ما لا تريد أن يفعله الآخرون بك، لا تفعله بهم." إنه لا يحب أن يكمه أحد أو يقيده. إنني أحبك جداً، يقول كلمر، إلى درجة أنني لا أستطيع إيداعك أبداً، حتى وإن كنت تتمنين ذلك، لأن كل إنسان لا يريد أن يفعل سوى ما يتمناه. لن يطبق كلمر حرفاً مما قرأه، هذا ما عزم عليه.

من الخارج يُسمع الدوي المكتوم الصادر عن التليفزيون. هناك يهدد رجل امرأة. حلقة اليوم من المسلسل العائلي تمس شغاف قلب إريكا وتؤلمه، فالقلب اليوم متفتح ومستعد للألم.

داخل الجدران الأربعة يفتح قلبها ويزدهر على خير وجه، لأنه لا يشعر بتهديد ينبئ بالتنافس. الأم لا تتقرب منها إلا في حالة القدرات الخارقة في العزف على البيانو. تقول الأم: إريكا هي أحسن عازفة. هذا هو الحبل الذي تتصيدا به.

يقرأ كل مر جملة مكتوبة تسمح له بأن يحدد عقوبة إريكا كما يحلو له. يتساءل: لماذا لم تكتبي العقوبة أيضاً؟ بهذا السؤال يرتطم بالسفينة المصفحة إريكا. مكتوب: كان هذا مجرد اقتراح. وتعرض عليه أن تشتري سلسلة بقليلين، لن أستطيع بالتأكيد فتحهما. لا تهتم بأمي إطلاقاً، أرجوك". لكن الأم تهتم بابنتها، وتضرب الباب من الخارج. لا يكاد المرء يلاحظ ذلك بسبب الخزانة التي تستند على الباب بسنامها في صبر. تصدر الأم نباحاً، والتليفزيون ضجيجاً. في الجهاز أشكال ضئيلة محبوسة يتحكم فيها المرء تحكماً تعسفياً كلما شغل الجهاز أو أغلقه. إذا وضعنا الحياة الضئيلة في التليفزيون أمام الحياة الكبيرة الحقيقية، فإن الحياة الحقيقية تفوز، لأنها تتحكم في الصورة بمنتهى الحرية. الحياة تسير وفق برامج التليفزيون، والتليفزيون يقدم نسخة من الحياة. أشكال بتسريحات منفوخة بشعة تتبادل النظر مرعوبة، لكن الأشكال خارج الشاشة فقط يمكنها أن ترى، أما الأخرى فإنها تنظر إلى خارج الشاشة، دون أن يكون بمقدورها أن تقبل شيئاً أو أن تستقبل شيئاً.

وقفل هنا أيضاً، تزيد إريكا من مقترحاتها، أو على الأقل ترباس لهذا الباب! تستطيع أن تترك لي ذلك يا حبيبي. أريد أن تحولني إلى صندوق لا حول له ولا قوة أمامك.

يلحس كلمر شفتيه بعصبية أمام هذه السلطة المتحكمة في الآخرين. كما في التليفزيون تفتح أمامه هنا عوالم صغيرة منمنمة. لا يكاد يجد موطناً لقدميه. هذا الشكل الصغير يجول ويصول في دماغه. المرأة التي تقف أمامه تتكلمش وتأخذ حجماً مصغراً. يمكن للمرء أن يرميها مثل كرة، ولا يتلقفها. يمكن للمرء أيضاً أن يفرغ منها الهواء. عمداً تصغر نفسها، رغم أنها ليست بحاجة إلى ذلك. فهو يعترف بقدراتها ويجلبها. لم تعد تريد أن تكون هي المتفوقة، لأنها لن تجد شخصاً آخر يشعر بالتفوق عليها. تريد إريكا أن تشتري مزيداً من المستلزمات "إلى أن نكون مجموعة صغيرة من أدوات التعذيب. على هذا الأرغن الخاص سيعزف كل منا". ولكن ليس مسموحاً بأن تتجاوز نغمة واحدة من نغمات الأرغن الجدران الأربعة وأن يسمعها الناس. لا يجب أن يلفت الأمر انتباه التلاميذ، هذا هو مصدر قلق إريكا. أمام الباب تنتحب الأم بصوت خافت وغازب. في التليفزيون هناك امرأة لا يشاهدها أحد تنتحب بلا صوت تقريباً، لأن الأم خفضت درجة الصوت. تستطيع الأم أن تجعل هذه المرأة من عائلة التليفزيون تنتحب بصوت عال جداً، إلى الدرجة التي تهتز معها جدران البيت، وهي على أتم استعداد لذلك. إذا كانت أمها لا تستطيع التدخل وإزعاجهما،

فإن هذه المرأة-التقليد، بتسريحتها المجددة اصطناعياً، تلك المرأة من تكساس قادرة بالتأكيد على إحداث الإزعاج، إذا ضغط أحد على زر جهاز التشغيل عن بعد.

يبلغ بإريكا الأمر أن تقول إنها سترتكب تقصيراً ما، وبسببه تريد أن تعاقب فوراً. لن تتجز ما يُطلب منها. لن تعرف الأم بذلك، ومع هذا ستقصر إريكا في أداء واجب ما. لست بحاجة إلى الاهتمام بأمر أمي على الإطلاق، أرجوك. يستطيع فالتر كلمر فعلاً الاعتناء بأمر الأم، لكن الأم لا تستطيع بضجيج التليفزيون أن تلتفت الأنظار إلى همومها. أمك تسبب إزعاجاً كبيراً، يشكو الرجل بنبرة باكية. يسمع الآن اقتراحاً مفاده أن يشتري لإريكا شيئاً مثل مريلة المطبخ، من البلاستيك الأسود المتين أو النايلون، ثم يصنع بها ثقباً يستطيع من خلالها أن يلقي نظرة على أعضائها الجنسية. يسأل كلمر عن المكان الذي يجد فيه مثل هذه المريلة، إذا لم يكن يريد أن يسرقها أو يصنعها بنفسه. إنها لا تقدم للرجل إذن سوى ثقوب للفرجة، هذا هو آخر ما تفتقت عنه حكمتها، يقول الرجل متهكماً. هل اقتبست ذلك أيضاً من التليفزيون؟ فهناك لا يرى المرء أبداً الصورة بأكملها، وإنما مقاطع فحسب، لكن كل مقطع يمثل عالماً مستقلاً. المخرج هو الذي يحدد المقطع، وعلى رأس المشاهد أن يكمل المنظر. تكره إريكا الناس الذين لا يفكرون في أثناء الفرجة على التليفزيون. إن الفائدة التي يجنيها المرء تتعاضد عندما يتفتح لاستقبال ما يراه. الجهاز

يُورد أشياء سابقة التجهيز، والرأس يكون مستعداً بالكبسولات التي تملأ بما يُورد. يقوم الرأس - كما يحلو له - بتغيير الظروف الحياتية، وبنسج أحداث جديدة، أو ما شابه. إنه يفرق بين المحبين، أو يجمع شمل ما فرقه كاتب المسلسل. الرأس يعدل ويغير، حسبما يوافق هواه.

ترغب إريكا أن يعذبها فالتر كلمر. وكلمر لا يريد أن يعذب إريكا، ويقول: لم يكن هذا هو اتفاقنا يا إريكا. ترجوه إريكا أن يعقد، من فضلك، كافة الأربطة والحبال بكل قوة، إلى درجة أنك لا تعود قادراً على فك العقدة إلا بالكاد. لا تفكر مجرد تفكير في الرفق بي، على العكس، استخدم كل قواك في ذلك! في كل مكان من جسمي. وماذا تعرفين عن قواي، يتساءل كلمر دون أن ينتظر رداً، فهي لم تره مرة واحدة في أثناء التجديف. إنها تقدر حدود قوته تقديراً منخفضاً للغاية، ولا تدرك على الإطلاق ما يستطيع أن يفعله معها. لذا كتبت له: أتعرف أن بإمكان المرء أن يزيد التأثير إذا نعت الحبال قبلها فترة طويلة في الماء؟ من فضلك، كلما وانتني الرغبة في ذلك، ولا حرج عليك في أن تستمتع بالأمر. فاجتني يوماً ما، سوف أحده لك كتابياً، بحبال نعت في الماء فترة طويلة حتى أصبحت لينة، ولكنها تقسو وتشد عندما تجف. انتقم مني إذا خالفت أمرك! يحاول كلمر أن يصف كيف أن إريكا، الصامتة الآن، تخالف بهذا الصمت قاعدة بدائية من قواعد حسن السلوك. تعتصم إريكا بصمتها، لكنها لا تبدي انكساراً. إنها

تعتقد أنها على الطريق الصحيح، وتريد أن يحافظ جيدا على كافة مفاتيح الأقفال التي سيكبلها بها عن قريب. احذر أن تفقدها. لا تهتم بأمر أمي، بل اطلب منها كافة المفاتيح الاحتياطية، وهي كثيرة! احبسني مع أمي واقفل علينا من الخارج! أنني أنتظر من اليوم أن يباغتك أمر ملح، وأن تتركني - وهذه هي رغبتى الحارقة - راقدة، مقيدة ومكبلة بالسلاسل والحبال والأحزمة، ثم تقفل علينا باب الشقة مع أمي، التي لا تستطيع الوصول إلي خلف باب حجرتي الموصد مهما حاولت، وذلك حتى اليوم التالي. لا تهتم بأمر أمي، لأن أمي هي شأني أنا وحدي. خذ معك كافة مفاتيح الشقة والغرفة، لا تترك مفتاحاً واحداً هنا!

يتساءل كمر مرة ثانية: وماذا أستفيد من كل هذا؟ ثم يضحك. تخربش الأم الباب بأظافرهما. زعيق وصياح من التليفزيون. الباب مغلق. إريكا صامتة. الأم تضحك. كمر يهرش. صرير يصدر عن الباب. التليفزيون مغلق. وإريكا ... حتى لا أبكي ألماً وأستعطفك، احش فمي وكممه، من فضلك، بالنايلون والجوارب وما أشبهه، واستمتع بذلك. اربط هذه الكمامة بخرطوم مطاطي (يمكن الحصول عليه في المحلات المتخصصة)، ثم بمزيد من النايلون في الفم وحول الفم، إلى أن يستحيل عليّ أن أبعد الكمامة، تفنن في ذلك واستمتع بالأمر. عليك في أثناء ذلك أن ترتدي مايوها مثلث

الشكل، يظهر أكثر مما يحجب. ولا أي أحد يعرف عن ذلك حرفاً!

انعم عليّ أثناء ذلك بكلمات إنسانية وقل لي: سترين كيف سأصنع منك صندوقاً جميلاً، وكيف ستشعرين بالراحة بعد أن أتعامل معك على النحو اللائق. جاملني وقل لي إن الكمامة تتناسبني تماماً، وإنك ستتركني مكمنة على الأقل خمس أو ست ساعات، ليس أقل من ذلك على أية حال. بحبل متين قيد كعبيّ اللذين يرتديان جوارب نايلون، قيدهما بالقوة نفسها التي تقيد بها معصميّ، من فضلك، ثم اربط فخذي بالحبال - دون أن أسمح لك - واستمر في الربط حتى أعلى الفخذين، وأعلى. سنجرب. سأشرح لك كل مرة ما أود أن تفعله بي، وكما سبق لك أن فعلت بي. وهل من الممكن، إذا سمحت، أن توثقني إلى عمود وتتركني أمامك مكمنة؟ لك شكري الجزيل عندئذ. بحزام جلدي اربط ذارعيّ وثبتها إلى بدني، وضيق الحزام إلى آخر ما تستطيع. يجب أن تكون النتيجة عجزني عن أن أنتصب في وقتي.

يتساءل فالتر كلمر: نعم؟ ثم يجيب على نفسه: لك ما تريدني! إنه يتقرب إلى المرأة ويريد أن ينطوي بين ذراعيها، لكنها ليست أمه، وهي تظهر ذلك أيضاً، إذ أنها لا تحضنه كما تحتضن الابن. يداها تستقران جانبا في هدوء. الشاب ينتظر أن تظهر عواطف رقيقة، ولهذا يقترب منها برقة. يلتمس رد فعل عطوف. المتوحش وحده هو الذي يمتنع عن معاملته بعطف

وحب بعد هذه التجربة المزلزلة. إريكا كوهوت لا تدفى إريكا نفسها إلا بنفسها، ولا تهتم بأحد آخر. تفضلي، تفضلي، يغمغم التلميذ، والمعلمة تشكره بدون تهذب. كلمة الشكر تصدر عنها مثل كلمة رفض، لأنها تركته يرعى على بدنها، ولكن دون أن تبذل أي مجهود من جانبها. القراءة ليست بديلاً، يقول الرجل الذي ينهال عليها بشتائم بذيئة. ما زالت المرأة تعرض عليه الرسالة. كمر يتهمها: ليس لديك شيء آخر تقدمينه؟ هذا شيء لا يمكن الصفح عنه. لا يمكن أن يأخذ الإنسان دائماً ولا يعطي. يتطوع كمر أن يريها عالماً تجهله تماماً! إريكا لا تعطي، وإريكا لا تأخذ.

بيد أنها تهدد خطياً ألا تطيع. في حالة ما إذا كنت شاهداً على مخالفتي لأوامرك - تتصح فالتر كمر - فاضربني بقوة من فضلك على وجهي، الطمني أيضاً بظهر اليد عندما نكون وحدنا. اسألني: لماذا لا أشتكي لأمي، أو لماذا لا أرد الضرب؟ على كل حال لا بد أن تقول لي أشياء كهذه، حتى أشعر بضعفي وعدم قدرتي على المقاومة. وفي كل الحالات عليك أن تعاملني كما كتبت لك .

من الذرى التي لا أجرؤ على التفكير فيها الآن هي أن أتحداك بجدي واجتهادي فتمتطيني وتقعدي علي. من فضلك أقعد على وجهي بكل ثقلك، واحشر رأسي بين فخذيك بقوة لا تجعلني قادرة على الإتيان بأقل حركة. اذكر لي الوقت المتبقي لنا على هذا الوضع، وأكد لي: لدينا ما يكفي من الوقت! هددني

بأن تتركني على هذا الوضع ساعات، إذا لم أنفذ بدقة ما ترغب فيه. ساعات طويلة يمكنك أن تجعلني أرزح فيها تحت ثقلك! افعل ذلك حتى يسود لوني. إنني أطلب منك خطياً أن تتعم علي بالملذات والمباهج. ولن يصعب عليك أن تخمن أي ملذات ومباهج أعظم أتمناها. إنني لا أجرؤ الآن على كتابتها. مخافة أن تسقط الرسالة في أيدي غير أمنية. واصفني صفعات عنيفة مُدمية! لا تستجب لي إذا قلت: كلا. وإذا صحت، فلا تلتفت لي. ولا تكثرث إذا رجوتك. أما فيما يخص أمي: لا تنتظر إليها!

في الخارج لم يعد يصدر عن التليفزيون سوى هديل خافت. تبدأ الأم في تجرع كأس الليكور الممتلئ جرعة واحدة. إنها تبحث عن شيء يشتت ذهنها. في كل مكان تتناول العائلات طعام العشاء. في كل لحظة، وبضغطة زر، يمكن محو الناس الصغار في التليفزيون. مصائرهم تكتمل دون أن يراها أحد، وهو ما لا يستطيع قلب الأم أن يفعله. تخاطر بعين واحدة وتتابع الصور. بناء على رغبة الابنة تستطيع أن تخبرها في الغد بما حدث في المسلسل، حتى لا تجلس الطفلة في الحلقة القادمة، المريرة، وتنتظر ببلاهة وغباء في الشاشة.

يعتبر كل من نفسه الآن خارج الشهوات والملذات، وبموضوعية راح من موقعه يراقب هذا الجسد الأنثوي. بدون أن يلاحظ غلبه التأثير. غراء الشهوة يلصق كافة أفكاره المختلفة، والحلول المكتوبة بدقة بيروقراطية، والتي تفرضها

عليه إريكا، تعطيه الخطوط الرئيسية التي يسير عليها في سبيل
إشباع لذته.

إن رغبات هذه المرأة تسحبه في تيارها، أراد أم لم يرد.
صحيح أنه لم يتورط بعد، وما زال يقرأ الرغبات على الورق
فحسب. ولكن قريبا ستغيره المتعة!

تتبنى إريكا أن يشعل جسدها الشهوات في جسده، وبذا
يرغب فيها. تدعي التأكد من ذلك. كلما مضى في القراءة،
ازدادت رغبته في أن ينتهي من الأمر على خير. خطوات
الظلام تقترب، ولا أحد يشعل النور في الغرفة. ضوء الشارع
لا يكفي.

هل المكتوب هنا صحيح؟ هل عليها أن تلحس بلسانها
مؤخرته عندما يقعد فوقها؟ يشك كلمر كثيراً فيما يقرأه، ويرجع
ذلك إلى الإضاءة الضعيفة. لا يمكن أن تقصد المرأة ذلك، وهي
التي تعزف شوبان بهذه البراعة. ولكن هذا تحديداً هو ما تتمناه
المرأة من أعماق قلبها، لأنها لم تلعب في حياتها سوى شوبان
وبرامز. والآن تلتمس منه أن يغتصبها، وإن كانت تتخيل
التهديد بالاغتصاب أكثر من حدوثه. إذا لم أحرك ساكناً،
فحدثني من فضلك عن الاغتصاب، لن يحميني شيء منه مثل
الكلام عنه. ولكن حدثني دائماً بأكثر مما تفعل في الحقيقة! قل
لي مقدما إنني من اللذة سأنسى نفسي، عاملني بوحشية،
بوحشية كاملة. الوحشية والكمال، شقيقان من الصعب تربيتهما،
ولدى كل محاولة للفصل بينهما يصرخان عالياً. مثل هنزل

وغريتل في الحواديت، ولكن الأول وضعوه في فرن الساحرات. تطالب الرسالة كلمر بأن تنسى إريكا من اللذة نفسها، إذا نفذ كلمر كل النقاط في الخطاب. بلذة عليه أن يصفعها صفعات قوية كثيرة. شكراً مقدماً! وبخط لا يُقرأ مكتوب بين السطور: من فضلك لا تؤلمني.

تتمنى المرأة أن تختق بزب كلمر الصلب كالحجر، بينما هي محشورة لا تستطيع حراكا. المكتوب هنا ثمرة سنوات طويلة قضتها إريكا في التفكير الصامت. والآن فإنها تأمل أن يجعل الحب كل شيء كأن لم يحدث. ستصر على ذلك، ولكن ردا مبدئيا من الحبيب سيعوضها، فهو سيرفض. الحب يعذر ويسامح، هذا هو رأي إريكا. وهذا هو أيضاً السبب الذي يبرر أن يقذف في فمها، من فضلك، وذلك حتى يكاد ينقطع لسانها، أو أن تتقيأ. إنها تتخيل كتابياً، فقط كتابياً، أنه سيمضي في هذا الطريق إلى درجة أن يتبول عليها. رغم أنني ربما أمانع في البداية أشد الممانعة، إلى الحد الذي تسمح به قيودك. افعلها كثيراً وبغزارة فوقى، إلى أن تتلاشى ممانعتي.

الأم تضرب على البيانو ضربة صادحة، لأن الطفلة لم تضع يديها عليه بطريقة صحيحة. ذكريات عنيدة تقفز من جمجمة إريكا المكسدة. الأم نفسها تحتسي الآن كأساً من الليكور، ثم كأساً من ليكور آخر يعارضه في اللون. تلملم الأم أعضائها وترتيبها، غير أنها لا تجد على الفور هذا العضو أو

ذاك. تشرع في اتخاذ الترتيبات للذهاب إلى الفراش. لقد حان الوقت، وتأخر.

فرغ كلمر من قراءة الرسالة. لن يتعطف على إريكا ويخاطبها مباشرة، لأن هذه المرأة لا تستحق. يرفض جسده ما يقرؤه، ولذلك يرحب كلمر بجسده - شريكاً في الذنب. لقد اتصلت المرأة به من خلال خط اليد، لكنه يفتقد اللمس البسيط الذي كان سيسجل لديه عدداً أكبر من النقاط. لقد تعمدت ألا تسير على طريق اللمس الأنثوي الرقيق. ومع ذلك، يبدو أنها موافقة مبدئياً على شهواته. يمد يده إليها، لكنها لا تمد إليه يداً. يبرد ذلك عواطفه. ولذا يجيب بالصمت على رسالة المرأة. يصمت طويلاً حتى تقترح إريكا إجابة. إنها ترجوه أن يحتفظ بالرسالة في قلبه، ولكن عليه ألا يظهرها للعيان. فيما عدا ذلك استجب لعواطفك. يهز كلمر رأسه. تعارضه إريكا قائلة إنه يستجيب أيضاً للجوع وللعطش. تقول إريكا إن رقم تليفونها لديه، وأنه يستطيع أن يتصل. فكر في كل شيء بهدوء. يصمت كلمر، لا يُعقب ولا يلوم. يشعر بالعرق ينساب على يديه وقدميه، وكذلك على ظهره بأكمله. دقائق عديدة مضت. المرأة التي انتظرت رد فعل عاطفياً تشعر الآن بالإحباط، إذ إنها لا تسمع سوى السؤال نفسه للمرة العشرين: هل أنت فعلاً جادة فيما كتبت؟ أم أنها نكتة سخيفة؟ يجسد كلمر صورة الهدوء الخامل الذي يوشك أن ينفجر! لا يبدو هكذا سوى الذين في قمة شهوة التملك، ولكن قبل أن تُشبع شهوتهم. تتقصى إريكا:

أين إذن مشاعره الوفية؟ أنت زعلان مني؟ أرجو ألا تكون. تحاول إريكا أن تشن ضربة وقائية حذرة، وتقول: ليس من اللازم أن يحدث هذا اليوم. بل يمكن تأجيله إلى الغد. لكن على كل حال لدي اليوم في علبة الحذاء الحبال والأربطة التي تم إعدادها سلفاً. مجموعة كاملة. تحاشياً لاعتراض محتمل تقول إنه يمكنها بسهولة أن تشتري المزيد. يمكن، في المحلات المتخصصة، طلب سلاسل حسب المقاس. نتحدث إريكا بضع جمل تتناسب مع لون إرادتها. نتحدث كأنها في حصة البيانو. المعلمة. كلمر لا يفتح فمه، لأن المعلم وحده هو الذي يتحدث في الدرس. تأمر إريكا: "تكلم الآن!"

يبتسم كلمر ويقول مازحاً إن المرء بوسعه أن يتحدث عن ذلك! بحذر يتفرس في وجهها: هل فقدت عقلها؟ يحاول أن يتلمس الإجابة على السؤال: هل فقدت السيطرة على مشاعرها الشبقية تماماً؟

لأول مرة تخشى إريكا الآن أن يمد كلمر يده ويضربها قبل أن تبدأ علاقتهما بالفعل. متعجلة تعتذر عن اللغة العادية المستهلكة التي كتبت بها الرسالة. تريد أن تزيل توتر الأجواء. بلا قرف وبمزاج معتدل تقول إريكا إن ما يترسب عن الحب هو دائماً عادي ومستهلك.

هل تستطيع المجيء دوماً إلى شقتي، من فضلك؟ لأن بإمكانك أن تجعلني أتعب هناك من مساء الجمعة حتى مساء الأحد (!) تحت أغلاك الرهيبة الحلوة، إذا كنت جريئاً. أريد أن

أتعذب أطول مدة ممكنة في قيودك التي أتحرق إليها شوقاً ومنذ أمد طويل.

يقدم كلمر إجابة مقتضبة: ربما أستطيع ذلك. وبعد برهة يضيف أنه الآن جاد تماماً فيما يقول: لا يمكن أن أفعل ذلك! تتمنى إريكا أن يقبلها الآن قبلة حارة، وألا يضربها. تنتبأ بأن فعل الحب سيجعل أشياء كثيرة تعود إلى مجاريها، رغم أن ذلك يبدو الآن مستحيلاً. قل لي كلمة حب وانس الرسالة، ترجوه بصوت غير مسموع. تأمل إريكا أن تكون قد وجدت فارسها، وتأمل أيضاً أن يتعامل الفارس مع الأمر بالكتمان والسرية. لدى إريكا خوف هائل من الضرب. لذا تقترح التراسل. ولن يكلفنا ذلك حتى طابع البريد. تتباهى بأن الرسائل القادمة قد تكون أكثر فجوراً من هذه. لم تكن هذه الرسالة سوى البداية. هل يسمح لها بكتابة رسالة أخرى؟ قد يكون الأمر أفضل هذه المرة. تتشوق المرأة أن يقبلها قبلة عنيفة، لا أن يضربها. يمكنه أن يؤلمها بقبلاته، ولكن عليه ألا يضربها. يجيب كلمر: لا عليك. يكثر من كلمة: شكراً، والعفو العفو. يتحدث بلا نبرة تقريباً.

تعرف إريكا هذه النبرة من الأم. لعل كلمر لن يضربني، تفكر بخوف. تؤكد أن بإمكانه أن يفعل كل شيء، تؤكد: كل شيء، طالما يسبب ألماً. ما أكثر ما تتشوق إليه! على كلمر أن يسامحها لأنها - - هكذا تعتقد - - لم تكتب رسالة جميلة. تأمل ألا يضربها فجأة. تبوح للرجل بأنها تشعر بهذا الشوق إلى

الضرب منذ سنوات طويلة. وتعتقد أنها وجدت أخيراً السيد الذي تتحرق إليه.

يدفعها الخوف إلى أن تتحدث عن شيء آخر تماماً. يرد كلمر: شكراً، ماشي الحال. تسمح إريكا لكلمر بأنه من اليوم يستطيع أن يختار لها ما تلبس. بمقدوره أن يعاقبها عقاباً شديداً إذا خالفت اللوائح التي يضعها بخصوص الملابس. تفتح إريكا الخزانة الكبيرة ليرى مجموعة مختارة من ثيابها. تنتزع قطعاً عديدة من الشماعة، وتعلق قطعاً أخرى تعرضها عليه. تأمل أن يقدر هذه المجموعة الأنيقة الملونة حق قدرها. ويمكنني بالطبع أن أشتري شيئاً يثير إعجابك! النقود لا تلعب دوراً. وبالنسبة لأمي فأنا الثروة التي تقتر في إنفاقها. إذن، لا تهتم بأمر أمي على الإطلاق. ما هو لونك المفضل يا فالتر؟ ما كتبت لك لا يمكن أن يكون مزاحاً، تقول وتتكمش فجأة بخضوع أمام يديه. لن تزعل مني، هه؟ إذا طلبت منك أن تهديني بضعة أسطر، هل تفعل؟ هل تكتب لي رأيك فيما قرأته؟

يقول كلمر: "سلام". تتكمش إريكا أمله أن تكون يده الهابطة عليها عطوفاً وليست ساحقة. من الغد سأجعلهم يركبون قفلاً في هذا الباب. عندئذ ستقدم إريكا لكلمر المفتاح الوحيد للباب. فكر كم سيكون الأمر جميلاً. كلمر يلوذ بالصمت أمام الاقتراح، وإريكا تكاد تتحرق شوقاً إلى رد حنون. قد يكون رد فعله لطيفاً، فهي تعرض عليه الدخول إليها في كل وقت. سيان متى. كلمر لا يُصدر أي رد فعل يتجاوز التنفس.

تقسم إريكا بأنها ستفعل كل ما يكتبه كلمر. لكنها تؤكد:
المكتوب ليس قانونا! والتأجيل لا يعني الإلغاء. يضغط كلمر
على زر النور. إنه لا يتحدث، ولا يضرب. تجس النبض لترى
هل يسمح لها بأن تكتب له قريبا ما تريد. هل تأذني لي بأن
أرد عليك بريديا، لو سمحت؟ لا يوضح كلمر: على أي شيء
يريد الرد؟

ثم يقول فالتر كلمر: انتظري! يرفع صوته فوق درجة
صوت إريكا الذي يحتضر مرعوبا. على سبيل التجربة يرميها
بكلمة سباب، على الأقل لم يضربها! يذكر اسم إريكا كاملا،
ويضيف إليه صفة "عجوز". تعرف إريكا أنها لا بد أن تكون
مستعدة لردود أفعال مثل هذه، لذا تحمي وجهها بذراعيها. ثم
تبعد ذراعيها، إذا كان لا بد أن يضربني الآن، فليفضل!
يتصاعد غضب كلمر ويقول إنه لن يلمسها ولا حتى بكماشة.
يقسم أن الحب كان موجودا قبل قليل، إلا أنه مضى وانصرف.
وعن نفسه، فإنه لن يذهب للبحث عنه. إن بدنه يقشع منها.
كيف لها أن تتجراً على مثل هذه الاقتراحات! تضع إريكا
رأسها الآن بين ركبتيها، مثلما يفعل المرء كي ينقذ نفسه من
الموت أثناء تحطم طائرة. تريد أن تنقذ نفسها من لطمات كلمر
وصفعاته التي من المحتمل ألا تقضي عليها وأن تواصل حياتها
بعدها. إنه لا يضربها، وكما يذكر، لأنه لا يريد أن يوسخ يديه
إذا لمسها. يرمي بالرسالة ناحية المرأة قاصداً أن يصيب
وجهها. لكنه لا يصيب إلا مؤخرة رأسها المنحني. تهبط

الرسالة فوق رأسها كالثلج. العشاق لا يحتاجون إلى الرسائل
كوسيط، يتهم كمر على المرأة. في حالات الخيانة فقط ينتحل
المرء أعداءا مكتوبة.

تتجر إريكا في جلستها على كنبتها. قدماها متلاصقتان
في حذائهما الجديد. كل يد تستند على إحدى ركبتيها. بلا أمل
تنتظر من كمر أن يصيبه شيء شبيه بنوبة عشق. تشعر بأن
هذا الحب يخبو نهائيا، وينطفئ! ولكنها تتمنى أن يكون حبه ما
زال مشتعلًا. ما زال موجودا هنا، وما زال الأمل قائما. على
الأقل تتوقع أن ينهال عليها بالقبلات الحارة، من فضلك. يجيب
كمر على السؤال: لا، شكراً. تتحرق إلى أن يمارس معها
الحب بالمقاييس النمسوية، بدلا من أن يعذبها. إذا صرعه
الشوق إلى جسدها، فسوف تصده قائلة: إما بشروطي، وإلا فلا.
تتوقع من التلميذ الغر أن يعيد محاولة التقرب منها، بالفم
واليد. توضح له ذلك. توضح له ذلك.

يجلسان متقابلين. الخلاص قريب بالحب، لكن الحجر على
فوهة القبر ثقيل⁽¹²⁾. كمر ليس ملاكا، والنساء أيضا لسن
ملائكة. دحرجة الحجر. إريكا قاسية مع فالتر كمر فيما يتعلق
برغباتها التي كتبتها له جميعا. إذا غضضنا النظر عن الرسالة

(16) في هذه العبارة والعبارات التالية إشارة إلى قيام السيد المسيح
(المخلص) من الأموات، كما جاءت في الأناجيل، حيث كانت بعض النسوة
تقف أمام قبر المسيح، فجاء ملاك ودحرج حجر القبر الثقيل. (المترجم)

فهي بلا رغبات. شكرا، رائع! لم الكلام إذن؟ يتساءل كلمر.
على الأقل لا ينهال عليها ضرباً.

يحتضن كلمر البوفيه الجامد بكل ما أوتي من قوة،
ويزحزحه مليمترات في اتجاه بدنه دون أن تساعد إريك.
يوصل الزحزحة إلى أن يفتح ممر ضيق، يُمكنه من أن يفتح
الباب. لم يعد لدينا ما نقوله بعد الآن، هذا ما لم يقله كلمر.
بدون تحية يخرج ويصفق باب الثقة خلفه. وعلى الفور
ينصرف.

تشخر الأم - شخيراً صاخباً - تحت تأثير الاستهلاك غير المألوف للكحول المخصص للضيوف الذين لا يأتون أبداً. قبل سنوات كثيرة قادتها هي أيضاً الشهوة، وكانت كذلك فوق هذا السرير، إلى الأمومة المقدسة، ثم أنهيت الشهوة على الفور بعد بلوغ الهدف. دفقة واحدة قتلت الشهوة وخلقت مكاناً لابنة؛ وبذا ضرب الأب عصفورين بحجر واحد. ثم ضرب نفسه أيضاً حتى الموت. بسبب كسله وذهنه الضعيف لم يكن بمقدوره أن يقدر عواقب هذا الإنزال. تنتقل إريكا في نصف السرير التابع لها، أما الوالد فينتقل في قبره تحت الأرض. لم تغتسل إريكا ولم تنظف أي شيء آخر. تفوح رائحة عرقها القوية كحيوان ضار في قفص، حيث تتكاثر رائحة العرق وتبقى عالقة في الجو لأن القفص أصغر من اللازم. إذا أراد حيوان أن يستدير، فلا بد على الآخر أن يلتصق بالجدار. ترقد إريكا غارقة في عرقها بجانب أمها دون أن يغمض لها جفن.

بعد مرور ساعتين على رقاد إريكا في رحيقها، دون نوم ودون أن تمر برأسها أي فكرة، استيقظت الأم بغتة. لا بد أن إحدى أفكار الابنة قد أيقظتها، إذ إن الطفلة لم تحرك ساكناً. على الفور تتذكر الأم من أي شيء كانت تهرب في المساء مستخدمة الليكور. تسرع الأم إلى الطفلة وقد استيقظت

حواسها، وبرقت الأفكار في رأسها، ثم راحت توجه إليها اتهامات جسيمة، مقترنة بتهديد خطير ضد الحق الأذى ببدنها. أعقب ذلك كتل من الحصى والدبش تكتظ بأسئلة تبحث عن أجوبة، دون ترتيب تبعا لأهميتها أو درجة إلحاحها. ولأن إريكا تصمت، تسيح الأم بوجهها شاعرة بالإهانة. تفسر هذا الشعور على أنه اشمزاز من الابنة. ولكن سرعان ما تستدير الأم من جديد إلى الابنة، ثم تطلق نسخة صوتية ثانية من التهديد، أقوى هذه المرة. لا تزال إريكا تصر بأسنانها، بينما تواصل الأم توجيه لعناتها وشتائمها. يتصاعد صراخ الأم وهي تطلق الاتهامات العنيفة، ثم ما تلبث أن تفقد السيطرة على اتهاماتها. ترضخ الأم إلى تأثير الكحول الذي ما زال يسرح في عروقها ويمرح. ليكور البيض غدار. وبراندي الشيكولاتة ليس أقل منه غدرا.

تشن إريكا هجمة عاطفية متوسطة القوة، فالأم تفكر بالفعل في عواقب بعيدة المدى فيما يتعلق بحياتهما المشتركة، وهو ما يصيب الأم خصوصا بالفرع. مثلا: سرير خاص لإريكا! تترك إريكا المحاولة العاطفية تجرفها، فترمي بنفسها فوق الأم، وتغطي كل جسدها بالقبلات. تقبل الأم كما لم تفعل أو حتى تفكر منذ سنوات. تهاجم الأم عند الكتفين بعنف، والأم تضرب غاضبة فيما حولها، لكنها لا تصيب أحدا. تقبل إريكا أمها في منتصف الكتفين، دون أن تصيب هي الأخرى دائما، إذ إن الأم تلقي برأسها إلى الجانب الذي لا يقبل في تلك

اللحظة. وجه الأم في شبه العتمة ليس إلا بقعة فاتحة اللون، محاط بشعر أشقر مصطنع، يساعد إريكا على معرفة الاتجاه الصحيح. تنهال الابنة بالقبلات العشوائية على هذه البقعة الفاتحة اللون. من هذا اللحم تكونت هي! من هذا الرحم الرخو. تضغط إريكا بفمها المبلول عدة مرات في وجه الأم، مثبتة الأم بذراعين من حديد، حتى لا تستطيع المقاومة. في البداية ترقد إريكا على نصف الأم، ثم على ثلاثة أرباعها، لأن الأخيرة بدأت بكل جدية تضرب حولها، باحثة عن هدف تصيبه بذراعيها. ما بين فم إريكا المدبب يمينا، وفم إريكا المدبب يسارا، يحاول فم الأم بضربات رأس محمومة أن يبحث عن مهرب. تطوح الأم رأسها بضراوة كي تهرب من القبلات. كما يحدث في صراع العشاق. وليس بلوغ ذروة اللذة هو الهدف، بل الأم في حد ذاتها، شخص الأم. وهذه الأم بدأت الآن كفاحا حاسما. دون جدوى لأن إريكا أقوى. أنها تلتف حول الأم العجوز مثل اللبلاب على منزل قديم. لكن الأم بالتأكيد ليست بيتا مريحا. تمص إريكا وتقرض في هذا البدن الكبير، وكأنها تريد أن تزحف عائدة إلى الداخل، لتختبئ هناك. تعترف إريكا بحبها للأم، والأم تصرخ بعكس ذلك. تقول إنها تحب طفلتها أيضا، ولكن على الطفلة أن تتوقف حالا! كفى! لا تستطيع الأم أن تصد هذا الإعصار العاطفي الذي يهب عليها من ناحية إريكا، غير أن الأمر يلاقي هوى في نفسها. تشعر فجأة بمن يخطب ودها. إن شعور المرء بارتفاع قيمته شرط أساسي في

الحب، فهناك شخص يفضلنا ويميزنا. تعض إريكا الأم عضات قوية. تبدأ الأم في صد إريكا بالضرب. كلما زادت قبلات إريكا، اشتد عنف ضربات الأم، أولاً لتحمي نفسها، وثانياً كي تصد الابنة التي يبدو أنها فقدت السيطرة على نفسها، رغم أنها لم تشرب شيئاً. تزار الأم بنبرات مختلفة: خلاص، كفاية! تقاوم الأم مقاومة مستميتة. دون أن تأبه لها توزع إريكا قبلاتها بسرعة البرق على جسد الأم هنا وهناك. ولأن رد الفعل المطلوب لا يصدر عن الأم، فإن إريكا تشرع في ضربها، وإن بخفة، طالبةً منها أن ترد. تضرب الأم طالبة، لا معاقبة، غير أن الأم تسيء فهم ذلك على أنه فعل شرير، لذا تهدد ابنتها وتشتتها. الأم والابنة تبادلا الأدوار، فالضرب دائما من حق الأم لأن الأخيرة تستطيع أن ترى كل شيء من مكانها بالأعلى، وأن ترسل النظر إلى الطفلة بالأسفل. تعتقد الأم أن عليها أن تصد بكل حزم الهجمات شبه الجنسية الصادرة من برعم رحمها، لذا لا تتي توجه الصفعات عشوائياً حولها في الظلام.

تبعد الابنة يدي الأم عنوة، وتقبلها على العنق بقصد جنسي غير واضح، يالها من عاشقة غير مدربة وغريبة الأطوار. الأم، التي لم تستمتع هي أيضاً بتدريب راق في أمور العشق، تستخدم تكتيكاً خاطئاً وترفس كل ما حولها، وهو ما يؤدي إلى إنهاك اللحم العجوز إنهاكا مضمناً. لا تنتظر الابنة إليها كام، وإنما فقط إلى لحمها. بأسنانها ترعى إريكا الآن على لحم الأم. تنهال عليها بالقبلات. تقبل الأم بضراوة. تعلن الأم أن ما تفعله

الابنة التي فقدت السيطرة على نفسها مع أمها قلة أدب. لا يجدي ذلك نفعا. لم يقبل أحد الأم هكذا منذ عشرات السنين، والقبلات في ازدياد! لأن الابنة تواصل بعنف قبلاتها، إلى أن تظل راقدة فوق الأم منهكة القوة بعد أن مرت أخيرا زوبعة القبلات. تبكي الطفلة فوق وجه الأم، والأم تحاول إنزال هذه الطفلة من فوقها سائلة: هل جُنت الطفلة؟ وعندما لم تعقب السؤال إجابة، ولأنها لا تنتظر إجابة، تأمر الأم بالنوم الفوري، والصبح رباح! يتم الإشارة إلى واجبات مهنية تنتظر المرء في الصباح. توافق الابنة على أنهما لا بد أن يناما الآن. مثل قطيطة عمياء مدت الابنة مرة أخرى يدها متحسنة جسم الأم، إلا أن الأم ترمي بيد الابنة بعيدا. لبرهة قصيرة استطاعت الابنة أن تتمعن في شعر العورة الرقيق لدى الأم والذي أمسى خفيفاً، هذا الشعر الذي يختتم في الأسفل بطن الأم البدين. كان منظرا غير مألوف. حتى الآن كانت الأم تحرص بصرامة على إبقاء شعر العورة هذا بعيدا عن كل الأعين. عمدا كانت الابنة أثناء الصراع تسحب قميص نوم الأم، حتى ترى أخيراً هذا الشعر الذي كانت تعلم بوجوده كل هذه السنوات: لا بد أن يكون هناك! لكن الإضاءة كانت سيئة للغاية. بحكمة عرّت إريكا أمها حتى تتأمل في كل شيء، في كل شيء بمعنى الكلمة. دون جدوى قاومت الأم، لكن إريكا أقوى من أمها المتهالكة، على الأقل من الناحية الجسمانية. ترمي الابنة في

وجه أمها بما رآته قبل لحظات. تصمت الأم حتى تخنق
بالصمت ما قيل، وكأنه لم يحدث.
تلتصق كل امرأة بالأخرى وتغطان في النوم. لم يعد يبقى
في الليل إلا القليل، واما قريب سيعلن اليوم عن مجيئه
بالضياء المزعج وصيحات الطيور المضجرة.

فالتر كلمر مندهش اندهاشاً كبيراً من هذه المرأة، فهي تتجراً على فعل ما يظل عند الآخرين مجرد وعد. بعد أن أخذ مهلة لالتقاط الأنفاس والتفكير يجد نفسه معجباً بها على الرغم منه، معجباً بالحدود التي تحاول جاهدة أن تزحزحها قليلاً إلى الخارج. إن الفضاء المتاح أمام لذتها اللعوب يتسع بالتأكيد. كلمر معجب بذلك. بالنسبة لنساء أخريات فليس أمام اللذة سوى ملعب بانس ذي أرضية خرسانية متربة ذات صدوع. ليس أمام اللذة عندئذ سوى شبكة للتسلق وأرجوحة أو اثنتين. أما هنا فالمستخدم السعيد يجد أمامه ملعب كرة قدم بالكامل، بالإضافة إلى ملاعب تنس وحلبة سباق! منذ سنوات وإريكا تعرف السياج المحيطة بها، والأم هي التي ضربت الدعائم المثبتة، لكن الابنة لا تستسلم: إنها تنتزع الأوتاد ولا تألو جهداً في دق أوتاد جديدة، هكذا يقول التلميذ كلمر لنفسه مبدياً استحسانه. إنه فخور بأنها تود أن تجري التجربة عليه هو شخصياً، هذه هي النتيجة التي يصل إليها بعد تفكير متمعن. ما زال شاباً ومستعداً لتجربة الجديد. إنه يستمتع بالصحة، ولذلك فإنه مستعد للمرض. منفتح أمام كل شيء وأي شيء، وسيان من أي اتجاه. متسع الأفق هو، ولديه الإرادة كي يفتح عنوة باباً آخر على مصراعيه. بل إنه مستعد لأن يستند على حافة النافذة متطلعاً

إلى الأمام حتى يكاد يفقد توازنه. أطراف أصابعه فقط ستمس الأرض مساءً! عن وعي يُقدِّم على شيء جديد، ويسعد بالمخاطرة لأنه هو الذي اختارها. حتى الآن ما زال كتمر صفحة بيضاء تنتظر الحبر الأسود الذي ينزل من طابعة مجهولة، أما المكتوب فهو ما لم يقرأه أحد من قبل. سيطلع ذلك حياته كلها! لن يكون بعد ذلك الشخص الذي كان، لأن كينونته ستزداد، وكذلك ملكيته.

إذا اقتضت الضرورة سيقرر اللجوء إلى العنف والوحشية مع هذه المرأة، هكذا يتصور. سيقبل بشروطها بلا أي تحفظات، وسيُملئ عليها شروطه: وحشية أكبر. إنه يعلم تماماً كيف ستسير الأمور، بعد أن يفترق عنها عدة أيام، كي يختبر ما إذا كان شعوره سيتغلب على التجربة اللاإنسانية التي يطلبها العقل. لقد استجاب ذهنه الحديدي ولان، لكنه لم ينكسر تحت ثقل الوعود التي قدمتها المرأة له. إنها تريد أن تسلم نفسها إلى يديه، وهو فخور بالتجارب التي يجتازها. وقد يقسو عليها حتى تكاد روحها تفارق جسدها!

رغم ذلك فإن التلميذ سعيد بأنه ابتعد عنها عدة أيام. التمهّل خير من التعجل. إنه ينتظر منذ عدة أيام ما ستأتي به هذه المرأة التي حان دورها في الحب، هل ستأتي بسبع أم ضبع؟ أم بفردة حذاء قديم؟ بعناد واستبداد لا يذهب إلى حصتها. يأمل أن تقوم المرأة بتعقبه بلا خجل. عندئذ، وعلى سبيل التجريب، سيقول لا، وسيُنتظر خطوتها التالية. أما في الوقت الراهن فإن

الشباب يفضل أن يبقى وحيداً مع نفسه، فالذئب لا يعرف رفيقاً أفضل من ذاته، إلى أن يقابل العنزة.

فيما يخص إريكا فإنها تعلمت كلمة "الاستغناء" قبل سنوات طوال، والآن تريد أن تغير نفسها تغييراً جذرياً. أمنياتها موضوعة الآن بين فكي عصارة شهواتها، ها هو خيط أحمر ينسأل من العصارة. تتطلع باستمرار ناحية الباب، هل سيدخل التلميذ الآن؟ كل التلاميذ يأتون، إلا هو. يتغيب بدون عذر.

بلغ إيمان كلمر للتعلم حداً يجعله يخرج من درس ليدخل آخر. بدأ دروساً عديدة، لكنه لم يكمل إلا القليل. أخذ دروساً حتى في أنواع الرياضة اليابانية واللغات، كما قام برحلات تثقيفية وزار معارض فنية. ومنذ فترة قريبة راح المتعطش إلى التعلم يتلقى أيضاً دروساً في فصل عازفي الكلارينيت المجاور، حتى يتعلم المبادئ الأساسية التي يبغى أن يوسعها لتفيده في عزف الساكسفون، وتساعدته بالتالي على تحقيق رغبته في عزف الجاز والارتجال في العزف. لا يتجنب في الفترة الأخيرة إلا البيانو وسيدته. اعتاد كلمر أن يقطع الدورات الدراسية في معظم الأحيان بعد أن يتعلم المبادئ الأساسية. إنه لا يطيق صبراً أو دأباً لمدة طويلة. غير أنه الآن يود أن يثبت قدراته الخاصة في العشق، فالمرأة تتحداه في هذا المضمرة. لكنه سرعان ما يشكو - إذا أُتيح له الوقت - من أن المنهج المتحجر في الموسيقى الكلاسيكية يكاد يخنقه ولا يدع له مجالاً للتنفس، وهو الإنسان الحر الذي يبحث عن الآفاق الواسعة التي

لا تحدها حدود. إنه يحدث فضاءً رحباً، ويخمن روضاً لم يره من قبل، ولم يره أحد قبله بالطبع. يمسك بطرف الأغشية ويرفعها، ثم مذعوراً يدعها تسقط على الأرض، ولكن فقط حتى يرفعها بعد قليل: هل ما رآه صحيح فعلاً؟ لا يكاد يصدق. تتلف كوهوت دوماً إلى حجب هذه البساتين والرياض عنه، ولكنها لا تني تغريه بها في حياتها الخاصة. يشعر التلميذ بالانجذاب القوي إلى اللانهائية بكل رحابتها. هذه المرأة قاسية في الدرس، لا ترحم، تسمع دبيب النمل من بعيد. أما في الحياة فتريد أن ترغم على التضرع والتوسل. إنها "تأكل مخه" تماماً عندما تجلس إلى البيانو وتتحدث بالمصطلحات المتخصصة عن الموسيقى والتمارين التي يجب على العازف أن يؤديها. ستكون صفة قوية على وجهها عندما يتحرر بالكلارينيت المنافس من قيود اللحن المصاحب والطباق الموسيقي. كم ستكون قدرته على الارتجال فائقة، على الساكسفون! يتمرن كل مر على الكلارينيت. ويتمرن بصورة أقل على البيانو. بتصميم يغزو مناطق جديدة من عالم الموسيقى، ويخطط أن يبدأ في فرقة جاز تتكون من طلبة يعرفهم شخصياً، إلى أن يؤسس مجموعة، وبذلك يكون قد فاقها في تطوره الموسيقي، وستؤلف هذه المجموعة موسيقى وفق مقاييسه وتعليماته. ورغم أنه يعرف من الآن أفراد المجموعة، إلا أنه يفضل أن يُبقي أسماءهم طي الكتمان. وهو ما سيتوافق من الناحية الموسيقية مع نزوعه الطبيعي إلى الحرية. لقد سجل اسمه بالفعل في

الدرس المخصص للجاز. يريد أن يتعلم الهارمونية. يريد في البداية أن يتأقلم وينسجم، ويصبح جزءاً من كل. ثم في الوقت المناسب يريد أن يبرز من المجموعة مثل النافورة بإنجاز مبهر كعازف منفرد. ليس من السهل تصنيف إرادته، وليس من السهل أن تتصاع رغبته وقدراته لما تمليه النوتة الموسيقية. يجتدل يجذف كلمر بمرفقيه على جانبي جسمه، وبمرح ينساب تنفسه في القصبه الهوائية. لا يفكر في أي شيء. يشعر بالسعادة. يتمرن على البداية وعلى تقليب الصفحات. إنه يرى بالفعل تطورات رائعة تلوح في الأفق البعيد، يقول معلم الكلارينت مستبشراً بقدرات التلميذ الذي يتقن معارف أولية مهمة اكتسبها من كوهوت، وآملاً أن يسرق هذا التلميذ من الزميلة، كي يتفاخر به في الكونسير الختامي.

من فصل الكلارينت تقرب امرأة ترتدي زياً ممتازاً للتجول، وتنتظر. على الفور يتعرف المرء عليها. لا بد أن تأتي إلى هنا، ولهذا فهي هنا. لقد تهيأت إريكا كوهوت، كعادتها، لأمر ما. ألم ينصحها التلميذ كلمر بالطبيعة، الطبيعة الطازجة المعلبة؟ ألا يعرف هو أفضل من غيره أين يجد المرء مثل هذه الطبيعة؟ تعرض على التلميذ المذعور الخارج من الحصاة بصندوق آله الأسود الصغير، تعرض عليه أن يتمشياً معاً على ضفاف النهر. الآن، حالاً! لا بد أنه أدرك من ثيابها ما تخطط له. سبب مجيئي، تقول: عبر النهر، ثم في الغابات. مع هذه السيدة المجهزة تجهيزاً صحيحاً تفتتح أمامه أفاق رحبة

من الإنجاز، وتنهال عليه سيول شنيعة من الدبش والزلط التي تعقب الانهيارات الجليدية المصحوبة بالرعد. في محطة جبلية مقفرة عليهما أن يقوما ببذل الجهد الموصل للهدف، وأن يثبتا ذلك. قشر الموز والتفاح على الأرضية، أحدهم تقياً في أحد الأركان، ثم كل الشهادات المستهلكة، بقايا الأوراق القذرة في الأركان والزوايا، التذاكر الممزقة، كل هذه أشياء لا يكتسها ولا يجمعها أحد في سلة المهملات.

من قمة الرأس إلى أخمص القدم ارتدت إريكا - وكما سيلاحظ كل مر - ملابس جديدة: الملابس تتلاءم مع المناسبة، والمناسبة مع الملابس. تبدو الملابس، وكما هو الحال لديها دوماً، هي الهدف الرئيسي. وعموماً فإن هذه المرأة تحتاج دائماً إلى أن تتزين حتى تستطيع أن تلفت النظر. الغابة وحدها لم تزين يوماً امرأة. على العكس، إن على المرأة أن تجعل الغابة بحضورها وتعطيها معنى، مثل الحيوان الذي يظهر في منظر الصياد. اشترت إريكا حذاء متيناً للتجول، قامت بدهنه دهناً جيداً بورنيش خاص مقاوم للرطوبة. بهذا الحذاء يمكنها أن تسير بلا عناء عدة كيلومترات، إذا رغبت. ترتدي بلوزة كاروهات "سبور"، وجاكتا شعبية تقليدياً، وبنطلونا يصل إلى الركبة، ومعطفاً أحمر قصيراً. وتحمل كذلك شنطة على الظهر بها زاد الطريق! ليس معها حبل، لأنها ليست من مشجعي الألعاب المتطرفة. وحتى لو كانت من مشجعي التطرف، فبدون شبكة وحبل. بدون طوق نجاة ترغب هذه المرأة في تعريض

نفسها لبركان الجسد الثائر بكل عنفوانه وضراروته، في تلك اللحظات التي لا يعتمد المرء فيها إلا على نفسه وشريكه.

تقتضي خطة إريكا أن تمنح نفسها للرجل على هيئة قضمات ضئيلة. لن تسمح له بأن يشبع منها ويؤتخم، بل عليه أن يعاني شعورا دائما بالجوع القارص إليها. هكذا تتخيل الأمر عندما تجلس وحدها مع أمها. إنها تبخل بذاتها، ولا تتفق نفسها إلا بالكاد، إلى هذه النتيجة توصلت بعد تفكير عميق وطويل.

تريد أن تتاجر بما تملك. ما يتبقى من جسدها المتداعي ستضعه على المائدة أمام كلمر بتقدير وبخل، وذلك حتى يعتقد أنها تمتلك على الأقل ضعف ما تنفق. لقد انسحبت تماما بعد الخطوة التي أقدمت عليها في الرسالة الجريئة، وهو ما لم يكن سهلا بالنسبة لها. إنها محشورة داخل حصالة جسدها، داخل هذا الورم السرطاني المستشري الذي يميل لونه إلى الزرقة، هذا الورم الذي تحمله معها أينما ذهبت، والمنتفخ إلى درجة الانفجار. مقابل ملابس التجول التي ترتديها الآن مثلا، كان عليها أن تدفع الشيء الفلاني في محل الألبسة الرياضية. إنها تشتري الجودة، ولكن الأهم هو جمالها. أمنياتها واسعة النطاق.

يتفحص كلمر المرأة من فوق لتحت بكل الهدوء الذي يسبق العاصفة. تتمهل عيناه في تجوالهما على الأزرار (التقليد) المثبتة على الجاكيت وسلسلة الساعة الفضية الصغيرة (أيضا تقليد) التي تتساب على بطن إريكا والمزينة - على غرار الصيادين - بأسنان الأيائل. تكاد إريكا تبكي مستعطفة، لأنه

وعدها اليوم بالتجول، وعليه أن يفى بوعده. يتساءل لماذا تحديدا هنا، والآن، واليوم؟ تجيبه: ألا تتذكر أنك قلت اليوم؟ بدون أن تنطق بكلمة تقدم له كوبونات وعوده غير المرئية. لقد أكد وعده، وقال حرفيا: اليوم. لقد اقترح آنذاك: اليوم. على التلميذ ألا يظن أن المعلمة تنسى شيئا. يقول كلمر: ليس هذا هو المكان ولا الزمان. على الفور تمنيه إريكا بأماكن أبعد وأوقات أحلى. عما قريب لن يحتاج الثنائي العاشق إلى الطرق الملتوية حول الغابات والبحيرات. ولكن اليوم قد تستعر رغبة الرجل إذا صعد معها إلى القمم والذرى.

يتمعن فالتر كلمر في الأمر. ويقرر أنه ليس من الضروري أن يذهب بعيدا كي يجرب شيئا جديدا. ولأنه مهتم على الدوام بالتجارب العلمية، يعرض عليها الآتي: ستستغرب إريكا (!) إذا فعلاها في هذا المكان. لماذا نذهب بعيدا؟ عندئذ يستطيع أن يصل على راحته قبل الساعة الثالثة إلى نادي الجودو! كل شيء مباح في الحب، إلا الهزار. إذا كانت جادة، فالأمر يأتي علي هواه بعد أن انتظر طويلا. تفضلي. حتى الآن كان عطوفا أليفا، إلا أن له أيضا وجها وحشيا يستطيع إظهاره، حسب الطلب. بدلا من أن تجيب إريكا كوهوت التلميذ كما تقضي الأصول، تسحبه إلى غرفة عاملات التنظيف وهي تعرف أنها تبقى دائما مفتوحة. عليه أن يظهر الآن لها قدراته الكامنة. من المرأة تنبعث القوة المحركة. عليه أن يظهر ما لم يتعلمه في يوم ما. من مواد التنظيف تفوح رائحة نفاذة قوية،

أما أدوات التنظيف فتتراكم في الحجرة. على سبيل التمهيد
ترجوه إريكا المعذرة، كان عليها ألا ترهقه برسالة مثل هذه.
تستكمل شرح هذه الفكرة. تركع أمام كلمر، ثم وهي تقبله
قبلات غير متقنة تدفن رأسها في بطنه الممتعض. ركباتها
المرتديتان بنطلون التجول - واللتان لم تتجولا في فنون العشق
السامقة - تغطسان في التراب. غرفة التنظيف تحديدا هي أقذر
الغرف في الكونسرفتوار. من كثافة التراب يترك النعلان آثارا
لامعة على الأرضية. التلميذ والمعلمة، كل منهما كأنه مثبت في
كوكب العشق الصغير الذي يحيا فيه، كل منهما على كتلة
جليدية تتجه به إلى قارات بغيضة منفرة. يشعر كلمر بالتأثر
البالغ من تواضع المرأة، غير أنه يفزع من هذا التواضع غير
المدرّب، والمطالب التي يعتقد أن من حقه إعلانها بصوت
عال.

هذا التواضع يزار بصوت أعلى مما تستطيع أي شهوة
صريحة وواضحة أن تفعل. يجيب كلمر: من فضلك انهضي
فورا! يرى أنها ألقت بكبريائها خارج السفينة، وعلى الفور
يتأبى كبرياؤه أن يغادر هذه السفينة. وإذا تطلب الأمر فسوف
يوثق نفسه إلى الدفة. لم يكادا يبدآن، ومع ذلك لا يمكن الجمع
بين الاثنين، رغم أنهما يتحرقان إلى الجماع. مشاعر المعلمة،
هذه الرياح الساخنة، تهب الآن بقوة. أما كلمر فلا يريد على
الإطلاق، لكنه مرغم، لأنه تمنى ذلك. يضم الركبتين بقوة مثل
تلميذ مدرسة في موقف مريبك. تحنك المرأة بفخذه احتكاكا

سريعاً، طالبة الرفق بها عندما يستلُ سيفه. كم من الممكن أن نقضي الآن لحظات ممتعة! خصلات من لحمها تصطفق بالأرضية. إريكا كوهوت تصرح بحبها، والتصريح لا يعدو أن يكون سوى مطالب مملة وعقود حاذقة واتفاقيات تحوي ضمانات عديدة. كلمر لا ينساق إلى أمواج بحر الهوى. إنه لا يُفاجأ بسهولة. وليس بهذه السرعة يشهر الرجل سيفه. تصف إريكا إلى أي مدى تحب أن تمضي تحت هذه الظروف أو تلك، بينما لا يفكر كلمر في أكثر من تمشية بسرعة معتدلة في متنزه دار البلدية. يرجوها: ليس اليوم، الأسبوع القادم! سيكون لدي عندئذ وقت أكثر. ولأن رجاءاته ذهبت أدراج الرياح فإنه يشرع خفية في مداعبة عضوه الذي يظل جثة هامدة. هذه المرأة تدفع به إلى غرفة تمتصه امتصاصاً، وهناك تطلب منه أن يستخدم آله، لكن الآلة لا تستجيب. بهستيرية يشد، وينقر، ويهز. لم تلاحظ شيئاً من كل ذلك. مثل حمم العشق تسرع إليه. إنها تشهق الآن، بل وتراجع عن بعض الأشياء التي قالتها قبلاً، واعدة إياه بأن تعوضه بأشياء أفضل. كم يبدو عليها الآن الراحة: أخيراً! ببرودة يتعامل كلمر مع نصفه السفلي كأنه حداد، يقلب القطعة الخام ويطرق عليها بالمطارق الحديدية. الشرر يتطاير. إنه يخشى العوالم الداخلية لمعلمة البيانو هذه، العوالم التي لم تعرف التهوية منذ سنوات وسنوات، والتي تريد أن تمتصه امتصاصاً! من الواضح أن إريكا تنتظر أن تنال على الفور كل ما لديه، أما هو فإنه لم يبرز لها ولا حتى مقدمة

سيفه. تقوم بأداء بعض حركات العشق كما تتخيله. وكما رأتها لدى آخرين. تصدر إشارات مرتبكة، تخلط بينها وبين إشارات الوله، وفي المقابل تتلقى إشارات من العجز. يتحتم عليه الآن، ولذلك لا يستطيع. يقول متحججاً: لن أسمح لك بأن تفعلي ذلك معي، عليك أن تعرفي ذلك! تشرع إريكا في سحب سوستة سرواله. تنتزع في الأعلى قميصه، وتطلق لنفسها العنان على النحو المعتاد والمألوف لدى العشاق. لا يستيقظ لدى كلمر أي شيء يستطيع إشهاره برهاناً. محبطةً تذرع إريكا بعد برهة الغرفة جيئة وذهاباً ونعل حذائها يرتطم بالأرض. كبديل تعرض عليه عالماً مفروشا بأكمله بالعواطف والمشاعر. إنها ترجع ذلك إلى التوتر الزائد والعصبية، ثم تشرح أنها رغم كل شيء سعيدة بجهوده في إبراز دليل حبه. لا يستطيع كلمر، لأنه مرغم. الإرغام ينبعث من هذه المرأة على شكل موجات مغناطيسية، إنها الإرغام نفسه. تقرص إريكا: اللخمة مجسدة بالحجم الكبير، والشؤم والوبال وهما يللمان عظامهما في حيرة. أخذت المعلمة تحفر طريقها بين فخذي التلميذ الذي يئن وكان هذا الإصرار يثير شيئاً لديه، ثم يتأوه قائلاً: بذلك لن تقيديني إليك. لن تقيديني إليك. ولكنه مستعد مبدئياً، وفي كل وقت، أن يبحر في مناطق جديدة من بحر الهوى. بارتباك يدفع إريكا بعيداً عنه، ثم يلطمها على قفاها لكمة خفيفة بحافة يده. بخنوع ينحني الرأس ناحية الأمام ناسياً ما يحيط به لأنه لم يعد يقدر على الرؤية. على المرأة أن تنتبه فهي تتسى نفسها

بسهولة في العشق، لأنه لا يجيء إلا نادراً. يصيح كلمر بسمعه خارج الغرفة وقد أصابته رجفة. في فم المرأة يُدخل بعجلة قضيبه الذي تراخي بعد أن انتبه قليلاً، وكأنه يلبس قفازاً قديماً. القفاز أكبر من اللازم. لا شيء يحدث له، ولا شيء يحدث أيضاً لكلمر، بينما تتلاشى بتواضع هيئة المعلمة الواقفة بعيداً. بضرارة يطعنها كلمر في فمها، لكنه يظل مديناً بتقديم الدليل. عضوه المرتخي يعوم في مياهها مثل قطعة فلين جامدة الإحساس. رغم ذلك يتشبث بشعرها، فربما ينمو له شيء. بنصف أذن يصغي كلمر ناحية الممر ليعرف ما إذا كانت امرأة التنظيف في طريقها إلى الغرفة. كل ما عدا ذلك داخله يصغي إلى عضوه ليعرف ما إذا كانت الحياة دبت فيه. مقيدة هي برباط الحب، وفي الوقت نفسه تشعر بالضالة. هكذا راحت المعلمة تلحس لكلمر، بقرة وعجلها الوليد. تبشره بتطورات طيبة، وبأن لديهما وقتاً بلا حدود، لا سيما وأن الولع بينهما لم يعد محل شك. عليك أن تتجنب العصبية، هذا هو كل شيء! وعود غائمة تجعل الشاب يفقد صوابه، لأنه يميز بين النغمات نبرة امرأة. ألا تأمره رئيسته هذه بأن يستخدم أصابعه وأن يدوس على البدال في مقاطع موسيقية معينة؟ فوقه تصب علمها الموسيقي، بينما ترتكب تحته آثامها. إنها تثير قرفه أكثر مما يستطيع أن يعبر بكلمات. إنها تصغر نفسها أمام قضيبه الذي يظل صغيراً هو أيضاً. كلمر يطعن إريكا طعنات كثيرة، وهي تشعر بالرغبة في التقيؤ تتصاعد داخلها، إلى فمها، ولكن دون

جدوى. بغم نصف ممتلئ تقدم المرأة تعازيها بعطف، مُشيرةً إلى أشياء مستقبلية. سيشعران بالبهجة في المستقبل! لا أحد ينظر في عينيها، لو تطلع إليها أحد لأدرك أنها ليست هي الأمرة الناهية، بل هي مجرد شعر ومؤخرة رأس وقفاء، شيء لا يمكن سبر غوره. آلة عشق أوتوماتيكية، لا يصدر عنها ردة فعل حتى لو ركلها المرء بالأقدام. والتلميذ لا يبغى سوى سن آله عليها. آله ليست لها في الواقع أي علاقة ببقية جسده. بينما الحب يشعل جسد المرأة كلها. تشعر المرأة بشعور ملح يدفعها إلى صرف كل ما لديها من حب، وترك الباقي بقشيشا. إريكا وفالتر كلمر يقولان في صوت معا: الأمر اليوم لا يسير، وبالتأكيد سيسير فيما بعد. الإخفاق تعتبره إريكا أعمق دليل على الحب. يجن جنون كلمر ويغضب بسبب عجزه، رغم ذلك يواصل تشبثه بشعر المرأة تشبثاً مؤلماً حتى لا تراوغه وتفلت منه عبر تردها الباهت المعتاد. إنها الآن هنا، إذن علي أن أستغل الفرصة وأشدها من شعرها بقوة كما تنص الاتفاقيات بيننا. في وفاق وانسجام يصرخ كل منهما شيئاً عن الحب.

لكن نجم التلميذ يخبو أمام هذه المهمة ويتوارى. لا يريد أن يصعد في حضورها. رغم كل الشد والجذب من جانبه لا يفتح أمامه ذلك التيه. لا يرى طريقاً ممهداً للذة بين أدغال الأشجار والشجيرات. تهذي المرأة كلاماً عن غابات تزدحم بالأشواق المجنونة، لكنها تقنع في حالة الضرورة بالتوت البري والفطر الحجري فحسب، ثم تدعي أنها استحقت هذه الثمار

لأنها انتظرت طويلا. كان التلميذ مجتهدا، ولذا تلوح الآن جائزة. الجائزة هي حب إريكا الذي يناله التلميذ في هذه اللحظة. الدودة الرخوة تتقلب بين حلقها ولسانها بخيبة أمل، بينما راحت إريكا تنتظر من لذتها المقبلة نوعاً من الطريق التعليمي حيث كل شجرة مكتوب عليها لافتة باسمها ونوعها. المتجول يقرأ اللافتة ويسعد إذا تعرف على شجيرة مألوفة له، لم يرها منذ وقت طويل. عندئذ يرى المرء حية تسعى على العشب، ويصيبه الرعب لأنها لا تحمل لافتة. تعلن المرأة أن هذا المكان الموحش هو مكان عشقهما. الآن وهنا! بلا كلمة يطعن التلميذ التجويف الرخو في فمها، هذا البوق الذي لا يصدر نغمات. يحدث التلميذ وجود أسنان في التجويف وينصح نفسه بالابتعاد عنها. في مثل هذا الموقف يخشى الرجل الأسنان أكثر مما يخشى الأمراض الفتاكة. إنه يعرق ويلهث متظاهراً بالإنجاز. يقذفها بكلمات قائلا إنه يتحتم عليه أن يفكر دوماً في الرسالة. ما أسخفها. إنها برسالتها تعتبر هي المسئولة عن إخفاقه في ممارسة الحب، واقتصاره على التفكير في الحب فحسب. لقد كومت العوائق في طريقه، هذه المرأة.

مهتاج المشاعر راح يخبر المرأة بالطول المعهود والمعروف لقضيبه الذي لم تشد به الإشادة الواجبة من قبل. إنه في المعتاد يسبب له البهجة والسعادة مثلما تدخل لعبة جديدة الفرح إلى قلب صبي متعطش للمعرفة. لكن طول عضوه لا يصل اليوم إلى سابق عهده. استغرقت المعلمة في الوصف

التفصيلي لعضوه، وقد أسرتها اللذة الحماسية الودود، اللذة التي لم تشعر بها في يوم من الأيام. تتفق معه وتشعر من اليوم بالفرح لأنها ستستمتع قريباً بهذا وأكثر! تحاول في أثناء ذلك أن تلفظ عضوه دون أن تلفت الانتباه، ولكن بعد برهة تجد نفسها مرغمة على تناوله، هكذا يأمر التلميذ كمر متجاهلاً علاقة الاحترام التي تربطه مع السيدة المعلمة. إنه لا يستسلم بهذه السرعة! عليها أن تأخذ هذا الدواء المر بدون سكر. بوانر الفشل بكل أهواله - ولعلها هي المسئولة عنه - تعصف بإريكا. لا يزال تلميذها الشاب يحاول بطريقة آلية أن يبتهج جنسياً، لكنه يخفق. الآن بدأت سفينة الخوف تبحر داخل هذه المرأة التي تحاول أن تسد الهاوية العميقة بوجودها كله. رغم أنها - بل لقد تحتم عليها ذلك بعد أن فاقت من سكرتها - راحت تنتبه للمرة الأولى إلى تفاصيل الغرفة الضيقة. عبر شبك الحجرة انزلق بصرها إلى أسفل، فرأت هامة إحدى الأشجار. شجرة كستناء. يثبت كمر زائدة حبه، البونبوننة التي لا طعم لها، في تجويف فم معلمته، ثم يضغط جسده بأكمله تجاه وجهها متأوها بلا معنى. بطرف عينيها تلمح إريكا تارجحاً خفيفاً في الغصون التي أخذت تنتثني بفعل قطرات المطر التي تثقل على أوراق الشجر، فتقع. ثم تهطل قطرات مطر غير مسموعة، وتتهمر. هذا الصباح الربيعي لا يفي بما وعد به. بلا صوت تتحني الأوراق اليانعة أمام سيل القطرات. طلقات السماء تصيب الغصون. ما زال الرجل يحشو فم

المرأة، وما زال يتشبث بشعرها وأذنيها، بينما قوى الطبيعة في الخارج تفرض سيطرتها المطلقة. ما زالت ترغب، وما زال لا يستطيع. يبقى صغيراً رخوياً، بدلاً من أن يغدو صلباً غليظاً. التلميذ يصرخ الآن سخطاً، يصرّ على أسنانه لأنه عاجز عن إظهار أفضل ما لديه. بالتأكيد لن يستطيع اليوم إفراغ شحنته في تجويف فمها الذي يقع في نصفها الأجمل، أي في النصف العلوي.

لا تفكر إريكا في شيء، إذ إنها تشعر بغصة فظيعة رغم أن فمها يكاد يكون خالياً. إلا أن ما بها يكفيها. يتصاعد شيء ما في جوفها. بصعوبة شديدة تتنفس. كبديل عن صلابة عضوه يحك التلميذ الآن بعنف وجهها بمنطقة عانتها المحاطة بالشعر الشائك، وهو يسب ويلعن آله. السائل يتصاعد في جوف إريكا. بعنف تحرر نفسها من قبضة تلميذها وتتقيأ في دلو قديم من الصفيح كان هناك وكأنه معد للاستخدام. تسمع خطوات شخص يقترب وكأنه على وشك الدخول، لكنه يتجاوز الغرفة بدون أن يدخل. بين نوبات القيء الشبيهة بنفخات البوق راحت المعلمة تهدئ من روع الرجل قائلة إن الأمر لم يكن سيئاً كما يبدو. تستفرغ سائلاً صفراوياً من أعماقها. متشنجة تضع يديها على معدتها، ممنية حبيب القلب - وهي شبه غائبة عن الوعي - بمسرات قادمة أعظم. صحيح أن اليوم لم يكن ساراً، ولكن قريباً ستتدفع المسرات والمباهج اندفاعاً لا يجد مثيله سوى في سباق السيارات. بعد أن التقطت أنفاسها واصلت دون كلل

عرضها مشاعر أكثر عنفاً وصدقاً، ثم مسحت فمها بمنديل ناعم الملمس مظهره إياه بتفاخر. كل هذا ادخرته من أجلك يا فالتر، وها قد حان الأوان! توقفت إريكا حتى عن التقيؤ. تريد أن تغسل فمها بقليل من الماء، لكنها تنال لكمة خفيفة من الرجل الغاضب الذي يقول: إياك أن تفعلي ذلك مرة ثانية أثناء صعودي المحموم إلى الذروة. لقد أبعدتني فعلتك هذه عن هدفي. لم يكن بوسعك الانتظار حتى أصل إلى قممي الثلجية. عليك ألا تغسلي فمك من بعدي. على سبيل التجربة تنتهته إريكا بكلمة حب مستهلكة، فتلقى مصيرها من السخرية. قطرات المطر تطرق الألواح الزجاجية بانتظام فتغسلها. تلف المرأة ذراعها حول الرجل وتصف شيئاً بإسهاب. يجيبها الرجل بأن عفونة تتبعث من فمها! هل تعرفين أن رائحة فمك عفنة؟ يكرر الجملة عدة مرات لأن وقعها على أذنه جميل: أتعرفين أن رائحة سيادتك عفنة يا أستاذة إريكا؟ لا تدرك ما يقول وتواصل لحسها له. ولكن الأمر لا يسير كما ينبغي. السحب تتكاثف في الخارج، والظلام يزحف. بلا معنى يكرر كلامه، لأن إريكا فهمت من المرة الأولى أن رائحة قوية تتبعث منها، إلى حد أن الحجرة كلها تفوح منها رائحة عفونتها المقرفة. لقد كتبت له رسالة والآن يجيب قائلاً: لا أريد أي علاقة معك، كما أن رائحتك لا يمكن تحملها. كلمر يشد إريكا برفق من شعرها. ينبغي عليها أن تغادر المدينة حتى لا يشم بأنفه الجديد الياقع رائحتها المقرزة للغاية، هذه العفونة الحيوانية. "تفوه" على هذه

الرائحة العفنة التي لن تستطيعي أن تتخيلي بشاعتها، يا معلمة البيانو.

تدع إريكا نفسها تنزلق إلى العش الدافئ، إلى غدير خجلها المستدفئ بحرارة الجسد، كما يغطس المرء في حوض سباحة بحذر شديد نظراً لقفازة مياهه. تتدفع الأشياء تجاهها. فقاعات قذرة من الخجل، جردان الفشل الميتة، قصاصات ورقية، شظايا خشبية انفصلت عن القبح، حشية رثة مغطاة ببقع الحيوانات المنوية. تتصاعد وتتصاعد. تعلو. ضاحكة تنهض المرأة إلى أن تصل تاج رأسه المصفح. برتابة يتحدث الرجل عن العفونة المتزايدة التي حدد التلميذ مصدرها: معلمة البيانو. تشعر إريكا بالفارق بين العالم المسكون بالبشر وبين العدم. كما يُقال فإن رائحة عفنة تفوح منها، من إريكا، هكذا يزعم التلميذ. إنه مستعد أن يقسم على ذلك. وإريكا مستعدة أن تموت. التلميذ يستعد لمغادرة هذه الغرفة التي أخفق فيها. وإريكا تبحث عن ألم يفضي بها إلى الموت. يغلق كلمر فتحة سرواله ويهم بالسير إلى باب الغرفة. بعيون محتضرة تود إريكا أن تراه وهو يشد حبل المشنقة حول رقبتها. عندئذ ستحتفظ عيناها بصورته إلى أن تتحلل جثتها. لم يعد يقول إن رائحتها عفنة، فهي لم تعد موجودة بالنسبة له. يريد الانصراف. ترغب إريكا في أن تحس بيده القائلة وهي تنزل عليها، بينما يجثم الخجل على بدنهما مثل وسادة عملاقة.

يسيران الآن على الممر. الواحد بجانب الآخر. ثمة مسافة فاصلة بينهما. بصوت خافت يعرب كلمر عن ارتياحه لأن عفونتها العتيقة بدأت تضيع بعض الشيء في هذا الممر الرحب. في الحجرة كانت الرائحة العفنة بالفعل لا تطاق! عليها أن تصدقه. ينصحها نصيحة قلبية بمغادرة المدينة.

بعد برهة تتقابل المعلمة والتلميذ في الممر مع السيد المدير، وأمامه يؤدي كلمر بتواضع التحية الطلابية، بينما تتبادل إريكا مع رئيسها تحية الزمالة، لأن الرئيس لا يتمسك بالشكليات. لم يكتف المدير بذلك، بل تبادل مع السيد كلمر تحية قلبية باعتباره العازف المنفرد في الكونسير الختامي القادم. بهذه المناسبة يهنئه. تجيبه إريكا أنها ما زالت لم تحسم أمرها بشأن السوليست. هذا التلميذ يتراخى في أدائه بشكل واضح لا يدع مجالاً للشك. لا بد أن تعيد النظر وتقرر: هل سيكون السوليست التلميذ ك أم تلميذ آخر؟ لم تقرر بعد. لكنها ستعلن ذلك في الوقت المناسب. يقف كلمر بجانبها دون أن ينطق بكلمة. يصغي إلى ما تقوله المعلمة. يقطع المدير بلسانه إثر سماعه الأخطاء الفظيعة التي تصفها إريكا كوهوت، والتي لا يتوقف التلميذ كلمر عن ارتكابها. بصوت عال تتحدث إريكا عن حقائق غير مريحة خاصة بالتلميذ، وبذلك لا يستطيع التلميذ أن يتهمها بالسرية الدنيئة. لقد أهمل التمرين، وهو شيء تستطيع إثباته. لقد تأكدت من أن الجد والاجتهاد في نقصان مستمر لديه. وليس من المعقول أن يكافئه المرء على ذلك!

يجيب المدير أنها على كل حال تعرف التلميذ أفضل منه، ثم يودعهما متمنياً للتلميذ كتحسناً في الأداء.

ثم انصرف المدير إلى غرفته.

يكرر كل مر أمام إريكا كوهوت أن عفونتها بشعة وأن عليها أن تغادر المدينة بأقصى سرعة. يستطيع هو أيضاً أن يحكي أشياء أخرى عنها، لكنه لا يريد أن يتسخ فمه. يكفي أن رائحتها عفنة، فلا ينبغي أن تفوح منه العفونة أيضاً! والآن فإنه سيغسل فمه، إذ إنه يشعر بعفونتها في حلقه. إنه يشعر بعفونة المعلمة الفظيعة تصل حتى معدته. لا يمكنها أن تعرف كم هي مقرفة انبعاثات بدنها. إنها محظوظة لأنها لا تستطيع أن تتخيل، مجرد تخيل، مدى عفونة رائحتها التي تشبه رائحة القبور.

يفترقان في اتجاهين مختلفين دون أن يتفقا على نغمة أساسية مشتركة، بل دون أن يتفقا على نوع النغمة. الاتفاق الوحيد كان على عفونة رائحة إريكا كوهوت المثيرة للغثيان.

بحماسة رزينة استغرقت إريكا كوهوت في عملها. لقد أرادت أن تنتصر على نفسها وتتجاوز قدراتها، لكنها لم تستطع. يؤلمها الكثير. وقليلٌ يعجبها في نفسها. إنها في غاية الاضطراب والتخبط. لقد شاهدت في التليفزيون كيف يسد المرء الباب على نحو آخر غير وضع الخزانات أمامه. الفيلم البوليسي أظهر لها ذلك. يكفي وضع مسند كرسي تحت المقبض. لكن الجهد لا طائل منه، فالأم - وكما يحدث كثيراً في الفترة الأخيرة - تنام في العسل، بعد أن تحتسي كميات كبيرة من الليكور الحلو.

إريكا تخرج صندوق كنوزها الخفي وتقلب في محتوياته الغنية. هنا تتكوم ثروات لم يرها فالتر ك، لأنه قطع العلاقات معها مبكراً جداً بعد أن شتمها شتائم نابية. مع أن الأمر لم يكذبداً بالنسبة للمرأة! أخيراً حان الوقت، وإذ به ينسحب إلى كبسولته. تختار إريكا مشابك غسيل، ثم - بعد قليل من التردد - دبابيس أيضاً، كومة من الدبابيس التي تستخرجها من علبة بلاستيكية.

تثبت إريكا وهي تذرف الدموع مشابك الغسيل البلاستيكية الملونة على جسدها، فتلتصق به وكأنها خفافيش نهمة إلى الدماء. على مواضع يسهل عليها الوصول إليها، وستتميز فيما

بعد بكدمات زرقاء. باكيةً تقرص إريكا لحمها. إنها تُخرج جلدًا عن توازنه وتعطل عمل بشرتها. تزين نفسها بالأدوات المنزلية والمطبخية. بدهشة واضطراب تنتظر إلى نفسها، ثم تبحث عن أماكن شاغرة في جسدها. وكلما ظهر مكان شاغر في دفتر بدنها، قرصته على الفور بمشابك الغسيل النهمة. والمكان المشدود بين مشبكين يتم غرز إبر فيه بكل قسوة. تخرج المرأة عن طورها وتصرخ عاليًا مخافة عواقب ما تفعل. وحيدةً تمامًا هي. تشك نفسها بالدبابيس التي تحمل رؤوسًا بلاستيكية متعددة الألوان، كل دبوس له رأسه ولونه. لكن معظم الدبابيس لا تلبث أن تسقط. لا تجرؤ إريكا على أن تخز نفسها تحت أظافر الأصابع مخافة الألم. بقع ضئيلة من الدماء المتخثرة تتراكم على مرج بشرتها. تبكي المرأة بحرقة وهي منفردة تمامًا بنفسها. بعد وهلة تتوقف إريكا ثم تقف أمام المرأة. تتحفر صورتها في مخها بالكلمات الضارة والتهكمية. إنها صورة ملونة. وهي من ناحية المبدأ صورة مبهجة، لو لم تكن المناسبة حزينة هكذا. إريكا وحيدة تمامًا. الأم تغط كعادتها في نوم عميق من كثرة الليكور الذي تجرعتة. إذا اكتشفت إريكا بمساعدة المرأة مكانًا في جسدها لم يزل على حاله دون أن يصيبه ضرر، فإنها تمسك على الفور بالمشابك والدبابيس، ولا تتوقف عن البكاء أثناء ذلك. تثبت الأدوات وتغرزها في جسمها. وبعد مرور وقت طويل تنتزع إريكا بيدها المشابك

والدبابيس، ثم تضعها بعناية في مكانها. الألم يخف، والدموع تقل.

تذهب إريكا كوهوت إلى أمها لتتخيّل وحدتها.

ها هو المساء يحل من جديد، وها هي الطرق الرئيسية في فيينا تزدهم بالسيارات التي يقودها سائقون يسرعون في تهور ليصلوا إلى بيوتهم في المدن المجاورة. فالتر كلمر يستخرج نشاطاً محموماً من داخله ويفرزه خيطاً لزقاً. المهم ألا يجد نفسه مجبراً على سير الهوينى. ما يقوم به لا يثير اهتمامه بشكل كبير، غير أن عليه أن يظل في حركة دائبة. صحيح أنه لا يجتهد اجتهاداً متميزاً، لكن الوقت يمضي بسرعة البرق أثناء نشاطه الحركي المحموم. بالتزام وبعد ذلك بمترو الأنفاق يبدأ رحلة طويلة معقدة يستخدم فيها أكثر من وسيلة مواصلات. إنه يعرف من الآن أن الرحلة ستنتهي به في منتزه المدينة (شنتات بارك)، لكن عليه أن يختار الهدف والطريق الموصل إلى الهدف. يتمشى بحمية حتى يمر بعض الوقت. يقتل الوقت. لديه الإرادة، هذا شيء لا يقبل النقاش. سيهاجم بكل وقاحة حيوانات أليفة لا حول لها ولا قوة، يقولون إنها بنت جحورها في المنتزه حيث أطلقوا طيور الفلامينجو وحيوانات أخرى إكزوتيكية، طيور وحيوانات لم تر أوطانها يوماً. هذه الحيوانات تشعر بالخطر لأن هناك من يهاجمها ويمزق لحمها إرباً إرباً. يحب فالتر كلمر الحيوانات، ولكن ما زاد عن حده، انقلب إلى ضده.

هذا ما يحدث لدى شخص مثل كلمر، وفي بعض الأحيان فإن حيواناً بريئاً هو الذي يدفع الثمن. لقد أساءت المرأة إساءة بالغة، ولذا تعد أن يهينها. بهذا يكون الحساب متساوياً، ومع ذلك فلا بد من ضحية تكفر عن هذا الإثم. لا بد أن يلقي أحد الحيوانات حتفه. هذه الفكرة استقاها كلمر من الصحف التي تكتب مقالات عن أشكال الحياة الغريبة التي تعيشها هذه الحيوانات الإكزوتية التي لا تعلم عن محيطها شيئاً، كما تنشر هذه الصحف مقالات تفصيلية عن بعض المطاردات التي تنتهي بضرب هذه الحيوانات أو قتلها.

على السلام المتحركة يصعد الشاب إلى الهواء الطلق. ساكناً وجامداً يقع "الشتات بارك"، أما الفندق أمامه فهو مضيء وصاخب. ثنائيات العشاق لا تحفل بمرور السيد كلمر الذي لم يأت إلى هنا ليخلق فيهم على نحو مناف للعرف والتقاليد. لقد أتى ليمارس وحشيته دون شاهد أو رقيب. الغرائز التي لم تستخدم حتى الآن ستعلن عن نفسها بقسوة شريرة، تلك الغرائز التي أيقظتها امرأة ما. يمشط كلمر المنطقة باحثاً عن ضحية، دون أن يجد عصفوراً واحداً. ينتهك التعليمات ويخطو فوق النجيلة دون أن يهتم بحياة الشجيرات الأجنبية التي يحشر نفسه بينها بلا مبالاة. يدهس عمداً أحواض الزهور المعتنى بها، فيزهق حذاؤه أرواح بشائر الربيع. لم تقبل هذه المرأة المقرفة ما عرضه عليها، والآن يعاني كلمر فائض العشق الذي يتقل عليه ولا بد أن يتعايش معه. لا يتقل هذا العبء عليه إنقالاً

كبيراً، ومع ذلك فإن عواقبه مدمرة بالنسبة لعالم الحيوان. حاجته الجسدية لم تجد بعد منفذاً تعبر منه إلى هدفها. لقد تفحصته هذه المرأة، ثم انتقت مرة أو مرتين خلاصةً موسيقية من رأسه. انتزعت خير ما فيه، وبعد الفحص ألقته به إلى القمامة! بمقدمة حذائه يطيح فالتر ك بأزهار البنسيه، لأنه قد أحبط على أشع نحو وهو يسبح في خضم أمواج الغزل. ليس ذنبه إذن أن جسده خذله بعد ذلك. إذا واصلت إريكا السير على هذا الدرب، فسيحدث لها أفزع مما رأت في الكوابيس. يُصاب كلمر بخدوش من شوك عملاق في إحدى الشجيرات، الفروع المرنة ترتد في وجهه إثر اختراقه للمكان عنوة، بعد أن اشتتم وجود مياه خلف الشجيرات. يشبه كلمر حيواناً جريحا في منطقة صيد. ضد كل أعراف الصيادين تركه الصياد يهرب بعد أن أصابه بطلقة لم تصرعه. لم يصب هذا الصياد الهاوي قلب الفريسة. ولهذا فإن كلمر يمثل الآن خطراً محتملاً لكل من يقابله، لكل من يقابله بالفعل!

مثل قزم متجه من أقزام الحب راح يذرع منطقة الاستجمام الليلية - المخصصة في الأساس لاستجمام الناس في النهار - باحثاً عن حيوانات بريئة وديعة ينفس بها عن غضبه. يبحث عن حجر يصيب به أهدافه، لكنه لا يجد شيئاً شبيهاً. يلتقط نبوتاً قصيراً سقط من إحدى الأشجار، لكنه يكتشف أن الخشب هش وخفيف. لقد عرض الحب على امرأة تطلب منه شنائع الأمور، لذلك يتحتم عليه الآن أن ينحني باجتهاد حتى

يجد سلاحاً أفضل من الخشب الهش. لأنه لم يكن يريد أن يصبح سيد هذه المرأة، فلا بد عليه الآن أن يُحني ظهره باحثاً دون كلل عن خشب. سيضحك الفلامينجو عليه لو رأى هذه العصا. ليس هذا نبوتاً، بل غصيناً يابساً أعجف. لا يستطيع كلمر - عديم الخبرة والمتشوق إلى خبرات جديدة - أن يتخيل أين تقضي الطيور ليلتها حتى تهرب من مطارديها. ربما بنوا لها كوخاً خاصاً! لا يريد كلمر أن يقل إنجازَه عن البلطجية الذين فتكوا بأعداد كبيرة من الطيور. يتشمم الآن المياه - هذا العنصر المألوف له - لابد أنها قريبة جداً. هناك، في مكان ما - حسبما جاء في الصحف - ترعى الفريسة الوردية اللون. أشياء مختلفة تصدر هسيساً في الريح. يتواصل الهسيس بدون توقف. الطرق تتلوى أمامه. ولأن كلمر تغلغل إلى هذا العمق، فهو مستعد لأن يكتفي ببجعة كي لا يرجع خالي الوفاض، والبجعة يمكن تعويضها بسهولة. يستشف كلمر من هذه الفكرة مدى حاجته إلى متنفس لغضبه الفائر. إذا كانت الطيور تستريح بكسل على المياه فسوف يجتذبها إليه. أما إذا كانت ترقد ساكنة على الضفة فلن يصيبه البلل.

بدلاً من صيحات الطيور يتناهى إلى سمع المرء في تيار متصل ضجيج سيارات بعيدة. في هذه الساعة المتأخرة؟ المدينة تطارد بوضائها الباحثين عن الاستجمام حتى هنا. تطاردهم حتى المناطق الخضراء في فيينا، رئات المدينة. في المنطقة الرمادية من غضبه اللامحدود يبحث كلمر عن كائن لا

يعارضه. لذا يبحث عن كائن لا يفهمه. ربما يهرب الطائر من أمامه، إلا أنه لا يحتج. يسير كالمزح في مداره الليلي فوق العشب. يشعر بقرابة داخلية مع الذين يهيمنون على وجوههم في الليل تعصف بهم الوحدة. ويشعر بالتفوق على السهارى الذين يتسكعون في الطرقات وقد أمسك كل منهم بيد سيدة. يشعر بالتفوق لأن غضبه أقوى بكثير من نيران العشق. حتى هنا فإن الشاب يتجنب الاقتراب من النساء. نعيق ينتشر من نبع صوتي صغير في شكل دوائر، صوت نشاز لا يمكن أن يصدر سوى عن منقار طائر أو من آلة موسيقية يعزف عليها مبتدئ. ها هو الطائر إذن! بعد قليل سيكتبون المقالات عن أعمال التخريب، وبالصحيفة المطبوعة لتوها يستطيع المرء أن يذهب إلى الحبيبة المُعاقبة عن الحب، لأن المرء قد دمر حياة، إذن يستطيع المرء أيضاً أن يقضي على حياة الحبيبة بوحشية.. يستطيع المرء أن يزهق روح إحدى الكائنات. لقد سخرت هذه المرأة، كوهوت، على الدوام من عواطفه. بلا استحقاق كان حبه ينساب عليها طوال شهور عديدة! من قلبه تدفقت مشاعره الساخنة عليها، فما كان منها سوى أنها أرجعت إليه مطر مشاعره الجميلة وصبته عليه. والآن فإنها - والذنب في ذلك ذنبها - تتال ما تستحق في صورة عمل تدميري متوحش.

الوقت الذي يهدره كالمزح ببذخ حتى يجد طائرا معيناً، يمر على هذه المرأة وهي مستغرقة في النوم. أبكر من المعتاد ذهبت الليلة معكزة المزاج إلى فراشها. دون أن تدري شيئاً

راحت إريكا تغط في نومها، بينما راح كلمر يشق طريقه الليلي خلال مروج المدينة. ينهمك كلمر في البحث، لكنه لا يعثر على شيء. إنه يتتبع الآن صيحة أخرى، إلا أنه لم يستطع أن يحدد صاحبها. لا يجرؤ على التقدم إلى الأمام أكثر من ذلك حتى لا تصيبه غدراً هراوة تجبره على الركوع. حتى وقت قريب كان الترام يعين المرء على تحديد الاتجاه، إذ كان يدق أجراسه على طول حافة المنتزه، أما الآن فإنه يسير بمسمى آخر تحت الأرض، ومن هناك لا يسمع المرء شيئاً. لا يستطيع كلمر أن يحدد اتجاه رحلته. على الأقل فإن إمكانية أن تأخذه الرحلة إلى أعماق الغاب ما زالت مطروحة. هناك يسود قانون واحد: إما أن تفترس أو تفترس. وبدلاً من أن يجد طعاماً، سيصبح كلمر نفسه فريسة! يبحث كلمر عن فلامينجو، وربما يبحث آخر عن غر يحمل محفظة. يخترق الرجل الأدغال وهو يدب بالأقدام إلى أن يصل إلى المرج المنبسط الخالي من الشجيرات. ينتظر أن يسمع شيئاً تافهاً من اليمين أو اليسار يتفوه به متجول مثله، ومقديماً فإن كلمر يسخر مما يُقال. إنه يعلم: المتجول لا يفكر سوى في الطعام والعائلة والحيوانات والنباتات حوله التي تسبب له قلقاً، إذ إن عوامل التلوث تؤدي إلى تناقص مستمر في أنواع لا تعوض منها. سيشرح المنتزه أسباب احتضار الطبيعة، وسيعمل كلمر على أن يمسي جزء صغير من الطبيعة هو المثال والقوة في هذا المجال، هذا ما يهدد به في الظلام.

بيد يمسك كلمر بمحفظته، وباليد الأخرى يتشبث بهراوته.
يستطيع أن يفهم مشاعر المشاء الذي ينتابه القلق.
مسح كلمر مناطق واسعة من المنتزه، ومع ذلك لم يعثر
على طائر واحد. غير أنه أخيراً وعلى غير توقع يصادف شيئاً
بعد أن كاد يهجر أماله: ثنائي متشابك في مرحلة متقدمة للغاية
من اللذة. المرحلة لا يتعرف المرء عليها بدقة. كاد فالتز كلمر
يدهس على امرأة ورجل يشكلان معا كائناً متكاملًا يتغير شكله
الخارجي باستمرار. تلمس قدمه بلا اهتمام قطعة صغيرة من
الملابس ملقاة على العشب، وتتعثر القدم الأخرى بالكاد في
اللحم الفائز الذي يلتهمه لحم آخر وسط نوبة من سعار
الاستهلاك، وفوقهما يصدر حفيف عن شجرة عملاقة. هذه
الشجرة المزروعة في محمية طبيعية هي التي موهت بعناية
لهات الاثني حتى اللحظة الأخيرة. في غمار شهوة اصطياد
الطائر التي تملكته لم ينتبه كلمر للمكان الذي تخطو فوقه قدماه.
شحنة كرهه تتساب الآن على هذا اللحم الذي ازدهر دون توقع
على حافة الطريق داهساً دون خجل زهوراً أخرى، إذ إن اللحم
قد زرع نفسه تحديداً في حوض زهور حديقة عامة. هذه
الزهور يمكن إلقاؤها الآن في سلة القمامة. لم يجد كلمر سوى
نبوت خفيف يستطيع استخدامه كي يشارك بفاعلية في صراع
الأبدان. الآن سيتبين: تضرب أم تضرب؟! هنا يحشر المرء
نفسه في معمعة العشق طرفاً ثالثاً ضاحكاً. يصرخ كلمر بكلمة
نابية. يصرخ في العاشقين من أعماق قلبه. يتشجع لأن الثنائي

لا يعارضه. إحدى أدوات الصراع تُستل. بلهوجة يشد أحدهما
ملابسه لأعلى، والآخر لأسفل. يسود النظام أمام عيني كلمر.
في صمت وارتباك راح طرفا الصراع يتناولان على عجل
ملابسهما. اختلاط وفوضى، ومحاولة سريعة لإعادة الأمور
إلى سابق عهدهما. رذاذ مطر يتساقط. الأمور تعود الآن إلى
نصابها. بلا لطف يشرح كلمر عواقب هذا السلوك. في إيقاع
رتيب يضرب بهراوته على فخذة اليمنى. يشعر بقوة تتزايد
بلا حدود، إذ لا أحد يجرؤ على الاحتجاج. الخوف الهائل الذي
يشعر به الثنائي ينتقل إلى كلمر. إنه أفضل من أي خوف يسببه
حيوان حقيقي. يشتم كلمر داخله الرغبة في تربية هذا الثنائي.
إنهما ينتظران، هذا هو السبب في أن الحديقة تجذبهما ليلا.
فضاء رحب يتأهب حولهما. يذعن الثنائي للحصار المفروض
عليهما من كلمر دون أن يتجرأ على مجاوبة صرخاته الغاضبة
المتلاحقة. ينطق كلمر بأشياء مثل: خنازير قذرة وكلاب
وسخة! الأفكار التي تتسلل إليه بوفرة أثناء الاستماع إلى
الموسيقى تبدو له مستهلكة في مواجهة الحياة وملذاتها. من
الناحية الموسيقية يعرف عما يتحدث، ولكنه يرى هنا الأشياء
التي امتنع دوما عن الكلام عنها: ابتذال الشهوات الجسدية
وعاديتها. ليست هذه حديقة عشاق رومانسية، بل منتزها عاما.
الثنائي العاشق يتخشب بلا معالم تحت ظل الشجرة. من
الواضح أنهما سيتقبلان الأمر في خنوع، سواء كان وشاية أم
ضربة سريعة. يسقط المطر على نحو أشد غزارة. لا تسقط

ضربة. كل حواس الثنائي تبحث عن مخبأ أو حماية: هل ستنزّل الضربة الآن؟ المهاجم يتردد. ينسحب الثنائي إلى الخلف وهما يأملان ألا يلاحظهما. يريدان النهوض والجري بعيداً! بعيداً! العاشقان صغيرا السن للغاية. الثنائي الذي رآه كلمر كان عبارة عن قاصرتين يتمرغان كالخنازير. يريد أن ينتزع العصا أخيراً من جانبه وأن يهوي بها على الغريبيين المتخاذلين، لكن السلاح لا يزال يضرب فخذة هو. لا يريد المرء أن يعود أدراجه بلا فريسة في ليلة كهذه. بوقوفه هنا ناشراً الخوف من حوله يقتنص كلمر شيئاً يستطيع أن يحضره إلى إريكا المستغرقة الآن في نومها. سيأتي كلمر لها أيضاً بنسمة هواء نقي، ما أحوجها إليها. يتأرجح كلمر في المكان مثل مفصل باب حديث التزييت. عندما يميل إلى الأمام يهدد العاشقين بالألم، وعندما يميل إلى الخلف يتيح لهما فرصة الهرب. تقهقر المراهقان إلى أن شعرا بشيء صلب في الظهر منعهما من الهرب. بالعزم يلين لك الحديد، وبالإرادة تبلغ ما تريد. لكنهما لن يبلغا ما يريدان دون الانحراف جانباً، رغم وجود الإرادة. فجأة يلقي الموقف هوى في نفس كلمر، فيشرع في أداء تمارينه الرياضية المعتادة. يجرب على الواقف أداء حركات تجديفية، ولكن دون مياه. إن معنى هذا المنظر الحي واضح للغاية. الأعداء: اثنان. عدو يمكن الإمساك بخناقه في سهولة، كما أنه جبان ولا يريد الصراع. هل ينتهز كلمر هذه الفرصة أم يدعها تغلت دون استفادة؟ سيد الموقف هو. يمكنه

أن يعلن تفهمه، أو أن يظهر في صورة المنتقم من الشباب
 الفاسد وممن يُخل بالسلام في الحديقة. يمكنه أيضاً أن يتصل
 بالسلطة المسئولة عن النظام في الحديقة. ولكن عليه أن يحسم
 أمره بسرعة، لأن خلو المكان من البشر يغري إغراء متزايدا
 بالفرار. لن تثمر صرخة كلمر "امسك حرامي" عن شيء. إنه
 يقف هناك فحسب، بلا فائدة في الطبيعة، بينما يهرب ضحاياه
 منه. يستشف الثنائي الشاب تردد هذا الرجل من نبرات صوته.
 ربما تسرع كلمر في إبداء تذبذبه، لعله لم يلحظ ذلك شخصياً،
 لكن المراهقين تلقياً الإشارة وفهماها! يبدو أنه تراجع دون -
 أن يلاحظ - عن استخدام العنف. وهما يستفيدان من الموقف.
 ينتهزان الفرصة السانحة قبل أن تطير. ولأن كلمر الآن ليس
 في قارب على المياه، مكانه المفضل، فإنه يتساءل: ماذا أفعل؟
 يلتف الاثنان حول جذع الشجرة ثم يركضان بسرعة. إن
 حضور كلمر الغليظ كاد يقذف بهما إلى الخلف مثل حجر في
 مقلع. نعال حذائيهما ترتطم بأرضية الحديقة ارتطاما مكتوماً.
 في بعض الأماكن تلمع الأرض الطينية. أثناء الهرب نسوا شيئاً
 يشبه الجاكيت، أم أنه معطف قصير؟ معطف صبية. لا يبذل
 كلمر جهداً كي يتعقبهما، إنه يفضل أن يدهس الجاكيت الملقى.
 لا يبحث عن محفظة داخله. ولا يبحث عن البطاقة الشخصية.
 لا يبحث عن أشياء ثمينة. يظل يطأ بقدميه الجاكيت داهسا إياه
 وتماديا في ذلك ومستمتعا بالأمر، مثل فيل مقيد لا يستطيع
 السير إلا سنتيمترات بسبب السلاسل في قدميه، إلا أنه يعرف

كيف يستفيد من الهامش المتاح. يدك الجاكييت في الأرض دكاً، دون أن يستطيع أن يحدد لذلك سبباً. رغم ذلك فإن نار غضبه تستعر، حتى أمسى العشب كله عدوه اللدود. بعناد واضطراب داخلي يدب فالتر كلمر بقدميه على الجاكييت اللين الشبيه بالوسادة المريحة، وفي إيقاع اختاره بنفسه. لا يريد أن تهناً الوسادة بالراحة. يدهس كلمر الجاكييت التريكو بكل قوته التي تخور شيئاً فشيئاً.

بعد خروجه من المنتزه يسير فالتر كلمر لبرهة في الشوارع سائلاً نفسه بلا جدية عن هدفه. يستولي عليه الضياع مقترباً بالقوة الطائشة، بينما يغط الآخرون في النوم. في أحشائه يتأرجح بالون من العنف. لا يصطدم البالون بجدران الجسد. يبدو لكلمر أنه يسير على غير هدى، لكنه في الحقيقة قطع نصف الطريق في اتجاه معين يعرفه، وفي اتجاه امرأة معينة يعرفها. أشياء عديدة تبدو معادية لكلمر، إلا أنه لا يواجه إحدى هذه العداوات، فهدفه أثمن من أن يضيع وقته في ذلك: هدفه امرأة نادرة موهوبة. إنه يتأرجح بين امرأتين أو ثلاث، لكنه في النهاية يختار امرأة واحدة. هذه المرأة لن يضحى بها في سبيل أن يخوض معركة. لذا فقد قرر أن يتجنب بكل تصميم أي عنف، إلا أنه لن يخشى مواجهته لو قابله وجهاً لوجه. يسير على السلم الكهربائي هابطاً إلى ممر يكاد يكون خالياً. يشتري من عربة صغيرة جيلاطي نصف سائل. يحصل على الجيلاطي دون اهتمام أو لطف من رجل يرتدي بيريه. لا

يدري الرجل أنه بعدم لباقته قد اقترب جداً من علقه ساخنة قد ينالها من كلمر. لكنه يترك الرجل ولا يضربه. البيرييه يرمز إلى بحار أو طبّاخ، أو كليهما، أما وجهه الذي لا يبدو عليه أي عمر فإنه يرمز إلى التعب. فم كلمر الشبيه بالمخروط ينتزع الكيس ويبتلع محتواه في جرعتين سريعتين. قلائل يروحون، وقلائل يجيئون، وقلائل يبقون في الكشك الزجاجي الذي يبيع الأطعمة السريعة في الممر التجاري. كان الجيلاتي دافئا وسائلا. الإصرار يبني الآن عشه داخل الهدوء المريح الذي يشعر به كلمر. نواته تتصلب مرة أخرى، وبتؤدة راح يستجمع بعضاً من قواه استعداداً لطلعة هجومية. ما يهمله في رحلته هو نهاية المطاف، إنه يريد الوصول قريباً، ولكن إلى أين؟ أخذ كلمر يقطع الشوارع في اتجاه امرأة معينة دون أن يخلو من نزعة عدوانية، لكن دون أن يتنازع مع أحد. بالتأكيد تجلس في انتظاره. وها هو يعود إليها، غير متواضع في رغباته، ودون أن يقبل حلولاً وسطاً فيما يخص مطالبه. لديه ما يريد إخبارها به، أشياء ستكون جديدة عليها تماماً. لديه أقوال كثيرة، ولديه ما يوزعه. كلمر مثل خشبة الصيد التي ترمى فتعود إلى صاحبها بعد إصابة الفريسة؛ إنه لا يشعر في الوقت الراهن سوى بالانجذاب إلى سكن هذه المرأة، ومن هناك سيعود محملاً بتصورات جديدة عن هدفه في الحياة. يبحث كلمر عن مركز إعصاره الداخلي، فهناك - حسبما يقولون - يسود الهدوء التام. لبرهة يفكر في الذهاب إلى مقهى. أريد أن أقضي بعض الوقت

بين أناس حقيقيين، يقول كلمر لنفسه، وهي رغبة مشروعة لإنسان يريد أن يكون في المقام الأول إنسانا، ورغم العوائق التي توضع دوما في طريقه. لا يذهب إلى المقهى. الممسحة القذرة تترك أثارا لزقة على طاولة البار المكسوة بالألومنيوم، وأسفلها في الفتارين تستقر تورتات وجاتوهات ملونة عليها طبقات هشة من القشدة. نقاط متجمدة، ووساخة دهنية على ألواح الريسوبال أمام أكشاك السجق. لم تهب بعد رياح الصباح التي يتشممها الحيوان الضاري الجريح. سرعة السير تزداد. في موقف التاكسيات ليس هناك إلا سيارة واحدة، وحتى هذه سرعان ما تطلب.

وصل كلمر الآن إلى بوابة عمارة إريكا. فرحة الوصول تتقاذف داخله، من كان يعتقد ذلك؟ الحق يسكن بدن كلمر. لا يقوم الرجل بمحاولة للفت الأنظار عبر رمي حصاة كما يفعل المراهقون مع فتياتهم. التلميذ كلمر أصبح بالغا، بين عشية وضحاها. لم يكن هو نفسه يظن أن الثمرة يمكن أن تتضج بمثل هذه السرعة. لا يقوم بأي محاولة كي يدخل إلى العمارة. يصبوب بصره إلى نوافذ مختلفة غارقة في الظلام، وبهدوء يحدد هدفه. يسدد نظراته إلى شباك مظلم، دون أن يعلم من يسكن هناك. يخمن أن وراء الشباك الغرفة التي تسكنها إريكا جزئيا، وتسكن الأم في الجزء الآخر. يعتقد أنها مخدع الزوجية، للزوجين إريكا والأم. يقطع كلمر الوثاق المشدود بحب إلى إريكا، ويربط الوثاق بشيء جديد. ستلعب إريكا منذ

الآن دوراً ثانوياً، دور الوسيلة التي توصل إلى الغاية. سوف يوازن في المستقبل بين العمل والمتعة. قريباً سينتهي من دراسته وسيُتاح أمامه من جديد وقت أكثر للاستمتاع بهوايته المائية. لم يعد يرغب في أن تهتم به هذه المرأة اهتماماً غير مرغوب فيه. لا يرغب في الأشياء البين بين. إما أنه سيهتم بأمر هذه المرأة، أو لا. جدول من العرق يحفر طريقاً له على صدغه الأيمن حيث ينسال منذ برهة بسبب ركضه السريع. من منخاريه يُصدر فحيحاً. لقد قطع كيلومترات عدواً في طقس دافئ نسبياً. يقوم بتمرين مناسب لتنظيم التنفس، وهو تمرين مألوف للشباب الرياضي. يلفت انتباهه كلمر أنه يتجنب الأفكار، حتى لا يفكر بعقله في ما لا يعقل. كل أفكار رأسه سريعة وزائلة. الانطباعات تتغير، لكن الهدف واضح، والوسائل معروفة مسبقاً.

يلتصق كلمر بالركن المجاور لبوابة العمارة، ساحباً سوستة البنطلون الجينز لأسفل. يرتكن إلى تجويف البوابة التي تحتضنه كأم رعوم. وهو يفكر في السيدة إريكا راح يمارس عادته السرية. بعيداً هو عن عيون المارة أو المتفرجين. كان مشنت الذهن، لكنه بوعي يركز في جوهرة الذي تشكل على الأرض. لديه وعي بجسده، وهو وعي مريح. لديه إيقاع الشباب. ينجز العمل لذاته وبذاته. لا مستفيد غيره. راجعاً برأسه إلى الوراء أخذ كلمر يستمني تجاه شباك مظلم عال، دون أن يعرف ما إذا كان هذا الشباك هو الذي يقصده بالفعل.

متبلد المشاعر هو، قاس لا يرحم. لم يؤثر فيه شيء وهو يحرث أرضه بإرادة لا تلين. تتمدد النافذة المظلمة فوق رأسه كأنها خلفية طبيعية. المكان الذي يقف فيه والمدعوم بذكورته يقع أسفل النافذة بطابق. يستمني كلمر كالمجنون، من غير أن ينوي الانتهاء مما يفعل. يعمل في حقل جسده بلا لذة أو بهجة. لا يريد أن يفرز شيئاً، ولا أن يدمر شيئاً. لا يريد أن يصعد إلى هذه المرأة، ولكن إن فتح شخص ما بوابة العمارة فسيطلع مباشرة إلى المرأة. لن يوقفه شيء! كلمر يدلك عضوه على نحو لا يلفت الانتباه إطلاقاً، ولذلك فإن أي شخص يراه يمكن أن يفتح له البوابة دون أن يرتاب في أمره. بإمكانه أن يظل واقفاً هنا إلى الأبد مواصلاً العمل في حقله، وبإمكانه أيضاً أن يحاول الدخول على الفور. الاختيار متروك له. دون أن يقرر الانتظار حتى يجيء شخص متأخراً ويفتح له البوابة المقفولة بالمفتاح، فإن كلمر ينتظر بالفعل. ولو ظل واقفاً حتى مطلع الفجر. ولو ظل منتظراً حتى يخرج أول شخص من المنزل في الصباح. يدعك كلمر قضيبه المتضخم وينتظر حتى تفتح البوابة.

وقف فالتر كلمر في التجويف واستغرق في التفكير: إلى أي حد سيمضي؟ على حين غرة باغنته الآن شهوة الطعام والشراب. بالحاح. كلتا الشهوتين معاً. غير أنه لا يقطع حبل الشهوة إلى المرأة، ولذلك لا يتوقف عن التدليك. إنه يعرف الآن - وستعرف هي أيضاً عن كذب - معنى أن يلعب معه

أحد بدون هدف. أن يدير أحد أمام عينيه علبة فارغة. إن على جسدها اللين أن يحتويه! سينتزعها من فراشها الفاتر، من جانب أمها. لا أحد يأتي. لا أحد يفتح له البوابة على مصراعها. في هذا العالم المتغير، الذي تسوده الآن ظلمة الليل، لا يعرف كلمر قيمة ثابتة سوى مشاعره.

بعد فترة يذهب كلمر كي يتصل بالتليفون. إذا غضضنا النظر عن عريه المحتشم فإن سلوكه عند البوابة كان هادئاً ومنضبطاً. في انتظار الذين قد يأتون متأخرين إلى بيوتهم. الصورة الخارجية التي أظهرها هي الوداعة الهادئة، أما في الداخل فإن حواسه تركز جسده. على العائدين إلى البيت ألا يروه على هذه الحال. عليهم ألا يرتابوا في أمره. لقد تملك العواطف زمام نفسه. ومتأثرٌ هو بعواطفه. قريباً ستزل المرأة من صهوة جواد الفن العالي، لتلقي بنفسها في نهر الحياة. ستمسي جزءاً من الفعل والفضيحة. الفن ليس مطية، ليس حصان طروادة، يقول كلمر بنبرة رتيبة إلى المرأة بالأعلى التي لا تتبش عن مضمون لحياتها سوى في الفن. ثمة كابينة تليفون غير بعيدة عن هنا. في اللحظة التالية يتم استعمالها. يحتقر كلمر المخرب الذي انتزع دليل التليفونات من مكانه بالكابينة. لعل حياة لا يمكن إنقاذها الآن، لأن شخصاً يبحث عن رقم تليفون ولا يجده.

قلقة راحت إريكا كوهوت تتقلب في نومها، نوم العادلين. تستلقي بجانب أمها التي كثيراً ما عاملتها بلا عدل، ومع ذلك

فإنها تغط في نومها وأحلامها بكل هدوء. لا تستحق إريكا هذا النوم، فهناك من يقطع الشارع بقلق من أجلها. بالطموح المعروف عن جنسها فإنها تأمل في الأحلام أن ينتهي كل شيء نهاية سعيدة وممتعة. تتمنى في أحلامها أن يغزو الرجل قلبها غزوا عاصفا. من فضلك، لقد استغنت اليوم من تلقاء نفسها عن التليفزيون، رغم أنه كان بإمكانها اليوم تحديداً أن تتأمل في الموضوع المحبب لديها: شوارع أجنبية، وعلى الفور تتخيل نفسها تمشي فيها، وتتمرغ في طمانينتها، إلى هذا الحد تتمنى أن يهتم بها الآخرون ويعتتوا بها، مثلما تلقى الشخصيات التليفزيونية الاهتمام والعناية. تجد نفسها غالباً في طبيعة أمريكية رحبة ليس لها نهاية، لأن هذا البلد لا يعرف حدوداً تقريباً. بل ربما أقوم برحلة صغيرة مع هذا الرجل، تفكر إريكا كوهوت شاعرة بضيق في الصدر، ولكن ماذا تفعل الأم عندئذ؟ لا ينجح كل إنسان للأسف الشديد في إخلاء مكانه في الوقت المناسب. رغماً عنها يفرز جسدها سائلاً رطباً يرد به على هذه الأفكار، السائل يُفرز دون إرادة، فالجسد لا يسير دائماً وفق الإرادة. الرحمة تجعل الأم تنام دون أن تدري شيئاً عما يدور حولها. جرس التليفون يرن الآن. مَنْ يتصل في هذه الساعة المتأخرة؟ تنتفض إريكا واقفة، وعلى الفور تعرف مَنْ الذي يستطيع أن يتصل في مثل هذا الوقت. صوت داخلي - تربطها وشائج قرابة معه - يقول لها ذلك. هذا الصوت يحمل ظلماً اسم الحب. المرأة سعيدة لفوزها في الحب، وتأمل في الحصول

قريباً على الكأس. سوف تختار له مكاناً شرفياً في شقتها الجديدة، وستضعه بجانب المزهريات. تشعر بأنها تحررت تماماً. تتحسس طريقها عبر الغرفة المظلمة ثم الغرفة الصغيرة في المدخل حيث التليفون. التليفون يصرخ. بالنظر إلى شروطها فلا بد أن تعتبر رنين التليفون دليلاً على العشق. تشعر مقدماً بالسرور لأن بإمكانها أن تبتعد الآن قليلاً عن شروطها. كم تشعر بالراحة! والحب المتبادل من الطرفين هو في نهاية الأمر حالة استثنائية، ففي أغلب الأحيان هناك طرف واحد هو الذي يهوى، أما الطرف الآخر فهو مشغول بالهروب من هذا الغرام، إلى أبعد ما تحمله قدماء. الأمر بحاجة إلى اثنين، وأحد الطرفين الآن لديه طرف آخر يشعر الشعور نفسه، ولهذا قام بالاتصال التليفوني؛ أليس هذا رائعاً؟ لقد جاءها الأمر مناسباً تماماً، "على الطبطاب".

تركت المعلمة خلفها على الفراش تجويفاً دافئاً راح يبرد، كما تركت في الفراش أمها التي لم تستيقظ بعد. الطفلة الناكرة للجميل نست رفيقتها التي لازمتها سنوات طويلة. الرجل يطلب تليفونياً أن تفتح له بوابة العمارة على الفور. تطبق يد إريكا على سماعة التليفون. لم تتوقع هذا القرب مرة أخرى. كانت تتوقع الإعلان عن الرغبات الليلية بكلمات رقيقة غاية في الرقة، ثم أن يحدث القرب الكامل قريباً، ربما في الغد، الساعة الثالثة في هذا المقهى أو ذاك. توقعت إريكا من الرجل أن يقدم خطة دقيقة لبناء العش. سيتحدثان في الغد والأيام المقبلة عن

كل شيء بالتفصيل! سيتناقشان عما إذا كانت العلاقة ستستمر إلى الأبد، عندئذ ستبدأ العلاقة. الرجل يستمتع ولا يحب الانتظار، أما المرأة فهي تفرش على الفور عمارة سكنية كاملة، لأن المرأة تهتم بالكل، من كافة نواحيه المرعبة والخطيرة. تلك الحقيقة غير المريحة: المرأة وعالمها الشعوري. عما قريب ستصنع هذه المرأة بيوتا معقدة شبيهة بأعشاش الدبابير لتسكن هناك، ولن يستطيع المرء أن يتخلص منها إذا شرعت في البناء، هكذا يتخوف فالتر كلمر على وجه العموم. لقد عاد كلمر مرة أخرى أمام البوابة منتظراً فتحها. يحسن بإريكا أن تفعل ذلك. إما الآن، وإلا فلا! تقلب إريكا الأمر على كافة وجوهه وللمرة الأخيرة، قبل أن تحضر سلسلة المفاتيح. تواصل الأم نومها. لا شيء يخترق جمجمتها أثناء النوم، فلديها بيت وبداخله ابنة. الخطط تبدو لها عديمة الجدوى. تتوقع الابنة كل ثانية أن تتال مكافأة عن الإنجازات التي قامت بها بالتزام وانضباط طوال سنوات. الانتظار أتى بثماره. قلائل هن النساء اللواتي ينتظرن الرجل المناسب ولو طال الانتظار. معظم النساء يقبلن بأول وأفضل وأصغر من يجيء. إريكا تختار آخر من جاء، وهو بالفعل أفضلهم. لن يفوقه أحد! كأنما تجد المرأة نفسها مرغمة على التفكير من خلال الأرقام والتشبيهات. تتوهم أن هذا من حقها لقاء خدمات ثمينة قدمتها في المجال الفني. وإذا أبعدها الإرادة الذكرية عن الأم التي خبرتها طويلا، فإن المشروع سيتوج بالنجاح. لا مانع لدي، الأمر يوافق هواي. إن

الطالب على وشك الانتهاء من دراسته، وهي تكسب المال. أما فارق السن فهو ليس مهماً، هكذا تقرر المعلمة نيابة عن التلميذ. تفتح إريكا البوابة بالمفتاح، وتسلم نفسها بالكامل في يدي الرجل. كلها ثقة. تمزح قائلة إنها تحت سيطرته. تؤكد أن الود ودها لو جعلت رسالتها كأن لم تكن. ولكن، ما كان، كان. الكارثة حدثت، لكنها ستصلح ما فسد، يا حبيبي. لماذا الرسائل، وكل منا يعرف أدق أسرار الآخر؟ كل منا يسكن في أفكاره الرائعة! وأفكارنا تغذينا على الدوام بشهدها. تقول إريكا كوهوت التي لا تريد بأي حال من الأحوال أن تذكر الرجل بإخفاق جسده: تفضل، ادخل! وإلى العمارة يدخل فالتر كمر الذي لا يود شيئاً مثل أن يكون الإخفاق الجسدي لم يحدث له أصلاً. أشياء كثيرة مهياة للاستخدام، وتتوع الاختيار يلقي هوى في نفس الرجل. سيستولي اليوم على بعض الأشياء ببساطة! يقول لإريكا: حتى يكون الأمر واضحاً منذ البداية. ليس هناك أسوأ من امرأة تريد كتابة سفر الخليفة من جديد. هذه شخصية تصلح للمجلات الفكاهية. بينما كمر شخصية تصلح لرواية عظيمة. إنه يستمتع بذاته، دون أن يستهلكها. على العكس، إنه يستمتع ببرودته، هذا المكعب الثلجي في الحلق. إن الامتلاك مع الحرية يعني القدرة على الذهاب في كل وقت. الملكية تبقى في انتظارك. عن قريب سيغادر مرحلة هذه المرأة، يقسم على هذا. لقد رفضت هذه المرأة أن يتبادلا المشاعر، رغم أنه قدم عرضه بجدية في البداية. الآن فات الميعاد. الآن حسب

شروطي أنا، يقترح ك. لن يسخر منه أحد مرة أخرى، يؤكد ك معطياً كلمة شرف. يسأل مهديداً: ماذا تحسبه؟ يكرر السؤال مراراً، وكأنه بالتكرار سيكتسب معني أفضل.

فالتّر كلمر يدفع بالمرأة إلى داخل الشقة، والعاقبة معركة كلامية تنشأ في خفوت، لأن سلوكه لم يعجبها. في بعض الأحيان تحمي نفسها بالمعركة الكلامية. أثناء المشادة تعنف إريكا الرجل لأنه دفع بها إلى شقتها، بينما هو مجرد ضيف هنا. بعد ذلك تتخلى عن إحدى عاداتها السيئة: التذمر الأبدي. في تواضع تقول: ما زال هناك الكثير لأتعلمه، بل إنها تقدم اعتذاراً بين مخالبتها، وهي تقع أمام قدمي الرجل فريسة تقطر دماً. إنها لا تريد أن تفسد كل شيء في مهده، تفكر إريكا. تعلن ندمها لأنها فعلت أشياء كثيرة خاطئة، ومعظمها في البداية. ولكن كل بداية صعبة، تقول إريكا لنفسها مدللة على أهمية البداية الصحيحة. على مهل تستيقظ الأم الآن. بسبب وقع الكلمات المزعج. طموح الأم ينزع دوماً إلى السيطرة. من يتحدث هنا في منتصف الليل وكأننا في منتصف النهار، وفوق ذلك في شفتي ومع ابنتي؟ يرد الرجل بإشارة تهديدية. كلتا المرأتين تستعدان لضربة مضادة في شكل موجة من الضغط المشترك تكتسح الرجل الواقف وحيداً. ألم تربي؟ ثم لا تشعر إريكا إلا وصفعة تنزل على وجهها. كلا، لم يخدعها بصرها، الضربة نفذها الرجل كلمر، وبنجاح! ذاهلة تضع راحتها على خدها، ولا ترد بشيء. البهتة تصيب الأم. إذا كان من حق أحد

هنا أن يضرب، فهو حق مقصور عليها وحدها. بعد قليل، عندما لم يقل كلمر شيئاً، تقول إريكا: اخرج بره! تضم الأم صوتها إلى صوت ابنتها، معطية إياه ظهرها، بذلك تبرهن على أن هذه المسرحية تثير الغثيان لديها. يسأل كلمر الابنة بصوت خافت وبنبرات منتصرة: لم تتخيلي الأمر هكذا، أليس كذلك؟ الأم مندهشة من الرجل الذي لا يريد أن يخرج إلا بعد عراك. ثم تؤكد وهي تتحدث إلى الهواء أن ما يتحدثان عنه لا يهمها على الإطلاق. حتى الآن لم ترفع صوتها كي تشتكي شكوى مدوية. في تلك اللحظة ينال خد إريكا الآخر لكمة ثانية. لم تكن هذه مقابلة لطيفة بين البشرة والبشرة. بسبب الجيران راحت إريكا تتهنه بصوت خفيض. تتبته الأم وتذكر أن ابنتها قد أهينت في عقر دارها، وتحولت إلى جهاز رياضي لهذا الرجل. في غضب تشير الأم إلى أنه بذلك يتلف ملكية الغير، وتحديداً ملكيتها هي! وتستخلص الأم النتيجة التالية: اطلع بره حالا! وبأسرع ما يمكن!

بمهارة يدوية يحكم الرجل قبضته على ابنة هذه الأم. ما زالت إريكا نصف مشلولة من النوم، ولذا لا تفهم: كيف يسيء مكافأة الحب - حبها - على هذا النحو؟ نحن ننتظر دائماً مكافأة مقابل إنجازاتنا. بالنسبة للآخرين فإننا نعتقد أننا لسنا بحاجة إلى مكافأتهم على إنجازاتهم، ونأمل أن نحصل عليها بثمن بخس. تشرع الأم في اتخاذ خطوات عملية، ومن بينها الاتصال بالشرطة، لذلك تتال دفعة قوية تطوح بها إلى غرفتها،

فتقع إلى الخلف وتسقط سقطة غير لينة على الأرض، أثناء ذلك يعبر كلمر لها عن رأيه قائلاً إنها ليست من يتحدث معها! لا تصدق الأم ما تسمع. لقد تعودت أن تمسك دوماً بكل الخيوط في هذا البيت. لدينا وقت، الليلة كلها إذا تطلب الأمر. توقفت الزهرة إريكا الآن عن مد قامتها متطلعة في جوع إلى النور. يسألها كلمر: هل هذا ما تخيلتيه؟ مثل صفارات الإنذار راح صوتها يتصاعد وهي تقول: لا. تحبو الأم ثم تنهض، وتهدد الطالب بشيء مريع، ستشارك الأم فيه مشاركة فعالة. تقسم الأم العجوز القديسة أنها، إذا اقتضت الضرورة، ستطلب مساعدة خارجية. عندئذ سيندم لأنه فعل ذلك بلا رفق أو هوادة مع سيدة هي في مقام أمه. عليه أن يفكر في أمه! تشعر الأم بالرتاء بشأن أمه التي كان عليها أن تلده. عندما تمكنت الأم من الزحف إلى الباب وهي تطلق هذه الكلمات، نالت مرة ثانية دفعة فظة أعادتها إلى حيث أنت. فالترك يترك من أجل هذا الغرض إريكا لبرهة، ثم يغلق الشاب بالمفتاح غرفة الأم الضيقة، وبدخلها الأم. مفتاح هذا المخدع يصلح لمعاينة الابنة ومنعها من دخول الغرفة، إذا اقتضت الضرورة ذلك. لقد حبسها، هكذا فكرت الأم بعد الصدمة الأولى وهي تخرش على الباب. تتوح الأم وتهدد بعواقب وخيمة. المقاومة تزيد من عزم كلمر. المرأة تمثل خطراً أمام الرياضي المحترف قبل المباريات الصعبة. تعارض إريكا رغباته، وتبكي قائلة: لم يكن هذا هو ما توقعته. ثم تقول ما يقوله زوار المسرح: لقد خابت

توقعاتي! من ناحية تشعر إريكا برغبات جسدها تكتسحها، من ناحية أخرى تكتسحها قوة غريبة انبثقت عن عشق مرفوض.

تنتظر إريكا منه أن يعتذر الآن على الأقل، إذا لم يكن قادراً على تقديم أكثر من الاعتذار. ولكن كلا. ترحب إريكا بأن الأم لا تستطيع أن تتدخل بينهما. أخيراً يستطيع المرء أن يحل المشاكل الشخصية على نحو شخصي تماماً. من يفكر الآن في الأم وحب الأم عدا الشخص الذي ينوي أن ينجب أطفالاً؟ كلمر يتحدث بصفته رجلاً. عبر حركة بسيطة، مكشوفة الهدف، تحاول إريكا إيقاظ إرادة الرجل. إنها تتضرع حتى تتأجج الشظايا وحتى يستطيع المرء بعد ذلك أن يضع فوقها قرمة سميكة من الرغبة. للمرة الثالثة تضرب على وجهها رغم أنها تقول: من فضلك، ليس على الرأس! تسمع شيئاً عن سنها الذي وصل إلى الخامسة والثلاثين على الأقل، سواء شاعت أم أبت. شيئاً فشيئاً يتعكر مزاجها بسبب عناده الجنسي. ببطء تتغلق عيناها. أخيراً تتبرع لكلمر بهبات من الكراهية والحقد. كأنما مسه سحر: ها هي الحقيقة تتجلي أمامه مثل السماء بعد سحابة صيف. إن خداعه لذاته هو الذي مكنه من أن يلبس هذا الكره الرائع رداء العشق طوال هذه المدة. لقد أعجبه الرداء فترة طويلة، ولكنه الآن يسقط. المرأة على الأرض تعتبر أشياء كثيرة أشواقاً ملتبهة، يمكنها أن تعتبر سلوكه مفهوماً إذا كان دافعه الشوق. هذا ما سمعته إريكا كوهوت ذات مرة. لكن يكفي يا حبيبي! فلنبداً بشيء أفضل! تريد أن تمحو الألم من تاريخ

حبهما. لقد خبرت الألم الآن ببدنها، ولهذا تلتمس منه أن يعودا إلى طرق تنفيذ الحب العادية. فلنقترب بتفاهم من الـ"أنت". بالقوة يفرض فالتر كلمر سيطرته على هذه المرأة التي تدعي الآن أنها غيرت رأيها. لا تضربني من فضلك، ما أحلم به الآن هو تبادل الأحاسيس، تغيير إريكا من أفكارها بعد فوات الأوان. تتبنى الآن رأياً جديداً يقول إنها كامرأة بحاجة إلى الدفء والحنان والعطف. تضع إريكا يدها أمام فمها الذي نزلت زاويته. يجيب الرجل أن ما تحلم به مستحيل. إنه ينتظر إن تتراجع المرأة قليلاً إلى الوراء، وعندئذ سيواصل هجومه. إن ما يحركه الآن هو غريزة الصياد. غريزة الرياضي والمهندس التي تحذره من الصخور والأغوار السحيقة، وإذا مدت المرأة يديها للإمساك به، فسوف ينصرف على الفور! تتضرع إريكا إلى كلمر بأن يظهر جوانبه الطيبة، لكنه يرفض التعرف إلى الحرية.

بقبضته اليمنى يوجه فالتر كلمر ضربة متوسطة القوة إلى بطن إريكا، لكنها تكفي لطرحتها أرضاً مرة ثانية بعد أن كانت قد نهضت واقفة. تتثني إريكا حول يديها اللتين تضغطان على بطنها. لقد أصابها في المعدة. فعلها ببساطة وبلا مشقة. لا ينفصل كلمر عن ذاته وأفكاره، على العكس لم يكن في يوم متسقاً مع ذاته مثل اليوم. يهزأ بها متسائلاً: أين إنز هي حبالك وأربطتك؟ وأين قيودك؟ إنني أنفذ أوامرك فحسب يا سيدتي المبجلة. الآن لا تساعدك الكمامات والأحزمة، يتهم كلمر الذي

نجح في التوصل إلى تأثير الكمادات والأحزمة والوسائل المساعدة الأخرى. دون أن تعلم ما يحدث لها ولا ما تفعله، تفرع الأم الباب شبه غائبة عن الوعي من شرب الليكور. زاد من عصبيتها أنها لا ترى ما يحدث لابنة. لكن الأم ترى دوماً، حتى دون أن ترى. لم تحترم يوماً حرية طفلتها، والآن ها هو شخص آخر يتعامل مع تلك الحرية بلا احترام. بدءاً من اليوم سأنبئه انتباهاً مضاعفاً، تعد الأم نفسها، وكلها أمل في أن يترك هذا الشاب شيئاً في ابنتها يستحق الرقابة عليها، لقد قومت عود هذه الابنة الملتوي، والآن ها هو يثنيه من جديد. تكاد الأم تصاب بنوبة جنون.

في تلك الأثناء يضحك كلمر على كومة اللحم التي كومها، ويقول بسخرية: بالنسبة إلى سنك فإن القطار على وشك أن يفوتك! تولول إريكا نظراً لما عاشاه وعانياه معاً أثناء الدرس. تسأله متوسلة: ألا تتذكر أنت أيضاً بسرور الفروق بين السوناتات؟ يسخر من الرجال الذين يقبلون صاغرين كل ما تفعل بهم النساء. ليس هو من هذا الصنف، وهي قد بلغت في الأمر كثيراً. وهي عموماً شخص يبالغ، وغريب الأطوار. ثم أين الكرابيج والأربطة؟ يخبرها كلمر: إما أنت وإما. والحل الذي يقدمه: أنا. لكنه يعزبها قائلاً إنها ستولد من جديد عبر كراهيته، ثم يشرح لها رأيه بصوت عال وهو يضربها ضرباً خفيفاً على رأسها الذي حمته بذراعيها حماية غير كافية. يرميها بجملة قاسية صعبة المضغ: تريد أن تصبحي ضحية،

إن كوني ضحية! يسألها وهو يعذبها: ماذا حدث الآن مع رسالتها الرائعة؟ لا داع للرد.

خلف باب الغرفة تخشى الأم أن تحدث مصائب في حديقة الحيوان الصغيرة التي تملكها والمكونة من قفص واحد. باكية تستعرض إريكا الخيرات التي غمرت بها التلميذ، وتحديدًا الاجتهاد اللانهائي أثناء تكوين ذوقه الموسيقي، والوصول به إلى مرحلة الكمال. منتحبة تذكر إريكا خيرات حبها التي أنعمت بها على الرجل والتلميذ المجتهد. تحاول أن تسود، لكن القوة الغاشمة وحدها هي التي تعوقها عن ذلك. الرجل أقوى. يسيل لعاب إريكا وتقول إنه لن يسود إلا بقوة جسده الغاشمة، فيقابل كلمر كلامها بضربها مرات ومرات.

وفجأة تنمو المرأة مثل شجرة وسط حقل كراهية كلمر. هذه الشجرة تم تشذيبها، وعليها أن تتحمل ما يفعل بها. اليد تصفع الوجه، فيصدر صوت مكتوم. الأم خلف بابها لا تعرف ماذا يحدث، لكنها تبكي من الاضطراب. تفكر في القيام بخطوة قامت بها عشرات المرات في هذه الأمسية، والسير إلى خزانة الليكور نصف المنهوبة، أي إلى البار المنزلي الصغير. لا تفكر في طلب النجدة، فالتليفون بعيد لا يمكن الوصول إليه عند مدخل الشقة.

كلمر ينهال على إريكا بالسباب بسبب عمرها، ليس لامرأة في مثل حالتها أن تنتظر منه شيئاً في العشق والهيام. إن كل ما قدمه لها في هذا الشأن كان تمثيلاً وادعاءً كاذباً. كانت تجربة

علمية، يقول كلمر ناكراً احتياجاته النفسية الشريفة. وأين هي
حبالك الشهيرة، يقول قاطعاً الهواء كأنما بشفرة حلاقة. عليها
أن تصاحب رجالاً في سنّها أو أكبر قليلاً، يقول مقترحاً،
ومنهالاً عليها بالضرب. عادة ما يكون الرجل هو الأكبر عمراً
من السيدة رفيقته في العلاقات الثنائية. ينهال كلمر بالضرب
العشوائي على المرأة. هذا الغضب لم يكن يبحث عن مناسبة
لحقّ فيها بالإنسان مكروّة أو تعرض فيها إلى ظلم، بل على
العكس، لقد تكون الغضب ببطء، لكن بفعالية مؤكدة، لوقوعه
في شبّاك الهوى. بعد فحص وتدقيق عبرت إريكا لهذا الرجل
عن حبها، ثم، ماذا حدث؟

حتى يواصل الرجل المضي في طريقه قُدماً، في الحياة
كما في المشاعر، عليه أن يدمر المرأة التي ربما تكون قد
ضحكت عليه أيام كانت تنتصر عليه انتصاراً سهلاً! لقد
توسمت فيه القدرة على أن يقيدها ويكتمها ويغتصبها، وكلفته
بذلك، والآن تتال ما تستحق. اصرخي، اصرخي! يطالبها
كلمر. تبكي المرأة بصوت عال. والدة المرأة تبكي أيضاً خلف
بابها دون أن تعرف تماماً سبب البكاء.

تتكور إريكا كالجنيين، وخيط ضئيل من الدماء ينزف منها،
بينما يواصل الرجل عمله التدميري. عبر إريكا يرى الرجل
نساء أخريات كثيرات، كان يريد دوماً أن يتخلص منهن.
يلكمها في وجهها قائلاً إنه لا يزال شاباً. لم تنزل الحياة بأكملها
في انتظاري، نعم، بل إن الحياة الجميلة ستبدأ الآن! بعد

الانتهاء من دراستي سأقوم بإجازة طويلة في الخارج، هكذا يُقرب الطعم منها، ثم لا يلبث أن يُبعده: وحدي! لا يستطيع المرء أن يدعي أنك شابة يا إريكا، أليس كذلك؟ إذا كان هو شاباً، فهي عجوز. هو رجل، وهي امرأة. راح فالتر كلمر، المتقلب المزاج، يدهس إريكا الراقدة على الأرض ويركلها في ضلوعها. يفعل ذلك بجرعات محددة حتى لا ينكسر ضلع. على الأقل يسيطر على جسده دائماً. عبر العتبة/إريكا يخطو فالتر كلمر إلى الحرية. لقد طلبت التحدي بنفسها عندما تمت أن تسير عليه وعلى شهواته. وها هي تجني الثمرة. لديه شعور مظلم كئيب فيما يخص هذه المرأة. إنه يحدث ما سيجري لها. تستنكر المرأة بصوت عال كرهه لها، ولكن فقط لأنها تعاني جسدياً منه. تصرخ صرخة عالية وتشرع في التوسل بكلمات مضطربة. سمعت الأم هذه الصرخة، وبغيظ مكتوم تلحق بها هي أيضاً. ربما لن يترك الرجل شيئاً باقياً من الابنة تستطيع أن تتحكم فيه. يتلبس الأم كذلك خوف هائل من أن يحدث للطفلة مكروه. يدفعها دافع إلى أن تركل الباب وأن تطلق تهديداتها، لكن استجابة هذا الباب أقل من استجابة إرادة الطفلة في الأيام الخوالي. تعبر الأم عن مخاوف لا يتبينها المرء تماماً بسبب الباب. تزعق متوعدة بالويل والثبور وعظائم الأمور بسبب اقتحام شقتها عنوة. تذكر الابنة بالعواقب الوخيمة التي تنتبأ بها إذا وقعت في حب الرجال، لكن الابنة لا تسمعها. تبكي الابنة الآن بلا كابح، بينما يواصل الرجل ركلها في

بطنها. راح كلمر يتمرغ في الاستنكار الأنثوي لما يفعله وهو يشعر باللذة والسرور لأنه لا يعير هذا الاستنكار أي اهتمام. يريد الرجل أن يمحو محواً ما كانته إريكا في يوم من الأيام، لكنه لا ينجح. لا تتي إريكا تذكره بمكانتها لديه في السابق. "أتوسل إليك" تقول متضرعة. من خلف الباب تعرب الأم عن خوفها من أن تكون طفلتها قد انكشمت خوفاً أمام الرجل وتضاعلت. ثم الإيذاء الجسدي. تخشى الأم أن يحدث مكروه لثمرة بطنها اليابسة. تتضرع إلى الرب وابنه. ولأن فقدان سيكون نهائياً، فإن الأم تخشى أن تضيع ابنتها من بين يديها. سنوات طويلة من التدريب الشاق، كل هذا سينقشع مثل فقاعة في الهواء. الرجل سيحتل مكانها. تتوي الأم أن تجهز شيئاً عندما يُسمح لها بالخروج من هنا، وإذا رُغب أحد في شرب الشاي. بصوت رفيع تصيح بشيء عن الثأر! وإبلاغ السلطات الحكومية! تولول إريكا على فوهة هاوية العشق. يزعم الرجل أن مطالبها المكتوبة تبدو له مفرطة في المجون والإباحية. ويزعم أن فشله كان بالغ الإهانة. إنها لم تقض أبداً فترة طويلة مع الناس، ولهذا فهي تعتقد أنها الأفضل. ولكن إذا خرجت مرة إلى الحياة العامة، فلن تتال إلا نصيباً ضئيلاً تافهاً. وقريباً سيكون الميعاد قد فات.

ترقد إريكا على الأرضية، وتحتها المشاية الموضوعة أمام مدخل الشقة والتي ترحزحت قليلاً عن مكانها. تقول: ارحمني. إنها لا تستحق كل هذه العقوبة من أجل الرسالة وحدها. أطلق

كلمر العنان لنفسه، أما إريكا فبقيت بلا عنان أو قيد. يضرب الرجل ضربات خفيفة ويتساعل بنبرة كاوية: هه، أين هي رسالتك الآن؟ هذا هو ما نالك منها. يتفاخر بأنه - كما ترى - لا يحتاج إلى قيود. يسألها: هل نفعتها الرسالة الآن؟ هذا هو كل ما نالك منها! يشرح كلمر للمرأة مع الضربات الخفيفة أنها هي التي أرادت الأمر هكذا، وليس على أي شكل آخر. عليك إذن في المرة القادمة أن تعبري عن نفسك بطريقة أكثر دقة، يقول الرجل مقترحاً ومنهالاً عليها بالضرب. بالركلات يبرهن لها صحة المعادلة البسيطة: أنا هو أنا. وأنا لا أخجل من ذلك. بل أدافع عن رأيي. يهدد المرأة بأن عليها أن تقبله كما هو. أنا كما أنا. من الركل أصيبت إريكا بشرخ في عظمة الأنف، وشرخ في أحد الضلوع. تخفي وجهها بين يديها، بينما يقول كلمر إنه يؤيدها في ذلك. هذا الوجه ليس مميزاً، أليس كذلك؟ هناك وجوه أجمل، يقول الخبير وينتظر أن ترد المرأة قائلة أن هناك أيضاً وجوهاً أقبح. انزلق قميص النوم عن إريكا قليلاً. كلمر يفكر الآن في اغتصابها، ولكن احتقاراً للإغراء الجنسي الأنثوي يقول إنه يريد أولاً شرب كأس من الماء. يشرح لإريكا أن الإثارة التي تسببها له أقل من الإثارة التي يشعر بها دب أمام جذع شجرة مجوف يعيش بداخله سرب من النحل. لم يلفت جمال إريكا نظره أبداً، بل إنجازها الموسيقي. والآن لن يضيرها أن تنتظر عدة دقائق. لقد حللت المشكلة على طريقتي، يخبرها طالب الهندسة بلهجة رسمية. تلعن الأم وتسب. وإريكا

تفكر في الهرب. إنها متدربة على التفكير، لا على التنفيذ. انغلاقها التام على نفسها لم يساعدها يوماً على نقل الأفكار إلى أرض الواقع.

المياه تتساب طويلاً في المطبخ، فالرجل يفضلها باردة. إنه يدرك تمام الإدراك أن تصرفاته سيكون لها عواقب، لكنه سيتحملها كرجل. يشعر بطعم الانزعاج مع الماء. "عليها هي أيضاً أن تتحمل العواقب" يفكر بسعادة أكبر. الأكيد أن درس البيانو قد انتهى الآن بالنسبة له، في المقابل فإن وقت الرياضة قد بدأ. لا أحد من بين الحاضرين الثلاثة يشعر بالراحة في هذا الموقف، ومع ذلك كان لا بد من الأمر. لا أحد يُقدم على خطوة تصالحية. يصيح كلمر بسمعه ليعرف هل ستلقي المرأة بالذنب جزئياً على نفسها. "الذنب ذنبك أيضاً، ولو في جزء صغير منه، عليك الاعتراف بذلك، يعترف كلمر أمام المرأة". "على المرء ألا يثير شخصاً حتى أقصى حدود الإثارة، ثم يتركه ويذهب ليتمشى. الناس ليسوا لعبة في يدك يا إريكا".

بحق يركل كلمر باب خزانة سحرية مجهولة المحتوى، فيفتح بغتة ويظهر محتواه على غير توقع: صفيحة زبالة وبداخلها كيس من البلاستيك. بسبب موجة الضغط التي سببتها الركلة تنتشر نفايات عديدة من قمة السلة وتتوزع على أرضية المطبخ. عظام في معظمها. في مقلاة ثمة لحم محروق. رغما عنه يضحك كلمر. هذا الضحك يؤلم المرأة خارج المطبخ. تقترح أن "بإمكاننا أن نتحدث حول كل شيء، من فضلك". ثم

لا تلبث أن تعترف علانيةً بجزء من ذنبها. طالما هو مادام هنا، فثمة أمل. المهم ألا تتصرف، من فضلك. تريد أن تنهض، لكنها تعجز وتقع ثانية. تصرخ الأم إلى ابنتها من خلف المتاريس التي لم تقمها: كيف حالك؟ تجيب الابنة: شكراً، لا بأس. كل شيء سيكون على ما يرام. تتوسل الابنة إلى الرجل بأن يطلق سراح ماما. الابنة تزحف إلى الباب، بينما تواصل الأم صيحاتها من خلف الباب مناديةً ابنتها بصوت عالٍ. وفي النفس ذاته تسب الأم وتلعن، كعادتها. استمد كلمر قوة من الماء البارد. الماء البارد برده قليلاً. كادت إريكا تصل إلى باب الأم، غير أن التلميذ يرمي بها إلى حيث جاءت. ترجوه مجدداً: ليس على الرأس وليس على اليدين. يخبرها كلمر أنه لا يستطيع في حالته هذه أن يخرج إلى الشارع، وإلا سيصيب معظم الناس بالفزع البالغ. هي المسئولة عن حالته هذه، كوني لطيفة معي قليلاً يا إريكا. من فضلك. بسرعة يطرح نفسه على المرأة. راح يلحق وجهها كله، راجياً أن تمنحه حبها. ومن تمنح هذا العشق السخي والقليل التكاليف غير امرأة عاشقة؟ تحت سيل من التوسلات كي تمنحه حبها، شرع الرجل يحرر نفسه ساحباً السوستة إلى أسفل. بعد لحظات من التفكير يحسم أمره ويلج المرأة راجياً إياها الحب والتفهم. بعنف يطالب الآن بحقه في العطف والحنان، وهو حق يناله حتى أكثر الناس سوءاً. كلمر، السيئ، يحفر في المرأة. ينتظر أن يسمع منها تأوهات اللذة. لا تشعر إريكا بشيء. لا يجيء شيء. ولا يحدث شيء. إما أن

الأوان قد فات، أو لم يحن بعد. تعلن المرأة على الملأ: يبدو أنها ضحية خداعه، إذ أنها لا تشعر بشيء. إن هذا الحب هو في جوهره تدمير. من أعماقها ترجو أن يتمنى كلمر أن تحبه. يصفع كلمر وجهها صفة خفيفة كي تتبعث آهة. الأمر بالنسبة له سيان في الحقيقة، لأي سبب تتأوه. تتمنى إريكا الشهوة، لكنها لا تستهي شيئاً ولا تشعر بشيء، لهذا تطلب من الرجل أن يتوقف على الفور! ولأنه راح يضربها الآن ضربات أقوى براحة اليد، دون أن يتوقف عن رجائه المضمني بأن تحبه، فإن كلاهما يبذل أقصى ما لديه من جهد. تسلق شاق للجبال. لا تدعن المرأة عن اختيار وسعادة، إلا أن الرجل يتوقع منها أن ترضيه بمحض إرادتها. ليس بحاجة إلى أن يرغم امرأة. يصرخ في وجهها أن تستقبله ببهجة! ينظر إلى الوجه الجامد المشاعر ويرى أن وجوده هنا لم يسبب لها سوى الألم. "هل معنى هذا أن عليّ الانصراف؟" يسأل كلمر وهو يوزع ضرباته. من أجل هذه المرأة يُظهر كلمر أفضل إنجازاته الشخصية، كي يستطيع أخيراً التخلص من شهوته، نهائياً، هكذا يهددها. تتهنه إريكا: توقف، إنك تؤلمني". فقط بدافع الخمول أو الكسل لن يفك كلمر نفسه من هذه المرأة قبل أن يقضي وطره. يرجوها أن تحبه. يلحسها ويضربها بالتناوب. يهتز وقد احمر وجهه غضباً، ثم يضع رأسه على رأسها. تطلب الأم أن يُنهي ما يفعله. تضرب بيدها على الباب في إيقاع الرشاش الآلي. تطلق دفعة من الطلقات دون مراعاة للجيران. يزيد كلمر من

سرعته التي ارتفعت للغاية في تلك الأثناء. لا يتجاوز الهدف، بل يقذف في الهدف تماما. لقد أنجز الرياضي المحترف ما يريد. وفي اللحظة ذاتها راح بنشاط وخفة ينظف عضوه بمنديل ورقي. يكرمش المنديل ويلقيه كرة مبلولة على الأرض بجانب إريكا. يلتمس منها ألا تحكي لأحد شيئا عما حدث، لمصلحتها الشخصية. يعتذر عن سلوكه، ويرجعه إلى أن الرغبة داهمته، هذا ما يحدث للرجل. ثم يعد إريكا بشيء ضبابي. تظل المرأة مطروحة على الأرض. "أنا الآن في عجلة من أمري للأسف الشديد" يقول الرجل معتذرا بطريقته. "لا بد أن أنصرف الآن" يقول كلمر مقدما على طريقته الحب والاحترام للسيدة. لو كان لديه الآن وردة واحدة حمراء، لأهداها على الفور لإريكا. يحييها في ارتباك قائلا "طيب، سلام"، ثم يبحث على الطاولة الصغيرة بجوار المدخل عن سلسلة المفاتيح التي تضم مفتاح بوابة العمارة. وفي الختام يقدم لإريكا نصائح مخصصة تساعد في الحياة: "ليس من الجيد أن تعيش امرأتان وحدهما". راح يشد لها العنان. عليها أن تفكر في الفارق بين الأجيال، بلا أحكام مسبقة! يقترح كلمر على إريكا أن تكثر من الخروج ومقابلة الناس، إذا لم يكن معه، فوحدها. يعرض عليها أن يرافقها إلى أماكن يعلم أنه لن يذهب إليها أبدا مع إريكا. يعترف: "خلاص، انتهينا. هل ستجرب شيئا شبيها مع رجل آخر؟" يسأل كلمر المرأة بدافع حب المعرفة. ثم يجيب هو نفسه على سؤاله الإجابة المنطقية

الوحيدة: "لا، شكراً" يندرها بظهور العفاريث إذا فكر المرء فيها، ويقول متحدثاً بكلمات جوته، "إن العفاريث التي يستدعيها المرء لا يستطيع التخلص منها". ثم يضحك على ما يقول. لا بد أن يضحك: أترين، هكذا هو حال المرء. ينصحها: "خذي بالك من نفسك!" فلتضع الآن أسطوانة حتى تهدي أعصابها. لا يتسلل منصرفاً، بل يودعها للمرة الثالثة الآن، وبصوت عال. يسألها: هل ينقصها شيء؟ ثم يجيب على سؤاله: معلش، "لا تشغلي بالك! إلى أن تتزوجي، ستكون المياه قد عادت إلى مجاريها" يقول كلمر متطلعاً إلى المستقبل بقوة الحكمة الشعبية. دون قبلة سيتحتم عليه هذه المرة أيضاً أن يذهب إلى منزله، وإن كان هذه المرة قد اقتنص هو منها قبلة. دون أجر أو جزاء ينصرف. لقد حصل أجره بنفسه. والمرأة أيضاً حصلت على أجرها المستحق. الدنيا تعطي من لا يريد، هذا هو رد فعل كلمر تجاه إريكا التي لم يفعل جسدها معها. يقفز على الدرج نازلاً، ويفتح بوابة العمارة، ثم يلقي بسلسلة المفاتيح إلى الداخل، على الأرض. سيترك السكان بلا حماية ولن يغلق البوابة، وسيمضي هو في طريقه. يعتزم أثناء السير أن ينظر بوقاحة وتعال في وجوه المارة، إذا رأى مارة. سيمسي استفزازاً حياً لكل من يراه، وسيقطع خط الرجعة إلى هنا. كرياضي ينتقل ببراعة بين متوازيين، متأكداً من أن كلتا المرأتين لن تذكر ما حدث بكلمة واحدة، ولمصلحتهما الذاتية. لوهلة يفكر في تكاليف محتملة كعاقبة لما فعله، وفوائد المبلغ

في البنك. لم تعد ثمة سيارات في الشارع، وإذا جاءت فإن سرعة رد فعل الشباب ستجعله يقفز في الوقت المناسب بسرعة وعزم إلى الجانب. شاب وسريع، هكذا يشعر كل مر أمام الجميع. يقول: بإمكانني هذه الليلة أن أقتلع أشجارا! يشعر بهدوء في أعماقه لأن حالته الآن أفضل كثيرا عن ذي قبل. بغزارة يتبول على جذع شجرة. عن وعي لا يدع سوى الأفكار الإيجابية تمر إلى عقله، هذا هو السر الوحيد للنجاح. فرأسه به عقل "اتجاه واحد"! الاستعمال مرة، ثم المسح. لم يعد كل مر يريد أن يجر جر معه أثقالا، يعقد نيته على ذلك. يسير الآن وسط الشارع، التحدي في صورة إنسان.

طلع النهار الجديد وإريكا وحدها. على جسدها شرائط طبية لصقتها أمها المعتنية بأمرها. كان بإمكانها أن تبدأ هذا النهار مع الرجل. بدون استعداد كاف لتلاقي المرأة هذا اليوم. لا أحد يتوجه إلى جهة حكومية مطالبا إلقاء القبض على فالتر كلمر. على العكس من حالة المرأة، فإن الطقس جميل. الأم صامئة على نحو غير معهود. هنا وهناك ترمي رمية طيبة النية، لكنها تخطيء السلة التي علقتها - لأجل الابنة - عالية للغاية. طوال سنوات والأم تزيد ارتفاع السلة شيئا فشيئا. الآن لم يعد المرء قادراً على رؤيتها إلا بصعوبة. تصدر الأم قراراً بأن على الابنة أن تكثر من الخروج ومقابلة الناس حتى تتعرف إلى وجوه وأماكن جديدة! بالنسبة لامرأة في عمرها فإن الوقت قد أزف. تحسب الأم السنوات ثم تعاتب طفلتها الصامئة وتقول إنه ليس جيداً أن تقضي كل وقتك مع امرأة عجوز، أيتها الشابة المتهورة. لقد برهنت إريكا قبل قليل على عدم معرفتها بالبشر، إذ إنها قابلت، ربما للمرة الثانية خلال عام، الرجل غير المناسب. تتحدث الأم عما هو مناسب لإريكا. إريكا تتفهم ذلك أيضاً، وهي الخطوة الأولى لمعرفة الذات. هناك رجال آخرون، تعزي الأم الخائفة ابنتها وتمنيها بأمنيات ضبابية تخص فترة قادمة. تصمت إريكا على نحو مهذب. تخشى الأم

أن تكون ابنتها غارقة في التفكير، ثم تعبر الأم أيضاً عن مخاوفها. من لا يتكلم، فمن الأفضل أن يفكر. تطالبها الأم بكشف هذه الأفكار علانية، وبألا تلتهم الأفكار وحدها. ما يفكر فيه المرء، يجب أن ينطق به أمام الأم التي ينبغي أن تكون في الصورة. تشعر الأم بالخوف أمام الصمت. هل تحقد الابنة عليها؟ هل ستتجراً وتلقي خطبة وقحة؟

تشرق الشمس على الصحراء الترابية التي تعيش بها المرأتان. تتلون واجهات المنازل باللون الأحمر. الأشجار اكتست بالخضرة، فهي عازمة على الظهور في أفضل ثيابها. تتفتح براعم الأزهار، وتساهم في بهاء الطبيعة. الناس تتحرك وسط الطبيعة، ومن أفواههم يتدفق كلام.

الألم منتشر في معظم أعضاء إريكا، لذا فإنها لا تتحرك فجأة. الشرائط الطبية لم تلتصق دائماً بطريقة ملائمة، ولكن بحب وعطف. قد يحدث الصباح إريكا على أن تبحث عن السبب الذي دفعها كل تلك الأعوام إلى أن تعزل نفسها عن كل شيء. حتى تخرج ذات يوم من أسوارها بعظمة وخيلاء، وتفوق الجميع! لماذا ليس الآن؟ اليوم. ترتدي إريكا فستاناً قديماً لم يعش طويلاً في عالم الموضة. ليس الفستان قصيراً جداً مثل فساتين تلك الفترة، لكن الفستان ضيق للغاية، لدرجة أن السوستة في الظهر لا تتغلق حتى آخرها. لقد عفا الزمن على الفستان تماماً. الأم أيضاً لا يعجبها الفستان، لأنه أقصر وأضيق من اللازم. الفستان يكاد يتفتق على جسد الابنة.

ستسير إريكا في الشوارع حتى تصيب كل الناس بالدهشة،
حضورها وحده يكفي لذلك. وزارة إريكا الخارجية ترتدي
فستانا متقادما سيثير تهكم هذا وذاك.

للتسرية عن الابنة تقترح الأم أن يقوما بنزهة، ولكن ليس
بهذا المظهر. لا تسمعها الابنة. يشجع الصمت الأم على أن
تحضر الأم خرائط لطرق التجول، أخرجتها من أدراج قديمة
متربة كان ينبش الأب فيها. بإصبعها راحت تحدد طرق السير،
وتبحث عن الهدف، وتختار محطات الاستراحة. دون أن تراها
الأم تخفي الابنة سكيئا حادا في شنطة يدها. لم ير السكين حتى
الآن ولم يتذوق إلا الجاتوه. لم تحسم الابنة قرارها بعد: هل
تقتله، أم تلقي بنفسها أمام الرجل وهي تقبل قدميه؟ ستقرر فيما
بعد ما إذا كانت ستطعنه، أم أنها ستتوسل إليها توسلا حارا
وجادا؟ لا تصغي إلى الأم التي تصف دروبا وطرقا، وتبين
على الخريطة كيفية الوصول إليها.

تنتظر الابنة الرجل الذي يأتي ليتوسل إليها. تجلس أمام
النافذة صامتة، وتوازن بين الذهاب والبقاء. تصوت أولا
لصالح البقاء. ربما أخرج غدا، تقرر. تهبط ببصرها إلى
الشارع، وفي اللحظة التالية تتصرف. في هذا الوقت تبدأ
المحاضرات الصباحية في كلية الهندسة، مادة التخصص:
كلمر. لقد سألته مرة عن ذلك. الحب دليلها إلى هناك. والشوق
مستشارها الجاهل.

بمجرد انصراف إريكا كوهوت وتركها الأم وحيدة، تبدأ الأخيرة في فحص دوافع ابنتها. منذ سنوات بعيدة ألفت الأم الزمن. تشعر به كنبات سام للغاية يتغذى على اللحم. ولكن ليس من المبكر للغاية أن يعرض المرء نفسه لهذا النبات؟ في المعتاد تبدأ الطفلة يوماً متأخراً عن ذلك، ولهذا يتآكل النهار على نحو متأخر أيضاً.

تمشى إريكا في الشوارع في اتجاه هدفها وهي تقبض على السكين الدافئ. تقدم منظراً غير مألوف، وكأنها خلقت كي تفرع الناس. لم يتحرج الناس من الحملقة فيها. يستديرون ويطلقون ملاحظاتهم. لا يخجلون من آرائهم حول المرأة، ولا من إعلان هذه الآراء. في فستانها المتأرجح بين القصر والطول تسمو إريكا بقامتها العالية، ومع الشباب تخوض غمار مبارزة عنيفة. في كل مكان يضحك شبان صغار السن على السيدة المعلمة. يسخر الشبان علناً من إريكا بسبب مظهرها. وإريكا تسخر من الشبان بسبب خوائهم الداخلي. عين رجل تعطي إشارة لإريكا أن عليها ألا ترتدي فستاناً قصيراً مثل هذا. فساقها ليسا على هذا القدر من الجمال! ضاحكة تواصل إريكا سيرها: الفستان لا يتناسب مع الساقين، والساقان لا يتناسبان مع الفستان، هكذا سيقول الخبير بالموضة. بقوتها الذاتية تسمو على نفسها، وعلى الآخرين. تشعر بالخوف: هل ستتغلب على هذا الرجل؟ الشبان في وسط المدينة يتهمون عليها أيضاً. ترد

إريكا بتهمك أكثر لذعاً. ما يستطيعه الشبان، تستطيعه إريكا على نحو أفضل، لأنها تفعله منذ مدة أطول.

تمر إريكا بساحات خاوية أمام المتاحف. الحمام يطير. أمام هذا العزم والتصميم! السياح يبجلقون أولاً في تمثال القيصرة ماريا تريزيا، ثم في إريكا، ثم يرتد البصر إلى القيصرة. الأجنحة ترفرف. مواعيد الدخول إلى المتاحف معلقة في الخارج. الترام في شارع "الرينج" يسير في اتجاه إشارة مرور. نرات الغبار تلمع تحت أشعة الشمس. خلف أسوار حديقة "البورج" تبدأ الأمهات الشابات في تمشيتهن اليومية. أول أوامر اليوم تهبط على رؤوس الأطفال في الطرق المفروشة بالحصى. من أعلى تتساقط قطرات لعاب الأمهات. يعقب الرد في صورة عويل متنام، السلاح المعجزة عند الأطفال. في كل الأماكن يتفاهم الآن شخصان أو عدة أشخاص. الزملاء يتقابلون. الأصدقاء يتشاجرون. قائدو السيارات يمرقون كالسهم في تقاطع الأوبرا لأن المشاة أخلوا لهم الطريق، ونزلوا تحت الأرض ليستخدموا الأنفاق. الأضرار التي يتسببون فيها هناك لا بد أن يتحملوها بأنفسهم. لن يجدوا هناك أكباش فداء: سائقي السيارات. يدخلون إلى المحلات التجارية بعد أن تتم دراستها من الخارج دراسة وافية. البعض يتجول بلا هدف. المكاتب في شارع "الرينج" تبتلع شخصاً تلو الآخر، وكلهم يهتمون بالتصدير والاستيراد. في مقهى وحلواني "عايدة" تراقب الأمهات بوابر النشاط الجنسي لبناتهن، وهي بوابر تبدو لهن

مبكرة وخطيرة منذ البدء. تمتدح الأمهات نشاط الأبناء في المدرسة والرياضة.

تمسك إريكا كوهوت بالسكين الحي الذي ضل طريقه إلى شنطة يدها. هل يقوم السكين برحلة، أم أن إريكا هي التي ستحج إلى الرجل طالبة الصفح والمغفرة؟ لا تعرف بعد، ولن تحسم أمرها إلا عند الوصول إلى هدفها. ما زالت تحبذ استخدام السكين. سيرقص! تسير المرأة في اتجاه متحف "السيثسييون" رافعة هامتها الحرة إلى القبة المزينة بالأوراق النباتية. أسفل القبة يعرض فنان معروف في المدينة شيئاً لن يكون الفن بعده ما كان قبلاً. من هنا، من على البعد يمكن رؤية كلية الهندسة، القطب المضاد للفن. لا يتبقى أمام إريكا سوى عبور التقاطع مستخدمة النفق، ثم تمشي في حديقة "رسلبارك". الرياح تهب بشكل متقطع. المكان يزدحم بأصوات شبابية متعطشة إلى المعرفة. النظرات تمر بإريكا، وإريكا تواجهها. أخيراً تمر بي نظرات، تقول إريكا مبتهجة. سنوات بعد سنوات كانت إريكا ببقائها في منزلها تتجنب مثل هذه النظرات. ولكن الصبر يعقبه الفرج. تعرض إريكا نفسها لنظرات الناس دون أن تكون عزلاء، يا سكينتي يا شقية. شخص ما يضحك. ليس كل شخص يفهمه هكذا. معظم الناس لا يضحكون. لا يضحكون لأنهم لا يرون أحداً سواهم. لا يلاحظون مرور إريكا.

من التيار الجاري تتخثر مجموعات شابة، تكون فرق الاقتحام وفرق المؤخرة في جيش المارة. شباب نشيط ومتحمس وكله تصميم على اكتساب خبرات جديدة. باستمرار يتحدثون عن ذلك. البعض يريد أن يكتسب خبرات ذاتية، وآخرون يفضلون أن يكتسبوا خبرات مع الآخرين، كل حسب رغبته. أمام واجهة كلية الهندسة يرى المرء فوق الأعمدة رؤوسا معدنية لعلماء مشهورين من هذه الكلية، ساهموا في التقدم التقني باختراع القنابل والسدود.

مثل ضفدعة تقبع كنيسة "القيصر كارل" وسط قفر موحش، ولكن على الأقل لا يهدد عادمُ سيارات صحتها هناك. بثقة يندفع الماء من النافورة الثرثارة. الأحجار تكسو المكان كله باستثناء الحديقة العامة المصممة لتكون واحة خضراء. هناك أيضاً محطة مترو أنفاق، إذا أراد المرء استخدامه.

تعثر إريكا كوهوت على فالتر كلمر وسط مجموعة من الطلاب ذوى الاهتمامات المشتركة والمراحل الدراسية المختلفة. يتبادل الطلبة الضحكات، ولكن ليس على إريكا التي لا يلاحظون وجودها. بصوت عال يعلن الشبان أن فالتر كلمر لم "يزوِّغ" اليوم من المحاضرات. لم ينم كثيراً الليلة الماضية التي كانت مثل غيرها من الليالي بالنسبة له. تحصي إريكا ثلاثة شباب وفتاة يبدو عليها أنها تدرس هي أيضاً شيئاً هندسياً، وبالتالي تمثل ابتكاراً تقنياً. ببشر وابتهاج يضع فالتر كلمر يده حول الفتاة. تضحك ضحكة مجلجلة مُخفية لوهلة رأسها الأشقر

بجانب عنق كلمر الذي يعلوه هو أيضاً رأس أشقر. من شدة الضحك لم تعد الفتاة تستطيع أن تتصب طولها، وكما تبين لغة جسدها. يتحتم على الفتاة الاستناد على كلمر. الآخرون يساندونه. وفالتر كلمر يضحك كذلك من أعماقه هازاً رأسه. الشمس تحتضنه بأشعتها. والنور يتحاور معه. يواصل كلمر قهقهاته، والآخرون يوافقونه بملء الفم. ما الذي يثير الضحك؟ يسأل طالب أتى متأخراً، وعلى الفور ينفجر ضاحكاً. نقلت إليه العدوى. دون أن يتوقفوا عن الضحك المتفجر من الأفواه، يشرحون له سبب الضحك، وعندئذ يعرف على أي شيء يضحك. بل إنه يفوق الآخرين، لأن عليه أن يعوض فترة سبقه فيها بالضحك. تقف إريكا كوهوت هناك وتشاهد ما يحدث. تتفرج. الشمس ساطعة، وإريكا تتفرج. بعد أن اكتفت المجموعة من الضحك تتوجه إلى مبنى كلية الهندسة كي تدخله. بين الحين والآخر تتفجر ضحكاتهم النابعة من القلب. يقاطعون أنفسهم بالضحكات.

النوافذ تشرق في ضوء الشمس، لكنها لا تفتح في وجه هذه المرأة. لا تفتح لكل شخص. ليس ثمة إنسان طيب واحد يهتم بأمرها، رغم احتياجها لذلك. كثيرون يودون تقديم المساعدة، لكنهم لا يفعلون. تدير المرأة عنقها جانباً إلى أقصى ما تستطيع، مظهرة أسنان فكها مثل حصان مريض. لا أحد يضع يده عليها، ولا أحد يخفف عنها. خائفة القوى ترسل نظرها عبر الكتف، ثم إلى الأمام. فلينغرز السكين في قلبها، وليقطعه

تقطيعاً! لكن البقية الباقية من قوتها تخذلها. نظراتها لا تسقط على شيء. دون فورة من غضب أو غيظ أو عاطفة تطعن إريكا كوهوت نفسها في كتفها، ومن هناك تنبثق على الفور دماء. هذا الجرح سطحي، عليها فقط ألا تجعله يتلوث بالوساخة أو الصديد. العالم من حولها سليم لم يتأثر، ولم يتوقف عن الصخب. بالتأكيد اختفى الشبان الآن داخل المبنى. المبنى في الكلية يلاصق الآخر. يتم إرجاع السكين إلى مكانه في الشنطة. في كتف إريكا يتسع الجرح. بلا مقاومة انشقت الأنسجة. انغرز الصلب فيها. إريكا تواصل سيرها. لا تركب وسيلة موصلات. تضع إحدى يديها على الجرح. لا أحد يتعقبها. كثيرون يقابلونها ثم يفترقون عندها، مثل مياه حول هيكل سفينة خربة. لا تشعر بالألم الفظيع الذي تتوقع مجيئه كل ثانية. ضوء الشمس ينعكس على زجاج سيارة.

تشعر إريكا بالدفء يسري في ظهرها حيث السوستة مفتوحة قليلاً. يتدفأ ظهرها قليلاً بأشعة الشمس التي تشتد شيئاً فشيئاً. تسير إريكا وتسير. الشمس تدفئ ظهرها. والدماء تسيل منها. يصعد الناس ببصرهم من الكتف إلى الوجه. بل إن البعض يلتفت. ليس كلهم. تعرف إريكا الاتجاه الذي يتوجب عليها السير فيه. إنها ذاهبة إلى البيت. تسير وتسرع قليلاً من خطواتها.

الفريده
يلنيك
عازفة
البيانو



ميريت